مَعَارِجُ القَبُولِ

بشرح سُلَّمِ الوُصُولِ إلَى عِلْمِ الأُصُولِ في التَّوحِيدِ

تأليف

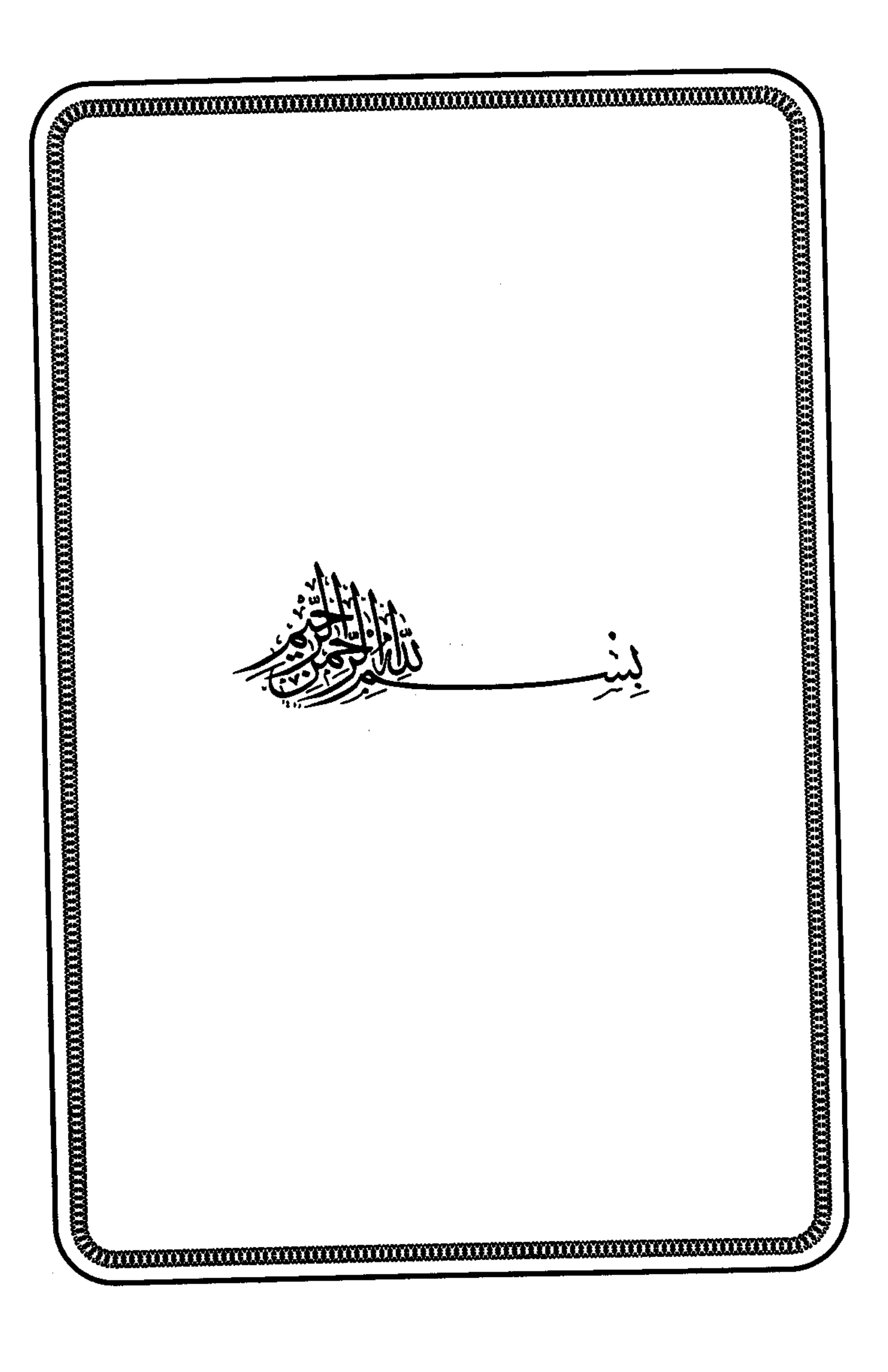
الشيخ العلّامة حافظ بن أحمد الحكمي
رحمه الله
(١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ)

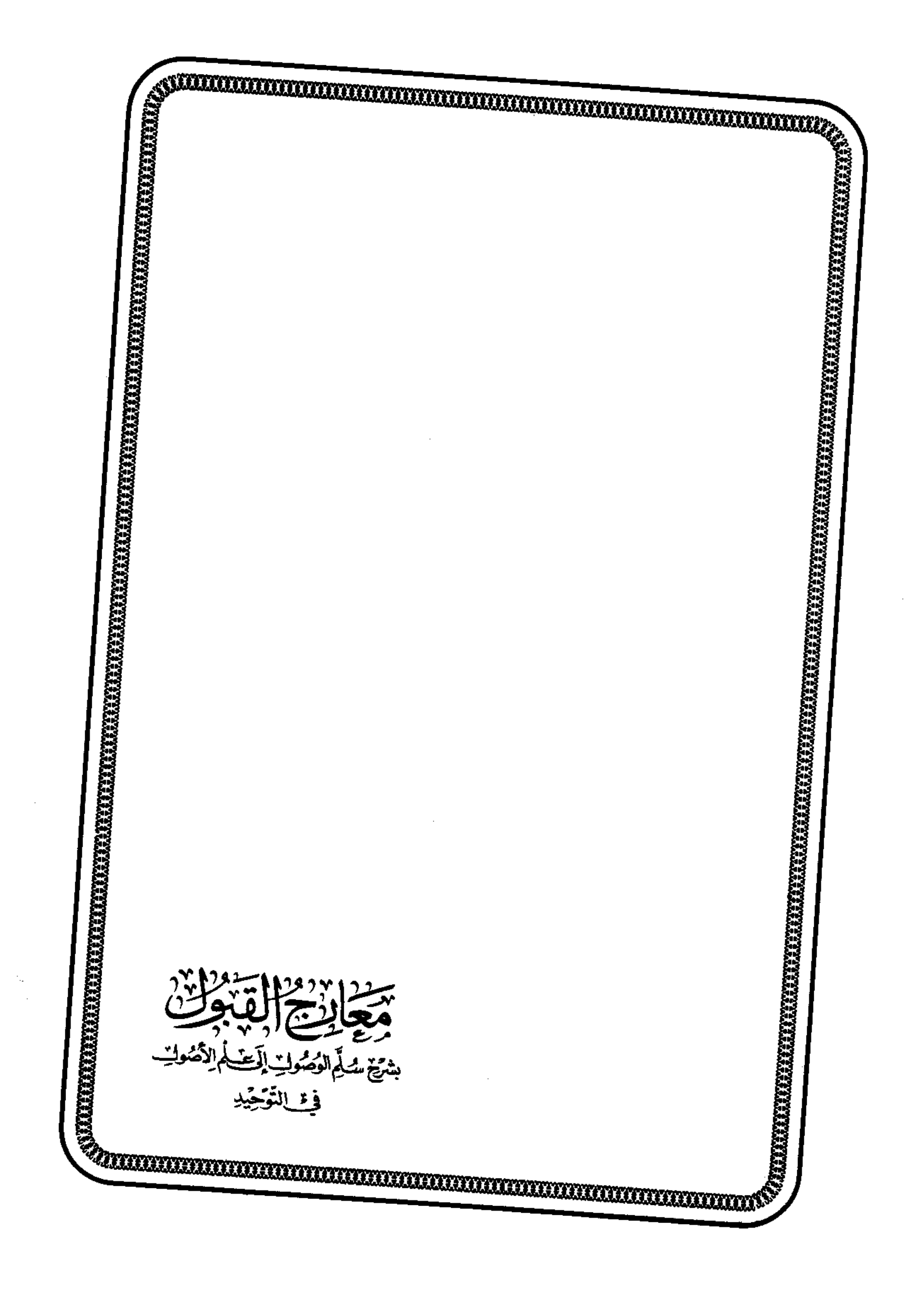
حققه وعلق عليه وضبط نصه
وخرج أحاديثه وآثاره

محمد صبحي بن حسن حلاق

الجزء الثالث

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم


معارج القبول
بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
في التوحيد

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٢٣١٢٢
جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩
الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

[الإيمان بالنفخ في الصور]

(وبقيامنا بنفخ الصورِ)[1]، أي وكما يدخُل في الإيمان باليوم الآخِر الموتُ وما بعده من فتنة القبرِ ونعيمِه أو عذابِه، وباللقاء والبعثِ والنشورِ والقيامِ من القبورِ كذلك يدخُل في ذلك الإيمانُ بالصور والنفخِ فيه الذي جعله اللّٰه سببَ الفزَعِ والصَّعَقِ والقيامِ من القبور، وهو القَرنُ الذي وكّل اللّٰهُ تعالى به إسرافيلَ كما تقدم في ذكر الملائكة.

وقد ذكر اللّٰهُ عز وجل النفخَ فيه في مواضعَ من كتابه، كقوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] الآيات. وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

[حديث الصُّور بطوله]

ولْنسُقْ ههنا حديثَ الصُّورِ بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآياتِ، ولِما اجتمع فيه مما تفرق في غيره من الأحاديث، وبالله التوفيق.

قال ابنُ كثير[2] رحمه الله تعالى عند هذه الآيةِ الأخرى: «وقد روينا حديثَ الصورِ بطوله من طريق الحافظِ أبي القاسمِ الطبرانيِّ في كتابه المطوّلات[3] قال: حدثنا أحمدُ بن الحسنِ المصْريُّ الأيْليُّ حدثنا أبو عاصمٍ النبيلُ حدثنا إسماعيلُ بنُ رافعٍ عن محمد بنِ زيادٍ عن محمد بنِ كعبٍ القُرظيِّ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال: **«إن اللّٰهَ تعالى لما فرَغ مِن خلق السمواتِ والأرضِ خلق الصورَ فأعطاه إسرافيل فهو واضعُه على فيه شاخصاً بصرُه في العرش ينتظر متى يُؤمَر»**.

قلت: يا رسولَ الله وما الصُّورُ؟ قال: **«القَرْنُ»**.

---

(١) البيت كما تقدم في المنظومة:

وبـالـلـقـا والـبـعـث والـنـشـور ... وبـقـيـامـنـا مـن الـقـبـور

(د. أحمد الحكمي).

(٢) في تفسيره (٢/ ١٥١ ـ ١٥٤).

(٣) وهو في نهاية «المعجم الكبير» (٢٥/ ٢٢٦) بسند ضعيف وقد تقدم.

قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي بعثني بالحق إن عِظَمَ دارةٍ فيه كعَرض السمواتِ والأرض، يُنفخ فيه ثلاثَ نَفخاتٍ: النفخةُ الأولى نفخةُ الفزَع، والثانيةُ نفخةُ القيام لرب العالمين، يأمر اللَّهُ تعالى إسرافيلَ بالنفخة الأولى فيقول انفُخ، فينفُخ نفخةَ الفزَعِ، فيفزَع أهلُ السمواتِ والأرض إلا من شاء الله، ويأمرُه فيُطيلُها ويُديمُها ولا يفتُر، وهي كقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: ١٥]. فيُسيِّر اللَّهُ الجبالَ فتمرُّ مرَّ السحابِ فتكون سَراباً، ثم ترتجّ الأرضُ بأهلها رجاً فتكون كالسفينة المَرْمِيَّةِ في البحر تضربها الأمواجُ تَكَفَّأُ بأهلها كالقنديل المعلّقِ في العرش تُرَجْرِجُه الرياحُ، وهو الذي يقول: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ [النازعات].

فيَميدُ الناسُ على ظهرها، وتذهَلُ المراضعُ، وتضع الحواملُ، وتشيب الوِلدانُ، وتطير الشياطينُ هاربةً من الفزَع حتى تأتيَ الأقطارَ، فتأتيها الملائكةُ فتضرِبُ وجوهَها فترجِع، ويولي الناسُ مدبرين ما لهم من أمر اللَّهِ من عاصم، ينادي بعضُهم بعضاً»، وهو الذي يقول اللَّهُ تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]. فبينما هم على ذلك إذْ تصدّعت الأرضُ من قُطْر إلى قطر، فرَأَوا أمراً عظيماً لم يَروا مثلَه، وأخذهم لذلك من الكرب والهولِ ما اللَّهُ به عليمٌ.

ثم نظَروا إلى السماء فإذا هي كالمُهل، ثم انشقَّت السماءُ فانتثرتْ نجومُها وانخسفت شمسُها وقَمرُها، قال رسولُ الله ﷺ: «الأمواتُ لا يعلمون بشيءٍ من ذلك».

قال أبو هريرة: يا رسولَ الله مَن استثنى اللَّهُ عز وجل حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]؟ قال: «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزعُ إلى الأحياء وهم أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون، وقاهم اللَّهُ فزَعَ ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذابُ اللَّهِ يبعثه على شرار خلقِه». قال: «وهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج].

فيقومون في ذلك العذابِ ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر اللَّهُ إسرافيلَ بنفخة الصعق، فينفُخ نفخةَ الصعَق فيصعَقُ أهلُ السمواتِ والأرضِ إلا من شاء الله، فإذا هم قد خَمدوا، وجاء ملكُ الموتِ إلى الجبار عز وجل فيقول: يا

ربِّ قد مات أهلُ السمواتِ والأرضِ إلا مَن شئت.

فيقول اللَّهُ تعالى وهو أعلمُ بمن بقي: فمَن بقيَ؟.

فيقول: يا ربِّ بقِيتَ أنت الحيُّ الذي لا تموت، وبقِيتْ حملةُ العرشِ وبقيَ جبريلُ وميكائيلُ وبقيتُ أنا.

فيقول اللَّهُ عز وجل: لِيَمُتْ جبريلُ وميكائيلُ، فيُنطق اللَّهُ تعالى العرشَ.

فيقول: يا رب يموتُ جبريلُ وميكائيلُ؟.

فيقول: اسكُتْ فإني كتبتُ الموتَ على كل من كان تحت عرشي، فيموتان.

ثم يأتي ملكُ الموتِ إلى الجبار فيقول: يا ربِّ قد مات جبريلُ وميكائيلُ.

فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقيَ: فمن بقيَ؟.

فيقول: بقِيتَ أنت الحيُّ الذي لا تموتُ وبقِيتْ حمَلةُ عرشِك وبقيتُ أنا.

فيقول الله تعالى: لِتمُتْ حَمَلةُ العرشِ. فتموت، ويأمر اللَّهُ تعالى العرشَ فيقبِض الصورَ من إسرافيلَ.

ثم يأتي ملكُ الموتِ فيقول: يا رب قد مات حَملةُ عرشك.

فيقول اللَّهُ وهو أعلمُ بمن بقيَ: فمن بقي؟.

فيقول: يا ربِّ، بقيتَ أنتَ الحيُّ الذي لا تموت وبقيتُ أنا.

فيقول الله تعالى: أنت خلقٌ من خلقي، خلقتُك لِما رأيتَ، فمُت. فيموت.

فإذا لم يبقَ إلا اللَّهُ الواحدُ القهارُ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولد كان آخِراً كما كان أولاً، طوى السمواتِ والأرضَ طيَّ السِّجِلِّ للكتب ثم دحاهما ثم يَلقَفُهما ثلاثَ مرات.

ثم يقول: أنا الجبارُ أنا الجبارُ (ثلاثاً)، ثم هتف بصوته: لمن الملكُ اليومَ (ثلاث مرات) فلا يجيبه أحدٌ.

ثم يقول لنفسه: لله الواحدِ القهارِ.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فيبسُطُهما ويَسْطَحُهما ثم يمدهما مدَّ الأديمِ العُكاظيِّ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجرُ اللَّهُ الخلقَ زجرةً واحدةً فإذا هم في هذه الأرضِ المُبدلةِ مثلَ ما كانوا فيها من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها.

ثم يُنزل اللّهُ تعالى عليهم ماءً من تحت العرشِ، ثم يأمر اللّهُ السماءَ أن تُمطِرَ، فُتمطرُ أربعين يوماً حتى يكون الماءُ فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، ثم يأمر اللّهُ الأجسادَ أن تَنبُتَ فتنبُتُ كنبات الطراثيثِ أو كنبات البقْلِ، حتى إذا تكاملت أجسادُهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحيى حملة عرشي، فيَحيَوْن، ويأمر اللّهُ إسرافيلَ فيأخذ الصورَ فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريلُ وميكائيلُ، فيَحْيَيان.

ثم يدعو اللّهُ بالأرواح فيُؤتى بها تتوهّج أرواحُ المؤمنين نوراً وأرواحُ الكافرين ظُلمةً، فيقبِضها جميعاً ثم يُلقيها في الصور، ثم يأمر اللّهُ إسرافيلَ أن ينفُخَ نفخةَ البعثِ، فينفُخُ نفخةَ البعث، فتخرُج الأرواحُ كأنها النحلُ قد ملأت ما بين السماءِ والأرضِ فيقول: وعزتي وجلالي لَيرجِعنَّ كلُ روحٍ إلى جسده، فَتَدْخُلُ الأرواحُ في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السُمُّ في اللديغ، ثم تنشقّ الأرضُ عنهم، وأنا أولُ من تنشق الأرضُ عنه، فتخرُجون سِراعاً إلى ربكم تنسِلون ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]. حُفاةً عُراةً غُرْلاً، فتقِفون موقفاً واحداً مقدارُه سبعون عاماً لا يُنظَر إليكم ولا يُقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطِعَ الدموعُ، ثم تدمَعون دماً وتعرَقون حتى يُلجِمَكم العَرقُ أو يبلُغَ الأذقان، وتقولون مَن يشفع لنا إلى ربنا فيقضيَ بيننا؟ فتقولون من أحقُّ بذلك من أبيكم آدمَ، خلقه اللّهُ بيده وَنَفَخَ فيه من روحه وكلّمه قُبُلاً، فيأتون آدمَ فيطلُبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحبِ ذلك، فيستقرؤون الأنبياءَ نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم.

قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني، فأنطَلقُ إلى الفَحْص فأخِرُّ ساجداً».

قال أبو هريرةَ: يا رسولَ الله وما الفحصُ؟ قال: «قُدّامَ العرشِ، حتى يبعث اللّهُ إليّ ملَكاً فيأخذ بعضُدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد.

فأقول: نعم يا رب.

فيقول عز وجل: ما شأنُك؟ وهو أعلمُ.

فأقول: يا ربِّ وعدتني الشفاعةَ فشفّعني في خلقك فاقضِ بينهم.

قال الله: قد شفّعتُك، أنا آتيكم أقضي بينكم.

قال رسولُ الله ﷺ: فأرجِع فأقفُ مع الناس، فبينما نحن وقوفٌ إذ سمِعنا من السَّماءِ حِسّاً شديداً فهالنا، فينزل أهلُ السماءِ الدنيا بمثلَيْ مَن في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دَنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافَّهم وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: لا وهو آتٍ.

ثم ينزل أهلُ السماء الثانية بمثلَيْ من نزل من الملائكة وبمثلَيْ من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دَنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافَّهم، وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا وهو آتٍ.

ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبارُ عز وجل في ظُللٍ من الغمام والملائكةُ، فيحمل عرشَه يومئذٍ ثمانيةٌ وهم اليوم أربعةٌ، أقدامُهم في تخوم الأرضِ السُّفلى، والأرضُ والسمواتُ إلى حُجَزهم، والعرش على مناكبهم، لهم زجَلٌ في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العزةِ والجَبروت، سبحان ذي المُلكِ والملَكوت، سبحان الحيّ الذي لا يموت، سبحان الذي يُميت الخلائقَ ولا يموت، سُبُوحٌ قُدّوسٌ قُدُّوس قدوسٌ، سبحان ربِّنا الأعلى ربِّ الملائكةِ والروُح، سبحان ربِّنا الأعلى الذي يُميت الخلائِقَ ولا يموت.

فيضع اللّهُ كرسيَّه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشرَ الجنّ والإنسِ إني قد أنصَتُّ لكم منذ خلقتُكم إلى يومكم هذا، أسمع قولَكم وأُبصِر أعمالَكم، فأنصِتوا إلي، فإنما أعمالُكم وصُحفُكم تُقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد اللّهَ، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه.

ثم يأمر اللّهُ جهنمَ فيخرُج منها عُنقٌ ساطعٌ مُظلم، ثم يقول: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾ [يس]، أو ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ شك أبو عاصم ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فيميزُ اللّهُ الناسَ وتجثوا الأمم، يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

فيقضي اللّهُ عز وجل بين خلقِه إلا الثقلين الجنّ والإنسَ فيقضي بين الوحوشِ والبهائم حتى إنه لَيقضي للجمّاء من ذات القَرن.

فإذا فرغ من ذلك فلم تبقَ تَبِعةٌ عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافرُ: يا ليتني كنت تراباً.

ثم يقضي اللّهُ تعالى بين العبادِ: فكان أولَ ما يقضي فيه الدماءُ، ويأتي كلُ قتيلٍ في سبيل الله، ويأمر اللّهُ عز وجل كلَّ من قُتل فيحمِلُ رأسَه تشخَب أوداجُه.

فيقول: يا ربِّ فيمَ قتلني هذا؟.

فيقول ـ وهو أعلمُ ـ فيمَ قتلتَهم؟.

فيقول: قتلتُهم لتكونَ العزةُ لك.

فيقول اللّهُ له: صدقْتَ، فيجعل اللّهُ وجهَه مثلَ نورِ الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة.

ثم يأتي كلُّ من قُتل على غير ذلك يحمِل رأسَه وتشخَب أوداجُه فيقول: يا ربّ قتلني هذا؟

فيقول تعالى وهو أعلم: لم قتلتَهم؟.

فيقول: يا ربِّ قتلتهُم لتكونَ العزةُ لي.

فيقول: تعِسْتَ، ثم لا تبقى نفسٌ قتلها إلا قُتل بها ولا مَظلِمةٌ ظلمها إلا أُخذ بها، وكان في مشيئة اللّهِ إن شاء عذبه وإن شاء رحمه.

ثم يقضي اللّهُ تعالى بين من بقيَ من خلقه حتى لا تبقى مَظلِمةٌ لأحد عند أحدٍ إلا أخذها اللّهُ للمظلوم من الظالم حتى إنه ليُكلّفُ شائبَ اللبنَ بالماء ثم يبيعُه أن يُخلّصَ اللبنَ من الماء.

فإذا فرَغ اللّهُ تعالى من ذلك نادى منادٍ يُسمع الخلائقَ: ألا لِيلحقْ كلُ قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحدٌ عَبد مِن دون اللّهِ إلا مُثلتْ لهَ آلهتُه بين يديه، ويُجعل يومئذ ملكٌ من الملائكة على صورة عُزيرٍ، ويُجعل ملكٌ من الملائكة على صورة عيسى بنِ مريمَ، ثم يتبع هذا اليهودُ وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتُهم إلى النار وهو الذي يقول: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

فإذا لم يبقَ إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم اللّهُ فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناسُ ذَهَبَ الناسُ فالْحقوا بآلهتكم وما كُنتُمْ تعبدون.

فيقولون واللَّهِ واللَّهِ ما لنا إلهٌ إلا اللَّهُ، وما كنا نعبد غيرَه، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرِفون أنه ربُهم، فيخِرّون للأذقان سُجّداً على وجههم وَيَخِرُّ كلُّ منافقٍ على قَفاه، ويجعل اللَّهُ عز وجل أصلابَهم كصياصي البقر.

ثم يأذنُ اللَّهُ لهم فيرفعون، ويضربُ اللَّهُ الصراطَ بين ظَهرانِي جهنمَ كحدِّ الشفرةِ أو كحدِّ السيفِ عليه كلاليبُ وخطاطيفُ وحسَكٌ كحسك السَّعدانِ دونه جسرٌ دخضٌ مَزَلّةٌ، فيمُرون كطرْف العينِ أو كلمح البرقِ أو كمر الريحِ أو كجياد الخيلِ أو كجياد الرِّكاب أو كجياد الرجالِ، فناجٍ سالمٌ، وناجٍ مخدوشٌ، ومكدوسٌ على وجهه في جهنم.

فإذا أفضى أهلُ الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفعُ لنا إلى ربنا فندخُلَ الجنةَ؟ فيقولون: من أحقُّ بذلك من أبيكم آدمَ عليه السلام؟ خلقه اللَّهُ بيده ونفخ فيه من روحه وكلّمه قُبُلاً.

فيأتون آدمَ فيُطلب ذلك إليه فيذكرُ ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوحٍ فإنه أولُ رسلِ الله.

فيؤتى نوحٌ فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيمَ فإن اللَّهَ تخيّره خليلاً.

فيؤتى إبراهيمُ فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بموسى فإن اللَّهَ قرّبه نجياً وكلّمه وأنزل عليه التوراةَ.

فيؤتى موسى فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح اللَّهِ وكلمتِه عيسى بنِ مريمَ.

فيؤتى عيسى بنُ مريمَ فيُطلب ذلك إليه فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد.

قال رسولُ الله ﷺ فيأتوني ولي عند ربي ثلاثُ شفاعاتٍ وعَدَنيهنّ، فأَنطلقُ فآتي الجنةَ فآخُذ بحلقة البابِ فأستفتح فيُفتح لي فأُحَيّا ويرُحَّب بي، فإذا دخلتُ الجنةَ فنظرتُ إلى ربي خرَرْتُ له ساجداً فيأذن اللَّهُ لي من تحميده وتمجيدِه بشيء ما أذِن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسَك يا محمدُ واشفَعْ تشفَع، وسَلْ تُعطَ، فإذا رفعتُ رأسي يقول اللَّهُ تعالى ـ وهو أعلمُ ـ ما شأنُك؟ فأقول: يا ربِّ وعدتَني الشفاعةَ فشفّعْني في أهل الجنةِ فيدخُلون الجنة.

فيقول الله: قد شفعتُك، وقد أذِنتُ لهم في دخول الجنة».

وكان رسولُ الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرفَ بأزواجكم ومساكنِكم من أهل الجنةِ بأزواجهم ومساكنِهم من أهل الجنةِ بأزواجهم ومساكنِهم».

فيدخُل كلُ رجلٍ منهم على اثنتين وسبعين زوجةً، سبعين ممَّا يُنشئ اللَّهُ عز وجل وثِنتين آدميتينِ من ولد آدمَ لهما فضلٌ على من أنشأ الله لعبادتهما اللَّه تعالى في الدنيا، فيدخل على الأولى في غُرفة من ياقوتةٍ على سرير من ذهب مُكلَّلٍ باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سُندُسٍ وإستبرَقٍ، ثم إنه يضع يده بين كتِفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابِها وجلدِها ولحمِها، وإنه لينظُر إلى مخ ساقِها كما ينظر أحدُكم إلى السِلْك في قصبة الياقوتِ، كبدُها له مرآةٌ وكِبدُه لها مرآةٌ، فبينا هو عندها لا يَملُّها ولا تملُّه ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراءَ ما يفتر ذكَرُه وما تشتكي قُبلَها.

فبينا هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرَفنا أنك لا تَملُّ ولا تَملُّ، إلا أنه لا مَنِيَّ ولا مَنيةَ. إلا أن لك أزواجاً غيرَها، فيخرَج فيأتيهن واحدةً واحدةً، كلما أتى واحدةً قالت له: واللَّهِ ما أرى في الجنة شيئاً أحسنَ منك ولا في الجنة شيءٌ أحبُّ إليَّ منك.

وإذا وقع أهلُ النارِ في النار وقع فيها خلقٌ من خلق رِبك أوبقتْهم أعمالُهم، فمنهم من تأخذ النارُ قدميه ولا تجاوز ذلك، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخُذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حِقْويه، ومنهم من تأخذ جسدَه كلَّه إلا وجهَه حرم اللَّهُ صورتَه عليها.

قال رسول الله ﷺ: «فأقول يا ربِّ شفِّعْني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول: أخرِجوا من عَرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ.

ثم يأذن اللَّهُ تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبيٌ ولا شهيدٌ إلا شفَع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زِنَةَ دينارٍ إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ.

ثم يشفع الله تعالى فيقول: أخرجوا من وجدتم في قلبه إيماناً ثُلثيْ دينار، ثم

يقول ثلثَ دينارٍ، ثم يقول ربعَ دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبةً من خَردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ وحتى لا يبقى في النار من عمِل لله خيراً قط ولا يبقى أحدٌ له شفاعةٌ إلا شفَع، حتى إن إبليسَ يتطاول مما يرى من رحمة اللَّهِ تعالى رجاءَ أن يُشفَع له.

ثم يقول: بقيتُ وأنا أرحم الراحمين فيُدخل يدَه في جهنمَ فيُخرِجُ منها ما لا يُحصيه غيرُه كأنهم حُممٌ فيُلقَون على نهر يقال له نهرُ الحَيوانِ فينبتُون كما تنبتُ الحِبّةُ في حميل السيلِ، فما يلي الشمسَ منها أُخيضِرُ وما يلي الظلَّ منها أُصيفِرُ، فينبُتون كنبات الطراثيثِ حتى يكونوا أمثالَ الذرِّ، مكتوبٌ في رقابهم: الجهنميّون عُتقاءُ الرحمن، يعرِفهم أهلُ الجنةِ بذلك الكتابِ ما عمِلوا خيراً لله قطُّ، فيمكُثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتابُ في رقابهم، ثم يقولون: ربَّنا امحُ عنا هذا الكتابَ، فيمحوه الله عز وجل عنهم».

[تعليق ابن كثير على حديث الصُّور المتقدم]

قال ابنُ كثير[1] ثم ذكره بطوله ثم قال: «هذا حديثٌ مشهورٌ، وهو غريبٌ جداً، ولبعضه شواهدُ في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نَكارةٌ، تفرد به إسماعيلُ بنُ رافعٍ قاضي أهل المدينة، وقد اختُلف فيه: فمنهم مَن وثقه ومنهم من ضعّفه، ونص علَى نَكارة حديثه غيرُ واحدٍ من الأئمة كأحمدَ بنِ حنبلٍ[2] وأبي حاتمٍ الرازيِّ[3] وعمْرو بن عليٍّ الفلاّسِ، ومنهم من قال فيه: هو متروكٌ.

وقال ابنُ عديٍّ[4]: أحاديثُه كلُّها فيها نظرٌ إلا أنه يُكتب حديثُه في جملة الضعفاء.

قال رحمه الله تعالى: قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديثِ على

(١) في تفسيره (٢/ ١٥٤).
(٢) انظر: «بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم»، تأليف: يوسف بن حسن بن عبد الهادي. تحقيق وتعليق: د. أبو أسامة، وصي الله بن محمد بن عباس (ص٦٩ رقم ٧٦).
(٣) في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ١٦٨ ـ ١٦٩).
(٤) في «الكامل» (١/ ٢٧٩).

وجوه كثيرةٍ قد أفردتُها في جزء على حِدة، وأما سياقُه فغريبٌ جداً، ويقال إنه جمعه من أحاديثَ كثيرةٍ وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعتُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجاجِ المَزّيَّ يقول: إنه رأى للوليد بنِ مسلمٍ مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفرداتِ هذا الحديثِ، فاللَّهُ أعلمُ». انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن عبد الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ قال: «**جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّورُ؟ فقال قَرْنٌ ينفخ فيه**».

وفي حديث أبي سعيد الخُدريِّ[2] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم وصاحبُ الصورِ قد التقمه وأصغى سمعَه وحنى جبهتَه ينتظر متى يُؤمَر، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ وما تأمُرنا؟ قال: قولوا حسبُنا اللَّهُ ونعم الوكيل**».

---

(١) في «المسند» (٢/ ١٦٢، ١٩٢) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٦٠) وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وأخرجه أبو داود (٥/ ١٠٧ رقم ٤٧٤٢) والترمذي (٤/ ٦٢٠ رقم ٢٤٣٠) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن...».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٠ رقم ٢٤٣١) وابن ماجه (٢/ ١٤٢٨ رقم ٤٢٧٣) وابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٩٧) وأحمد (٣/ ٧، ٧٣) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٥، ٧/ ١٣٠، ٣١٢) من طرق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد.
قال الترمذي: حديث حسن. أي لغيره، فإن عطية العوفي، ضعيف، إلا أنه توبع.
وقد تابعه أبو صالح عن أبي سعيد به.
أخرجه أبو يعلى (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ رقم ١١٠/ ١٠٨٤) وابن حبان (رقم: ٢٥٦٩ ـ موارد) والحاكم (٤/ ٥٥٩) من طريقين عن الأعمش عن أبي صالح به.
قال الحاكم: «ولولا أن أبا يحيى التيمي على الطريق لحكمت للحديث بالصحة، على شرط الشيخين».
وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٦٧): «قلت: قد تابعه جرير عن الأعمش عند أبي يعلى وابن حبان، فالسند صحيح على شرطهما» اهـ.
وفي الباب من حديث ابن عباس، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب.
انظر تخريجها في: «الصحيحة» رقم (١٠٧٩).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده، والله أعلم.

(**غُرْلاً حُفاةً**) الأغرلُ: الأَقلفُ، حفاةً غيرَ منتعلِين (**كجراد منتشر**) شُبّهوا بالجراد المنتشرِ لكثرته ولكونه ليس له وِجهةٌ يقصِدها بل يختلف ويموج بعضُه في بعض وهم كذلك. قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر].

وفي الصحيحين(١) عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناسُ على ثلاث طرائقَ: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثةٌ على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشَرةٌ على بعير، ويَحشرُ بقيتَهم النارُ تَقيلُ معهم حيث قالوا، وتَبيت معهم حيث باتوا، وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسَوا**».

وفيهما(٢) عن ابن عباس ﷺ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ يخطُب فقال: «**إنكم محشورون حفاةً عراةً غُرْلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية. **إن أولَ الخلائقِ يُكسَى يوم القيامة إبراهيمُ وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذاتَ الشمال فأقول: يا ربِّ أُصيحابي، فيقول الله عز وجل: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبدُ الصالحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة].

قال: **فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم**».

وفي رواية(٣): سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنكم ملاقوا اللّه حفاةً عراة مُشاةً غُرْلاً**».

وفي أخرى(٤) قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطب على المنبر.

---

(١) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٢)، ومسلم (٤/ ٢١٩٥ رقم ٢٨٦١).
(٢) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٦)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ رقم ٢٨٦٠).
(٣) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٤).
(٤) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٥).

وفيهما[1] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«تحشرون حفاةً عُراةً غُرلاً. قالت عائشةُ فقلت: يا رسولَ الله الرجالُ والنساءُ ينظر بعضُهم إلى بعض؟ فقال: الأمرُ أشدُّ من أن يُهِمَّهم ذلك»**.

وفي رواية النسائي[2]: **«فقالت عائشةُ: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه»**.

وروى هو[3] وابن أبي حاتم[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«تحشرون حفاةً عراة مشاةً غُرلاً. قال فقالت زوجتُه: يا رسولَ الله ينظر ـ أو يرى ـ بعضُنا عورةَ بعض؟ قال: لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه»** أو قال: **«ما أشغَلَهم عن النظر»** رواه التِرمِذيُّ[5] بنحوه وقال حسنٌ صحيح.

وروى ابن أبي حاتم[6] عن أنس رضي الله عنه قال: **«سألت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي إني سائلتُك عن حديث فتخبرُني أنت به. قال: إن كان عندي منه علمٌ. قالت: يا نبيَّ الله كيف يُحشر الرجالُ؟ قال: حفاةً عراةً. قالت: واسوأتاه من يوم القيامة. قال: وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل عليَّ آيةٌ لا يضُرك كان عليك ثيابٌ أو لا يكون. قالت: أيةُ آيةٍ يا نبيَّ الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** [عبس: ٣٧].

وروى البغويُّ[7] بإسناد الثعلبيِّ عن سَودةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: قال

---

(١) البخاري (١١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ رقم ٦٥٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ رقم ٢٨٥٩).

(٢) في السنن (٤/ ١١٤ رقم ٢٠٨٣).

(٣) أي النسائي (٤/ ١١٤).

(٤) في تفسيره (١٠/ ٣٤٠٠ رقم ١٩١٢٩).

(٥) في السنن (٥/ ٤٣٢ رقم ٣٣٣٢) بسند حسن.
قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٥١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) في تفسيره (١٠/ ٣٤٠٠ رقم ١٩١٣٠) بسند ضعيف.

(٧) في تفسيره (٨/ ٣٤٠).
قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٣) عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي. =

رسولُ الله ﷺ: «يُبعث الناسُ حفاةً عراةً غرْلاً، قد ألجمهم العرَق وبلغ شحومَ الآذانِ. فقلت: يا رسولَ الله واسوأتاه، ينظر بعضُنا إلى بعض؟ فقال: قد شُغل الناسُ، لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه».

وفي الصحيحين[1] عن قتادةَ عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ: «أن رجلاً قال: يا نبيَّ الله كيف يُحشر الكافرُ على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة»؟.

قال قتادة: بلى وعزةِ ربنا، قلت: وذلك قولُ الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] الآيات.

فشتّان ما بين الفريقين، وفَرقانَ ما بين الطريقين. أولئك يفِدون رَكْباً إلى جنات النعيم، ورحمةِ الرحمن الرحيم، وزيارةِ الربِّ العظيم، وهؤلاء يُسحبون سحباً إلى نار الجحيم، ونَكالِها الأليم، وعذابها المقيم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

قال ابن عباس[2]: وفداً رُكباناً.

وقال أبو هريرةَ[3]: على الإبل.

وقال ابن جُريج[4]: على النجائب.

وقال الثوري[4]: على الإبل النُوق.

وقال قتادةُ[4]: إلى الجنة.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: ما يُحشرون واللّهِ على أرجلهم، ولكن على نوق رحالُها الذهبُ، ونجائبَ سُرُجها يواقيتُ، إن همّوا بها سارتْ وإن همّوا بها طارت.

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٣): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش وهو ثقة» اهـ.

(١) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٣)، ومسلم (٤/ ٢١٦١ رقم ٢٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٧) بسند منقطع.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٧) بسند مجهول.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٧).

وروى عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ في مسند أبيه[1] عن النعمان بنِ سُويد قال: كنا عند عليّ رضي الله عنه فقرأ هذه الآيَةَ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

قال: لا واللَّهِ ما على أرجلهم يُحشَرون، ولا يُحشر الوفدُ على أرجلهم ولكن بنوق لم يرَ الخلائقُ مثلَها، عليها رحائلُ من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبوابَ الجنة.

ورواه ابنُ أبي حاتم[2] وزاد: عليها رحائلُ الذهبِ وأزِمَّتُها الزَّبَرْجَدُ.

ولابن أبي حاتم[3] عنه رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسولِ الله ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، فقال: ما أظن الوفدَ إلا الركبَ يا رسول الله، فقال النبيُّ ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُستقبَلون ـ أو يُؤتَون ـ بنوق بِيضٍ لها أجنحةٌ وعليها رحالُ الذهب، شرَكُ نعالِهم نورٌ يتلألأ، كلُّ خُطوةٍ منها مدُّ البصرِ فينتهون إلى شجرة ينبُع من أصلها عينانِ فيشربون من إحداهما فتغسل ما في بطونهم من دنَس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعَثُ أبشارُهم ولا أشعارُهم بعدها أبداً، وتجري عليهم نَضْرةُ النعيم فينتهون ـ أو فيأتون ـ بابَ الجنة، فإذا حلقةٌ من ياقوتة حمراءَ على صفائِح الذهبِ فيضرِبون بالحلْقة على الصفحة فيُسمع لها طَنينٌ»**، وذكر الحديثَ مطولاً والصحيحُ وقفُه.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، أي عِطاشاً قد تقطعت أعناقُهم من العطش، والوِرْدُ الجماعةُ يرِدون الماءَ، ولا يرد أحدٌ الماءَ إلا بعد عطَش.

قلت: ولكنهم ورَدوا لا إلى ماء بل إلى جهنَم وجحيمِها، ومُهْلِها وحَميمِها.

وفي حديث الشفاعة الطويل[4]: **«فيُقال لهم: ماذا تشتهون؟ فيقولون:**

---

(١) (١/ ١٥٥) بسند ضعيف.

قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. قال الذهبي: بل عبد الرحمن ـ ابن إسحاق القرشي ـ هذا لم يرو له مسلم، ولا لخاله النعمان ـ بن سعيد ـ وضعفوه.

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٦) بسند ضعيف.

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥) بسند ضعيف.

(٣) كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥) بسند ضعيف.

(٤) تقدم تخريجه.

عطِشنا. فيُشار لهم إلى جهنمَ كأنها سرابٌ يحطِم بعضُها بعضَها، فيقال لهم: ألا ترِدون» الحديث.

فسبحان اللَّهِ وبحمده، اللَّهُ أكبر، كانوا في الدنيا على السواء يُرزَقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يُؤتاها من يحبه اللَّهُ ومن لا يُحب، فلما جاءهم الموتُ عرَف كلٌ منهم سبيلَه، واتضح له مَقيلُه.

فلما كانوا في البرزخ خلا كلٌ منهم بعمله، وأفضى إلى ما قدم قبل أجلِه، فبينما هم كذلك إذ صرخ بهم الصارخُ، وصاح بهم الصائحُ، فخرجوا من الأجداث مسرعين، إلى الداعي مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه.

هؤلاء في النور ينظُرون، وأولئك في ظلمات لا يُبصرون. هؤلاء إلى الرحمن يفِدون، وأولئك إلى النار يَرِدون. هؤلاء حُلّوا أساورَ من فضة وسقاهم ربُهم شراباً طهوراً، وأولئك غُلّوا بالسلاسل وعلَتْهم الزبانيةُ بالمقامع، يضرِبون بطوناً منهم وظهوراً.

هؤلاء وقاهم اللَّهُ شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً، متكئين فيها على الأرائك لا يرَون فيها شمساً ولا زمهريراً. وأولئك أعدَّ اللَّهُ لهم سعيراً، إذا رأتهم من مكان بعيد سمِعوا لها تغيُظاً وزفيراً، وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مقرَّنين دَعَوا هنالك ثبوراً، لا تدْعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً.

هؤلاء عليهم حُللُ السُندسِ والإستبرقِ وسائرِ الألوان، وأولئك مقرَّنون في الأصفاد سرابيلُهم من قطِران. هؤلاء إلى زيارة ربهم يَرْكبون، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. هؤلاء ينظُرون إلى ربهم بُكرةً وعشياً، وأولئك تُركوا في جهنمَ جِثيّا.

هؤلاء يقول لهم ربُهم سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعِمَ عُقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسَأوا فيها ولا تكلّمون، وما هم بخارجين من النار. هؤلاء يُقرُّون بذنوبهم فيغفِرها لهم ربُّ العالمين، وأولئك ينادى بهم على رءوس الأشهادِ: هؤلاء الذين كذَبوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين.

فحينئذ ظهرَ الفُرقانُ، وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيبُ شهادةً والسرُّ علانيةً، والمستورُ مكشوفاً، والمُخبأُ ظاهراً: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

كم كاسٍ في الدنيا طال يومئذ عُرْيُه، كما طاعمٍ في الدنيا عظُم يومئذ جوعُه، كم ريّانَ في الدنيا اشتد يومئذ عطشُه، كم ناعم في الدنيا حَقّ به يومئذ بؤسُه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص].

[الاجتماع ليوم الفصل]

(ويُجمع الخلقُ ليوم الفصلِ جميعُهم عُلويُّهم والسُّفلي)

(في موقف يجِلُّ فيه الخطبُ ويعظُم الهولُ به والكرب)

(ويجمع الخلق) أولُهم وآخرُهم **(ليوم الفصل)** يومَ يفصل الرحمنُ بين الخلائق، سمّاه الله تعالى يومَ الفصلِ لذلك، وسمّاه يومَ التغابُن لكثرة المغبونين يومئذ، وسمّاه يومَ الجمعِ لأنه يَجمع فيه الأولين والآخِرين في صعيد واحد، يُسمعُهم الداعي ويَنفُذهم البصرُ، وسمّاه يومَ التلاقِ لأنه يلقى فيه العبدُ ربَّه، ويلقى فيه العاملُ عملَه، ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهلُ السمواتِ والأرضين، وسمّاه يومَ القيامة لأن فيه قيامَ الخلائقِ من القبور، وسماه يومَ التنادِ، لتنادي العبادِ بعضِهم بعضاً، ولمناداة اللّهِ عز وجل عبادَه فيه، وبندائهم لِيتّبعَ كلُّ قومٍ ما كانوا يعبدون، ولتنادي أصحابِ الجنةِ وأصحابِ النار، ولمناداة أصحابِ الأعرافِ كلاً من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ﴾ [التغابن: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف: ٤٧ ـ ٤٨].

وقال تعالى: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقبل ذلك: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢].

وقال في السعداء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقال تعالى عن مؤمن آلِ فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٢ ـ ٦٥].

وقال تعالى في مناداة المنافقين المؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ـ إلى قوله في أصحاب الأعراف ـ ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ

اللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٣ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [هود: ١٨]، وغيرها من الآيات.

(جميعُهم علويُهم) وهم عوالمُ السمواتِ (والسفليّ) وهم عوالمُ الأرضين، وقد تقدم في حديث الصورِ كيفيةُ صفوفِهم وتضعيفُهم وإحاطةُ بعضِها ببعض. **(في موقف)** عظيم **(يجلّ)** يشتدّ **(فيه الخطبُ)** الشأنُ والأمرُ **(ويعظُم الهولُ)** الأمرُ الفظيعُ الهائلُ **(به)** أي فيه **(والكربُ)** الحزنُ الآخذُ بالنفس والهمُّ والغمُّ.

وقد وصف تعالى موقفَ القيامةِ بشدةِ ذلك كله كما قال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ٤ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: ٧ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

وفي الصحيحين[1] عن عائشة ﵂ أن النبيَّ ﷺ قال: **«يقوم الناسُ لربِّ العالمين حتى يغيبَ أحدُهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»**.

---

(١) البخاري (١١/٣٩٢ رقم ٦٥٣١)، ومسلم (٤/٢١٩٥ رقم ٢٨٦٢) من حديث ابن عمر.

ورواه أحمدُ[1] بلفظ: **«يوم يقوم الناسُ لرب العالمين لعظمة الرحمنِ عز وجل يومَ القيامة، حتى إن العرقَ ليُلْجِمُ الرجالَ إلى أنصاف آذانهم»**.

وله[2] عن المقداد بنِ الأسودِ الكِنديِّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إذا كان يومُ القيامة أُدنيت الشمسُ من العباد حتى تكونَ قدْرَ ميل أو ميلين، قال: فتصهَرُهم الشمسُ فيكونون في العرق كقدْر أعمالِهم، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حِقويه، ومنهم من يُلجمه إلجاماً»**، رواه مسلم[3] والتِرمِذيُّ[4].

وروى أحمدُ[5] أيضاً عن أبي أُمامةَ ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«تدنو الشمسُ يوم القيامة على قدْر ميلٍ ويزاد في حَرّها كذا وكذا، تغلي منها الهوامُّ كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلُغَ إلى كعبيه، ومنهم من يبلُغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلُغ إلى وسطه، ومنهم من يُلجمه العرقُ»**.

وفيه[6] عن عقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال: قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«تدنو الشمسُ من الأرض فيعرَقُ الناسُ: فمن الناسِ من يبلُغ عرقُه كعبيه، ومنهم من يبلُغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلُغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلُغ الحُجُزَ، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ مَنكِبيه، ومنهم من يبلغ وسطَ فيه ـ وأشار بيده فألجمها فاه، رأيتُ رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا ـ ومنهم من يغطيه عرقُه، وضرب بيده إشارةً»**.

---

(١) في المسند (٢/ ١٣، ١٩، ٦٤، ٧٠، ١٠٥، ١١٢، ١٢٥، ١٢٦).
(٢) أي لأحمد في المسند (٦/ ٣).
(٣) في صحيحه (٤/ ٢١٩٦ رقم ٢٨٦٤).
(٤) في السنن (٤/ ٦١٤ رقم ٢٤٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح
(٥) في المسند (٥/ ٢٥٤).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٢٢ رقم ٧٧٧٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٥) وقال: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد».
(٦) أي في مسند أحمد (٤/ ١٥٧).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٠٦ رقم ٨٤٤) وفي سنده ابن لهيعة. ولكن تابعه عند الطبراني في «الكبير» عمرو بن الحارث (١٧/ ٣٠٢ رقم ٨٣٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٥) عنه: وإسناده جيد.

وفي الصحيح[1] من حديث أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«يعرَق الناسُ يوم القيامة حتى يذهبَ عرقُهم في الأرض سبعين ذراعاً ويُلجمهم حتى يبلُغَ آذانَهم»**.

ولابن أبي حاتم[2] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ لبشيرِ الغِفاري: **«كيف أنت صانعٌ في يومٍ يقومُ الناسُ فيه ثلثمَائةِ سنةٍ لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبرٌ من السماء ولا يؤمَر فيهم بأمر»**، قال بشير: المستعانُ الله. قال: **«فإذا أويتَ إلى فراشك فتعوذ بالله من كَرْب يوم القيامة وسوءِ الحساب»**.

وفي السنن[3] عن عائشةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ كان يتعوّذ بالله من ضيق المقامِ يومَ القيامة.

وقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، قال قَتادةُ[4]: مسرعين.

وقال مجاهدٌ[5]: مُديمي النظرِ.

ومعنى الإهْطاع أنهم لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً ولا يعرِفون مواطنَ أقدامِهم.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

قال القُتيبي[6]: المُقْنِعُ الذي يرفع رأسَه، ويُقبل ببصره على ما بين يديه.

وقال الحسنُ[7]: وجوهُ الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحد.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، لا ترجِع إليهم أبصارُهم من شدة النظر وهي شاخصةٌ، قد شغلهم ما بين أيديهم.

---

(١) في صحيح البخاري (١١/ ٣٩٢ رقم ٦٥٣٢)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦ رقم ٢٨٦٣).
(٢) في تفسيره (١٠/ ٣٤١٠ رقم ١٩١٨٩).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٩٣) بسند ضعيف.
(٣) أبو داود (١/ ٤٨٦ رقم ٧٦٦) والنسائي (٣/ ٢٠٨ رقم ١٦١٧) وابن ماجه (١/ ٤٣١ رقم ١٣٥٦) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٣٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٣٧).
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٥٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٣٩).

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي هي خاليةٌ.

قال قتادةُ[١]: خرجت قلوبُهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرُج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فأفئدتُهم هواءٌ لا شيءَ فيها، ومنه سُمّيَ ما بين السماءِ والأرضِ هواءً لخُلوّه، وقيل: خاليةٌ لا تعي شيئاً ولا تعقِل من الخوف.

وقال سعيدُ بنُ جبير[٢]: متردّدةٌ تمور في أجوافهم ليس لها مكانٌ تستقر فيه.

قال البغوي[٣] رحمه الله تعالى: «وحقيقةُ المعنى أن القلوبَ زائلةٌ عن أماكنها، والأبصارُ شاخصةٌ من هول ذلك اليومِ» اهـ.

وهذا معنى قولِه عز وجل: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

قال قتادةُ[٤]: وقفت القلوبُ في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها. وكذا قال عِكرِمةُ والسُّديُّ[٤] وغير واحد.

ومعنى كاظمين: أي ساكتين لا يتكلم أحدٌ إلا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

وقال ابنُ جُريج[٥]: باكين.

وقال البغوي[٦]: «مكروبين ممتلئين خوفاً وجزَعاً، والكظْمُ تردّدُ الغيظِ والخوفِ والحزنِ في القلب حتى يضيقَ به».

﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

في الصحيحين[٧] من حديث أبي هريرة ﷺ في الزكاة وفيه: «**من كانت له إبلٌ لا يُعطِي فيها حقَّها في نَجدتها ورِسْلها. قلنا: يا رسول الله، ما نَجدتُها**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٤١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٤٠).
(٣) في: معالم التنزيل» (٤/ ٣٥٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٥٢).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسير (٤/ ٨٢).
(٦) في «معالم التنزيل» (٧/ ١٤٤).
(٧) البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠٢)، ومسلم (٢/ ٦٨٠ رقم ٩٨٧).

ورِسلُها؟ قال في عُسرها ويُسرها. فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثرِه وأسمنِه وآشرِه حتى يُبطَح لها بقاع قَرقرٍ، فتطأهُ بأخفافها، فإذا جاوزت أُخراها أُعيدت عليه أولاها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. **حتى يُقضى بين الناسِ فيرى سبيلَه: إما إلى الجنة، وإما إلى النار»**، الحديث.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠ ـ ١١]. لا يسأل القريبُ قريبَه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوالِ فتشغله نفسُه عن غيره.

قال العَوفي عن ابن عباس[1]: يعرِف بعضُهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفِرّ بعضُهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقولِه تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

قال عِكرمةُ[2]: هو الجارُ يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا ربِّ سَلْ هذا لِمَ كان يُغلق بابَه دوني؟ وإن الكافرَ ليتعلّق بالمؤمن يومَ القيامة فيقول: يا مؤمنُ إن لي عندك يداً قد عرفتَ كيف كنتُ لك في الدنيا وقد احتجْتُ إليك اليوم، فلا يزال المؤمنُ يشفع له عند ربِه حتى يرُدَّه إلى منزل دون منزلِه وهو النار، وإن الوالدَ ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بنيَّ أيَّ والدٍ كنتُ لك؟ فيُثني خيراً، فيقول: يا بنيَّ إني قد احتجتُ إلى مثقال ذرةٍ من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبتِ ما أيسرَ ما طلبْتَ، ولكني أتخوف مثلَ ما تتخوّف فلا أستطيع أن أُعطِيَك شيئاً.

ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانةُ، أو يا هذه، أيَّ زوج كنتُ لك؟ فتثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنةً واحدةً تَهَبِينَها إليّ لَعلّي أنجو بها مما ترَين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/٧٣ ـ ٧٤) بسند ضعيف.
(٢) انظر: ابن كثير (٣/٥٥٩) وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٧٨).

قال فتقول: ما أيسرَ ما طلبتَ، ولكني لا أُطيق أن أُعطِيَك شيئاً، إني أتخوف مثلَ الذي تتخوَّف.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ [فاطر: ١٨] الآية.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس]. ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ نُفخ، ﴿فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] الصور.

روى ابنُ أبي حاتم[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كيف أنتم وصاحبُ القَرنِ قد التقم القرْنَ وحنى جبهته ينتظر متى يؤمَرُ فينفُخ**.

فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسولَ الله.

قال: قولوا: حسبُنا الله ونعم الوكيل على الله توكلْنا». رواه الإمامُ أحمدُ[٢] وابنُ جريرٍ[٣].

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩]، شديدٌ ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] عليهم.

ورُوي عن زُرارةَ بنِ أوفى قاضي البصرةِ رحمه الله تعالى أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآيةَ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر] شهق شهقةً فمات[٤]، أولئك قومٌ قرأوا القرآنَ بقلوب حاضرةٍ وآذانٍ واعية وبصائرَ نافذةٍ، وأفهام جلّيةٍ ونفوسٍ عليّة، مستحضرين تأويلَ معانيه حين وقوعِها وأوانَ وعيدِها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله، فأثمر ذلك في قلوبهم خشيةَ اللّهِ عز وجل فذابوا خوفاً وحياءً من ربهم وشوقاً إليه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى فيهم: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

---

(١)(٢)(٣) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٠٦) وفي سنده عتاب بن المثنى القشيري. قال عنه الحافظ في «التقريب رقم (٤٤٢٣) مقبول.
وفي المستدرك وقع خطأ وهو «غياث» بدل «عتاب» كما في طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٠).

قال ابن عباس[1]: فاشياً.

وقال قتادة[2]: استطار واللّهِ شرُّ ذلك اليومِ حتى ملأ السمواتِ والأرضَ.

وقال مقاتل[3]: كان شرُّه فاشياً في السموات، فانشقت وتناثرتْ الكواكبُ وكُوّرت الشمسُ والقمرُ وفزِعَت الملائكة، وفي الأرض نُسفت الجبالُ وغارت المياهُ وتكسّر كلُ شيءٍ على الأرض من جبل وبناءٍ.

قال ابنُ جرير[4]: ومنه قولُهم استطار الصَّدْعُ في الزجاجة واستطال.

ومنه قول الأعشى[5]:

فبانتْ وقد أثأَرَت في الفُؤا ... د صَدْعاً على نأيها مستطيرا

يعني ممتداً فاشياً.

وقولُه: ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، قال ابن عباس[6]: ضيقاً طويلاً. وعنه[7] قال: «يعبِسُ الكافرُ يومئذ حتى يسيلَ من بين عينيه عرَقٌ مثلُ القَطِران».

وقال مجاهد[8]: ﴿عَبُوسًا﴾ العابسُ الشفتين ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقبُّضُ الوجهِ بالسُّيور.

وقال سعيد بنُ جبير[8] وقتادةُ[8]: تعبِسُ فيه الوجوهُ من الهول ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقليصُ الجبين وما بين العينين من الهول.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠٩).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٥).

(٤) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠٩).

(٥) البيت للأعشى في ديوانه (ص٨٥) ط: صادر.
والرواية فيه (أوْرَثَتْ) في موضع (أثارت) ويبدو أن رواية ابن جرير محرفة عن (أسأرت) بالسين لا بالثاء، لأنه لا معنى للإثار هنا.
والصدع: الشق. والمستطير كما في «اللسان» المنتشر. وفي «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦) ط: عالم الكتب.
«﴿وَيَخافُونَ يوماً كانَ شرُّهُ مستطيراً﴾ [الإنسان: ٧] ممتد البلاء، والعرب تقول: استطار الصدع في القارورة وشبهها، واستطال» اهـ.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١٢) بسند منقطع.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١١).

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٥).

وقال ابنُ زيدٍ[1]: العبُوس الشرُّ، والقمطريرُ الشديد.

وقال ابن جرير[2]: والقمطريرُ هو الشديد، يقال: هو يومٌ قمطريرٌ ويوم قُماطِرٌ ويوم عصيبٌ وعصَبْصَبٌ، وقد اقمطَرّ اليومُ يقمطِرّ اقمِطْراراً، وذلك أشدُّ الأيامِ وأطولُها في البلاء والشدةِ، ومنه قولُ بعضِهم:

بني عمِّنا هل تذكُرون بلاءَنا ... عليكم إذا ما كان يوم قُماطِرُ[3]

[حشر الخلائق للعرض ومعنى العرض]

(وأُحضِروا للعَرض والحسابِ ... وانقطعت علائقُ الأنسابِ)

(وارتكمت سحائبُ الأهوالِ ... وانعجم البليغُ في المقالِ)

(وأُحضروا للعرض) العرضُ له معنيان: معنىً عامٌ وهو عَرضُ الخلائقِ كلِّهم على ربهم عز وجل باديةً له صفَحاتُهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ. وهذا يدخُل فيه من يناقَش الحسابَ ومَن لا يحاسب.

والمعنى الثاني عَرضُ معاصي المؤمنين عليهم وتقريرُهم بها وسترُها عليهم ومغفرتُها لهم، والحسابُ المناقشة.

وقد ذكر اللّهُ تعالى في كتابه العزيز في غير ما موضعٍ إجمالاً وتفصيلاً كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١٢).
(٢) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١١).
(٣) البيت في «اللسان»: قمطر. ولم ينسبه. وفي «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٩/ ١٣٣) والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢١٦).

مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية]، وغير ذلك من الآيات.

وروى ابنُ أبي الدنيا[1] عن عمرَ رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوا أعمالَكم قبل أن توزَنوا، فإنه أخفُّ عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسَكم اليوم، وتزيّنوا للعَرض الأكبر ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٨].

وروى أحمدُ[2] وابنُ ماجه[3] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يُعرض الناسُ يوم القيامة ثلاثَ عرضات: فأما عَرْضتان فجِدالٌ ومعاذيرُ، وأما الثالثةُ فعند ذلك تطيرُ الصحفُ في الأيدي، فآخذٌ كتابَه بيمينه وآخذٌ كتابَه بشماله»**.

وللتِرمِذيّ[4] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه نحوُه.

---

(١) في «محاسبة النفس والإزراء عليها» (ص٢٢ رقم ٢).
قلت: وأخرجه الترمذي في السنن (٤/٦٣٨) وابن المبارك في الزهد (ص١٠٣ رقم ٣٠٦) وأحمد في الزهد (ص١٤٩) وأبو نعيم في الحلية (١/٥٢).
وهو أثر موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) في المسند (٤/٤١٤).

(٣) في السنن (٢/١٤٣٠ رقم ٤٢٧٧).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣١٥ رقم ١٥٣٢/٤٢٧٧): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنّه منقطع. الحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة».
رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده ومتنه.
وله شاهد من حديث الحسن عن أبي هريرة رواه الترمذي وقال: لم يسمع الحسن من أبي هريرة».
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) في السنن (٤/٦١٧ رقم ٢٤٢٥) وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قبل أنّ الحسن لم=

وروى ابنُ جريرٍ[1] عن عبد الله بنِ مسعودٍ نحوَه موقوفاً.

وفي الصحيحين[2]: سئل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الحُمُر فقال: «**ما أنزل اللَّهُ فيها إلا هذه الآيةَ الفاذَّةَ الجامعةَ**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة].

وروى الإمامُ أحمدُ[3] عن صَعصَعةَ بنِ معاويةَ عمِّ الفَرزدق أنه أتى النبيَّ ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة].

قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمَعَ غيرَها.

وروى ابنُ جريرٍ[4] وابنُ أبي حاتمٍ[5] عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآيةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة].

فرفع أبو بكر يدَه وقال: يا رسولَ الله أُجزَى بما عمِلتُ من مثقال ذرة من

= يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي الرِّفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ - وقد تقدم -.

(1) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/٥٩).

(2) البخاري في صحيحه (٨/٧٢٧ رقم ٤١٦٣) ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٨٠ - ٦٨٢ رقم ٢٤/٩٨٧).

(3) في المسند (٥/ ٥٩).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٩٠ رقم ٧٤١١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤١): رواه أحمد والطبراني مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح.
والنسائي كما في تحفة الأشراف (٤/ ١٨٧ رقم ٤٩٤٢).

(4) في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/٢٦٨ - ٢٦٩).

(5) في «تفسير القرآن العظيم» (١٠/ ٣٤٥٥ - ٣٤٥٦ رقم ١٩٤٣٧ و ١٩٤٣٨).
قلت: وأخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٨٤٠٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٢) وشيخه موسى بن سهل، والظاهر أنه الوشاء، وهو ضعيف.
قلت: هو ليس بالوشاء. بل شيخه موسى بن سهل بن عبد الحميد أبو عمران الجوني البصري. ثقة.
انظر: «بلغة القاصي والداني في تراجم شيوخ الطبراني» (١/ ٣٣٢ رقم ٦٥٨).

شر؟ «**فقال: يا أبا بكر ما رأيتَ في الدنيا ممّا تكره فبمثاقيلِ ذرِّ الشر، ويدّخِر اللّهُ لك مثاقيلَ ذرِّ الخيرِ حتى تُوَفّاه يومَ القيامة**».

وعن أبي العالية[1] في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

قال: «يُسأل العبادُ كلُّهم عن خَلّتين يوم القيامة، عمّا كانوا يعبُدون وعمّاذا أجابوا المرسلين».

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن ابن مسعودٍ قال: «والذي لا إلهَ غيرُه، ما منكم من أحد إلا سيخلو اللّهُ به يومَ القيامة كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلةَ البدر، فيقول: ابنَ آدمَ ماذا غرّك مني بي، ابنَ آدمَ ماذا عمِلتَ فيما علِمْتَ، ابنَ آدمَ ماذا أجبتَ المرسلين».

ولابن أبي حاتم[3] عن معاذ بنِ جبل ﷺ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا معاذُ إن المرءَ يُسأل يوم القيامة عن جميع سعْيه حتى كُحلِ عينيه، وعن فُتات الطينةِ بأصبعيه، فلا أُلفِينَك يوم القيامةِ وأجدُ غيرَك أسعدَ بما آتاك الله منك**».

وعن ابن عباس[4] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]، قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

قال: لا يسألُهم هل عمِلتم كذا لأنه أعلمُ بذلك منهم، ولكن يقول: لم عمِلتم كذا وكذا؟.

وفي الصحيح[5] عن عائشة ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يحاسب**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٤/٦٧) وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٧٩).

(٢) لم يخرجه أحمد في مسنده.
بل أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ رقم ٨٨٩٩ و ٨٩٠٠) على ابن مسعود موقوفاً.
أما الأول فسنده صحيح.
والثاني: رجاله رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة وفيه ضعف.

(٣) في تفسيره (٧/ ٢٢٧٣ رقم ١٢٤٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٤ رقم ١٢٤٥٣).

(٥) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٤ رقم ٧٩/ ٢٨٧٦).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧ رقم ١٠٣) بنحوه.

يوم القيامة إلا هلك»، فقلت: يا رسولَ الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ [الانشقاق]، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنما ذلك العَرضُ، وليس أحدٌ يناقَش الحسابَ يوم القيامة إلا عُذِّب».

وفيه[1] عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه أن نبيَّ اللّهِ ﷺ كان يقول: «يُجاء بالكافر يومَ القيامة فيقال له: أرأيتَ لو كان لك ملءُ الأرضِ ذهباً أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سُئلتَ ما هو أيسرُ من ذلكَ».

وفيه[2] عن عديِّ بنِ حاتمٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلِّمه اللّهُ يوم القيامة ليس بينَ اللّهِ وبينه تَرجُمان، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النارَ تِلقاءَ وجْهِه، فاتقوا النارَ ولو بشق تمرة».

وفيه[3] عن صفوانَ بنِ مُحرِزٍ قال: بينما ابنُ عمرَ يطوف إذ عرَض رجلٌ فقال: يا أبا عبدِ الرحمن - أو قال يا ابنَ عمرَ - هل سمعت النبيَّ ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يدنو المؤمنُ من ربه حتى يضع عليه كنَفَه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنبَ كذا؟ يقول أعرفُ، يقول: ربِّ أعرِفُ، مرتين، فيقول: أنا سترتُها في الدنيا وأغفِرها لك اليوم، ثم تُطوى صحيفةُ حسناتِه. وأما الآخرون الكفارُ فينادي على رؤوس الأشهادِ: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين».

وفي التِرمِذي[4] عن أبي برزةَ الأسلميِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمُره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمِل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»، وقال: حسن[4] صحيح.

---

(١) أي عند مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦١ رقم ٥٢/ ٢٨٠٥).

(٢) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣ - ٧٠٤ رقم ٦٧/ ١٠١٦).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٢٣ رقم ٧٤٤٣) بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمُه ربُه ليس بينه وبينَه تُرجُمان ولا حجاب يحجُبُه».

(٣) عند مسلم (٤/ ٢١٢٠ رقم ٥٢/ ٢٧٦٨).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٩٦ رقم ٢٤٤١).

(٤) في السنن (٤/ ٦١٢ رقم ٢٤١٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه الدارمي (١/ ١٣٥)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨ رقم ١٥/ ٧٤٣٤) والخطيب في=

[براءة الناس يومئذ بعضهم من بعض]

(وانقطعت علائقُ الأنساب) كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] الآيات، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء].

قال ابنُ مسعود ﷺ: إذا كان يومُ القيامةِ جمع اللّهُ الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ: ألا من كان له مظلِمةٌ فليجيءْ فليأخذ حقَّه، قال: فيفرحُ المرءُ أن يكون له الحقُّ على والده أو ولدِه أو زوجتِه وإن كان صغيراً.

ومصداقُ ذلك في كتاب الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. رواه ابن أبي حاتم[1].

وروى البغويُّ[2] بإسناد الثعلبيِّ عن جابر بنِ عبدِ اللّهِ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الرجلَ ليقول في الجنة: ما فُعل بصديقي فلان؟ وصديقُه في الجحيم، فيقولُ اللّهُ تعالى: أخرجوا له صديقَه إلى الجنة. فيقول مَن بقيَ: فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم**».

= «اقتضاء العلم العمل» رقم (١).

وفي الباب عن ابن مسعودٍ أخرجه الترمذي رقم (٢٤١٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٤٠) والطبراني في الصغير (١/ ٢٦٩) وأبو يعلى في المسند (٩/ ١٧٨ رقم ٥٢٧١/٣٠٥) بسند ضعيف.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بنَ قيس يُضعَّفُ في الحديث مِنْ قبل حفظه.

وكذلك عن معاذ أخرجه الخطيب في «الاقتضاء» رقم (٢) وفي تاريخ بغداد (١١/ ٤٤١) بسند لا بأس به في الشواهد.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) في «معالم التنزيل» (٦/ ١٢٠) بإسناده من طريق الثعلبي وفيه جهالة من سمع أبا الزبير.
وذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ١١٨) ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وغيرها.

قال الحسنُ[1] رحمه الله تعالى: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وعن قتادةَ[2] في قول اللّهِ عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس].

قال: يفِرُّ هابيلُ من قابيلَ. ويفِر النبيُّ ﷺ من أمه، وإبراهيمُ عليه السلام من أبيه، ولوطٌ عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] يشغَلُه عن شأن غيره.

وفي الحديث الصحيح[3] في أمر الشفاعةِ: **«إنه إذا طُلب إلى كلٍّ من أولي العزمِ أن يشفعَ عند اللّهِ في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي، حتى إن عيسى بنَ مريمَ يقول: لا أسأله اليومَ إلا نفسي، لا أسأله مريمَ التي ولدتْني»**.

[تجتمع الأهوال في ذلك اليوم، وتنعجم الألسنة، وتخشع الأصوات للرحمن]

(وارتـكـمـت سـحـائـبُ الأهـوالِ وانـعـجـم الـبـلـيـغُ فـي الـمـقـال)

(وعـنـت الـوجـوهُ لـلـقـيـومِ واقتُصَّ من ذي الظلمِ للمظلوم)

(وارتكمت) اجتمعت **(سحائبُ الأهوال)** جمعُ هولٍ وهو الأمرُ الشديدُ الهائلُ المُفْظع **(وانعجم)** سكَت فلم يتكلم **(البليغُ)** الذي كان في الدنيا مقتدراً على البلاغة والفصاحةِ **(في مقال)**.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

قال ابنُ عباس[4]: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨] سكنتْ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ١٢٠).
(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٤٠ و ٣٣٦١ و ٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤ ـ ١٨٦ رقم ١٩٤).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٥).

قال: تحريكُ الشفاهِ من غير منطِق.

وعنه[1]: الهمسُ الصوتُ الخفيُّ.

وعنه[2] هو وعِكرِمةُ ومجاهدٌ والضحاكُ والربيعُ بنُ أنسٍ وقتادة وابنُ زيدٍ وغيرُهم[2]: الهمسُ نقلُ الأقدام إلى المحشَر كأخفاف[3] الإبل.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ[4]: همساً: سرَّ الحديثِ ووطءَ الأقدام فجمع بين القولين.

وفي حديث[5] الشفاعة: «**ولا يتكلم يومئذ إلا الرسلُ**»، الحديث.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ [طه: ١١١]: ذلّت وخضعتْ.

ومنه قيل للأسير: عانٍ[6]، ﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ تضمين لمعنى قولِه عز وجل: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٥ رقم ١٣٥٣٢) وأورده السيوطي في «الدر المنثور»: (٥/ ٥٩٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤).
* وقد أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥) «أثر ابن عباس، وعكرمة وقتادة ومجاهد».
* وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٥ رقم ١٣٥٣٣) أثر ابن عباس.
* وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠) أثر ابن عباس والضحاك، ومجاهد وعكرمة.

(٣) همس: الهَمْس: الخفي من صوت والوطء والأكل وقال الفراء: يقال إنه نَقْل الأقدام إلى المحشر: ويقال: إنه الصوت الخفيّ، وروي عن ابن عباس أنه تمثَّل فأنشد: «وهُنَّ يمشين بنا هَمِيسًا» قال: وهو صوت نقل أخفاف الإبل.
انظر: لسان العرب (١٥/ ١٣٢ ـ ١٣٣).
وقال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (٧٥٠): الهَمِيسُ: صوت نَقْلِ أخفافِ الإبل.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) وقال ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٦): «وأصل العنو الذلّ يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنواً، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر.
فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يئول إلى هذا أن يكون أخذه=

قال ابنُ عباس[1] وغيرُ واحدٍ: خضعت وذلتْ واستسلمت الخلائقُ لجبَّارها الحيِّ الذي لا يموت، القيومِ الذي لا ينام، وهو قيِّمٌ على كل شيء يديرُه ويحفَظه، فهو الكاملُ في نفسه الَذي كلُ شيءٍ فقيرٌ إليه لا قِوامَ له إلا به.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قال ابنُ عباسٍ[2]: خسِر من أشرك بالله، والظلمُ هو الشركُ.

وقيل[3]: المرادُ بالظلم هنا العمومُ، فيتناول الشركَ وغيرَه من ظلم العبدِ نفسَه وظلم العبادِ بعضَهم بعضاً، فإن اللّهَ سيؤدّي كلَّ حقٍ إلى صاحبه حتى يَقتصَّ للشاة الجمَّاءِ من الشاة القَرْناء.

وفي بعض الأحاديثِ: **«يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني اليوم ظلمُ ظالمٍ»**[4].

وفي الصحيحين[5]: **«إياكم والظلمَ، فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة»**، فعلى

= غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة كما قال الشاعر:

هل أنتَ مُطِيعي أيُها القَلْبُ عَنْوَةً   **وكَمْ تَلخ نَفسٌ لم تلم في اختِيالها**

وانظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٦).

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٦).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) وهو جزء من حديث حسن سيأتي تخريجه من هذا الجزء (ص٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ١٠٠ رقم ٢٤٤٧) ومسلم (٤/ ١٩٦٩ رقم ٥٧/ ٢٥٧٩) من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: **«إنَّ الظلمَ ظلمات يوم القيامة...»**.

* وأخرج مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦ رقم ٥٦/ ٢٥٧٨) من حديث جابر مرفوعاً بلفظ: **«اتقوا الظلمَ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...»**.

* وأخرج الطيالسي رقم (٢٢٧٢) وأحمد (٢/ ١٩٥) والحاكم (١/ ١١) والبيهقي (١٠/ ٢٤٣) وابن حبان رقم (٥١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً بلفظ: **«إياكم والظلم فإن الظلم، ظلمات يوم القيامة...»**.

* وأخرج الحاكم (١/ ١٢) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٤٧٠) و (٤٨٧) وأحمد في المسند (٢/ ٤٣١) والبيهقي في الآداب رقم (٩٧) وابن حبان في صحيحه رقم (٦٢٤٨) من طرق مرفوعاً عن أبي هريرة بلفظ: **«إياكم والظلم فإن الظلم هو الظلمات عند الله يوم القيامة....»**.

هذا المعنى ظلمٌ دون ظلم وخيبةٌ دون خيبةٍ، والخيبةُ كلُّ الخيبةِ لمن لقيَ اللَّهَ وهو به مشركٌ، فإن اللَّهَ تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد تقدم حديثُ عائشةَ عند أحمدَ[1]: «**الدواوينُ ثلاثةٌ: ديوانٌ لا يغفِرُه الله، وديوان لا يعبأ اللَّهُ به، وديوانٌ لا يترك اللَّهُ منه شيئاً**» الحديث.

(**واقتص من ذي الظلم**) أي اقتُضيَ من الظالم (**للمظلوم**)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ١٧ - ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠] وغيرُها من الآيات.

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: «بابُ القصاصِ يوم القيامة، وهي الحاقةُ لأن فيها الثوابَ وحواقَّ الأمورِ الحقّة والحاقة واحد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابنُ غبنُ أهلِ الجنةِ أهل النار».

ثم ساق بسنده حديثَ ابنِ مسعودٍ[3] قال النبيُّ ﷺ: «**أولُ ما يُقضى بين الناسِ بالدماء**».

وحديثَ أبي هريرةَ[4] ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلِمةٌ لأخيه فلْيتحَلَّلْه منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا دِرهمٌ، من قبل أن يؤخَذَ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات أخيه فطُرحت عليه**».

وحديثَ أبي سعيدٍ[5] الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يخلص**

(١) تقدم تخريجه.
(٢) في صحيحه (١١/ ٣٩٥).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥٣٣)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٤ رقم ١٦٧٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥٣٤).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥٣٥).

المؤمنون من النار، فيُحبَسون على قنطرة بين الجنةِ والنار، فيُقَصّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقُوا أُذِن لهم في دخول الجنةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لأحدُهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا».

وللترمذي[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلسُ؟ قالوا: المفلسُ فينا يا رسولَ الله من لا دِرهمَ له ولا متاعَ.

قال رسولُ الله ﷺ: المفلسُ من أمتي من يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا وقذَفَ هذا وأكل مالَ هذا وسفكَ دمَ هذا وضرَبَ هذا، فيقعد فيَقتصّ هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقتَصَّ ما عليه من الخطايا أُخذ من خطاياهم فطُرح عليه ثم طُرح في النار». هذا حديثٌ حسنٌ[2] صحيحٌ.

وله[3] عنه رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنّ الحقوقَ إلى أهلها حتى تُقادُ الشاةُ الجلحاءُ من الشاة القرناءِ».

قال[4]: وفي الباب عن أبي داودَ وعبدِ اللّهِ بنِ أُنَيسٍ: حديثُ أبي هريرةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وروى الإمامُ أحمدُ[5] عن جابر بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: بلغني حديثٌ عن

---

(١) في السنن (٤/ ٦١٣ رقم ٢٤١٨).

(٢) قاله الترمذي في السنن (٤/ ٦١٣).

قلت: وأخرجه مسلم رقم (٢٥٨١) وأحمد (٢/ ٣٠٣ و ٣٣٤) و (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) والبيهقي (٦/ ٩٣) والبغوي رقم (٤١٦٤) وابن حبان في صحيحه رقم (٤٤١٢). وهو حديث صحيح.

(٣) أي للترمذي في السنن (٤/ ٦١٤ رقم ٢٤٢٠) وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

قلت: وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٨٣) ومسلم رقم (٢٥٨٢) وأحمد (٢/ ٣٢٣ و٣٧٢ و ٤١١) وابن حبان في صحيحه رقم (٧٣٦٣). وهو حديث صحيح.

* الجلحاء: هي الجماء التي لا قرن لها.

(٤) أي الترمذي في السنن (٤/ ٦١٤).

(٥) في المسند (٣/ ٤٩٥).

قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) والبيهقي في الأسماء والصفات=

رجل سمعه من النبي ﷺ، فاشتريتُ بعيراً ثم شددتُ عليه رحْلاً فسِرت عليه شهراً حتى قدِمتُ عليه الشامَ، فإذا عبدُ اللَّهِ بنُ أنيسٍ، فقلت للبواب: قل له جابرٌ على الباب. فقال: ابنُ عبدِ الله؟ قلت نعم. فخرج يطأ ثوبَه فاعتنقَني واعتنقتُه.

فقلت: حديثٌ بلغني عنك أنك سمعتَه من رسول الله ﷺ في القصاص فخشِيتُ أن تموتَ وأموتَ قبل أن أسمعَه، فقال: سمعتُ رسولَ الله يقول: **«يحشرُ اللَّهُ عز وجل الناسَ يوم القيامة ـ أو قال العبادَ ـ عُراةً غُرْلاً بُهماً.**

قلت: وما بُهماً؟

قال: ليس معهم شيء.

ثم يناديهم بصوت يَسمعُه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا الملكُ، أنا الديّانُ، لا ينبغي لأحد من أهل النارِ أنَ يدخُلَ النارَ وله عند أحدٍ من أهل الجنةِ حقٌ حتى أَقضيَه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنةِ أن يدخُلَ الجنةَ وله عند رجلٍ من أهل النارِ حقٌ حتى أَقضيَه منه، حتى اللطمةُ.

قال: قلنا: كيف وإنما نأتي اللَّهَ عز وجل حُفاةً عُراةً غُرلاً بُهماً؟.

قال: بالحسنات والسيئات».

وقد أشار البخاريُّ[1] إلى هذا الحديثِ في مواضعَ من صحيحه تعليقاً، ووصلَه في كتاب خلقِ أفعالِ العباد[2].

وروى عبدُ الله[3] ابنُ الإمام أحمدَ عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن الجمّاءَ لتقتَصُّ من القَرناء يوم القيامة».**

= (ص٧٨ ـ ٧٩) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٧٠).
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي. وعلقه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٣) بصيغة الجزم. وفي صحيحه (١٣/ ٤٥٣) بصيغة التمريض.
وذكر له الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٧٤) وفي «تغليق التعليق» (٥/ ٣٥٦) طريقين آخرين عن جابر يرتقي بهما إلى مرتبة الحسن.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) كما تقدم في التعليقة المتقدمة.
(٢) (ص١٣٧ رقم ٣٦٥).
(٣) في المسند (١/ ٧٢) بسند ضعيف،

وروى[1] رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ قال: **«رأى رسولُ الله ﷺ شاتين ينتطِحان فقال: أتدري فيما ينتطحان يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: لكن اللَّهَ يدري وسيحكُم بينهما»**.

[يتساوى الناس في الموقف وهوله وكربه العظماء منهم والرعية]

(وساوت الملوكُ للأجناد · وجيءَ بالكتاب والأشهادِ)

(وشهِدَ الأعضاءُ والجوارحُ · وبدت السَّوآتُ والفضائحُ)

(وابتُليتْ هنالك السرائرْ · وانكشف المخفيُّ في الضمائرْ)

(وساوت الملوكُ) العظماءُ الرؤساءُ الكبراءُ **(للأجناد)** الرعايا، أي صاروا سواءً في ذلك الموقف، مشتركين في هوله الفظيعِ وكربِهِ الشديدِ إلا من رحم الله، وليس لأحد منهم مَقالٌ، ولا يملِك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، كلُ امرئٍ بما كسب رَهينٌ، قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ

= قلت: وأخرجه البزار (٤/ ١٦٢ رقم ٣٤٤٩ ـ كشف) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٨٥) والدارقطني في العلل (٣/ ٦٤ ـ س٢٨٧) وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٤٩) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٢) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، والبزار، وعبد الله بن أحمد، وفيه الحجاج بن نصير وقد وثق على ضعفه، وبقية رجال البزار رجال الصحيح غير العوام بن مزاحم وهو ثقة».

قلت: وللحديث شواهد من حديث أبي ذرٍّ وأبي هريرة وسلمان...

* أما حديث أبي ذرٍّ فقد أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣) والبزار (٤/ ١٦٣ ـ كشف) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٢) وقال: «وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح غير شيخه ابن عائشة وهو ثقة.

* وأما حديث أبي هريرة فقد تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.

* وأما حديث سلمان فأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٥٠) والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٨٠) موقوفاً.

وخلاصة القول أن حديث عثمان صحيح لغيره.

(١) بل عن أبي ذر أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٦٢) والبزار (٤/ ١٦٣ رقم ٣٤٥١ ـ كشف) بنحوه.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٢): رجاله رجال الصحيح وفيه راوٍ لم يُسَمَّ.

يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، وغير ذلك من الآيات.

قال ابنُ عباسٍ[1] وغيرُه من الصحابة والتابعين: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]: يقول لا يملك أحدٌ معه في ذلك اليومِ حكماً كملكهم في الدنيا.

قال[2]: ويومُ الدين يومُ الحسابِ للخلائق وهو يومُ القيامة، يَدينهُم بأعمالهم: إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، إلا من عفا عنه.

وقال البغويُّ[3] في قوله عز وجل: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]: أي الملكُ الذي هو الملكُ الحقُ الرحمنِ يوم القيامة.

وقال ابنُ عباس[4] رضي الله عنه: يريد أن يومَ القيامة لا ملِكَ يقضي غيرَه.

وفي الحديث الصحيح[5] المتقدم: «**يقبِضُ الله تعالى الأرض ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقول: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرضِ**».

وفي لفظ[6]: «**أين الجبارون أين المتكبرون**»؟

وقال قَتادةُ[7]: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]: والأمرُ واللَّهِ اليومَ لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحدٌ.

وقال البغوي[8]: يوم لا يُملِّك اللَّهُ في ذلك اليومِ أحداً من خلقه شيئاً كما ملّكهم في الدنيا.

(وجيء بالكتاب والأشهاد)، قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩ رقم ٢٤).
(٢) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٦٨).
(٣) في «معالم التنزيل» (٦/ ٨٠).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ٨٠).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٩٠).
(٨) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٥٨).

مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٤ - ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [القصص: ٧٤ - ٧٥]. الآية.

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاريُّ[١] رحمه الله تعالى: حدثنا يوسفُ بنُ راشدٍ حدثنا جريرٌ وأبو أسامةَ - واللفظُ لجريرٍ - عن الأعمش عن أبي صالح.

وقال أبو أسامةَ: حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعدَيك يا ربِّ، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ وأمتُه. فتشهدون أنه بلّغ، ويكون الرسولُ عليكم شهيداً، فذلك قولُه جل ذكرُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: ١٤٣].

---

(١) في صحيحه (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٣٩) و (٤٤٨٧) و (٧٣٤٩).

والوسَطُ: العدْلُ. ورواه أحمد[1] وأصحابُ السُننِ[2].

ورواه الإمامُ أحمدُ[3] أيضاً بلفظ: **«يجيء النبيُّ يوم القيامة ومعه الرجلانِ وأكثرُ من ذلك، فيُدعى قومُه فيُقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال له: هل بلّغتَ قومَك؟ فيقول: نعم. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيدعى محمدٌ ﷺ وأمتُه فيقال لهم: هل بلّغ هذا قومَه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما علمُكم؟ فيقولون: جاءنا نبيُّنا ﷺ فأخبرنا أن الرسلَ قد بلّغوا»**.

فذلك قولُه عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: عدْلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي الصحيحين[4] عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: **«قال لي رسولُ الله ﷺ: اقرأْ عليَّ.**

فقلت: يا رسولَ الله أقرأُ عليك وعليك أُنزل؟

قال: نعم، إني أُحب أن أسمعَه من غيري.

فقرأتُ سورةَ النساءِ حتى أتيتُ إلى هذه الآيةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

فقال: حسبُك الآن. فإذا عيناه تذرِفان».

قال ابنُ كثيرٍ[5] رحمه الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي كتابُ الأعمالِ الذي فيه الجليلُ والحقيرُ، والفتيلُ والقِطْميرُ، والصغيرُ والكبير، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

---

(١) في المسند (٣/ ٣٢، ٥٨).

(٢) وهم الترمذي في السنن (٥/ ٢٠٧ رقم ٢٩٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٤٣٢ رقم ٤٢٨٤) والنسائي كما في تحفة الأشراف (٣/ ٣٤٥ رقم ٤٠٠٣).
قلت: وأخرجه أبو يعلى (٢/ ٣٩٧ رقم ١٩٩/ ١١٧٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٦٤) وهو حديث صحيح.

(٣) في المسند (٣/ ٥٨) بسند صحيح.

(٤) البخاري في صحيحه (٩/ ٩٨ رقم ٥٠٥٥)، ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥١ رقم ٢٤٧/ ٨٠٠).

(٥) في تفسيره (٣/ ٩٢).

مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩] أي من أعمالهم السيئةِ وأفعالِهم القبيحةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ [الكهف: ٤٩] أي: يا حسرتَنا وويلَنا على ما فرّطنا في أعمالنا.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]، أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغُر إلا أحصاها أي ضبطها وحفِظها.

وروى الطبرانيُّ[1] بإسناده عن سعدِ بنِ جُنادةَ قال: لما فرغ رسولُ الله ﷺ من غزوة حُنينٍ نزلنا قَفْراً من الأرض ليس فيه شيءٌ فقال النبيُّ ﷺ: «**اجمعوا، من وجد عوداً فليأتِ به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأتِ به**».

قال فما كان إلا ساعةً حتى جعلناه رُكاماً، فقال النبي ﷺ: «**أترَون هذا؟ فكذلك تُجمع الذنوبُ على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق اللَّهَ رجلٌ ولا يُذنبْ صغيرةً ولا كبيرةً فإنها مُحصاةٌ عليه**».

وروى البغويُّ[2] بإسناده عن سهل بنِ سعدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إياكم ومُحقَّراتِ الذنوبِ، فإنما مَثَلُ مُحقراتِ الذنوبِ مثلُ قومٍ نزلوا بطْنَ وادٍ فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خُبزتهم، وإن مَحقراتِ الذنوبِ لَموبقاتٌ**».

---

(١) في المعجم الكبير (٦/ ٥٢ رقم ٥٤٨٥/ ١) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٠) وقال: رواه الطبراني وفيه نفيع أبو داود وهو ضعيف.
قلت: فيه يونس بن نفيع وليس نفيع أبو داود والحسين بن الحسن وهو ضعيف له ترجمة في اللسان. وفي والد محمد بن سعد كلام انظره في اللسان.

(٢) في «معالم التنزيل» (٥/ ١٧٧).
قلت: وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٠٢ و ٥/ ٣٣١) والطبراني في الكبير (٦/ ١٦٥ - ١٦٦ رقم ٥٨٧٢) والأوسط (٣/ ٢١٩ - ٢٢٠ رقم ٧٣٢٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة.
وأخرجه الروياني في مسنده (٢/ ٢١٦ رقم ١٠٦٥) والبغوي في «شرح السنة (١٤/ ٣٩٩ رقم ٤٢٠٣).
وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أحمد رقم (٣٨١٨) شاكر. **بسند صحيح**.
وآخر من حديث عائشة عند أحمد (٦/ ٧٠، ١٥١) وابن ماجه رقم (٤٢٤٣) وصححه ابن حبان رقم (٢٤٩٧ - موارد).
وخلاصة القول أن حديث سهل بن سعد صحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] كقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] وغيرُها من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص: ٧٥].

قال البغويُّ[1]: يعني رسولَهم الذي أُرسل إليهم وهو قولُ مجاهد.

وروى ابنُ جريرٍ[2] عن عثمانَ بنَ عفانَ أنه خطب فقرأ هذه الآيةَ: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. فقال: سائقٌ يسوقها إلى الله تعالى وشاهدٌ يشهد عليها بما عمِلت، وكذا قال مجاهدٌ وقتادةُ وابنُ زيد[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: السائقُ: الملكُ، والشهيدُ: العملُ. وكذا قال الضحاك[4] والسُّدي[5].

وقال ابن عباس[6] ﷺ: السائقُ: من الملائكة، والشهيدُ: الإنسانُ يشهد على نفسه.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ [الزمر: ٦٩] أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:

---

(١) في «معالم التنزيل» (٦/ ٢١٩).
(٢) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦١).
قلت: وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٢ - ١٩٣ رقم ٢٩٥٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٠٨ رقم ١٨٦٣٤). والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٩٩) وزاد نسبته للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم في الكنى وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور وابن عساكر.
(٣) * أخرج أثر مجاهد ابن جرير في جامع البيان» (١٣/ ٢٦/ ١٦١).
* أخرج أثر قتادة ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٦/ ١٦٢).
* أخرج أثر ابن زيد ابن جرير في «جامع البيان»(١٣/ ج٢٦/ ١٦٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦٢) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤١).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤١).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦١).

٦٩] بنور خالِقها، ذلك حين يتجلى الربُّ لفصل القضاءِ بين خلقِه، فما يتضارُّون في نوره كما لا يتضارُّون في الشمس في اليوم الصحْو، قاله البغوي[١].

والحديث: «**لا يتضارُّون في رؤيته**»[٢].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال قتادةُ[٣]: كتابُ الأعمال.

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس[٤] رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلّغوهم رسالاتِ اللّهِ إليهم.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي من الملائكة الحفَظةِ على أعمال العبادِ، قال ذلك عطاء[٥]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

قال ابنُ عباس[٦]: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالةِ وهم أمةُ محمدٍ ﷺ، ويدل على ذلك قولُه تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال مجاهدٌ[٧] في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، يعني الملائكةَ.

قال البغوي[٨]: يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

[تشهد على كل جاحد أعضاؤه وجوارحه]

(**وشهد**) على كل جاحدِ (**الأعضاءُ**) أعضاؤُه (**والجوارح**) عطفُ تفسير، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] الآيات.

---

(١) في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٥٨).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٧٥) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٩١).
(٨) في «معالم التنزيل» (٧/ ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت] الآيات وغيرُها.

وروى مسلمٌ[1] والنسائيُّ[2] وابنُ أبي حاتم[3] عن أنس بن مالك ﷺ قال: **«كنا عند النبيِّ ﷺ فضحِك حتى بدت نواجذُه، ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: أتدرون ممَّ أضحَكُ؟ قلنا: اللَّهُ ورسولُه أعلم.**

قال ﷺ: من مجادلة العبدِ ربَّه يوم القيامة، يقول: ربِّ ألم تُجِزني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: لا أُجيز عليَّ شاهداً من نفسي. فيقول: كفى بنفسك اليومَ عليك حسيباً، وبالكرامِ الكُتّاب شهوداً، فيُختم على فيه ويقال لأركانه: انطِقي، فتنطِق بعمله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلامِ فيقول: بُعداً وسُحقاً فعنكنّ كنتُ أُناضل».

وروى عبدُ الرزاق[4] أخبرنا مَعمرٌ عن بهز بنِ حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **«إنكم تُدْعَون مُفدَّماً على أفواهكم بالفِدام، فأولُ ما يسأل عن أحدكم فخِذُه وكتِفُه».**

ورواه النسائيُّ[5] عن محمد بنِ رافع عن عبد الرزاق به، وله هو ومسلمٌ وأبو داودَ عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسول الله ﷺ في حديث القيامةِ[6] الطويلِ قال فيه: **«ثم يلقى الثالثَ فيقول: ما أنت فيقول: أنا عبدُك، آمنتُ بك وبنبيك وبكتابك، وصُمْتُ وصليتُ وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع.**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٢٨٠ رقم ٢٩٦٩).
(٢) كما في تحفة الأشراف (١/ ٢٤٩ رقم ٩٣٨).
(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٢٧١ رقم ١٨٤٥٤).
(٤) في تفسيره (٢/ ١٥١ رقم ٢٦٩٩).
(٥) في تفسيره (٢/ ٢٦٠ رقم ٤٨٩).
(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٩ ـ ٢٢٨٠ رقم ١٦/ ٢٩٦٨) وقد تقدم تخريجه.

قال: فيقال له ألا نبعثُ عليك شاهدَنا؟

قال: فيفكر في نفسه مَن الذي يشهد عليه؟ فيُختم على فيه ويقال لفخِذه: انطِقي، قال: فتنطِق فخذُه ولحمُه وعظامُه بما كان يعمل، وذلك المنافقُ، وذلك ليُعذَرَ من نفسه، وذلك الذي يسخط اللَّهُ تعالى عليه».

وهذا الحديثُ تقدّم قريباً بطوله ولله الحمدُ، وهذا والله أعلم يتضمن بيانَ قولِ الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] الآية.

وروى ابنُ جريرٍ[١] وابنُ أبي حاتمٍ[٢] وأحمدُ[٣] رحمهم الله تعالى عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أولَ عظمٍ من الإنسان يتكلم يوم يُختمَ على الأفواه فخِذُه من الرجل اليسرى».

وفي رواية[٤] أحمدَ: «من الرجل الشمال».

وروى ابنُ جريرٍ[٥] عن حميد بنِ هلالٍ قال: قال أبو بُرْدةَ قال أبو موسى الأشعريُّ ﷺ: «يُدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرِضُ عليه ربُه عملَه فيما بينه وبينه فيعترِف فيقول: نعم أيْ ربِّ، عمِلتُ عملت عملت، قال: فيغفر اللَّهُ له ذنوبَه ويستُره منها، قال: فما على الأرض خليقةٌ ترى من تلك الذنوبِ شيئاً، وتبدو حسناتُه فودَّ أن الناسَ كلَّهم يرَونها. ويدعى الكافرُ والمنافقُ للحساب فيعرِض عليه ربُه عملَه فيجحد ويقول: أي ربِّ وعزتِك لقد كتب عليَّ هذا الملكُ ما لم أعمل.

فيقول له الملَكُ: أما عمِلتَ كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتِك أي ربِّ ما عمِلتُه.

---

(١) في «جامع البيان» (١٢/ج٢٣/ ٢٤).
(٢) في تفسيره (١٠/ ٣١٩٨ رقم ١٨٠٩٦).
(٣) في المسند (٤/ ١٥١) بسند ضعيف لجهالة الراوي عن عقبة.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥١): «رواه أحمد والطبراني - في «الكبير» (١٧/ ٣٣٣ رقم ٩٢١) - وإسنادهما جيد».
(٤) في «المسند» (٤/ ١٥١) بسند ضعيف.
(٥) في «جامع البيان» (١٢/ج٢٣/ ٢٤).

فإذا فعل ذلك خَتم اللَّهُ تعالى على فيه. قال أبو موسى[1] الأشعري رضي الله عنه: فأنا أحسَب أولَ ما ينطِق منه فخِذُه اليمنى» ثم تلا: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وروى أبو يعلى[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يومُ القيامة عَرَّف الكافرَ بعمله فجحَد وخاصم، فيقول: هؤلاء جيرانُك يشهدون عليك، فيقول: كذَبوا، فيقول: أهلُك وعشيرتُك، فيقول: كذبوا، فيقول: احلِفوا فيحلِفون، ثم يُصمتُهم الله تعالى، وتشهد عليهم ألسنتُهم ويُدخلهم النارَ**».

وروى ابنُ أبي حاتم[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرقِ: إن يومَ القيامة على الناس منه حين لا ينطِقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذنَ لهم، ثم يؤذنُ لهم فيختصمون فيجحد الجاحدُ بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلِفون لكم، فيبعث اللَّهُ تعالى عليهم حين يجحدون شهداءَ من أنفسهم: جلودَهم وأبصارَهم وأيديَهم وأرجلَهم، ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواهَ فتخاصم الجوارحَ فتقول: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١]، فتُقِر الألسنةُ بعد الجحود.

ورُوي[4] أيضاً عن رافعِ أبي الحسنِ قال وصَف رجلاً جحَد، قال: فيشيرُ اللَّهُ تعالى إلى لسانه فيربُو في فمِه حتى يملأَه فلا يستطيع أن ينطِقَ بكلمة، ثم يقولُ لآرابه: تكلّمي واشهدي عليه، فيشهدُ عليه سمعُه وبصرُه وجِلدهُ وفرجُه ويداه ورجلاه: صنَعْنا، عمِلنا، فعلْنا.

وله[5] أيضاً عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قال: لما رجعتُ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٣/ ٢٤).

(٢) في مسنده (٢/ ٥٢٧ رقم ١٣٩٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٢) وقال: «رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف».

(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٢٧١ رقم ١٨٤٥٣) ورقم (١٨٤٥٦).
قلت: وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣١٩) وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٤).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٤).

(٥) أي ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٢ رقم ١٨٤٥٧) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٤). وتقدم تخريجه في العلو.

مُهاجرةُ البحرِ قال: **«ألا تحدّثون بأعاجيبِ ما رأيتم بأرض الحبشة»**.

فقال فتيةٌ منهم: بلى يا رسولَ الله، بينما نحن جلوسٌ إذ مرت علينا عجوزٌ من عجائز رهابينِهم تحمِل على رأسها قُلّةً من ماء، فمرتْ بفتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتِفيها ثم دفعها فخرّت على ركبتيها فانكسرتْ قُلّتُها، فلما ارتفعتْ التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَرُ إذا وضع اللّهُ الكرسيَّ وجمعَ الأولين والآخِرين وتكلّمت الأيدي والأرجلُ بما كانوا يكسِبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرُك عنده غداً.

قال: يقول رسولُ الله ﷺ: **«صدقتْ صدقتْ، كيف يقدّس اللّهُ تعالى قوماً لا يُؤخَذ لضعيفهم من شديدهم»**. ورواه ابنُ أبي الدنيا[1].

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا الصَّلْتُ بنُ محمدٍ حدثنا يزيدُ بن زريع عن رَوح بنِ القاسم عن منصورٍ عن مجاهدٍ عن أبي مَعمرٍ عن ابن مسعودٍ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية: كان رجلان من قريش وخَتَنٌ لهما من ثقيفٍ، أو رجلان من ثقيفٍ وخَتَنٌ لهما من قريش في بيت، فقال بعضُهم لبعض: أترَون أن اللّهَ يسمع حديثَنا؟ قال بعضُه: يسمع بعضَه. وقال بعضُه: لئن كان يسمع بعضَه لقد يسمع كلَّه فأنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢].

الحديثُ تقدم لفظُه في إثبات السمعِ والبصرِ، ولله الحمدُ.

[تبلى السرائر وتظهر الخفايا]

(وابتُليتْ) أي اختُبرت **(هنالك)** الإشارةُ إلى موقف القيامةِ العظيم، وهولِه الجسيم **(السرائرُ)** جمعُ سريرةٍ وهي ضدُّ العلانية **(وانكشف المخفيُّ)** المستورُ **(في الضمائر)** إشارةٌ إلى قول اللّهِ عز وجل ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

قال البغويُّ[3] رحمه الله تعالى: وذلك يومُ القيامةِ تُبلى السرائرُ: تُظهر الخفايا.

---

(١) تقدم تخريجه في العلو.

(٢) في صحيحه (٨/ ٥٦١ رقم ٤٨١٦) وطرفاه رقم (٤٨١٧، ٧٥٢١)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤١ رقم ٥/ ٢٧٧٥).

(٣) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤).

قال قَتادةُ[1] ومُقاتلٌ[2]: تختبر.

قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ[3]: السرائرُ فرائضُ الأعمالِ كالصوم والصلاةِ والوضوءِ والاغتسالِ من الجنابةِ، فإنها سرائرُ بين اللّهِ تعالى وبين العبد، فلو شاء العبدُ لقال صُمتُ ولم يصُم وصليتُ ولم يصلِّ واغتسلتُ ولم يغتسلْ، فيُختبرُ حتى يظهَرَ من أدّاها ممن ضيّعها.

قال ابنُ عمرَ[4] رضي الله عنهما: يُبدي اللّهُ عز وجل يومَ القيامة كلَّ سرٍّ، فيكون زَيناً في وجوهٍ وشيناً في وجوه، يعني من أدّاها كان وجهُه مشرقاً ومن ضيّعها كان وجهُه أغبرَ.

وفي الصحيح[5] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**يُرفع لكل غادرٍ لواءٌ عند استِه يقال: هذه غَدْرةُ فلانِ ابنِ فلان**»، عياذاً بالله من ذلك.

[تنشر صحائف الأعمال وتؤخذ باليمين وبالشمال]

(ونُشرت صحائفُ الأعمالِ ... تؤخَذُ باليمينِ والشمالِ)

طوبى لمن يأخذ باليمين ... كتابَه بُشرى بحورٍ عِينِ)

(والويلُ للآخِذِ بالشمالِ ... وراءَ ظهرٍ للجحيمِ صالِ)

(ونشرت صحائفُ) كتبُ **(الأعمال)** من حسنات وسيئاتٍ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ١٠].

(تؤخذ باليمين) للمؤمن **(والشمال)** للكافر **(طوبى)** أطيبُ شيءٍ، واسمُ شجرة

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤).
وأخرج أثر «قتادة، ومقاتل، وعطاء بن أبي رباح» ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/١٤٦ ـ ١٤٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٦) وقال: أخرجه ابن المنذر.

(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٦٨ رقم ٧١١١)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٩ رقم ٩/ ١٧٣٥).

في الجنة يسير الراكبُ في ظلها مائة عامٍ لا يقطعها **(لمن يأخذ باليمين كتابَه، بُشرى)** أعظمُ بشارةٍ **(بحور)** جمعُ حَوراءَ، صفةٌ لهن مِن حَوَرِ العَينِ، وهو شدةُ سوادِ العينين في شدة بياضِهما **(عين)** حسانُ الأعين.

(والويلُ) كلمةُ عذابٍ، ووادٍ في جهنمَ **(للآخذ بالشمال)** كتابَه **(وراء ظهر للجحيم صال)** اسمُ فاعل من صَلِيَ يَصْلَى: غُمر فيها، وقد ذكر اللَّهُ تعالى تطايرَ الصحفِ ونشْرَها، وتناوُلَها في غير موضع من كتابه مع بيانِ منازلِ أهلِها كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

قال ابنُ عباسٍ[1] ومجاهدٌ وغيرُهما[2]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]. طائرُه هو ما طار عنه من عمله من خير وشرٍ، ويُلزَم به ويجازى عليه: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

قال مَعمرٌ[3]: وتلا الحسنُ البصْريُّ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]: يا ابنَ آدمَ بسطْتُ لك صحيفتَك، ووُكّل بك ملكان كريمان أحدُهما عن يمينك والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفَظ حسناتِك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتِك، فاعمَلْ ما شئت أقِللْ أو أكثِر، حتى إذا مُتَّ طُويت صحيفتُك فجُعلتْ في عنقك معك في قبرك حتى تخرُجَ يومَ القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ الآية. فقد عَدل واللّهِ مَن جعلك حسيبَ نفسِك.

وروى البزّارُ[4] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال: **«يدعى أحدُهم فيعطى كتابَه بيمينه ويُمَدُّ له في جسمه ويُبيَّضُ وجهُه، ويُجعل على رأسه تاجٌ من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيَرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتِنا بهذا، وبارِكْ لنا في هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجلٍ منكم مثلَ هذا.**

وأما الكافرُ فيُسوَّدَ وجهُه ويُمد له في جِسمه ويراه أصحابُه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا، اللهم لا تأتينا به. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزِه، فيقول: أبعدكم اللّهُ، فإن لكل رجل منكم مثلَ هذا». حديثٌ غريبٌ حسّنه التِرمِذي[5].

---

(١)(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٨٢) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/١٥٩) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٤) لم أجده في كشف الأستار ولا في الأجزاء المطبوعة من مسند البزار.

(٥) في السنن (٥/ ٣٠٢ رقم ٣١٣٦) وقال: **هذا حديث حسن غريب.**

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.**

وابن حبان في الإحسان (١٦/ ٣٤٦ رقم ٧٣٤٩) **وهو حديث ضعيف.**

وفي السنن[1] عن عائشة رضي الله عنها أنها «ذكرت النارَ فبكَتْ، فقال رسولُ الله ﷺ: ما يُبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النارَ فبكَيتُ، فهل تذكرُون أهليكم يومَ القيامة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطنَ فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزانِ حتى يعلمَ أيخِفُّ ميزانُه أو يَثقل، وعند الكتابِ حين يقول ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] حتى يعلمَ أين يقعُ كتابُه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراطِ إذا وُضع بين ظهرَيْ جهنَمَ».

وروى ابنُ أبي حاتم[2] عن أبي عثمانَ قال: «المؤمنُ يُعطى كتابَه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاتِه، فكلما قرأ سيئاتِه تغير لونُه حتى يمُرَّ بحسناته، فيقرَؤُها فيرجِعُ إليه لونُه، ثم ينظرُ فإذا سيئاتُه قد بُدّلتْ حسناتٍ، قال: فعند ذلك يقول: هاؤُم اقرؤا كتابيه».

وله[3] عن عبد الله بنِ عبد اللَّهِ بنِ حنظلةَ غسيلِ الملائكة قال: «إن اللَّهَ يوقفُ عبدَه يوم القيامة فيُبدي - أي يُظهر - سيئاتِه في ظهر صحيفتِه فيقول له: أنت عمِلتَ هذا؟ فيقول: نعم أيْ ربِّ، فيقول له: إني لم أفضَحْك به، وإني قد غفرْتُ لـك. فيـقـول عـنـد ذلـك: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة]. حين نجا من فضيحته يوم القيامة».

وقد تقدم حديثُ ابنِ عمرَ[4] الصحيحُ في النجوى وفيه في المؤمن: «ثم يُعطى كتابَ حسناتِه بيمينه، وأما الكافرُ والمنافقُ فيقول الأشهادُ: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنةُ اللَّهِ على الظالمين».

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٥/ ١١٦ ـ ١١٧ رقم ٤٧٥٥) والترمذي في السنن رقم (٢٢٣٥). والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٨) وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرح الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الرواياتُ أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة. ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير عنه في تفسيره (٤/ ٤٤٣) مسنداً.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧١) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر والخطيب.

(٣) لابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧١ رقم ١٢٩٧٤).

(٤) تقدم تخريجه.

وعن ابن السائبِ[1] في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥].

قال ابنُ السائب[1]: تُلوَى يدُه اليسرى خلفَ ظهرِه، ثم يُعطى كتابَه.

وقيل: تُنزع يدُه اليسرى من صدره إلى خلف ظهرِه ثم يعطى كتابَه.

وقال مجاهد[2]: تُخلع يدُه اليسرى من وراء ظهره.

وقال البغوي[3]: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠].

قال: فتُغلُّ يدُه اليمنى إلى عنقه وتُجعل يدُه الشمالُ وراء ظهرِه فيُؤتى كتابَه بشماله من وراء ظهرِه.

فصلٌ - فيما جاء في الميزان

(والـوزنُ بـالـقـسـط فـلا ظـلـمَ ولا ... يُـؤخـذ الـعـبـدُ بـسـوى مـا عـمِـلا)

(فـبـيـنَ نـاجٍ راجـحٍ مـيـزانُـه ... ومُـقْـرفٍ أوبـقـه عـدوانُـه)

(والوزن) لأعمال العبادِ **(بالقسط)** العدْل **(فلا ظلمَ)** على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العدلُ الحكيمُ، الذي حرَّم الظلمَ على نفسِه وجعله على عبادِه محرَّماً فلا يُهضَم أحدٌ من حسناتِه.

(ولا يؤخذ عبد بسوى ما عمِلا) الألفُ للإطلاق، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٢١٢).

(٢) أخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٧).

(٣) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

(فبين ناج راجح ميزانُه) إلخ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وفي الترمذي[(١)] عن النضر بنِ أنسِ بنِ مالكٍ عن أبيه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفَع لي يوم القيامةِ، فقال: **«أنا فاعل»** ـ يعني إن شاء الله ـ قلت: يا رسولَ الله فأين أطلبُك؟ قال: **«اطلُبني أول ما تطلُبني على الصراط»**. قلت: فإن لم ألقكَ على الصراط؟ قال: **«فاطلبني عند الميزان»**. قلت: فإن لم ألقكَ عند الميزان؟ قال: **«فاطلُبني عند الحوضِ فإني لا أُخطِئ هذه الثلاثَ المواطنَ»**. هذا حديث حسنٌ غريب[(٢)].

وفي سنن أبي داودَ[(٣)] وغيرِه حديثُ عائشةَ المتقدم وفيه: **«وعند الميزانِ حتى يُثقلَ أو يخِفَّ»** الحديث.

---

(١) في «السنن» (٤/ ٦٢١ ـ ٦٢٢ رقم ٢٤٣٣).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧٨).
وهو حديث صحيح.

(٢) قاله في «السنن» (٤/ ٦٢٢).

(٣) تقدم تخريجه.

والقول في الموزون على ثلاثةِ أوجهٍ:

(الأولُ): أنه الأعمالُ نفسُها هي التي توزن، وأن أفعالَ العبادِ تجسّم فتُوضع في الميزان. ويدل لذلك حديثُ أبي هريرةَ ﷺ في الصحيح[1] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتانِ إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحانَ اللّهِ العظيم**».

وفي الصحيح[2] عن أبي أُمامةَ الباهليِّ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآنَ، فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابِه. اقرأوا الزّهراوينِ البقرةَ وسورةِ آل عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غَيابتان، أو كأنهما فِرْقان من طير صَوافَّ تُحاجّانِ عن أصحابِهما، اقرأوا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ ولا تستطيعها البَطَلةُ**». قال معاوية: بلغني أن البطلَةَ السحَرةُ. ومعاويةُ هو ابنُ سلام.

وفيه[3] عن النَّوّاس بنِ سمعانَ الكِلابيِّ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به تقدُّمُه سورةُ البقرة وآل عمران**».

وضرب لهما رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أمثالٍ ما نسيتُهن بعد قال: «**كأنهما غمامتان أو ظُلَّتان سوداوانِ بينهما شرق، أو كأنهما فِرقان من طير صوافَّ تحاجّان عن صاحبهما**».

وقال التِرمِذي[4] رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديثِ عند أهلِ العلمِ أنه يجيء ثوابُ قراءتِه. كذا فسّر بعضُ أهلِ العلمِ هذا الحديثَ وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثوابُ قراءةِ القرآنِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٠٦ رقم ٦٤٠٦) وطرفاه رقم (٦٦٨٢) و (٧٥٦٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٢ رقم ٣١/ ٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٣ رقم ٢٥٢/ ٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤ رقم ٢٥٣/ ٨٠٥).
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ١٦٠ رقم ٢٨٨٣).
وقال الترمذي : «هذا حديث غريبٌ من هذا الوجه».

(٤) في «السنن» (٥/ ١٦٠).

وفي حديث النواسِ بنِ سمعانَ[1] عن النبيِّ ﷺ ما يدل على ما فسَّروا إذ قال النبيُّ ﷺ: **«وأهلُه الذين يعملون به في الدنيا»**.

ففي هذا دلالةٌ أنه يجيءُ ثوابُ العمل. اهـ.

قلت: ولا مانِعَ من كون الآتي هو العملَ نفسَه كما هو ظاهرُ الحديثِ: فأما أن يقالَ إن الآتيَ هو كلامُ اللَّهِ نفسُه فحاشا وكلا ومعاذَ الله، لأن كلامَ الله تعالى صفتُه ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعلُ العبدِ وعملُه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن عبد اللَّهِ بنِ بُريدةَ عن أبيه قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ فسمعتُه يقول: **«تعلموا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ ولا تستطيعُها البَطَلَةُ»**.

قال: ثم سكت ساعةً ثم قال: **«تعلموا سورةَ البقرةِ وآلِ عِمرانَ فإنهما الزهراوان، يُظِلَّلانِ صاحِبَهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غَيابتان أو فِرقان من طير صوافٍّ، وإن القرآنَ يلقى صاحبَه يوم القيامة حين ينشق عنه قبرُه كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرِفني؟ فيقول: ما أعرِفك، فيقول: أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأتُك في الهواجر وأسهرتُ مُقلتَك، وإن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارتِك، وإنك اليوم وراء كلِّ تجارةٍ. فيُعطى المُلكَ بيمينه والخُلْدَ بشماله، ويوضع على رأسِه تاجُ من الوقار ويُكسى والداه حُلّتان لا يقوّم لهما أهلُ الدنيا فيقولان: بما كُسينا هذا؟ فيقالُ: بأخذِ ولدِكُما القرآنَ، ثم يقال: اقرأ واصعَدْ في درَج الجنةِ وغُرَفِها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلاً»** وإسنادُه حسنٌ.

والقولُ بأن الأعمالَ هي ذاتُها التي تُوزن، ذكره البغوي[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(والقولُ الثاني): أن صحائفَ الأعمالِ هي التي تُوزن، ويدل على ذلك ما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «المسند» (٥/ ٣٦١).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٤٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢١٥).

روى الإمامُ أحمدُ[1] عن عبد الله بنِ عمْرِو بنِ العاصِ ﷺ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «إن اللّهَ عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رُؤوس الخلائق يومَ القيامة فينشر له تسعةً وتسعونَ سِجلاًّ، كلُ سجلٌ مدُّ البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً، أظلَمَك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال أفلك عذرٌ أو حسنةٌ؟ قال: فبُهتَ الرجلُ فيقول: لا يا رب.

فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً واحدةً لا ظلمَ عليك اليومَ، فيَخرُج له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا اللّهُ وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله - ﷺ - فيقول: أحضروهُ، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِجلاّتِ، فيقول: إنك لا تُظلم، قال فتوضع السِّجلاتُ في كِفة والبطاقةُ في كِفة، قال فطاشت السجلاتُ وثقُلت البِطاقةُ.

قال: ولا يثقل شيءٌ مع بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيم»، ورواه الترمذيُّ[2] وابنُ ماجه[3] وقال الترمذيُّ: حسنٌ غريبٌ.

(والثالثُ): أن الموزونَ ثوابُ العمل، وهو اطّرادُ ما نقله التِرمذيُّ في معنى حديث النواس.

(والرابع): أن الموزونَ هو العاملُ نفسُه، ويدل لذلك ما روى أحمدُ[4] عن

---

(١) في «المسند» (٢/ ٢١٣).

(٢) في «السنن» (٥/ ٢٤ - ٢٥ رقم ٢٦٣٩).

(٣) في «السنن» (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٣٠٠).
وهو حديث صحيح.

(٤) في «المسند» (١/ ١١٤).
قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٢٧)، وأبو يعلى في «المسند» (١/ ٤٠٩ - ٤١٠ رقم ٥٣٩/٢٧٩).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٨) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة.
وللحديث شواهد:
(منها): عن ابن مسعود عند أحمد (١/ ٤٢١ - ٤٢٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٧) وأبو يعلى (٩/ ٢٠٩ رقم ٥٣١٠/٣٤٤).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٩) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق أمثلها طريق عاصم ابن أبي النجود، وهو حسن الحديث.
وانظر باقي الشواهد في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٩).
=

عليٍّ ﷺ أن ابنَ مسعودٍ ﷺ صعِدَ شجرةً يجتني الكَباثَ[1]، فجعل الناسُ يعجِبون من دِقَّة ساقيه، فقال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقلُ من أُحدٍ»**.

وروى البخاريُّ في صحيحه[2] عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: **«إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يوم القيامة لا يزن عند الله جناحَ بعوضةٍ»**، وقال اقرأوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ولابن أبي حاتم[3] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يؤتى بالرجل الأكولِ الشَّروبِ العظيم فيوزن بحبة فلا يزِنها»**، قال وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾، رواه ابنُ جريرٍ[4].

وروى البزارُ[5] عن عبد الله بنِ بُريدةَ عن أبيه قال: كنا عند رسولِ الله ﷺ، فأقبل رجلٌ من قريش يخطُر في حُلّة له، فلما قام على النبيِّ قال: **«يا بُريدةُ هذا ممن لا يقيم اللّهُ له يوم القيامة وزناً»**.

قلت: والذي استظهر من النصوص ـ واللّهُ أعلم ـ أن العاملَ وعملَه وصحيفةَ عملِه كلُّ ذلك يوزن، لأن الأحاديثَ التي في بيانِ القرآنِ قد وردتْ بكل من ذلك ولا منافاةَ بينها.

= **وخلاصة القول أن الحديث حسن.**

(١) الكَباثَ، بالفتح، نضيجُ ثمر الآراك! وقيل هو ما لم يَنْضَجْ منه. «لسان العرب» (١٢/ ١٠).

(٢) في صحيحه (٨/ ٤٢٦ رقم ٤٧٢٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤٧ رقم ١٨/ ٢٧٨٥).

(٣) في تفسيره (٧/ ٢٣٩٣ رقم ١٣٠٠٢).

(٤) في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٣٥).

(٥) في «المسند» (٣/ ٣٦٥ رقم ٢٩٥٦ ـ كشف).
وقال البزار: لا نعلمُ رواه عن ابن بريدة إلا واصل، وهو مولى أبي عُيَيْنة بصري مشهور، وعون لم يكن بالحافظ، ولم يتابع على هذا.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٥) وقال: رواه البزار، وفيه عون بن عمارة، وهو ضعيف.

ويدل لذلك ما رواه أحمدُ[1] رحمه الله تعالى عن عبدِ اللّهِ بنِ عمرٍو في قصةِ صاحبِ البِطاقةِ بلفظ: قال قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«توضع الموازينُ يوم القيامة، فيُؤتى بالرجل فيوضع في كِفة ويوضع ما أُحصيَ عليه فيُمايلُ به الميزانُ، قال فيُبعث به إلى النار. قال فإذا أدبرَ إذا صائحٌ من عند الرحمنِ عز وجل يقول: لا تعجَلوا فإنه قد بقيَ له، فيُؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كِفة حتى يميلَ به الميزانُ»**. فهذا الحديثُ يدل على أن العبدَ يوضع هو وحسناتُه وصحيفتُها في كِفة وسيئاتُه مع صحيفتِها في الكِفة الأخرى، وهذا غايةُ الجمعِ بين ما تفرق ذكرُه في سائر أحاديثِ الوزْن، ولله الحمد والمنة.

وروى أحمدُ[2] عن عائشةَ رضي الله عنها أن رجلاً من أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسولَ اللّهِ إن لي مملوكِين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضرِبُهم وأشتِمُهم فكيف أنا منهم؟ فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«يُحسبُ ما خانوك وعصَوكَ وكذبوكَ وعقابُك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبِهم كان كَفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابُك إياهم دون ذنوبِهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذنوبِهم اقتُصَّ لهم منك الفضلُ الذي بقيَ قِبَلك»**. فجعل الرجلُ يبكي بين يدي رسولِ اللّهِ ﷺ ويهتِف، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ما له لا يقرأ كتابَ الله»**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فقال الرجل: يا رسولَ اللّهِ ما أجدُ شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيدَه - إني أُشهِدُك أنهم أحرارٌ كلُّهم.

❁ ❁ ❁

فصلٌ - فيما جاء في الصراط

(وينصبُ الجسرُ بلا امتراءِ ... كما أتى في محكم الأنباءِ)

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «المسند» (٦/ ٢٨٠).
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٣٢٠ - ٣٢١ رقم ٣١٦٥).
وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان وقد روى ابن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث وهو ثقة. وهو حديث صحيح.

(يجوزُه الناسُ على أحوال بقدر كسبِهم من الأعمال)
(فبين مجتازٍ إلى الجنانِ ومسرفٍ يُكَبّ في النيران)

(وينصب الجسر) وهو الصراطُ على متن جهنمَ (بلا امتراء) بلا شكٍّ (كما أتى في محكم الأنباء) من الآيات والأحاديثِ (يجوزه) يمر عليه الناسُ (على أحوال) متفاوتةٍ (بقدر كسبهم) في الحياةِ الدنيا (من الأعمال) من إحسان أو إساءةٍ أو تخليطٍ (ف) هم (بين مجتاز) عليه (إلى الجنان) وهم المؤمنون على تفاوت درجاتِهم ومراتبِهم في البُطء والإسراعِ، (ومسرف) على نفسه (يُكَبّ في النيران) فلا ينجو، ومنهم من تلفحُه وتَمسُّه النارُ بقدْر ذنبِه ثم يُخرج منها.

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝١٤ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد].

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن كثير بنِ زيادٍ البرساني عن أبي سُميةَ قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضُنا: لا يدخلها مؤمنٌ، وقال بعضُنا: يدخُلونها جميعاً ثم ينجي اللّهُ الذين اتقوا، فلقِيتُ جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً.

وقال سليمانُ بنُ مرّةَ: يدخلُونها جميعاً، وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمّتا إن لم أكن سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «لا يبقى برٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلَها،

---

(١) في «المسند» (٣/٣٢٨ - ٣٢٩).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٥٥ و ١٠/ ٣٦٠) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيمَ حتى إن للنار ضجيجاً من بَرْدهم، ثم ينجي اللَّهُ الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً».

وروى الحسنُ بنُ عرفةَ[1] عن خالدَ بنِ معْدانَ قال: قال أهلُ الجنةِ بعدما دخلوا الجنةَ: ألم يعِدْنا ربُنا الورودَ على النار؟ قال: قد مررتُم عليها وهي خامدةٌ.

وروى عبدُ الرزاقِ[2] عن قيس بنِ حازم قال: كان عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ واضعاً رأسَه في حِجْرِ امرأتِه فبكى فبكت امرأتُه، فقال: ما يُبكيك؟ قالت: رأيتُك تبكي فبكيتُ، قال: إني ذكرتُ قولَ اللَّهِ عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فلا أدري أأنجو منها أم لا.

وله[3] عن ابن عباس في قصة مخاصمتِه نافعَ بنَ الأزرقِ، فقال ابنُ عباس: الورودُ الدخولُ. فقال نافعٌ: لا. فقرأ ابنُ عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ورَدوا أم لا؟ وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]. أورَدوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخُلها، فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى اللَّهَ تعالى مُخرِجَك منها بتكذيبِك، فضحِك نافعٌ.

وروى ابنُ جريرٍ[4] عن مجاهد قال: كنتُ عند ابن عباسٍ فأتاه رجلٌ يقال له أبو راشدٍ وهو نافعُ بنُ الأزرقِ فقال له: يا ابن عباسٍ أرأيتَ قولَ اللَّهِ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنرِدُها، فانظر هل نصدُرُ عنها أم لا.

وعنه[5] ﷺ في: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. قال: البرُّ والفاجرُ،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/١٠٩) وابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٩).
(٢) في تفسيره (٢/ ١١ رقم ١٧٧٩).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١٠).
(٣) لعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١ رقم ١٧٨٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١١).
(٤) في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/١٠٩).

ألا تسمع إلى قولِ اللَّهِ تعالى لفرعونَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] الآية، ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]. فسمّى الورودَ على النار دخولاً وليس بصادر.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله عن عبدِ اللَّهِ هو ابنِ مسعودٍ ﷺ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال رسولُ الله ﷺ: «**يرد الناسُ كلُّهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم**». ورواه الترمذيُّ[2] هكذا مرفوعاً.

وقد رواه ابنُ أبي حاتم[3] عنه موقوفاً قال: «**يرد الناسُ جميعاً الصراطَ، ورودُهم قيامُهم حولَ النار، ثمّ يصدرون عن الصراطِ بأعمالهم: فمنهم من يمُرُّ مثلَ البرقِ، ومنهم من يمرُّ مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطيرِ، ومنهم من يمر كأجودِ الخيلِ، ومنهم كأجودِ الإبلِ، ومنهم من يمر كعدْو الرجلِ، حتى إن آخرَهم مرًّا رجلٌ نورُه على موضع إبهامَيْ قدميه، يمر فيتكفّأ به الصراطُ، والصراطُ دحْضٌ مزَلّةٌ، عليه حسَكٌ كحسك القَتادِ، حافّتاه ملائكةٌ معهم كلاليبُ من نار يختطفون بها الناسَ**»، الحديثَ.

وروى ابنُ جرير[4] عنه في: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. قال: الصراطُ على جهنم مثلُ حدِّ السيفِ، فتمر الطبقةُ الأولى كالبرق، والثانيةُ كالريح، والثالثةُ كأجود الخيل، والرابعةُ كأجودِ البهائم، ثم يمرون والملائكةُ يقولون اللهم سلِّم سلِّم.

وقال قتادةُ[5]: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: هو الممرُّ عليها.

---

(١) في «المسند» (١/ ٤٣٥).
(٢) في «السنن» (٥/ ٣١٧ رقم ٣١٦٠).
قال شعبة: وقد سمعتُه من السدِّي مرفوعاً ولكنّي عمداً أدعُهُ.
وقال الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٥٢٧) **صحيح موقوف، وهو في حكم المرفوع**».
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠) وقال: لهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرةَ وجابر وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.
(٤) في «جامع البيان» (٩/ ج١٦/ ١١٠) وقد تقدم عند ابن كثير (٣/ ١٤٠).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان (٩/ ج١٦/ ١١٠).

وقال عبدُ الرحمن بنُ زيدِ بنِ أسلمَ[١]: ورودُ المسلمين المرورُ على الجسر بين ظَهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها.

وفي الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثةٌ فتمَسُّه النارُ إلا تَحِلَّةَ القَسَم»**. قال الزهريُّ[٣]: كأنه يريد هذه الآيةَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. قال ابن مسعود: قَسَماً واجباً.

وفيهما[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل في الرؤيةِ والشفاعةِ وفيه: **«ويضرب الصراطُ بين ظهري جهنمَ فأكون أنا وأمتي أولَ من يجيزُها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسلُ، ودعوى الرسلِ يومئذ اللهم سلِّمْ سلِّم.**

وفي جهنم كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعدانِ هل رأيتُم السعْدان؟ قالوا: نعم يا رسولَ الله، قال: **فإنها مثلُ شوك السعدانِ، غيرَ أنه لا يعلم ما قدْرُ عِظَمِها إلا اللَّهُ عز وجل، تخطَفُ الناسَ بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله، والمُوثق بعملِه ومنهم المُخردَلُ أو المجازى أو نحوُه»** الحديث.

وفيهما[٥] من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه: **«ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهْريْ جهنمَ.** قلنا: يا رسولَ اللَّهِ وما الجسرُ؟ قال: **مدْحضَةٌ مزِلَّةٌ، عليه خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسكةٌ مُفلطحةٌ لها شوكة عقيفاءُ تكون بنجد يقال لها السعدانُ، يمر المؤمنُ عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيلِ والرِّكاب، فناجٍ مُسلَّمٌ وناجٍ مخدوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنمَ، حتى يمرَّ آخرُهم يسحبُ سحباً»** الحديث.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٣/١١٨ رقم ١٢٥١).
ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٢٨ رقم ٢٦٣٢).
(٣) ذكره الحافظ في «الفتح» (٣/١١٩).
(٤) البخاري (١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٧).
ومسلم في صحيحه (١/١٦٣ - ١٦٦ رقم ٢٩٩/١٨٢).
(٥) البخاري (١٣/٤٢٠ - ٤٢١ رقم ٧٤٣٩).
ومسلم في صحيحه (١/١٦٧ - ١٧١ رقم ٣٠٢/١٨٣).

ولمسلم[1] عن أنس ابن مسعودٍ ﷺ أن رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «آخِرُ من يدخُل الجنةِ رجلٌ، فهو يمشي مرةً ويكبو مرةً وتسفَعه النارُ مرةً ـ فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً أبداً من الأولين والآخرين»، الحديث. وفي رواية[2] عن ابن مسعود: «رجل يخرج من النار حبواً».

وفيه[3] عن أبي هريرةَ وحُذيفةَ ﷺ في حديث استفتاحِ الجنةِ عن النبي ﷺ مطوّلاً.

وفيه: «وترسل الأمانةُ والرحِمُ فتقومان جنبتي الصراطِ يميناً وشمالاً، فيمرُ أولُكم كالبرقِ، قال: قلتُ بأبي أنت وأمي أيُّ شيء كمرِّ البرقِ؟ قال: ألم ترَوا إلى البرقِ كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وتشد الرجالُ تجري بهم أعمالُهم، قال: ونبيُكم ﷺ قائمٌ على الصراطِ يقول: ربِّ سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العبادِ، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيع السيرَ إلا زحافاً».

قال: «وفي حافتي الصراط كلاليبُ معلقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوسٌ في النار. والذي نفسُ أبي هريرة بيده إن قعْرَ جهنمَ لسبعون خريفاً».

وفيه[4] أيضاً في بعض طرُقِ حديثِ أبي سعيدِ المتقدمِ قال أبو سعيد: «بلغني أن الجسرَ أدقُّ من الشعرةِ وأحدُّ من السيف».

وفيه[5] عن أبي الزبير أنه سمعَ جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ ﷺ يسأل عن الورود. الحديث.

وفيه رؤيةُ اللّهِ تعالى: «فيتجلَّى لهم يضحَك، قال: فينطلِق بهم ويتبعونَه، ويعطى كلُّ إنسان ـ منافقٍ أو مؤمن ـ نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنمَ كلاليبُ وحسَكٌ تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يُطفأ نورُ المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجون،

---

(١) في صحيحه (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ٣١٠/ ١٨٧).
(٢) لمسلم في صحيحه (١/ ١٧٣ رقم ٣٠٨/ ١٨٦).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧ رقم ٣٢٩/ ١٩٥).
(٤) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٧١) وقد تقدم.
(٥) في صحيح مسلم (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ٣١٦/ ١٩١).

أولَ زمرةٍ وجوهُهم كالقمر ليلةَ البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون»، وذكر الحديث.

وقال عبدُ اللَّهِ بن مسعودٍ[1] في قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]. قال: «على قدر أعمالهم يمرُّون على الصراط، منهم مَن نورُه مثلُ الجبلِ، ومنهم من نوره مثلُ النخلة، ومنهم من نورُه مثلُ الرجلِ القائم، وأدناهم نوراً مَن نورُه في إبهامه يتّقد مرةً ويطفأ مرةً». رواه ابنُ أبي حاتم وابنُ جرير.

وقال قتادةُ[2] ذُكر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقول: «**مِن المؤمنين مَن يضيءُ نورُه من المدينةِ إلى عدنِ أبينَ وصنعاءَ فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يُضيء نورُه موضعَ قدميه**».

وروى الطبراني[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تعالى يدعو الناسَ يوم القيامةِ بأسمائهم سَتراً منه على عباده، وأما عند الصراطِ فإن الله تعالى يعطي كلَّ مؤمنٍ نوراً وكلَّ منافقٍ نوراً، فإذا استووا على الصراطِ سلبَ اللَّهُ تعالى نورَ المنافقين والمنافقاتِ، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربَّنا أتممْ لنا نورنا فلا يذكُر عند ذلك أحدٌ أحداً**».

قلت: وذلك من تأويلُ قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٢٣).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٠) والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٦ رقم ١٨٨١٦) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٨) وقال: «**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**».
وقال الذهبي: **على شرط البخاري**.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٢ رقم ٣١٥٧).
وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٢٢) والسيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٣) في «الكبير» (١١/ ١٢٢ رقم ١١٢٤٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٩) وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣ ـ ٥٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

وروى ابنُ أبي حاتم[١] عن أبي الدرداء وأبي ذر ﵄ عن النبي ﷺ قال: «**أنا أولُ من يُؤذن له يومَ القيامة بالسجودِ، وأولُ من يؤذنُ له برفع رأسِه، فأنظُر من بين يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم**.

فقال له رجل: يا نبيَّ الله كيف تعرِف أمتَك من بين الأمم ما بين نوحٍ إلى أمتك؟ فقال: **أعرفهم، محجّلونَ من أثرِ الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرِهم، وأعرِفهم يُؤتَون كتُبَهم بأيمانِهم، وأعرِفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم**».

وقال الضحّاك[٢]: ليس أحدٌ إلا يُعطى نوراً يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراطِ طفِئ نورُ المنافقين، فلما رأى المؤمنون أشفقوا أن يُطفأ نورُهم كما طُفئ نورُ المنافقين فقالوا: ربنا أتممْ لنا نورنا.

وقال الحسنُ[٣] رحمه الله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]. قال: على الصراط اهـ.

وقد أنكرَ الصراطَ والمرورَ عليه أهلُ البدعةِ والهوى من الخوارج[٤] ومن تابعهم من المعتزلة[٤]، وتأوّلوا الورودَ برؤيةِ النارِ لا أنه الدخولُ والمرورُ على ظهرِها، وذلك لاعتقادِهم أن من دخل النارَ لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتابَ والسنةَ والجماعةَ وردّوا الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ في الورودِ والمقامِ المحمودِ والشفاعةِ، ولذا قال ابنُ عباس ﵄: فيما روى ابنُ عُيينةَ عن عمرِو بنِ دينارٍ أن نافعَ بنَ الأزرقِ مارَى ابنَ عباس ﵄ في الورودِ، فقال ابنُ عباس ﵄: هو الدخولُ.

---

(١) في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٦ رقم ١٨٨٢٠).
قلت: وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٠).
والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢ ـ ٥٣) وزاد نسبته إلى ابن حاتم وابن مردويه.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٨) وقال: **هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٠).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤) تقدم التعريف بهما.

وقال نافعٌ: «ليس الورودُ الدخولَ، فتلا عبد الله بن عباس ﷺ قولَه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافعُ أما واللَّهِ أنت وأنا سنرِدها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى اللَّهَ عز وجل أن يُخرجك منها بتكذيبك»[١].

فصل ـ فيما ورد في الجنة والنار

(والنارُ والجنةُ حقٌ وهما موجودتانِ لا فناءَ لهما)

أي ومن الإيمانِ باليوم الآخر بالجنة والنارِ، **والبحث فيه ينحصر في ثلاثةِ أمورٍ:**

(الأول): كونُهما حقاً لا ريبَ فيهما ولا شك، وأن النارَ دارُ أعداءِ اللَّهِ، والجنةَ دارُ أوليائِه. وهذا هو المُشارُ إليه بقولنا: حقٌ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٦ ـ ٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٤ ـ ٢٥]. الآية.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝١٣١ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى في أولياء الشيطان: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء].

قال تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر]. الآيات.

وغيرُها كثيرةٌ في القرآن شهيرةٌ، كلما يذكُر الجنةَ عطفَ عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهلَ النار عطَف عليهم بذكر أهلِ الجنةِ، فتارةً يعِدُ ويتوعد، وتارةً يُرغّب في الجنةِ ويدعو إليها ويرهِّب من النار ويحذّر منها، وتارةً يُخبر عما أعدّ في الجنة من النعيم المُقيمِ لأوليائِه، ويخبر عما أرصد في النار من العذابِ الأليمِ لأعدائِه وغيرُ ذلك.

فمن رامَ استقصاءَه فليقرأ القرآنَ من فاتحته إلى خاتمتِه بتدبرٍ وقلبٍ شهيد، والله الموفق.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا صدقةُ بنُ الفضلِ حدثنا الوليدُ عن الأوزاعي قال: حدثني عُمير بنُ هانيءٍ قال: حدثنا جُنادةُ بنُ أميةَ عن عُبادةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من شهد أن لا إله إلا اللَّهُ وحده لا شريكَ له وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنةَ**

(١) في صحيحه (٦/ ٤٧٤ رقم ٣٤٣٥).

حقٌّ والنارُ حقٌّ، أدخله الجنةَ على ما كان من العمل»، زاد في رواية[١]: «من أبواب الجنةِ الثمانيةِ أيُّها شاء». ووافقه على إخراجِه مسلمٌ[٢] وغيره[٣].

ولهما[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال: «اللهم لك الحمدُ، أنت قيِّمُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهن، ولك الحمدُ لك ملكُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهن، ولك الحمدُ أنتَ نورُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنت ملِكُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنت الحقُّ ووعدُك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ وقولُك حقٌّ والجنةُ حقٌّ والنارَ حقٌّ والنبيون حقٌّ ومحمدٌ ﷺ حقٌّ والساعةُ حقٌّ.

اللهم لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك توكلتُ وإليك أنبتُ وبك خاصمتُ وإليك حاكمتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرزتُ وما أعلنتُ، أنت المقدمُ وأنت المؤخِّرُ لا إله إلا أنت ـ أو لا إله غيرُك ـ». زاد في رواية[٥]: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

هذا لفظُ البخاريُّ في باب التهجد، وقد روَياه من طرق[٦] كثيرةٍ بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبيَّ ﷺ قرنَ الشهادةَ بحقِّية الجنةِ والنارِ مع الشهادةِ بحقِّيةِ اللّٰهِ وحقِّيةِ رسلِه عليهم السلام وحقِّيةِ وعدِه الصادِق، وهما أي الجنةُ والنارُ من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه.

وفي حديث عبادةَ هذا أنه ﷺ علّق دخولَ الجنةَ والنجاةَ من النار بالتصديق بهما والشهادةِ بذلك، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

---

(١) أي البخاري في صحيحه (٦/ ٤٧٤).

(٢) في صحيحه (١/ ٥٧ رقم ٤٦/ ٢٨).

(٣) كأبي عُوانة (١/ ٦) وابن منده في الإيمان (٤٥ و ٤٠٤) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١١٣٠).

(٤) البخاري في صحيحه (٣/ ٣ رقم ١١٢٠).
ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ رقم ١٩٩/ ٧٦٩).

(٥) أي البخاري في صحيحه (٣/ ٣ رقم ١١٢٠).

(٦) البخاري في صحيحه رقم (١٢٠) و (٦٣١٧) و (٧٣٨٥ و ٧٤٤٢ و ٧٤٩٩).
ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٤ رقم ٧٦٩).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ [الطور: ١٣ ـ ١٥]. الآياتُ وغيرُها.

وتقدم في بعض ألفاظِ حديثِ جبريلَ من روايةِ ابن عباسٍ[١] عند أحمدَ: **«قال: فحدِّثني ما الإيمانُ؟ قال: الإيمانُ أن تؤمنَ باللَّهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين وتؤمنَ بالموتِ وبالحياةِ بعد الموت، وتؤمنَ بالجنة والنار والحسابِ والميزانِ»** الحديث، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

(البحث الثاني): اعتقادُ وجودِهما الآن، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم]، وغيرُها من الآيات يخبر تعالى أنها مُعَدَّةٌ قد أوجدت، وأنها مَخْفيةٌ لأولياء اللَّهِ تعالى مُدَّخرةٌ لهم، وأنها في السماء، وأن النبيَّ ﷺ أتاها ليلةَ المعراجَ ورآها.

وقال تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ]. فهي أيضاً مُعدَّةٌ لأعداء اللَّهِ تعالى مُرْصَدةٌ لهم.

وقال البخاريُّ[٢] في صحيحه: «بابُ ما جاء في صفةِ الجنةِ وأنها مخلوقة» ثم ذكر فيه حديثَ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا مات أحدُكم فإنه يُعرض عليه مَقعدُه بالغداة والعشيِّ، فإن كان من أهل الجنةِ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النارِ فمن أهل النار»**.

وحديثَ عِمرانَ بنِ حُصين[٣] عن النبيِّ ﷺ قال: **«اطلعتُ في الجنة فرأيتُ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (٦/٣١٧ رقم ٣٢٤٠).
ومسلم في صحيحه (٤/٢١٩٩ رقم ٦٥/٢٨٦٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٢٧٣ رقم ٦٤٤٩).
ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٩٦ رقم ٩٤/٢٧٣٧).

أكثرَ أهلِها الفقراءَ، واطلعتُ في النار فرأيتُ أكثر أهلِها النساءَ».

وحديثَ أبي هريرةَ[1] رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ إذ قال: **بينما أنا نائمٌ رأيتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ فقالوا: لعمرَ بنِ الخطاب، فذكرتُ غيرتَه فولّيتُ مُدْبِراً. فبكى عمرُ وقال: عليك أغار يا رسولَ الله؟».**

وحديثه[2] رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: فلا تعلم نفسٌ ما أخفيَ لهم من قرة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون».**

ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال: «بابُ صفةِ النارِ وأنها مخلوقةٌ»، ثم ذكر فيه حديث أبي ذرٍ[3] وأبي سعيدٍ[4] رضي الله عنهما قال النبيُّ ﷺ: **«أبرِدوا بالصلاة فإن شدةَ الحرِّ من فيح جهنمَ».**

وحديثَ أبي هريرةَ[5] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اشتكت النارُ إلى ربها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفَسَين نفسٌ في الشتاء ونفسٌ في الصيف، فأشدُّ ما تجدون في الحرّ وأشدُّ ما تجدون في الزمْهرير».**

وحديثَ ابن عباسٍ[6] ورافعِ بنِ خُديجٍ[7] وعائشةَ[8] وابنِ عمرَ[9] رضي الله عنهم قال رسولُ الله ﷺ: **«الحُمّى من فيح جهنمَ فأبرِدوها بالماء».**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٢٠ رقم ٥٢٢٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٤ رقم ٢١/ ٢٣٩٥).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٦٥ رقم ٨٤٩٨).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢/ ٢٨٢٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ رقم ٣٢٥٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٥٩).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٠).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦١).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٢).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٣).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٤).

وحديثَ أبي هريرةَ[1] ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«ناركُم جزءٌ من سبعين جُزءاً من نار جهنمَ»**. قيل: يا رسولَ اللَّهِ إن كانت لكافيةً، قال: **«فضَلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلُهن مثلُ حرّها»**.

وفيه[2] من حديث أنسِ بنِ مالكٍ في المعراج: **«ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرةِ المنتهى وغشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أُدخلتُ الجنةَ فإذا فيها حبائل اللؤلؤِ، وإذا ترابها المِسكُ»**.

وفيه[3] من حديث مالكِ بن صعصعةَ في ذلك وفيه: **«ثم رُفعتُ إلى سدرة المنتهى فإذا نَبِقُها مثلُ قلالِ هَجَرَ، وإذا ورقُها مثلُ آذانِ الفِيَلةِ قال: هذه سدرةُ المنتهى، وإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان ونهرانِ ظاهرانِ، فقلتُ: ما هذان يا جبريلُ؟ قال: أما الباطنان فنهرانِ في الجنةِ، وأما الظاهرانِ فالنيلُ والفراتُ»**. الحديث.

وفيهما[4] من حديث صلاةِ الكسوفِ وخطبتِه ﷺ فيها وأنه عُرضت عليه الجنةُ والنارُ، وأنه ﷺ أراد أن يتناولَ من الجنةِ عُنقوداً فقُصرتْ يدُه عنه، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، وأنه رأى النارَ ورأى فيها صاحبَ المِحْجَنِ الذي كان يسرق الحاجَّ، ورأى فيها عمْرَو بنَ لُحَيٍّ يجُرّ قُصْبَه في النار، ورأى المرأةَ التي تُعذَّب في هرة حبَستْها، وقال ﷺ: **«لم أرَ منظراً كاليوم أفظعَ»**.

وفي صحيح مسلمٍ[5] والسننِ[6] والمسندِ[7] من حديث أبي هريرةَ ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٥).

(٢) البخاري في صحيحه (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ رقم ٣٤٩).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/ ١٦٢).

(٣) البخاري في صحيحه (٦/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ رقم ٣٢٠٧).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/ ١٦٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) لم يخرجه في الصحيح. انظر: «تحفة الأشراف» (١١/ ٤ رقم ١٥٠١٥).

(٦) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٧٤٤). والترمذي رقم (٢٥٦٠) والنسائي (٧/ ٣ ـ ٤).

(٧) عند أحمد (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) و (٢/ ٣٧٣).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٦ ـ ٢٧) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**.

=

رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**لما خلق اللَّهُ الجنةَ والنارَ أرسل جبرائيلَ إلى الجنةِ فقال: اذهب فانظُر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدّ اللَّهُ لأهلها فيها، فرجَع فقال: وعزّتِك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها. فأمر بالجنة فحُفّت بالمكاره، فقال: ارجِعْ فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزّتِك لقد خشيتُ ألا يدخلها أحدٌ.**

قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظُر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها قال: فنظَر إليها فإذا هي يركب بعضُها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخُلها أحدٌ سمعَ بها. فأمر بها فحُفّت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظُر إلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتِك لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها».

وقد تقدم في أحاديث عذابِ القبرِ وأحوالِ البرزخِ ذكرُ الجنةِ والنارِ ورؤيةُ كلٍّ منزلَه فيها، وعَرضُ مقعدِه عليه، وفَتْحُ باب إحداهما إليه، وأن أرواحَ المؤمنين في عِلّيين، وأرواح الفُجّارِ في سِجّينٍ، وغيرُ ما ذكرنا من الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ ما لا يُحصى، وإلى هذه المسألةِ الإشارةُ بقولنا **(موجودتانِ)**.

(البحث الثالث): في دوامهما وبقائِهما بإبقاء اللَّهِ لهما، وأنهما لا تفنَيانِ أبداً ولا يفْنى من فيهما.

وإلى هذه المسألةِ الإشارةُ بقولنا **(لا فناء لهما)** قال اللَّهُ تعالى في الجنةِ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥٦ ـ ٥٧].

= وابن حبان رقم (٧٣٩٤). وهو حديث حسن.

وقال تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]. وغيرُ ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديَّتِها بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وأبديةِ أهلِها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. وعدمِ انقطاعِها عنهم بقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وبعدم خروجهم بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. وكذلك النارُ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف] والآيات.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٠ ـ ١٣].

وقال تعالى: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٣ ـ ٣٠]. وغيرُ ذلك في القرآن كثيرٌ.

فأخبرنا تعالى في هذه الآياتِ وأمثالِها أن أهلَ النارِ الذين هم أهلُها خُلقتْ لهم وخُلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبدَ الآبدين ودهرَ الداهرين، لا فِكاكَ لهم منها ولا خلاصَ، ولاتَ حينَ مناصٍ. فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]. ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. ونفى تعالى انقطاعَها عنهم بقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥]. ونفى فناءَهم فيها بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]. وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]: حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ حدثنا أبي الأعمشُ حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يؤتى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملحَ، فينادي منادٍ يا أهلَ الجنةِ، فيشرئبّون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُهم قد رآهُ، ثم ينادي: يا أهلَ النارِ، فيشرئبّون وينظُرونَ، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ وكلُهم قد رآهُ، فيُذبحُ ثم يقول: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]. وهؤلاء في غفلة أهلِ الدنيا وهم لا يؤمنون»**.

(١) في صحيحه (٨/٤٢٨ رقم ٤٧٣٠).

ووافقه على إخراجه مسلمٌ[1] من حديث أبي سعيدٍ هذا، وأخرجاه[2] أيضاً من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنة، وأهلُ النارِ إلى النارِ، جيء بالموتِ حتى يُجعل بين الجنةِ والنارِ ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ، فيزداد أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحِهم ويزداد أهلُ النارِ حزناً إلى حزنهم»**.

وفي رواية لمسلم[3] عن عبد اللَّهِ ـ هو ابنُ عمرَ ﷺ ـ قال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«يدخلُ اللَّهُ أهلَ الجنةِ الجنةَ وأهلَ النارِ النارَ، ثم يقوم مؤذنٌ بينهم فيقول: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ، كلٌ خالدٌ فيما هو فيه»**. ورواه البخاري[4] دون قوله كلٌ خالدٌ إلخ.

وله[5] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«يقول لأهل الجنةِ: خلودٌ لا موت، ولأهلِ النارِ: يا أهلَ النارِ خلودٌ لا موتَ»**.

وقال مسلمٌ[6] رحمه الله تعالى: حدثنا نصرُ بنُ عليٍّ الجَهْضميُّ حدثنا بشرٌ يعني ابنَ المفضّلِ عن أبي مسلمةَ عن أبي نَضْرةَ عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيَوْن، ولكن ناسٌ أصابتْهم النارُ بذنوبِهم ـ أو قال بخطاياهم ـ فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أذِنَ بالشفاعةِ فجيء بهم ضبائرَ ضبائرَ فبُثّوا على أنهارِ الجنةِ ثم قيل: يا أهلَ الجنةِ أفيضوا عليهم، فينبُتون نبات الحِبّةَ تكون في حَميل السيلِ»**.

فقال رجلٌ من القوم: «كأن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد كان بالبادية».

ورواه الإمامُ أحمدُ[7] من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفي الباب

---

(١) في صحيحه (٤/٢١٨٨ رقم ٤٠/٢٨٤٩).

(٢) البخاري في صحيحه (١١/٤١٥ رقم ٦٥٤٨).
ومسلم في صحيحه (٤/٢١٨٩ رقم ٤٣/ ٢٨٥٠).

(٣) في صحيحه (٤/٢١٨٩ رقم ٤٢/ ٢٨٥٠).

(٤) في صحيحه (١١/٤١٥ رقم ٦٥٤٨).

(٥) للبخاري في صحيحه (١١/٤٠٦ رقم ٦٥٤٥).

(٦) في صحيحه (١/١٧٢ ـ ١٧٣ رقم ٣٠٦/١٨٥).

(٧) (منها): حديث أبي هريرة في «المسند» (٢٤/٢٠٤ رقم ٥٠٩ ـ الفتح الرباني) بسند جيد. =

آيات وأحاديثُ كثيرةٌ غيرَ ما ذكرنا، وفي هذا القدرِ كفايةٌ وبالله التوفيق.

[إخراج عصاة الموحدين من النار]

نعم جاءت الأحاديثُ الصريحةُ بإخراجِ عُصاةِ الموحدينَ الذين تمسُّهم النارُ بقدر جِنايتِهم وأنهم يخرُجون منها برحمةِ اللّهِ تعالى ثم بشفاعةِ الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريباً.

وأن هؤلاء العُصاةَ يسكنون الطبقةَ العليا من النارِ على تفاوتِهم في مقدار ما تأخذ منهم. وجاء فيها آثارٌ أن هذه الطبقةَ تفْنى بعدَهم إذا أُخرجوا منها وأُدخلوا الجنةَ، «**وأنها ليأتيَنّ عليها يوم وهي تُصفق في أبوابِها ليس بها أحدٌ**»[1].

وعلى ذلك حمل جمهورُ المفسرّينَ الاستثناءَ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]. الآية. وعلى ذلك يُحمل ما ورد من آثار الصحابة.

وما أحسنَ ما قاله ابنُ القيِّمِ رحمه الله تعالى في كتابِه (الوابلُ الصيِّبُ)[2]، قال رحمه الله تعالى: ولما كان الناسُ ثلاثَ طبقاتٍ: طيِّبٌ لا يشوبه خَبَثٌ، وخبيثٌ لا طيّبَ فيه، وآخرونَ فيهم خبثٌ وطيبٌ ـ كانت دورهم ثلاثةٌ: دارُ الطيبِ المحْضِ، ودارُ الخبيثِ المحْضِ ـ وهاتان الداران لا تفنيانِ ـ ودارٌ لمن معه خبثٌ وطيِّبٌ، وهي الدارُ التي تفنى وهي دارُ العُصاةِ، فإنه لا يبقى في جهنمَ من عُصاةِ الموحّدينَ أحدٌ، فإنهم إذا عُذّبوا بقدْرِ جزائِهم أُخرجوا من النارِ فأُدخلوا الجنةَ ولا

= (ومنها): حديث ابن عمر في «المسند» (٢٤/ ٢٠٥ رقم ٥١١ ـ الفتح الرباني). **وهو حديث صحيح**.

(ومنها): حديث أبي سعيد الخدري (٢٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ رقم ٥١٠ ـ الفتح الرباني). **وهو حديث صحيح**.

(ومنها): حديث أبي سعيد وأبي هريرة (٢٤/ ٢٠٥ رقم ٥١٣ ـ الفتح الرباني). **وهو حديث صحيح**.

(١) الحديث: «**ليأتينّ على جهنم يومٌ تصفق أبوابها، ما فيها من أمةِ محمدٍ أحدٌ**».
أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٦٣) بإسناد فيه العلاء بن زيدل وهو وضاع.
وله شاهد مثله من حديث أبي أمامة ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٦٨) **فالحديث موضوع. والله أعلم**.

(٢) (ص٢٤).

يبقى إلا دارُ الطيِّبِ المحْضِ ودارُ الخبيث المحْضِ، انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

[ما قالته اليهودُ في النار]

(فصل) قالت اليهودُ[1] قبّحهم الله: إن النارَ يدخلها قومٌ من الكفار ويخرجونَ منها بعد أيام ثم يخلُفهم آخرونَ كما قصَّ الله تعالى ذلك عنهم في سورةِ البقرةِ إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: ٨٠ ـ ٨٢]، وقال تعالى في آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ حدثنا الليثُ عن سعيد بنِ أبي سعيد عن أبي هريرةَ ﷺ أنه قال: «لما فُتحت خيبرُ أُهديتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«اجمعوا لي من كان ههنا من اليهودِ»**، فجمعوا له، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إني سائلُكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقيَّ عنه؟** فقالوا: نعم يا أبا القاسم.

فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«من أبوكم»**؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«كذبتم»** بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقْتَ وبرِرْتَ. فقال ﷺ: **«هل أنتم صادقيَّ عن شيءٍ إن سألتُكم عنه»**؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفتَ كذِبَنا كما عرفته لأبينا.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٥٦ رقم ٨١٥) عن عكرمةَ في قوله تعالى: **﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامَ معدودةً﴾** [البقرة: ٨٠].
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/٢٠٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وعبد بن حميد.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٣٨٢).

(٢) في صحيحه (٦/٢٧٢ رقم ٣١٦٩) وطرفاه رقم (٤٢٤٩ و ٥٧٧٧).

قال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**من أهلُ النارِ؟**» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلُفونـا فيها. فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**اخسَئوا فيها، واللَّهِ لا نُخلفكم فيها أبداً**». ثم قال لهم: «**فهل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتُكم عنه؟**» قالوا: نعم. فقال: «**هل جعلتم في هذه الشاةِ سُمّاً؟**». فقالوا: نعم. فقال: «**ما حملكم على ذلك؟**» فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً نستريح، وإن كنت نبيًّا لم يضرُّك».

وقال ابنُ عربيٍّ[1] إمامُ الاتحادية مُحْيي الزندقةِ والإلحادِ في آياتِ اللَّهِ تعالى: إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعَهم.

وقال الجهْمُ[2] وشيعته: إن الجنةَ والنارَ تفنَيانِ كلاهما لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثُه استحال بقاؤه، بناءً على أصله الفاسدِ في منع تسلسل الحوادثِ وبقائِها بإبقاء الله تعالى لها.

وقال طائفةٌ من المعتزلةِ والقدريةِ[3]: لم يكونا الآن موجودتين بل يُنشِئهما الله تعالى يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلُهم الفاسدُ الذي وضعوا به شريعةً لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفعَل كذا، ولا ينبغي له أن يفعلَ كذا، قياساً لله تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مُشبِّهةٌ في الأفعال، ودخل التجسيمُ فيهم فصاروا مع ذلك معطِّلة، وقالوا خلقُ الجنةِ والنارِ قبل الجزاءِ عبثٌ لأنها تصير معطلةً مدداً متطاولة.

فردوا من نصوصِ الكتابِ والسنةِ ما خالف هذه الشريعةَ الباطلةَ التي وضعوها للرب تعالى، وحرّفوا النصوصَ عن مواضعها وضلّلوا وبدّعوا من خالف شريعتَهم قبحهم الله تعالى.

وقال أبو الهذيلِ العلاّفُ: تُفنى حركاتُ أهلِ الجنةِ والنار ويصيرون جماداً لا يُحِسّون بنعيم ولا ألم.

وكل هذه الأقوالُ مخالفةٌ لصحيح المعقولِ وصريحِ المنقول، ومحادّةٌ

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ٨٨).

(٢) انظر: «فرق معاصرة» (٢/ ٨١٤ ـ ٨١٥).

(٣) انظر: «فرق معاصرة» (٢/ ٨١٥ ـ ٨١٦).

ومشاقَّة لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديم للعقول السخيفةِ وزبالةِ الأذهانِ البعيدةِ والقلوبِ الشقيةِ الطريدةِ، وزخارف فاسدي السِيرةِ والسريرةِ والظاهرِ والباطنِ والعملِ والعقيدةِ.

وما أحسنَ ما قاله ابن القَيِّم رحمه الله تعالى في نونيته[1] الكافيةِ الشافيةِ في أثناء حكايتِه عقيدةَ جهْم وشيعتِه دمَّرهم الله تعالى:

وقضى بأن الله كان معطِّلاً — والفعلُ ممتنعٌ بلا إمكانِ
ثم استحال وصار مقدوراً له — من غير أمرٍ قام بالدَّيَّان
بل حالُه سبحانَه في ذاته — قبلَ الحدوثِ وبعده سِيانِ
وقضى بأن النارَ لم تُخلَقْ ولا — جناتُ عدنٍ بل هما عدَمان
فإذا هما خُلقا ليوم مَعادِنا — فهما على الأوقاتِ فانيتان
وتلطَّف العلاّفُ من أتباعه — فأتى بضِحكةِ جاهلٍ مجّان
قال الفناءُ يكون في الحركات لا — في الذات واعجباً لذا الهذَيانِ
أيصير أهلُ الخلدِ في جنّاتِهم — وجحيمِهم كحجارةِ البُنيان
ما حالُ من قد كان يغشى أهلَه — عند انقضاءِ تحرُّكِ الحيَوان
وكذاك ما حالُ الذي رَفعتْ يدا — ه أكلةً من صَحْفةٍ وخُوَانِ
فتناهت الحركاتُ قبل وصولها — للفمّ عند تفتُّحِ الأسنانِ
وكذاك ما حالُ الذي امتدت يدٌ — منه إلى قِنْوٍ من القنوان
فتناهت الحركاتُ قبل الأخذِ هل — يبقى كذلك سائرَ الأزمان
تباً لهاتيك العقولِ فإنها — واللّهِ قد مُسخت على الأبدانِ
تباً لمن أضحى يُقدّمها على ال — آثار والأخبارِ والقُرآن

فصلٌ - فيما جاء في الحوض والكوثرِ

(وحوضُ خيرِ الخلقِ حقٌّ وبه — يشرَبُ في الأخرى جميعُ حِزبِه)

(وحوضُ خيرِ الخلقِ) نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وهو الكوثرُ الذي أعطاه ربُّه عز وجل **(حقٌّ)** لا مِريةَ فيه **(وبه)** بالحوض **(يشرب)** أي يرَوَى، ولذا عُدِّيَ بالباء دون مِن

---

(1) (١/ ٣٠ - ٣٣).

لتضمُّن الشربِ ههنا معنى الرِّيِّ (**في الأخرى**) أي الدار الآخرةِ (**جميعُ حِزبِه**) وهم أمةُ الإجابةِ الذين آمنوا به وصدّقوه واتبعوا النورَ الذي أُنزل معه، قال الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

وروى البخاريُّ[1] بسنده إلى أبي بشرٍ عن سعيد بنِ جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخيرُ الذي أعطاه اللَّهُ إياه.

قال أبو بشر: قلتُ لسعيد بنِ جبيرٍ: فإن الناسَ يزعُمونَ أنه نهرٌ في الجنةِ. فقال سعيدٌ: النهرُ في الجنةِ من الخير الذي أعطاه اللَّهُ إياه اهـ.

وقد ورد في ذكر الحوضِ وتفسيرِ الكوثرِ به وإثباتِه وصفتِه من طرق جماعةٍ من الصحابة عن النبيِّ ﷺ، واشتهر واستفاض بل تواترَ في كتب السنةِ من الصحاح والحِسانِ والمسانيدِ والسُّنن، فممن روى ذلك عنه من الصحابة: أنسُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بنُ عمرَ، وحارثةُ بنُ وهب، وجُندُبُ بنُ عبدِ الله، وسهلُ بنُ سعد، وعائشةُ، وعقبةُ بنُ عامر، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وأبو هريرةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو، وابنُ عباس، وأسماءُ بنتُ أبي بكر، وثَوبانَ، وأبو ذرٍّ، وأم سلمةَ، وجابرُ بنُ سمُرةَ، وزيدُ بنُ أرقَمَ، وسمُرةَ بنُ جُندبٍ، وحذيفةُ، وأبو برْزةَ الأسلميُّ، والمُستوردُ بنُ شدادٍ، وأبو سعيدٍ الخُدريِّ، وعبدُ اللَّهِ بنُ زيدٍ، وأسامةُ بنُ زيد.

فأما عن أنس بنِ مالكٍ فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا آدمُ حدثنا شَيبانُ حدثنا قتادةُ عن أنس رضي الله عنه قال: «لما عُرج بالنبيِّ ﷺ إلى السماء قال: **أتيتُ على نهرٍ حافّتاهُ قبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ، فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ**».

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الوليدِ حدثنا همامٌ عن قتادةَ عن أنس عن النبيِّ ﷺ. وحدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا همامٌ حدثنا قتادةُ حدثنا أنس بنِ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «**بينما أنا أسيرُ في الجنةِ إذْ أنا بنهرٍ حافتاه قِبابُ الدرِّ المجوَّفِ،**

(١) في صحيحه (٨/ ٧٣١ رقم ٤٩٦٦).
(٢) في صحيحه (٨/ ٧٣١ رقم ٤٩٦٤).
(٣) في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨١).

قلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طِينُه - أو طِيبُه - مِسكُ أَذفر» شك شعبةُ.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ عُفير قال: حدثني ابنُ وهب عن يونسَ قال ابنُ شهاب: حدثنا أنسُ بنُ مالك ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن قدْرَ حَوضي كما بين أيلةَ وصنعاءَ من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجومِ السماءِ»** ووافقه على إخراجه مسلمٌ[2] بهذا اللفظ، وبلفظ[3]: **«ما بين ناحيتي حَوضي كما بين صنعاءَ والمدينة»**، وبلفظ[4]: **«تُرى فيه أباريقُ الذهبِ والفضةِ كعدد نجومِ السماء»**.

وقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ حدثنا وُهيبٌ حدثنا عبد العزيز عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لَيرِدَنّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى عرَفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

ورواه مسلمٌ[6] بلفظ: «إن النبي ﷺ قال: **ليرِدن عليَّ الحوضَ رجالٌ ممن صاحبني حتى إذا رأيتُهم ورُفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربِّ أصحابي، فلَيُقالَنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

وأما عن ابن عمرَ فقال البخاريُّ[7] رحمه الله تعالى: حدثنا مُسدَّدٌ حدثنا يحيى عن عُبيد اللَّهِ حدثني نافعٍ عن ابن عمرَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«أمامَكم حوضٌ كما بين جَرباءَ وأذرُحَ»**.

ورواه مسلمٌ[8] بلفظ: **«ما بين ناحيتيه كما بين جَرباءَ وأذرُحَ»**، وزاد في

---

(١) في صحيحه (١١/٤٦٣ - ٤٦٤ رقم ٦٥٨٠).
(٢) في صحيحه (١/١٨٠٠ رقم ٢٣٠٣/٣٩).
(٣) في صحيح مسلم (١/١٨٠١ رقم ٢٣٠٣/٤١).
(٤) عند مسلم في صحيحه (١/١٨٠١ رقم ٢٣٠٣/٤٣).
(٥) في صحيحه (١١/٤٦٤ رقم ٥٦٨٢).
(٦) في صحيحه (٤/١٨٠٠ رقم ٢٣٠٤/٤٠).
(٧) في صحيحه (١١/٤٦٣ رقم ٦٥٧٧).
(٨) في صحيحه (٤/١٧٩٧ رقم ٢٢٩٩/٣٤).

رواية[1]: «**فيه أباريقُ كنجوم السماء، من ورَده فشرِبَ منه لا يظمأ بعدها أبداً**»، زاد في أخرى[2]: قال عبيد الله: «فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرةُ ثلاثِ ليال».

وأما عن حارثةَ بنِ وهْبٍ فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا عليُّ بنُ عبدِ الله حدثنا حَرَميُّ بنُ عُمارةَ حدثنا شعبةُ عن معبدِ بنِ خالدٍ أنه سمع حارثةَ بنَ وهب ﷺ يقول: «سمعتُ النبيَّ ﷺ وذكر الحوضَ فقال: «**كما بين المدينةِ وصنعاءَ**».

وزاد[4] ابنُ أبي عديّ عن شعبةَ عن معبدَ بنِ خالدٍ عن حارثةَ سمع النبيَّ ﷺ قولَه: «**حوضُه ما بين صنعاءَ والمدينةِ**»، فقال له المستورد: «ألم تسمعه قال الأواني؟ قال لا. قال المستورد: تُرى فيه الآنيةُ مثلَ الكواكبِ» ورواه مسلم[5] بهذا اللفظ.

وأما عن جُندب بنِ عبدِ اللَّهِ فقال البخاريُّ[6] رحمه الله تعالى: حدثنا عُبدانُ أخبرني أبي عن شعبةَ عن عبد الملك قال: سمعتُ جُندباً قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**أنا فرَطَكم على الحوضِ**»، رواه مسلم[7] هكذا.

وأما عن سهل بنِ سعدٍ فقال البخاريُّ[8] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ حدثنا محمدُ بنُ مُطرِّفٍ حدثني أبو حازم عن سهل بنِ سعدٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إني فرَطُكم على الحوضِ، من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً. ليرِدَنّ عليّ أقوامٌ أعرِفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم**».

قال أبو حازم[9] فسمعني النُعمانُ بنُ أبي عياشٍ فقال: هكذا سمعتُ من

---

(١) مسلم في صحيحه (٤/١٧٩٨ رقم ٣٥/٢٢٩٩).
(٢) مسلم في صحيحه (٤/١٧٩٨ رقم .../٢٢٩٩).
(٣) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٩١).
(٤) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٩٢).
(٥) في صحيحه (٤/١٧٩٧ رقم ٣٣/٢٢٩٨).
(٦) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٨٩).
(٧) في صحيحه (٤/١٧٩٢ رقم ٢٥/٢٢٨٩).
(٨) في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨٣).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨٤).

سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهدُ على أبي سعيدٍ الخدريِّ لسَمعتُه وهو يزيدُ فيها: «**فأقول إنهم مني، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غيّر بعدي**». ورواه مسلمٌ[1] وفيه: «**لمن بدّل بعدي**».

وأما عن عائشةَ، فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا خالدُ بنُ يزيدَ الكاهليُّ حدثنا إسرائيلُ عن أبي إسحاقَ عن أبي عُبيدةَ عن عائشةَ ﵂ قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

قالت: «نهرٌ أُعطيه نبيُّكم ﷺ شاطئاه عليه درٌّ مجوّفٌ، آنيتُه كعدد النجوم».

وقال مسلمٌ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا ابنُ أبي عمرَ حدثنا يحيى بنُ سليم عن ابن خثيم عن عبدِ اللّهِ بن عبيدِ اللّهِ بنِ أبي مُليكةَ أنه سمع عائشةَ ﵂ تقول: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابِه: «**إني على الحوض أنتظر مَن يرِد عليّ منكم، فوالله لَيُقتَطعَنّ دوني رجالٌ فلأقولنّ أيْ ربِّ مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عمِلوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم**».

وأما عن عقبةَ بنِ عامرٍ، فقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا عَمْرُو بنُ خالدٍ حدثنا الليثُ عن يزيدَ عن أبي الخيرِ عن عُقبةَ ﵁ أن النبيَّ ﷺ خرج يوماً فصلى على أهلِ أُحدٍ صلاتَه على الميتِ، ثم انصرف على المنبر فقال: «**إني فرَطٌ لكم وأنا شهيدٌ عليكم، وإني واللّهِ لأنظُر إلى حوضي الآنَ وإني أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ - أو مفاتيحَ الأرضِ - وإني واللّهِ ما أخاف أن تُشركوا بعدي، ولكن أخافُ عليكم أن تَنافَسوا فيها**».

ورواه مسلمٌ[5] بهذا اللفظ، وبلفظ[6]: «صلّى رسولُ اللّهِ ﷺ على قتْلى أُحدٍ، ثم صعِدَ المنبرَ كالمودِّع للأحياءِ والأمواتِ فقال: **إني فرَطُكم على الحوضِ،**

(١) في صحيحه (٤/ ١٧٩٣ رقم ٢٦/ ٢٢٩٠).
(٢) في صحيحه (٨/ ٧٣١ رقم ٤٩٦٥).
(٣) في صحيحه ٤/ ١٧٩٤ رقم ٢٨/ ٢٢٩٤).
(٤) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٩٠).
(٥) في صحيحه (٤/ ١٧٩٥ رقم ٣٠/ ٢٢٩٦).
(٦) عند مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٦ رقم ٣١/ ٢٢٩٦).

وإن عرْضَه كما بين أيْلةَ إلى الجَحفةَ. إني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تَنافَسوا فيها وتقتتلوا فتَهلِكوا كما هلك مَن كان قبلكم». قال عقبةُ: وكانت آخرَ ما رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على المنبر.

وأما عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ حمادٍ حدثنا أبو عوانةَ عن سليمانَ عن شقيقٍ عن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «**أنا فرَطُكم على الحوضِ**».

وحدثني عَمرُو بنُ عليٍّ حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ حدثنا شعبةُ عن المغيرة قال: سمعتُ أبا وائلٍ عن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**أنا فرَطُكم على الحوضِ، وليُرفَعُنَّ رجالٌ منكم ثم ليُختَلَجُنَّ دوني فأقول يا ربِّ: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[2]، تابعه عاصمٌ عن أبي وائلٍ، وقال: حُصينٌ عن أبي وائلٍ عن حذيفةَ عن النبيِّ ﷺ.

وروى مسلمٌ[3] حديثَ ابنِ مسعودٍ بلفظ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أنا فرَطُكم على الحوض ولأنازِعنّ أقواماً ثم لأُغلَبنّ عليهم فأقول: يا ربِّ أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**». وأشار[4] إلى حديث حذيفةَ بنحو روايةِ الأعمشِ ومُغيرةَ.

وأما عن أبي هريرةَ فقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذر الحُزاميُّ حدثنا محمدُ بنُ فُليحٍ حدثنا أبي قال حدثنا هلالٌ عن عطاءِ بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**بينا أنا قائمٌ فإذا زُمرةٌ حتى إذا عرَفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلُمّ، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النارِ والله، قلتُ: وما شأنُهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارِهم القَهقَرى، ثم إذا زُمرةٌ حتى إذا عرَفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم قال هلُمّ قلت: إلى أين؟ قال:**

---

(١) في صحيحه (١١/٤٦٣ رقم ٦٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٧٦).

(٣) في صحيحه (٤/١٧٩٦ رقم ٣٢/٢٢٩٧).

(٤) مسلم في صحيحه (٤/١٧٩٦ رقم .../٢٢٩٧).

(٥) في صحيحه (١١/٤٦٥ رقم ٦٥٨٧) وقد تقدم.

إلى النارِ واللَّهِ، قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارِهم القهقرى، فلا أراه يخلُص منهم إلاّ مثلُ هَمَل النَّعم».

وله[1] عنه أنه كان يحدث أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يرِدُ عليَّ يوم القيامةِ رهطٌ من أصحابي فيُحَلَّؤُن عن الحوضِ فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقول إنك لا علمَ لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارِهم القهقَرى».

وله[2] عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنةِ، ومنبري على حوضي».

وقال مسلمٌ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ سلام الجُمحيّ حدثنا الربيعُ يعني ابنَ مسلمٍ عن محمدِ بنِ زيادٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «لأذودَنّ عن حوضي رِجالاً كما تُذادُ الغريبةُ من الإبل».

وله[4] عن أبي حازم عنه رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إن حوضي أبعدُ من أيلةَ من عدن، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيتُه أكثرُ من عدد النجوم، وإني لأصُدُّ الناسَ عنه كما يصُدّ الرجلُ إبل الناسِ عن حوضِه».

قالوا: يا رسولَ اللَّهِ أتعرِفُنا يومئذ. قال: «نعم، لكم سِيما ليست لأحدٍ من الأمم، ترِدون عليَّ غُرًّا مُحجّلينَ من أثر الوضوء».

وأما عن عبدِ الله بنِ عمْرِو بنِ العاصِ فقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ حدثنا نافعُ بنُ عمرَ عن ابن أبي مُليكةَ قال: قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمْرو قال النبيُّ ﷺ: «حَوضي مسيرةُ شهرٍ ماؤُه أبيضُ من اللبن وريُحه أطيبُ من المِسك، وكِيزانُه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً».

ورواه مسلم[6] بلفظ: «حوضي مسيرةُ شهرٍ وزواياه سواءٌ، وماؤُه أبيضُ من

---

(1) أي للبخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٤ - ٤٦٥ رقم ٦٥٨٦).
(2) أي للبخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٨٨).
(3) في صحيحه (٤/ ١٨٠٠ رقم ٣٨/ ٢٣٠٢).
(4) لمسلم في صحيحه (١/ ٢١٧ رقم ٣٦/ ٢٤٧).
(5) في صحيحه (١١/ ٤٦٣ رقم ٦٥٧٩).
(6) في صحيحه (٤/ ١٧٩٣ - ١٧٩٤ رقم ٢٧/ ٢٢٩٢).

الورِقِ، وريحُه أطيبُ من المِسكِ وكيزانُه كنجومِ السماء، فمن شرِبَ منه فلا يظمأ بعده أبداً».

وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم في أول الباب، وروى ابنُ جريرٍ[1] عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عنه ﷺ قال: «الكوثرُ نهرٌ في الجنةِ حافّتاه ذهبٌ وفضةٌ يجري على الياقوتِ والدرِّ، ماؤه أبيضُ من الثلجِ وأحلى من العسلِ.

وله[2] عن عطاء بن السائبِ قال: قال لي مُحاربُ بنُ دِثارٍ: ما قال سعيدُ بنُ جُبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس: أنه الخيرُ الكثيرُ، فقال: صدقَ واللَّهِ إنه لَلخيرُ الكثير.

ولكن حدثنا ابنُ عمرَ قال[3]: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، قال رسولُ الله ﷺ: **«الكوثرُ نهرٌ في الجنةِ حافّتاه من ذهب، ويجري على الدرِّ والياقوت».**

وأما عن أسماءَ، فقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ عن نافعِ بنِ عمرَ، قال حدثني ابنُ أبي مُليكةَ عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ ﷺ قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إني على الحوض حتى أنظُر من يرِدُ عليَّ منكم وسيُؤخذُ ناسٌ دوني فأقول: يا ربِّ مني ومن أمتي، فيقال: هل شعَرتَ ما عمِلوا بعدك، واللَّهِ ما برِحوا يرجِعونَ على أعقابِهم».**

وكان ابنُ أبي مُليكةَ يقول: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجِع على أعقابِنا أو نُفتَنَ

---

(١) في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٣٢٠).
(٢) أي لابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٣٢٠).
(٣) ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٣٢٠).
قلت: وأخرجه أحمد (٢/ ٦٧ و ١٥٨) و (٣/ ١٠٢). والترمذي في «السنن» (٥/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ رقم ٣٣٦١). وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
وابن ماجه (٢/ ١٤٥٠ رقم ٤٣٣٤).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٨) وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
(٤) في صحيحه(١١/ ٤٦٦ رقم ٦٥٩٣).

عن ديننا»، ورواه مسلم[1] بسند حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو متصلاً بمتنه، ولفظُه كلفظ البخاري.

وأما عن ثوبانَ، فقال مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو غسانَ المِسْمَعيُّ ومحمدُ بنُ المثنى وابنُ بشارٍ وألفاظُهم متقاربةٌ قالوا: حدثنا مُعاذُ وهو ابنُ هشام حدثني أبي عن قتادةَ عن سالم بنِ أبي الجعْدِ عن مَعْدانَ بنِ أبي طلحةَ اليَعْمُريِّ عن ثوبانَ ﷺ أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«إني لبعَقْرِ حوضي أذودُ الناسَ لأهلِ اليمنِ أضرِبُ بعضَهم بعصاي حتى يرفض عليهم، فسُئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عَمَّان»**.

وسُئلَ عن شرابِه فقال: **«أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، يغتُّ فيه ميزابان يُمِدّانه من الجنةِ، أحدُهما من ذهب والآخرُ من ورِق»**.

وقال الترمذيُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ أنبأنا يحيى بنُ صالحٍ أنبأنا محمدُ بنُ مهاجرٍ عن العباسِ عن أبي سلامٍ الحبشي قال: بَعثَ إليّ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فحُملتُ على البريدِ، فلما دخلَ عليه قال: يا أميرَ المؤمنين لقد شقَّ على مركبي البريدُ. فقال يا أبا سلام ما أردتُ أن أشقَّ عليك، ولكن بلغني عنك حديثٌ تحدِّثه عن ثوبانَ عن النبيِّ ﷺ في الحوض فأحببتُ أن تشافِهني به، قال أبو سلام: حدثني ثوبانُ ﷺ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: **«حوضي من عدنَ إلى عَمَّانِ البلقاء، ماؤه أشدُ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه عددَ نجومِ السماء، من شرِبَ منه لم يظمأ بعدها أبداً، أولُ الناسِ وروداً عليه فقراءُ المهاجرينَ الشُعثُ رؤوساً الدُنسُ ثياباً، الذين لا ينكِحون المتنعِّمات، ولا تُفتح لهم السُّدد»**.

قال عمرُ: لكني نكَحتُ المتنعِّماتِ وفُتحت لي السدد، نكحت فاطمةَ بنتَ عبدِ الملكِ، لا جرم أني لا أغسل رأسي حتى يشعَث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتّسِخَ.

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٧٩٤ رقم ٢٢٩٣).

(٢) في صحيحه (٤/ ١٧٩٩ رقم ٣٧/ ٢٣٠١).

(٣) في «السنن» (٤/ ٦٢٩ ـ ٦٤٠ رقم ٢٤٤٤) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روى هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي ﷺ، وأبو سلام الحبشي اسمه ممطورٌ وهو شاميٌ ثقة.

ورواه ابنُ ماجه[1] بلفظ: «**إن حوضي ما بين عدن إلى أيلةَ أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسلِ، أكاويبُه كعدد نجومِ السماءِ، من شربَ منه شَرْبةً لم يظمأ بعدها أبداً**». الحديث. وفيه قال: فبكى عمرُ حتى اخضلّت لحيتُه. وفيه: «**ولا أدهنُ رأسي حتى يشعَث**».

وأما عن أبي ذر، فقال مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بنِ أبي شيبةَ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ واللفظُ لابن أبي شيبةَ، قال إسحاقُ أخبرنا ـ وقال الآخران حدثنا ـ عبدُ العزيز بنُ عبدِ الصمدِ العمي عن أبي عِمرانَ الجَونيِّ عن عبدِ الله بنِ الصامتِ عن أبي ذرٍ قال: «قلتُ يا رسولَ اللّهِ ما آنيةُ الحوضِ؟ قال: **والذي نفسُ محمدٍ بيده لآنيتُه أكثرُ من عدد نجوم السماء وكواكبِها ألا في الليلةِ المُظْلِمةِ المُصْحية. آنيةُ الجنة من شربَ منها لم يظمأ، آخر ما عليه، يشخبُ في ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عَرضُه مثلُ طوله ما بين عمّان إلى أيلةَ، ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل**». رواه التِرمذيُّ[3] بهذا اللفظ وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

وأما عن أم سلمةَ رضي الله عنها، فقال مسلمُ بنُ الحجاجِ[4]: حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى الصدفي أخبرني عبدُ الله بنُ وهْبٍ أخبرني عمرٌو وهو ابنُ الحارث أن بَكيراً حدثه عن القاسم بنِ عباسٍ الهاشميِّ عن عبدِ الله بنِ رافعٍ مولى أمِّ سلمةَ عن أم سلمةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالتْ: «كنتُ أسمعُ الناسَ يذكرونَ الحوضَ ولم أسمعَ ذلك من رسولِ اللّهِ ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجاريةُ تمشُطُني فسمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**أيها الناسُ**» فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجالَ ولم يدْعُ النساءَ. فقلتُ: إني من الناس. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إني لكم فرَطٌ على الحوضِ، فإياي لا يأتينّ أحدُكم فيُذَبُّ عني كما يُذَبُّ البعيرُ الضالُّ، فأقول: فيمَ هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سُحقاً**».

(١) في «السنن» (٢/١٤٣٨ رقم ٤٣٠٣).
وهو حديث صحيح، المرفوع منه كما قال الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٩٨٩).
(٢) في صحيحه (٤/١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ رقم ٣٦/٢٣٠٠).
(٣) في «السنن» (٤/٦٣٠ رقم ٢٤٤٥).
(٤) (٤/١٧٩٥ رقم ٢٩/٢٢٩٥).

وأما عن جابر بنِ سَمُرةَ، فقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثني الوليدُ بنُ شجاعِ بنِ الوليدِ السّكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدثني زيادُ بنُ خيثمةَ عن سِماكِ بنِ حرْبٍ عن جابر بنِ سَمُرةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: **«ألا إني فرَطٌ لكم على الحوض، وإن بَعُدَ ما بين طرفيه كما بين صنعاءَ وأيلةَ، كأن الأباريقَ فيه النجوم»**.

وأما عن زيد بنِ أرقَمَ، فقال أبو داودَ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ بنُ عمرَ النَّمريُّ حدثنا شُعبةُ عن عَمرو بنِ مُرَّةَ عن أبي حمزةَ عن زيدِ بنِ أرقَمَ قال: «كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فنزلنا منزلاً فقال: **ما أنتم بجزء من مائةِ ألفِ جزءٍ ممن يردُ عليَّ الحوضَ**». قال قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: «سبعمائةٍ أو ثمانمائة».

وأما عن سَمُرةَ بنِ جُندبٍ، فقال الترمذيُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ نَيزَكَ البغدادي أنبأنا محمدٌ بكارٌ الدمشقيُّ أنبأنا سعيدُ بنُ بشير عن قتادةَ عن الحسن

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٨٠١ رقم ٤٤/ ٢٣٠٥).

(٢) في «السنن» (٥/ ١١٠ رقم ٤٧٤٦).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧ و ٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٢.
والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٦ ـ ٧٧) وقال: أبو حمزة الأنصاري هذا هو طلحةُ ابن يزيد وقد احتج به البخاري.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٤١ رقم ٧٣٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) في «السنن» (٤/ ٦٢٨ رقم ٢٤٤٣) وقال: **هذا حديث غريب.**
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ رقم ٧٣٤) والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٢ رقم ٦٨٨١) والبخاري في «التاريخ» (١/ ٤٤).
وقال الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١١٨) وفيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال الذي ذكره الترمذي ورجحه.
الثانية: عنعنةُ البصري، فإنَّه كان مدلس لا سيما عن سَمُرةَ.
الثالثة: سعيد بن بشير وهو الأزدي، مولاهم، وهو ضعيف كما في «التقريب» وللحديث شاهدانِ موصولان وثالث مرسل.
انظر تخريجهما في «الصحيحة» (٤/ ١١٩ ـ ١٢٠).
وخلاصة القول أنَّ الحديث حسن لغيره. والله أعلم.

عن سمُرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن لكل نبيٍّ حوضاً وإنهم يتباهونَ أيُّهم أكثرُ واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرَهم واردةً»**، هذا حديث حسنٌ غريب.

وقد روى الأشعثُ بنُ عبدِ الملكِ[1] هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سَمُرةَ وهو أصحُّ. اهـ.

وأما عن حذيفةَ، فتقدمت الإشارةُ إليه عند الشيخين بعد روايتِهما حديثَ ابنِ مسعودٍ.

وقال ابنُ ماجةْ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا عليُّ بنُ مُسْهرٍ عن أبي مالكٍ سعدِ بنِ طارقٍ عن رِبعيٍّ عن حُذيفةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن حوضي لأبعدُ من أيلةَ إلى عدنَ، والذي نفسي بيده لآنيتُه أكثرُ من عدد النجوم، ولهو أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذودُ عنه الرجالَ كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضه»**.

قيل: يا رسولَ اللَّهِ أتعرِفنا؟ قال: **«نعم ترِدونَ عليَّ غُرًّا مُحجّلينَ من أثر الوضوء، ليست لأحد غيرِكم»**. ورواه مسلمٌ[3] في الطهارة بهذا اللفظِ وبهذا السندِ.

وأما عن أبي برزةَ، فقال أبو داودَ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا مسلمٌ بنُ إبراهيمَ حدثنا عبدُ السلامِ بنُ أبي حازمٍ أبو طالوتَ قال: شهِدتُ أبا برزةَ دخلَ على عُبيد اللَّهِ بنِ زيادٍ فحدثني فلانٌ ـ سماه مسلمٌ ـ وكان في السِّماط، فلما رآه عبيد اللَّهِ قال: إن محمديكم هذا لَدَحْداحٌ[5]، ففهمها الشيخُ فقال: ما كنتُ أحسَبُ أني أبقى في قوم يعيّروني بصحبة محمدٍ ﷺ.

---

(١) قاله الترمذي في «السنن» (٤/ ٦٢٩).

(٢) في «السنن» (٢/ ١٤٣٨ رقم ٤٣٠٢) وهو حديث صحيح.

(٣) في صحيحه (١/ ٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ٣٨/ ٢٤٨).

(٤) «في السنن» (٥/ ١١١ ـ ١١٢ رقم ٤٧٤٩) وهو حديث صحيح.
قلت وأخرجه أحمد (٤/ ٤٢١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٠٢ و ٧٢٠) وله شاهد من حديث أبي برزة عند أحمد (٤/ ٤٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٢٢). وهو حديث حسن.

(٥) هو القصير السمين.

فقال له عُبيدُ الله: إن صحبةَ محمدٍ ﷺ لك زينٌ غير شينٍ، ثم قال: إنما بَعَثْتُ إليك لأسألكَ عن الحوض، سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكُر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزةَ: نعم لا مرةً ولا اثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً، فمن كذَّب به فلا سقاه اللَّهُ منه، ثم خرج مغضباً.

وأما عن المُستورد، فتقدم في المتفق عليه[1] من حديث حارثةَ بنِ وهْب.

وأما حديثُ أبي سعيدٍ الخُدريِّ، فقال ابنُ ماجهْ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ حدثنا محمدُ بنُ بشرٍ حدثنا زكريا حدثنا عطيةُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن لي حوضاً ما بين الكعبةِ وبيتِ المقدسِ، أبيضُ من اللبن آنيتُه عددَ النجومِ، وإني لأكثرُ الأنبياء تبعاً يوم القيامة»**.

وأما عن عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ، فرواه البخاريُّ[3] ومسلمٌ[4] مطولاً في قصةِ قَسْمِ غنائمِ حُنينٍ، وفي آخرِه قولُه ﷺ للأنصار ﷺ: **«إنكم ستلقونَ بعدي أَثَرةً، فاصبِروا حتى تلقَوني على الحوض»**.

وأما عن أسامةَ بنِ زيدٍ، فقال ابنُ جرير[5] رحمه الله تعالى: حدثني البَرْنيُّ حدثنا ابنُ أبي مريمَ حدثنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبي كثيرٍ أخبرني حَرامُ بنُ عثمانَ عن عبدِ الرحمنِ الأعرجِ عن أسامةَ بنِ زيدٍ: «أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أتى حمزةَ بنَ عبدَ المطلبِ فلم يجدْه فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجارِ فقالت: خرج يا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٢/١٤٣٨ رقم ٤٣٠١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٣٢٠ رقم ١٥٤١/٤٣٠١) **هذا الإسناد فيه عطية وهو ضعيف**.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٢٣) وقال الألباني: **حديث صحيح، وإسناده ضعيف**، من أجل عطية العوفي فإنه ضعيف مدلس، وإنما صححه لشواهده منها ما تقدم ومنها ما سيأتي.

(٣) في صحيحه (١٣/٥ رقم ٧٠٥٢).

(٤) في صحيحه (٢/٧٣٣ ـ ٧٣٤ رقم ١٣٢/١٠٥٩).

(٥) في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠ رقم ٣٢٥).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٤٩) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٥٩٧).

نبيّ اللّهِ عامداً نحوك، فأظنُّه أخطأك في بعض أزقّةِ بني النجارِ. أوَلا تدخل يا رسولَ الله؟ فدخل، فقدمت له حيساً فأكل منه، فقالت: يا رسولَ الله هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئتُ وأنا أريد أن آتيك لأُهنيك وأُمريكَ.

أخبرني أبو عُمارةَ أنك أُعطيتَ نهراً في الجنة يدعى الكوثرَ. فقال: **«أجل وعَرضُه** - يعني أرضه - **ياقوتٌ ومَرجانٌ وزَبَرجَدٌ ولؤلؤٌ»**.

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: حَرامُ بنُ عثمانَ ضعيفٌ، ولكنْ هذا سياقٌ حسنٌ، وقد صح أصلُ هذا، بل قد تواتر من طرق تفيد القطعَ عند كثيرٍ من أئمة الحديث اهـ.

قلت: وقد ذكرنا منها ما تيسّر. وفي الباب عدةُ أحاديثَ غيرُ ما ذكرنا. ولمن ذكرنا من الصحابة[2] أحاديثُ أُخَرُ لم نذكرها، ولهم رواياتٌ في الأصول التي عَزونا إليها غيرُ ما سُقنا، وإنما أشرنا إشارةً إلى بعضها لتعرِف شهرةَ هذا البابِ واستفاضتِه وتواترِه مع الإيجاز والاختصارِ. ولله الحمدُ والمنة.

❋ ❋ ❋

فصل - في الأحاديث الواردة عن لواء الحمدِ

(كـذا لـه لـواءُ حَـمْـدٍ يُـنـشـرُ وتـحـتـه الـرسـلُ جـمـيـعـاً تُـحـشـر)

قال الترمذيُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا الحُسينُ بنُ يزيدَ الكوفيُّ حدثنا

---

(١) في تفسيره (٤/ ٥٩٧).
قلت: حرام بن عثمان: ترك الناسُ حديثَه قاله أحمد.
وقال ابن حبان: كان غالياً في التشيع يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل.
«الميزان» (٢/ ٢٠٩ رقم ١٧٦٩/ ٢٣٦٧).

(٢) انظر أحاديث الحوض في «مرويات الصحابة» ﷺ في الحوض والكوثر.
وتشتمل على:
١ - ما روي في الحوض والكوثر. جمعها الإمام بقيّ بن مخلد القرطبي.
٢ - الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر. للحافظ أبي القاسم ابن بشكوال.
٣ - المستدرك في أحاديث الحوض والكوثر. جمعها عبد القادر بن محمد عطا صوفي.

(٣) في «السنن» (٥/ ٥٨٥ رقم ٣٦١٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: سنده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم، **فهو حديث ضعيف**.

عبدُ السلام بنُ حربٍ عن ليثٍ عن الربيع بنِ أنسٍ عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أنا أولُ الناسِ خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وفَدوا، وأنا مُبشِّرُهم إذا يئِسوا، لواءُ الحمدِ يومئذ بيدي، وأنا أكرمُ على ربي ولا فخرَ»**. هذا حديث حسنٌ غريب.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ أنبأنا أبو عامرٍ العقديُّ أنبأنا زهيرُ بنُ محمدٍ عن عبد اللّهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ عنِ الطفيل بن أُبيِّ بنِ كعبٍ عن أبيه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«مَثَلي في النبيين كمثلِ رجلٍ بنى داراً فأحسنَها وأكملَها وأجملها وترك منها موضعَ لبنةٍ فجعل الناسُ يطوفون بالبناء ويعجَبون منه ويقولون: لو تم وضع تلك اللبنة، وأنا في النبيين موضعُ تلك اللبنة»**.

وبهذا الإسنادِ عن النبي ﷺ قال: **«إذا كان يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النبيين وخطيبَهم وصاحبَ شفاعتِهم غيرَ فخرٍ»**، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب[2].

حدثنا ابنُ أبي عمرَ أنبأنا سفيانُ عن ابن جدعانَ عن أبي نضْرةَ عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أنا سيدُ ولدِ آدمَ يوم القيامة ولا فخرَ، وما من نبيّ يومئذ آدمَ فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أولُ من تنشق عنه الأرضُ ولا فخر»**[2]. وفي الحديث قصةٌ[3]. هذا حديثٌ حسن.

---

(١) أي الترمذي في «السنن» (٥/٥٨٦ رقم ٣٦١٣) وقال: **هذا حديث حسن.**
قلت: وأخرجه أحمد رقم (٢١١٤١) بسند حسن.
وأخرج الحديث البخاري (٦/٥٥٨ رقم ٣٥٣٤)، ومسلم (٤/١٧٩١ رقم ٢٢٨٧) من حديث جابر.
وأخرجه البخاري (٦/ ٥٥٨ رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (٤/ ١٧٩٠ رقم ٢٢٨٦). من حديث أبي هريرة.
وخلاصة القول أن حديث أبي بن كعب صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/٥٨٧ رقم ٣٦١٥) وقال: **وفي الحديث قصة وهذا حديث حسن صحيح.**
وقد روى بهذا الإسناد عن أبي نضرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» رقم (١٠٩٢٩) بإسناد حسن.

(٣) عند الترمذي في «السنن» (٥/٣٠٨ ـ ٣٠٩ رقم ٣١٤٨) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عليُّ بنُ نصرِ بنِ عليٍّ الجَهْضَميُّ أنبأنا عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المجيدِ أنبأنا زُمْعَةُ بنُ صالحٍ عن مسلمةَ بنِ وهرامَ عن عِكرمةَ عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ ينتظرونَه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرونَ، فسمع حديثهم، فقال بعضُهم: عجباً إن اللَّهَ اتخذ من خلقه خليلاً: اتخذ إبراهيمَ خليلاً، وقال آخرُ: ماذا يُعجبُ من كلام موسى كلمه تكليماً، وقال آخرُ: فعيسى كلمةُ اللَّهِ وروحُه، وقال آخرُ: آدمُ اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلَّم وقال: «**قد سمعتُ كلامَكم وعجَبكم، إن إبراهيمَ خليلُ اللَّهِ وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحُه وكلمتُه وهو كذلك، وآدمُ اصطفاهُ الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيبُ اللَّهِ ولا فخرَ، وأنا حاملُ لواء الحمدِ يومَ القيامةِ ولا فخر، وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشفَّعٍ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أولُ من يحرك حَلَقَ الجنةِ فيَفتح اللَّهُ لي فيُدخِلُنيها ومعي فقراءُ المؤمنينَ ولا فخرَ، وأنا أكرمُ الأولينَ والآخِرينَ ولا فخرَ**». هذا حديثٌ غريب.

قلت: ومعناه ثابتٌ في الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلومٌ عند من له خِبرةٌ بالعلم.

❁ ❁ ❁

فصل ـ في آيات الشفاعةِ وأحاديثِها والمقامِ المحمودِ

(كذا له الشفاعةُ العظمى كما	**قد خصَّه اللَّهُ بها تكرُّما)**
(مِن بعد إذن اللَّهِ لا كما يرى	**كلُّ قُبوريٍّ على الله افترى)**

(كذا له) لنبينا ﷺ **(الشفاعةُ العظمى)** يوم القيامة، وهو المقامُ المحمودُ الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. ولذا قلنا: **(قد خصّه الله بها)** بالشفاعة **(تكرُّماً)** منه عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح[2] عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ**

---

(١) أي الترمذي في «السنن» (٥/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ رقم ٣٦١٦) وقال: **هذا حديث غريبٌ**.
قلت: وهو حديث ضعيف لضعف زمعة بن صالح.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ رقم ٣٣٥) وطرفاه رقم (٤٣٨، ٣١٢٢). =

أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهرٍ، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركَته الصلاةُ فليُصلِّ، وأُحلتْ ليَ الغنائمُ ولم تحِلَّ لأحد قبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناسِ عامةً».

وفيه[1] عنه ﷺ عن النبي ﷺ: **«لكل نبيٍّ دعوةٌ قد دعا بها في أمته، وخبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».**

وفيه[2] عن أنس ﷺ أن نبيَّ الله ﷺ قال: **«لكل نبيٍّ دعوةٌ دعاها لأمته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».**

وفيه[3] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة فهي نائلةٌ إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشركُ بالله شيئاً».**

وفيه[4] عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمْرٍو ﷺ أن النبيَّ ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفع يديه وقال: **اللهم أمتي**، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريلُ اذهب إلى محمدٍ ـ وربُك أعلم ـ فسلْه: ما يبكيك. فأتاه جبريلُ فسأله، فأخبره رسولُ اللَّهِ ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال اللَّهُ تعالى: يا جبريلُ اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيكَ في أمتك ولا نسوؤُك».

وفيه[5] عنه ﷺ أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثلَ ما**

= ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١ رقم ٣/ ٥٢١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩٠ رقم ٣٤٥/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٩٦ رقم ٦٣٠٥).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٠ رقم ٣٤١/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٩٦ رقم ٦٣٠٤) وطرفه رقم (٧٤٧٤).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٨ رقم ٣٣٤/ ١٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩١ رقم ٣٤٦/ ٢٠٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨ رقم ٣٨٤).

يقول، ثم صلّوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلةَ فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تنبغي إلا لعبد من عبادِ اللّهِ، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل اللّهَ لي الوسيلةَ حلّت له الشفاعةُ».

وفيه[1] عن جابر بن عبدِ الله ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«من قال حين يسمع النداء: اللهمّ ربَّ هذه الدعوةِ التامة، والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتَه، حلّت له شفاعتي يوم القيامة».**

وتلك الشفاعةُ لا تكون إلا من بعد إذنِ اللّهِ عز وجل، سواءٌ في ذلك شفاعةُ نبيِّنا ﷺ وشفاعةُ مَن دونَه، وذلك الإذنُ يتعلق بالشافع والمشفوعِ فيه وبوقت الشفاعةِ، فليس يشفع إلا مَن أذِن اللّهُ له في الشفاعة، وليس له أن يشفَعَ إلا بعد أن يأذَنَ الله له، وليس له أن يشفَعَ إلا فيمن أذِن اللّهُ تعالى له أن يشفَع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]. ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٤ رقم ٦١٤).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وسيأتي في ذكر الأحاديثِ مراجعةُ الرسلِ الشفاعةَ بينهم إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذِنُ ربَّه عز وجل، ثم يسجد ويحمَدُه بمحامدَ يُعلّمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال: ارفعْ رأسك وقل يُسْمع وسَلْ تُعطَ واشفع تُشفَّعْ، وأنه يَحُدّ له حدًّا حتى يُدخلُهم الجنةَ ثم يرجِع كذلك، وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذنَ له ويُحدُّ له حدًّا حتى ينجُو جميعُ الموحدينَ، وهكذا كلُ شافعٍ بعده يسأله الشفاعةَ من مالِكها حتى يؤذَن له. إلى أن يقولَ الشفعاءُ: لم يبقَ إلّا من حبسه القرآنُ وحقَّ عليه الخلودُ.

والمقصودُ أن الشفاعةَ مِلكٌ لله عز وجل ولا تُسأل إلا منه، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حتى يأذَن في الشفاعة.

(لا كما يرى كل قبوري) نسبةٌ إلى القبور لعبادته أهلَها **(على الله افترى)** في ما ينسِبه إلى أهل القبورِ ويُضيفُه إليهم من التصرفات التي هي ملكٌ لله عز وجل لا يقدِر عليها غيرُه تعالى ولا شريكَ له فيها، ورتَّبوا على ذلك صَرْفَ العباداتِ إلى الأمواتِ ودعاءَهم إياهم والذبحَ والنذْرَ لهم دون جبّارِ الأرضِ والسمواتِ، وسؤالَهم منهم قضاءَ الحاجاتِ ودفعَ المُلِماتِ، وكشفَ الكُرُباتِ والمكروهاتِ، معتقدينَ فيهم أنهم يسمعون دعاءَهم ويستطيعون إجابتَهم. وقد تقدم كشفُ عُوارِهم وهتْكُ أستارِهم بما يشفي ويكفي ولله الحمدُ والمنّة.

(يشفعُ أولاً إلى الرحمنِ في ... فصلِ القضاء بين أهلِ الموقفِ)
(من بعد أن يطلُبَها الناسُ إلى ... كل أولي العزمِ الهداةِ الفُضَلا)

هذه الشفاعةُ الأولى لنبينا محمدٍ ﷺ، وهي أعظمُ الشفاعاتِ، وهي المقامُ المحمودُ الذي ذكر اللّهُ عز وجل له ووعده إياه، وأمرنا رسولُ اللّهِ ﷺ أن نسأل اللّهَ إياه له ﷺ بعد كلّ أذانٍ.

وقال البخاريُ[1] رحمه الله تعالى: بابُ قولِه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

---

(١) في صحيحه (٨/٣٩٩ رقم ٤٧١٨).

﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. حدثنا إسماعيلُ بنُ أبانَ حدثنا أبو الأحوص عن آدمَ بنِ عليٍّ قال: سمعتُ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما يقول: «إن الناسَ يصيرونَ يوم القيامة جُثاً، كلُ أمةٍ تتبع نبيَّها يقولون: يا فلانُ اشفَعْ، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيِّ ﷺ، فذلكَ يومَ يبعثه المقامَ المحمودَ».

وقال مسلم[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ومحمدُ بنُ عبد الله بنِ نُميرٍ واتفقا في سياق الحديثِ إلا ما يزيد أحدُهما من الحرفِ بعد الحرفِ، قال: حدثنا محمدُ بنُ بشرٍ حدثنا أبو حيانَ عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: أُتيَ رسولُ اللّهِ ﷺ يوماً بلحم فرُفع إليه الذراعُ وكانت تُعجبُه فنهسَ منها نهْسةً فقال: **«أنا سيدُ الناسِ يوم القيامةِ، وهل تدرون بمَ ذاك؟ يجمعُ اللّهُ يوم القيامةِ الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيُسمعُهم الداعي وينفُذهم البصَرَ وتدنو الشمسُ فيبلُغ الناسَ من الغمّ والكرْب ما لا يُطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعضُ الناسَ لبعض: ألا ترونَ ما أنتم فيه، ألا ترونَ ما قد بلغكم، ألا تنظرونَ من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُ الناسِ لبعضٍ: ائتوا آدمَ.**

فيأتون آدمَ فيقولون: يا آدمُ أنتَ أبو البشرِ خلقك اللّهُ بيده ونفخ فيك من روحِه وأمر الملائكةَ فسجدوا لك، اشفَع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول آدمُ: إن ربي غضِبَ اليوم غضباً لم يغضَب قبلَه مثلَه ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، وإنه نهاني عن الشجرةِ فعصيتُه، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتونَ نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوحُ أنت أولُ الرسلِ إلى الأرضِ وسمّاك اللّهُ عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد

---

(١) في صحيحه (١/ ١٨٤ ـ ١٨٦ رقم ٣٢٧/ ١٩٤).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٤٠) ورقم (٣٣٦١ و ٤٧١٢).
والترمذي رقم (٢٤٣٤) وأحمد (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١١) وابن خزيمةَ في «التوحيد» (ص٢٤٢ ـ ٢٤٤) وابن منده (٨٧٩) و (٨٨٠) و (٨٨١) وأبو عوانة (١/ ١٧٠ ـ ١٧٣ و ١٧٣ ـ ١٧٤). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣١٥) والبغوي رقم (٤٣٣٢).

بلَغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثلَه ولن يغضَبَ بعده مثلَه، وإنه قد كانت دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيمَ فيقولون: أنت نبيُّ اللَّهِ وخليلُه من أهل الأرضِ، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيمُ ﷺ: إن ربي قد غضِبَ اليوم غضباً لم يغضبَ قبلَه مثله ولن يغضبَ بعده مثلَه، وذكرَ كَذباتِه، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسولُ اللَّهِ فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفَع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد عضِبَ اليوم غضباً لم يغْضَب قبله مثلَه ولن يغضبَ بعده مثلَه، وإني قتلتُ نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسولُ اللَّهِ وكلّمتَ الناسَ في المهدِ وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضِب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ولن يغضَب بعده مثلَه، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتوني فيقولون: يا محمدُ أنت رسولُ الله وخاتمُ الأنبياءِ وغفر اللَّهَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلَغنا؟ فأنطلِقُ فآتي تحت العرشِ فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح اللَّهُ عليّ ويُلهمني من محامده وحُسنِ الثناءِ عليه شيئاً لم يفتح لأحدٍ من قبلي.

ثم قال: يا محمدُ ارفع رأسَك سَل تُعطَه اشفَع تُشفَّع، فأرفَعُ رأسي فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي. فيقال: يا محمدُ أدخل الجنةَ من أمتك مَن لا حسابَ عليه من البابِ الأيمنِ من أبواب الجنة، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبوابِ، والذي نفسُ محمدٍ بيده إن ما بين المضراعين من مصاريع الجنةِ لكما بين مكةَ وهجَرَ أو كما بين مكةَ وبُصْرى».

قال[1] وحدثني زُهيرُ بنُ حربٍ حدثنا جريرٌ عن عُمارةَ بنِ القعقاعِ عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرةَ قال: «وُضعتْ بين يدي رسولِ اللَّهِ ﷺ قصعة من ثريدٍ ولَحْم، فتناول الذراعَ وكانت أحبُّ الشاةِ إليه، فنهسَ نهسةً فقال: «**أنا سيدُ الناسِ يوم القيامةِ**»، ثم نهسَ أخرى فقال: «**أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ**». فلما رأى أصحابَه لا يسألونَه قال: «**ألا تقولون كيف؟**»، قالوا: كيفَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**يقوم الناسُ لرب العالمين**». وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيانَ عن أبي زرعةَ.

وزاد في قصة إبراهيمَ فقال: «**وذكرَ قولَه في الكوكب: هذا ربي، وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرُهم هذا، وقولَه إني سقيم**». قال: «**والذي نفسُ محمد بيده إن ما بين المِصْراعين من مصاريع الجنة إلى عَضادَتي الباب لكما بين مكةَ وهجَرَ أو هجَرَ ومكةَ**»، قال: لا أدري أيُّ ذلك قال.

وروى الإمام أحمدُ[2] عن كعب بنِ مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُبعث الناسُ يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ، ويكسوني ربي عز وجل حُلّةً خضراءَ، ثم يؤذنُ لي فأقول ما شاء اللَّهُ تعالى أن أقولَ، فذلك المقامَ المحمودُ**».

وسيأتي إن شاءَ اللَّهُ تعالى في حديث أنسٍ[3] ﷺ قوله ﷺ: «**يجمع اللَّهُ الناسَ يومَ القيامة فيهتمون لذلك ـ وفي لفظة فيُلهمونَ لذلك ـ فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُريحَنا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدمَ**» الحديث.

وتقدم في حديث الصورِ[4] قولُه ﷺ: «**فتقِفون موقفاً واحداً مقدارُه سبعون**

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦ رقم ٣٢٨/ ١٩٤).

(٢) في «المسند» (٣/ ٤٥٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ثم ذكره في (١٠/ ٣٧٧) ونسبه إلى الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وقال: وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح.
قلت: وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ١٤٧). والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٢).
والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

عاماً لا ينظُر إليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموعُ، ثم تدمعونَ دماً، وتَعرقونَ حتى يُلجِمَكم العرقُ، ويبلُغ الأذقانَ، وتقولونَ من يشفَعُ لنا إلى ربنا فيقضيَ بيننا؟ فتقولون من أحقُّ بذلك من أبيكم آدمَ، خلقه الله تعالى، ونفخ فيه من روحِه وكلّمه قُبلاً.

فيأتونَ آدمَ فيطلبونَ ذلك إليه، فيأتي ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرئونَ الأنبياءَ نبياً نبياً كلما جاؤا نبياً أبى عليهم. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: حتى يأتوني فأنطلقُ إلى الفَحْص فأخِرُّ ساجداً».

قال أبو هريرةَ: يا رسولَ الله وما الفَحْصُ؟ قال: «قُدَّامُ العرشِ، حتى يبعثَ الله إليّ ملكاً فيأخُذ بعضدي ويرفعُني فيقول لي: يا محمدُ فأقول: نعم يا ربِّ، فيقول اللّهُ عز وجل: ما شأنُك؟ وهو أعلمُ. فأقول: يا ربِّ وعدتني الشفاعةَ فشفِّعني في خلقك فاقضِ بينهم. قال الله تعالى: قد شفّعتُك، أنا آتيكُم أقضي بينكم» الحديث.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن أنسٍ ﷺ قال: حدثني نبيُّ اللّهِ ﷺ قال: «إني لقائمٌ أنتظرُ أمتي تعبُر على الصراط، إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتْك يا محمدُ يسألون ـ أو قال: يجتمعون ـ ويدعونَ اللّهَ أن يفرق بين جميع الأممِ إلى حيث يشاء اللّهُ لِغَمِّ ما هم فيه، فالخلقُ مُلْجَمون بالعرق، فأما المؤمنُ فهو عليه كالزكمة، وأما الكافرُ فيغشاهُ الموتُ، فقال: انتظر حتى أرجِع إليك، فذهب نبيُّ الله ﷺ فقام تحت العرشِ فلقيَ ما لم يلقَ ملَكٌ مصطفىً، ولا نبيٌّ مرسلٌ، فأوحى اللّهُ عز وجل إلى جبريلَ أن اذهب إلى محمد وقل له: ارفَع رأسكَ سَلْ تعطَ واشفَع تُشفَّع» الحديث.

وعند مسلمٍ[2] وغيرِه[3] من حديث نزولِ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ: «فلك

---

(١) في «المسند» (٣/١٧٨)
قلت: وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/٣٧٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في صحيحه (١/٥٦١ ـ ٥٦٢ رقم ٢٧٣/٨٢٠).

(٣) كأحمد (٥/١٢٧) بسند صحيح.

=

بكل رَدَّةٍ ردَدْتُكها مسألةٌ تسألنيها. فقلت: اللهم اغفِرْ لأمتي، اللهم اغفِرْ لأمتي، وأخرّتُ الثالثةَ ليومٍ يرغب إليّ الخلقُ كلُهم حتى إبراهيمُ ﷺ».

❁ ❁ ❁

فصل ـ اختصاصُه ﷺ
باستفتاحِ بابِ الجنة

(وثانياً يشفع في استفتاحِ   دارِ النعيمِ لأُولي الفلاحِ)
(هذا، وهاتان الشفاعتان   قد خُصّتا به بلا نُكران)

هذه الشفاعةُ الثانيةُ في استفتاحِ بابِ الجنةِ، وقد جاء في الأحاديثِ أنها أيضاً من المقامِ المحمودِ.

وقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمُ. قال قتيبةُ: حدثنا جريرٌ عن المختارِ بنِ فُلفلٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أنا أولُ الناسِ يشفع في الجنة، وأنا أكثرُ الأنبياء تبَعاً»**.

وحدثنا[2] أبو كُريبٍ محمدُ بنُ العلاءِ حدثنا معاويةُ بنُ هشام عن سفيانَ عن المختارِ بنُ فُلفلٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أنا أكثرُ الأنبياء تبَعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرَع بابَ الجنة»**.

وحدثنا[3] أبو بكر بنُ أبي شيبةَ حدثنا حُسينُ بنُ عليٍّ عن زائدةَ عن المختارِ بن فُلفل قال: قال أنسُ بنُ مالك قال النبيُّ ﷺ: **«أنا أولُ شفيعٍ في الجنة، لم يُصدَّق نبيٌّ من الأنبياء ما صُدِّقتُ، وإن من الأنبياء نبياً ما يُصدِّقُه من أمته إلا رجلٌ واحدٌ»**.

= وابن أبي شيبة (٧/٥١٦) والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٢٧) وابن حبان رقم (٧٤٠).

(١) في صحيحه ١/١٨٨ رقم ٣٣٠/١٩٦).
قلت: وأخرجه الدارمي في سننه (١/٣١ رقم ٥١)، وأحمد في «المسند» (١٠/٤٥١ رقم ١٢٣٥٩) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٨٨ رقم ٣٣١/١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٨٨ رقم ٣٣٢/١٩٦).

وحدثني عَمْرو الناقدُ وزُهيرُ بنُ حرْبٍ قالا: حدثنا هاشمُ بنُ القاسمِ حدثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ عن ثابتٍ عن أنس بنِ مالكٍ[1] قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«آتي بابَ الجنةِ يوم القيامةِ فأستفتِحُ، فيقول الخازنُ: من أنتَ؟ فأقول: محمدٌ، فيقول: بك أُمِرتُ لا أفتح لأحد قبلك»**.

قال: حدثنا محمدُ بنُ طريفِ بنِ خليفةَ البَجَليُّ حدثنا محمدُ بنُ فُضيلٍ حدثنا أبو مالكٍ الأشجعيُّ عن أبي حازم عن أبي هريرةَ، وأبو مالكٍ عن رِبْعيٍّ عن حذيفةَ رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يجمعُ اللَّهُ تبارك وتعالى الناسَ، فيقومُ المؤمنونَ حتى تُزْلَفَ لهم الجنةُ، فيأتون آدمَ فيقولون: يا أبانا استفتحْ لنا الجنةَ، فيقول: وهل أخرجَكم من الجنةِ إلا خطيئةُ أبيكم آدمَ؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ عز وجل. قال فيقول إبراهيمُ: لستُ بصاحب ذلك، وإنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكليماً.**

فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله تعالى وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لستُ بصاحب ذلك.

فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيُؤذنُ له، وتُرسل الأمانةُ والرحمُ فتقومانِ جنبتي الصِراطِ فيمُرّ أوّلُكم كالبرق»[2]. الحديث ـ تقدّم باقيه في الصراط.

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ بَكيرٍ حدثنا الليثُ عن عبيدِ اللَّهِ بنِ أبي جعفرٍ قال: سمعتُ حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال: سمعتُ عبد اللَّهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«ما يزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ حتى يأتيَ يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعةُ لَحم، وقال: إن الشمس تدنو يوم القيامةِ حتى يبلُغ العرق نصفَ الأُذنِ فبينما هم كذلك استغاثوا بآدمَ ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ»**.

وزادَ[4] عبدُ الله: حدثني الليثُ قال: حدثني ابنُ أبي جعفرٍ: **«فيشفَعُ لِيُقضى**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٨٨ رقم ٣٣٣/١٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٨٦ ـ ١٨٧ رقم ٣٢٩/١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٣٣٨ رقم ١٤٧٤).
ومسلم في صحيحه (٢/٧٢٠ رقم ١٠٤/١٠٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٣٣٨ رقم ١٤٧٥) وطرفه رقم (٤٧١٨).

بين الخلق، فيمشي حتى يأخُذ بحلقةِ البابِ فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمَده أهلُ الجمعِ كلهم».

ففي هذا الحديثِ الجمعُ بين ذكر الشفاعتين: الأولى في فصل القضاءِ، والثانيةُ في استفتاح بابِ الجنةِ، وسُمّيَ ذلك كلُّه المقامَ المحمودَ.

(هذا) أي ما ذُكر **(وهاتان الشفاعتان)** المذكورتان اللتانِ هما المقامُ المحمودُ **(قد خُصتا)** أي جعلهما اللَّهُ تعالى خاصّتين **(به)** أي بنبينا محمدٍ ﷺ وليستا لأحدٍ غيرِه **(بلا نُكران)** بين أهلِ السنةِ والجماعةِ، بل ولم يُنكرْهما المعتزلةُ الذين أنكروا الشفاعةَ الثالثةَ في إخراج عصاةِ الموحِّدين من النار، وهي المشارُ إليها بقولنا:

[شفاعته ﷺ في أقوام ماتوا على الإسلام ودخلوا النار لكثرة آثامهم]

(وثـالـثـاً يـشـفـع فـي أقـوامِ	**مـاتـوا عـلـى ديـن الـهـدى الإسـلامِ)**
(وأوبـقَـتْـهـم كـثـرةُ الآثـامِ	**فـأُدخـلـوا الـنـارَ بـذا الإجـرامِ)**
(أن يـخـرُجـوا مـنـهـا إلـى الـجِـنـانِ	**بـفـضـل ربِّ الـعـرشِ ذي الإحـسـانِ)**

فهذه الشفاعةُ حقٌّ يؤمنُ بها أهلُ السنةِ والجماعةِ كما آمنَ بها الصحابةُ رضوانُ اللَّهِ تعالى عليهم، ودرجَ على الإيمانِ بذلك التابعون لهم بإحسان ﷺ ورضُوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابةِ الخوارجُ، وأنكرها في عصرِ التابعين المعتزلةُ.

وقالوا بخلودِ من دخل النارَ من عصاةِ الموحِّدين الذين يشهدون أن لا إله إلا اللَّهُ وحده لا شريكَ له ويشهدون أن محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ، ويُقيمون الصلاةَ، ويؤتون الزكاةَ، ويصومون رمضانَ، ويحجّون البيتَ الحرامَ، ويسألون اللَّهَ الجنةَ، ويستعيذونَ به من النار في كل صلاةٍ ودعاءٍ، غيرَ أنهم ماتوا مُصرِّينَ على معصية عمليةٍ عالمين بتحريمها مُعتقدينَه، مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديدِ، فقضوا بتخليدهم في جهنمَ مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ، فجحدوا قولَ الله عز وجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وقولَه عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ

كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].
وقولَه تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم]، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الصافات]، وغيرُها من الآياتِ وسائرِ الأحاديثِ الواردة.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: وقال حجاجُ بنُ منهال حدثنا همامُ بنُ يحيى حدثنا قتادةُ عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«يُحبسُ المؤمنون يوم القيامة حتى يُهَمّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحَنا من مكاننا فيأتون آدمَ فيقولون: أنت أبو الناسِ خلقك اللّهُ بيده، وأسكنك جنتَه، وأسجدَ لك ملائكتَه، وعلّمك أسماءَ كلِّ شيءٍ، لِتشفَعْ لنا عند ربِّك حتى يُريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لستُ هناكم.**

قال ويذكر خطيئتَه التي أصابَ أكلَه من الشجرة وقد نُهيَ عنها، ولكن ائتوا نوحاً أولَ نبيٍّ بعثه الله تعالى إلى أهلِ الأرضِ، فيأتون نوحاً فيقول: لستُ هناكم ويذكر خطيئتَه التي أصاب سؤالَه ربَّه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ.

قال فيأتون إبراهيمَ فيقول: إني لستُ هناكم، ويذكر ثلاثَ كلماتٍ كذَبَهن، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاهُ اللّهُ التوراةَ وكلّمه وقرَّبه نجياً.

قال فيأتون موسى فيقول: إني لستُ هناكم، ويذكر خطيئته التي أصابَ قتلَه النفسَ، ولكن ائتوا عيسى عبدَ اللّهِ ورسولَه وروحَ الله تعالى وكلمتَه، قال: فيأتون عيسى فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر اللّهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون فأستأذنُ على ربي في داره فيؤذَنُ لي، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء اللّهُ تعالى أن يدَعَني فيقول: ارفع محمدُ وقل يُسمع واشفَع تُشفَع وسل تُعْطَ.

قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميدٍ يُعلِّمُنيه، ثم أشفَعُ فيَحُدّ لي حداً فأُخرجُ فأُدخِلُهم الجنةَ».

قال قتادةُ: وسمعتُه أيضاً يقول: **«فأخرجُ فأُخرِجُهم من النار وأُدخِلُهم الجنة،**

(١) في صحيحه (١٣/ ٤٢٢ رقم ٧٤٤٠).

ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً فيدعُني ما شاء اللَّهُ أن يدَعني، ثم يقول: ارفعْ محمدُ وقل يُسمع واشفَع تشفَّعْ وسلْ تُعطَ. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يعلِّمنيه، قال: ثم أشفع فيَحدّ لي حدًا فأَخرُجُ فأُدخِلُهم الجنةَ».

قال قتادةُ: وسمعتُه يقول: «فأخرُج فأُخرِجُهم من النار وأُدخِلُهم الجنةَ، ثم أعودُ الثالثةَ فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً فيدعني ما شاء اللَّهُ أن يدَعني ثم يقول: ارفع محمدُ وقل يُسمع واشفَعْ تُشفع وسَلْ تُعطَ، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يُعلِّمنيه، قال: ثم أشفَع فيَحُدّ لي حدًا فأخرج فأدخلهم الجنةَ».

قال قتادةُ: وقد سمعتُه يقول: «فأخرُج فأُخرِجُهم من النار وأُدخِلُهم الجنةَ حتى ما يبقى في النارِ إلا من حبَسه القرآن». أي وجب عليه الخلود.

قال ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: وهذا المقامُ المحمودُ الذي وعده نبيُكم ﷺ.

وقال أيضاً[(١)]: حدثنا مسدّدٌ حدثنا أبو عَوانةَ عن قتادةَ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يجمع الله الناسَ يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكاننا ـ وذكره مختصراً وقال في الثالثة أو الرابعة ـ حتى ما بقيَ في النار إلا من حبَسه القرآنُ».

وكان قتادةُ يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود.

ورواه مسلم[(٢)] من طرُق بنحوه وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الربيعِ العتكي حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ حدثنا معبدُ بنُ هلالٍ العَنَزيّ. ح.

وحدثنا سعيد بن منصور ـ واللفظ له ـ حدثنا حمادُ بن زيد حدثنا معبدُ بنُ هلالٍ العَنَزيُّ قال: انطلقنا إلى أنسِ بنِ مالكٍ وتشفَّعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابتٌ فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال: يا أبا

(١) أي مسلم في صحيحه (١١/٤١٧ ـ ٤١٨ رقم ٦٥٦٥).

(٢) في صحيحه (١/١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ٣٢٦/١٩٣).

حمزةَ إن إخوانك من أهل البصرةِ يسألونك أن تُحدِّثَهم حديثَ الشفاعة.

قال: حدثنا محمدٌ ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامةِ ماجَ الناسُ بعضُهم إلى بعض، فيأتون آدمَ فيقول له: اشفَعْ لذريتك. فيقول لستُ لها ولكن عليكم بإبراهيمَ عليه السلام فإنه خليلُ الله.**

فيأتون إبراهيمَ فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليمُ اللّهِ؛ فيُؤتى موسى فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روحُ اللّهِ وكلمتُه.

فيُؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي فيُؤذن لي، فأقومُ بين يديه فأحمَدُه بمحامدَ لا أقدِرُ عليه الآنَ يُلهِمُنيه اللّهُ، ثم أخِرُّ ساجداً فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسك وقل يُسمعْ لك، وسَلْ تُعْطَ، واشفَعْ تُشفَع. فأقول: ربِّ أمتي أمتي، فيقال: انطلِق فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان فأخرِجه منها.

فأنطلِقُ فأفعَلُ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمَدُه بتلك المحامِدَ، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسَك وقل يُسمع لك وسلْ تُعْطَ واشفَعْ تُشفَع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي: انطلِقْ فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من خرْدَلٍ من إيمان فأخرِجه منها، فأنطلِق فأفعلُ، ثم أعودُ إلى ربي عز وجل فأحمده بتلك المحامدِ ثم أخِرُّ له ساجداً فيقال لي: يا محمدُ ارفعْ رأسَك وقل يُسمع لك وسلْ تُعْطَه واشفَع تُشفَّع.

فأقول: يا ربِّ أمتي، فيقال لي: انطلِقْ فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرِجه من النار، فأنطلِق فأفعلُ».

هذا حديثُ أنسٍ الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان: قلنا لو مِلْنا إلى الحسن فسلّمنا عليه وهو مستخفٍ في دارِ أبي خليفةَ. قال: فدخلنا عليه فسلّمنا عليه وقلنا: يا أبا سعيدٍ جئنا من عند أخيك أبي حمزةَ فلم نسمع مثلَ حديثٍ حدثناهَ في الشفاعة. قال: هيه. فحدثناه الحديثَ. فقال: هيه. قلنا: ما زادنا. قال: قد حدّثنا به منذ عشرينَ سنةً وهو يومئذ جميعٌ.

ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسِيَ الشيخُ أو كره أن يُحدِّثكم فتتكلوا، قلنا له:

حدَّثنا. فضحِكَ وقال: خلق الإنسانُ من عجَلٍ، ما ذكرتُ لكم هذا إلا وأنا أُريدُ أن أُحدِّثَكموه: «**ثم أرجِعُ إلى ربي في الرابعةِ فأحمَده بتلك المحامدِ ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعطَ واشفَعْ تُشفَّع. فأقول: يا رب ائذَنْ لي فيمن قال لا إله إلا اللَّهُ. قال: ليس ذاك لك ـ أو قال ليس ذاك إليك ـ ولكن وعزتي وكبريائي وعَظَمتي وجِبريائي لأُخرِجنّ من قال لا إله إلا الله**».

قال: فأشهدُ على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بنَ مالكٍ ﷺ أراه قال: قبل عشرينَ سنةً وهو يومئذ جميعٌ.

وقال أيضاً[١]: حدثنا محمدُ بنُ منهالٍ الضريرُ حدثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ حدثنا سعيدُ بنُ أبي عروبةَ وهشامٌ صاحبُ الدَّستُواء عن قتادة عن أنس بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ. ح.

وحدثني أبو غسان المِسْمَعيُّ ومحمدُ بنُ المثنى قالا حدثنا معاذٌ وهو ابن هشامٍ قال: حدثني أبي عَن قتادةَ حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «**يخرُج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزِن شعيرةً، ثم يخرُج من النارِ من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزِنُ بُرَّةً، ثم يخرُج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزِنُ ذرَّةً**».

زاد ابنُ منهال في روايتِه: قال يزيدُ: فلقِيتُ شُعبةَ فحدثته بالحديث فقال شعبةُ: حدثنا به قتادةُ عن أنس بنِ مالكٍ عن النبي ﷺ بالحديث، إلا أن شعبةَ جعل مكانَ الذَّرَّةِ ذُرةً، قال يزيدُ: صحّف فيها أبو بسطام.

وقال[٢] رحمه الله تعالى: حدثنا حجاجُ بنُ الشاعرِ حدثنا الفضلُ بنُ دُكينٍ حدثنا أبو عاصمٍ يعني محمدَ بنَ أيوبَ قال حدثني يزيدُ الفقيرُ قال: كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج، فخرجنا في عِصابة ذوي عددٍ نريدُ أن نُحجَّ ثم نخرج على الناسِ، قال: فمرزنا على المدينةِ، فإذا جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ﷺ يحدث القومَ، جالسٌ إلى سارية عن رسولِ الله ﷺ.

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٨٢ رقم ٣٢٥/ ١٩٣).

(٢) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠ رقم ٣٢٠/ ١٩١).

قال: فإذا هو قد ذكر الجهنّميين قال فقلت له: يا صاحِبَ رسولِ اللّهِ ﷺ ما هذا الذي تحدثون واللّهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآنَ؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعتَ بمقامِ محمدٍ ﷺ يعني الذي يبعثه اللّهُ فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقامُ محمدٍ ﷺ المحمودُ الذي يُخرِجُ اللّهُ به من يُخرج.

قال: ثم نعت وضعَ الصراطِ ومرَّ الناسِ عليه، قال: وأخاف أن لا يكونَ أحفظُ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرُجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيُخرجونَ كأنهم عيدانُ السماسِم.

قال: فيُدخلونَ نهراً من أنهارِ الجنةِ فيغتسلونَ فيه فيخرجون كأنهم القراطيسُ، فرجعنا قلنا: ويحَكم أترون الشيخَ يكذِب على رسولِ اللّهِ ﷺ، فرَجعنا فلا واللّهِ ما خرج منا غيرُ رجلٍ واحدٍ، أو كما قال أبو نعيم.

وقال[١] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ حدثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ عن عَمرٍو سمِع جابراً رضي الله عنه يقول سمِعه من النبي ﷺ بإذنه يقول: «**إن اللّهَ يخرج ناساً من النار فيُدخلهم الجنةَ**».

وفي رواية له[٢] عن حمادَ بنِ زيد قال: قلت لعمرو بنِ دينارٍ: «سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ رضي الله عنهما يحدث عن رسولِ اللّهِ ﷺ أن اللّهَ يخرج قوماً من النار بالشفاعة؟ قال: نعم». ورواه البخاريُّ[٣].

وفي رواية له[٤] أن النبيَّ ﷺ قال: «**يخرج قومٌ من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير**»، قال: الضغابيس، وكأنْ قد سقط فمُه.

وقال[٥]: حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا همامُ عن قتادةَ حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ عن

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/١٧٨ رقم ٣١٧/١٩١).
(٢) لمسلم في صحيحه (١/١٧٨ رقم ٣١٨/١٩١).
(٣) في صحيحه (١١/٤١٦ رقم ٦٥٥٨).
(٤) أي للبخاري في صحيحه (١١/٤١٦ رقم ٦٥٥٨).
(٥) أي البخاري في صحيحه (١١/٤١٦ رقم ٦٥٥٩) وطرفه رقم (٧٤٥٠).

النبيَّ ﷺ قال: «**يخرج قومٌ من النار بعد ما مسّهم منها سَفْعٌ، فيدخلون الجنةَ، فيسمّيهم أهلُ الجنةِ الجهنميين**».

قال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ حدثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن عمرٍو عن سعيد بنِ أبي سعيدٍ المَقبُري عن أبي هريرةَ ﷺ أنه قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ من أسعدُ الناسِ بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أن لا يسألني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منك لِما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**».

وهذه الشفاعةُ الثالثةُ قد فسّرَ بها المقامَ المحمودَ أيضاً حديثُ أنس[2] وحديثُ جابر[2] ﷺ، فيكون المقامُ المحمودُ عاماً لجميع الشفاعاتِ كما في التي أتيها محمدٌ ﷺ.

لكنّ جمهورَ المفسّرينَ فسّروه بالشفاعتين الأُوليين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيرِه من عبادِ اللّهِ المُكْرمين، وأما هذه الشفاعةُ الثالثةُ فهي وإن كانت من المقام المحمودِ الذي وعدَه فليست خاصةً به ﷺ، بل يؤتاها كثيرٌ من عبادِ الله المخلصين، ولكن هو ﷺ المقدّم فيها، ولم يُشفَّع أحدٌ من خلق الله في مثل ما يُشفَّع فيه رسولُ اللّهِ ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملَكٌ مُقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ.

ثم بعده يشفع من أذِن اللّهُ تعالى له من الملائكةِ المقرّبينَ والأنبياءِ والمُرسلينَ والصّدّيقين والشهداءِ والصالحينَ وسائرِ أولياءِ اللّهِ تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأفراطُ كلٌّ منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو له أهلٌ، ثم يخرُج اللّهُ تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعةِ الشافعين، ولذا قلنا في ذلك:

(وبعده يشفع كلُّ مرسلِ	وكلُّ عبدٍ ذي صلاحٍ وولي)
(ويخرج الله من النيران	جميعَ من مات على الإيمان)
(في نهر الحياةِ يُطرحونا	فحماً فيَحيَونَ وينبُتونا)
(كأنما ينبُتُ في هيئاتِه	حبُّ حميلِ السيلِ في حافاته)

---

(١) أي البخاري في صحيحه (١١/٤١٨ رقم ٦٥٧٠).

(٢) تقدم تخريجهما قريباً.

تقدم في حديث أبي هريرةَ[1] المتفقِ عليه في طريق الرؤيةِ قولُ النبيِّ ﷺ:

«حتى إذا فرَغ الله تعالى من فصل القضاء بين العبادِ وأرادَ أن يُخرج برحمته من أراد من أهلِ النارِ أمر الملائكةَ أن يخرُجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أرادَ الله تعالى أن يرحَمه ممن يشهد أن لا إله إلا اللّهُ فيعرِفونهم في النارِ بأثر السجودِ، تأكلُ النارُ من ابن آدمَ إلا أثرَ السجود، حرّمَ اللّهُ على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجود.

فيخرجون من النارِ قد امتحشوا، فيُصبُّ عليهم ماءُ الحياةِ فينبُتون تحته كما تنبُت الحِبةُ في حَميل السيل، ثم يفرُغ الله تعالى من القضاء بين العبادِ ويبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار هو آخِرُ أهلِ النارِ دخولاً الجنةَ»، الحديث تقدم بطوله.

- وتقدم حديث أبي سعيدٍ[2] المتفق عليه أيضاً بطوله - وفيه في نعت المرورِ على الصراطِ: **«حتى يمرَّ آخرُهم يُسحبُ سحباً، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدةً في الحق - قد تبين لكم - من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجَوا في إخوانِهم يقولون: ربنا إخوانُنا كانوا يُصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمان فأخرِجوه، ويحرّم اللّهُ تعالى صورَهم على النار، فيأتونهم وبعضُهم قد غار في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرجون من عرَفوا.**

ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفَ دينارٍ فأخرجوه، فيُخرجون من عرَفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا - قال أبو سعيد: فإن لم تصدّقوني فاقرأوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠]. -

فيشفع النبيون والملائكةُ والمؤمنون، فيقول الجبارُ: بقِيتْ شفاعتي، فيقبض قبضةً من النار فيُخرج أقواماً قد امتحشوا فيُلقون في نهر بأفواه الجنةِ يقال له: ماءُ الحياة، فينبُتون في حافتيه كما تنبُت الحِبّةُ في حَميل السيلِ قد رأيتموها إلى جانب

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٨٠٦).
ومسلم (١/ ١٦٣ - ١٦٦ رقم ١٦٦/ ١٨٢) وقد تقدم.

(٢) تقدم تخريجه.

الصخرةِ إلى جانب الشجرةِ، فما كان منها إلى الشمس كان أخضرَ وما كان إلى الظل كان أبيضَ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيُجعل في رقابهم الخواتيمُ فيدخلون الجنةَ، فيقولُ أهلُ الجنةِ: هؤلاء عُتقاءُ الرحمن أدخلهم الجنةَ بغير عمل عمِلوه ولا خيرٍ قدّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتُم ومثلَه معه».

وفي لفظ مسلم[1]: **«حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامةِ لإخوانِهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلّون معنا ويحجّون، فيُقال لهم: أخرِجوا من عرَفتم، فتُحرَّم صورَهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصفِ ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقيَ فيها أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً.**

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتَنا بهم. يقول: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفَ دينارٍ من خيرٍ فأخرِجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذَر فيها ممن أمرتَنا أحداً.

ثم يقول: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرِجوه، فيُخرجون كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذرْ فيها خيراً».

وكان أبو سعيدٍ الخدريّ ﵁ يقول: إن لم تصدِّقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكةُ وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين، فيقبض قبضةً من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حُمماً، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجنةِ يقال له: نهرُ الحياةِ فيخرجون كما تخرُج الحِبةُ في حَميل السيلِ، ألا ترَونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجرِ، ما يكون منها إلى الشمس أُصيفرَ وأُخيضِرَ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيضَ».

---

(١) في صحيحه (١/١٦٧ - ١٧١ رقم ٣٠٢/ ١٨٣).

فقالوا: يا رسولَ الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتمُ، يعرِفهم أهلُ الجنةِ هؤلاءِ عُتقاءُ اللَّهِ الذين أدخلَهم اللَّهُ الجنةَ بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدّموه.**

ثم يقول: ادخُلوا الجنةَ فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتَنا ما لم تُعْطِ أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضلُ من هذا. فيقولون: ربنا أيُّ شيءٍ أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضايَ فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً».

وفيهما[1] من حديثه أيضاً أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُدخل اللَّهُ أهلَ الجنةِ الجنةَ يدخل من يشاء في رحمته، ويدخل أهلَ النارِ النارَ. ثم يقول: انظُروا من وجدتم في قلبه مثقالَ حبةٍ من خردل من إيمان فأخرِجوه، فيُخرجون منها حُمماً قد امتحشوا فيُلقَوْن في نهر الحياة أو الحيا فيُنبتون فيه كما تنبُت الحِبّةُ إلى جانب السيل، ألم ترَوها كيف تخرج صفراءَ مُلتويةً**».

وفي رواية لمسلم[2]: «**كما تنبُت الغُثاءةُ في جانب السيل**».

وله[3] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيَونَ، ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبِهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائرَ ضبائرَ فبُثوا على أنهارِ الجنةِ ثم قيل: يا أهلَ الجنةِ أفيضوا عليهم، فينبُتون نباتَ الحِبةِ تكون في حميل السيل.**

فقال رجلٌ من القوم: كأن رسولَ اللَّهَ ﷺ قد كان بالبادية».

وللترمذي[4] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول:

---

(١) البخاري في صحيحه (١/ ٧٢ رقم ٢٢).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٧٢ رقم ٣٠٤/ ١٨٤).
(٢) في صحيحه (١/ ١٧٢ رقم ٣٠٥/ ١٨٤).
(٣) أي لمسلم في صحيحه (١/ ١٧٢ رقم ٣٠٦/ ١٨٥).
(٤) في «السنن» (٤/ ٦٢٦ رقم ٢٤٣٧) وقال: **حديث حسنٌ غريب**.
وتعقبه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٢١٢): «قلت: وإسناده شامي صحيح» اهـ.
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ رقم ٤٢٨٦) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٠) بسند صحيح.
وللحديث شواهد من حديث حذيفةَ بن اليمان، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة وثوبان. =

«وعدني ربي أن يُدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً وثلاثُ حثياتٍ من حثيات ربي»، هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

وله[1] عن عبدِ الله بنِ شقيقٍ قال: كنتُ مع رهْط بإيلياءَ فقال رجلٌ منهم: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«يدخل الجنةَ بشفاعة رجلٍ من أمتي أكثرُ من بني تميم»**، قيل: يا رسولَ اللّهِ سواك؟ قال؛ **«سواي»**. فلما قام قلتُ: من هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي الجذعاء. هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وابنُ أبي الجذعاءِ هو عبدُ الله، وإنما يُعرف له هذا الحديثُ الواحدُ. ورواه ابنُ ماجه[2].

وللترمذي[3] أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن من أمتي من يشفع للفِئام من الناس، منهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخُلوا الجنة»**، هذا حديثٌ حسنٌ.

وروى أبو داودَ[4] عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **«يخرُج قومٌ**

= * أما حديث حذيفة فقد أخرجه أحمد (٥/٣٩٣) وفيه ابن لهيعة.

* وأما حديث أبي أيوب الأنصاري، فقد أخرجه أحمد (٥/٤١٣) وفيه ابن لهيعة أيضاً.

* وأما حديث أبي هريرة، فقد أخرجه أحمد (٢/٣٥٩) **بسند لا بأس به في الشواهد.**

* وأما حديث ثوبان، فقد أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) **بسند جيد.**

وانظر «الصحيحة» رقم (٢١٧٩).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٤/٦٢٦ رقم ٢٤٣٨) وقال: **هذا حديث حسن صحيح غريب.**
قلت: وأخرجه أحمد (٣/٤٦٩ و ٤٧٠) (٥/٣٦٦). والدارمي (٢/٣٢٨) وابن حبان (رقم ٢٥٩٨ ـ موارد) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/٢٦) والحاكم (١/ ٧٠ و٧١) من طرق **بسند صحيح وصحح الحاكم ووافقه الذهبي.**
والخلاصة أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في «السنن» (٢/١٤٤٣ ـ ١٤٤٤ رقم ٤٣١٦).

(٣) في «السنن» (٤/٦٢٧ رقم ٢٤٤٠) وقال: **حديث حسن.**
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٢٠ و ٦٣).
وهو حديث ضعيف.

(٤) في «السنن» (٥/١٠٦ ـ ١٠٧ رقم ٤٧٤٠).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤١٨ رقم ٦٥٦٦).
والترمذي (٤/ ٧ رقم ٢٦٠٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
وهو حديث صحيح.

من النار بشفاعة محمدٍ فيدخلون الجنةَ ويُسمّون الجهنَّميين». ورواه ابنُ ماجه[1].

وله[2] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«خُيرتُ بين الشفاعةِ وبين أن يدخُل نصفُ أمتي الجنةَ فاخترتُ الشفاعةَ لأنها أعمُّ وأكفى، تَرَونها للمتقين، لا ولكنها للمذنبين الخطّائين المُتلوِّثين»**.

وله[3] عن عَوف بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أتدرون ما خيّرني ربي الليلةَ؟»**، قلنا: اللّهُ ورسولُه ﷺ أعلمُ، قال: **«فإنه خيّرني بين أن يدخُل نصفُ أمتي الجنةَ وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعةَ»**.

قلنا: يا رسولَ اللّهِ، ادعُ اللّهَ أن يجعلَنا من أهلها. قال: **«هي لكل مسلم»**.

ورواه الترمذي[4] بلفظ: **«فاخترتُ الشفاعةَ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»**.

والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ جداً مشهورةٌ مستفيضةٌ بل متواترةٌ، وقد ذكرنا منها ما فيه كفايةٌ، وتقدم في أحاديث الرؤيةِ جملةٌ منها عن جماعة من الصحابة، وبقيَ من النصوصِ في هذا البابِ كثيرٌ، وبالله التوفيق.

---

(١) في «السنن» (٢/١٤٤٣ رقم ٤٣١٥).

(٢) أي لابن ماجه في «السنن» (٢/١٤٤١ رقم ٤٣١١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣٢٠ ـ ٣٢١ رقم ١٥٤٢/٤٣١١).
هذا إسناد صحيح رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي موسى أيضاً.
ورواه الترمذي في «الجامع» من حديث أبي موسى أيضاً مختصراً: **أتاني آت من ربي فخيرني بين أن تدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»**.
ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في «المستدرك» من حديث أبي موسى أيضاً قال الحاكم: **صحيح على شرط الشيخين**.
وخلاصة القول: أن الحديث صحيحٌ دون قوله: «لأنها أعمُّ وأكفى...». «الضعيفة» (٣٥٨٥).

(٣) أي لابن ماجه في «السنن» (٢/١٤٤٤ رقم ٤٣١٧).
قلت: وأخرجه أحمد (٦/٢٨، ٢٩) والآجري في «الشريعة» رقم (٨٤٦/٤٥١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨١٨).
وللحديث شاهد من حديث أبي موسى الأشعري وقد تقدم تخريجه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) في «السنن» (٤/٦٢٧ ـ ٦٢٨ رقم ٢٤٤١).

[الركن السادس]: بابُ الإيمانِ بالقضاء والقدرِ

(والسـادسُ الإيـمـانُ بـالأقـدار فـأيـقـنـن بـهـا ولا تُـمـارِ)
(فـكـلُ شـيءٍ بـقـضـاءٍ وقـدَرْ والـكـلُّ في أم الـكـتـابِ مسـتـطَرْ)

والسادسُ من أركان الإيمان المشروحةِ في حديث جبريلَ وغيرِه هو الإيمانُ بالقدر خيرِه وشرِّه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. الآيات. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة]. إلى آخر السورة.

وقال مسلم[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الأعلى بنُ حمادٍ قال: قرأتُ على مالك بنِ أنسٍ (ح).

وحدثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ عن مالك فيما قُرِئَ عليه عن زيادِ بنِ سعدٍ عن عمْرِو بنِ مسلم عن طاوسٍ أنه قال: أدركتُ ناساً من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقولون: «كلُ شيءٍ بقدر». قال: وسمعتُ عبدَ الله بنَ عمرَ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُ شيءٍ بقدر، حتى العجزُ والكَيْسُ»، أو «الكيس والعجز».

حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وأبو كُريبٍ قالا: حدثنا وكيعٌ عن سفيانَ عن

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٥).

زيادِ بنِ إسماعيلِ عن محمد بنِ عيَّاد بنِ جعفرٍ المخزوميِّ عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريشٍ يخاصمون رسولَ الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر]. ورواه الترمذيُّ[1] وابنُ ماجه[2].

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. حدثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ أخبرنا مالكٌ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرج عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تسألُ المرأةُ طلاقَ أختِها لتستفرغَ صحفتَها، ولِتُنكحَ، فإن لها ما قُدِّر لها»**.

حدثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ، حدثنا إسرائيلُ عن عاصم عن أبي عثمانَ عن أسامةَ قال: كنت عند النبيِّ ﷺ إذ جاءَه رسولُ إحدى بناتِه وعنده سعدٌ وأُبيُّ بنُ كعبٍ ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها: **«لله ما أخذ ولله ما أعطى، كلٌّ بأجلٍ، فلتصبرْ ولتحتسِبْ»**[4].

حدثنا حِبانُ بنُ موسى أخبرنا عبدُ الله أخبرنا يونسُ عن الزهري قال: أخبرني عبدُ الله بنُ مُحَيريزٍ الجُمحيُّ أن أبا سعيد الخدريَّ أخبره أنه بينما هو جالسٌ عند النبيِّ ﷺ جاء رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسولَ اللّهِ إنا نُصيب سَبْياً ونُحب المالَ، كيف ترى في العزل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أوَ أنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا، فإنه ليست نسَمةٌ كتب اللهُ أن تخرُجَ إلا هي كائنةٌ»**[5].

وقال[6] رحمه الله تعالى: حدثنا بشرُ بنُ محمدٍ أخبرنا عبدُ الله أخبرنا مَعمرٌ عن همّام بنِ منبِّهٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ**

---

(١) في «السنن» (٥/ ٣٩٨ - ٣٩٩ رقم ٣٢٩٠) وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.

(٢) في «السنن» (١/ ٣٢ رقم ٨٣).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٦ رقم ٢٦٥٦).

(٣) في صحيحه (١١/ ٤٩٤ رقم ٦٦٠١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩٤ رقم ٦٦٠٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩٤ رقم ٦٦٠٣).

(٦) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٥٧٦ رقم ٦٦٩٤).
قلت: وأخرجه مسلم (٣/ ١٦٦٢ رقم ١٦٤٠).

بشيء لم يكن قد قدَّرتُه ولكن يُلقيه القدرُ وقد قدرتُه له أستخرِجُ به من البخيل».

وقال[1] أيضاً: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ حدثنا أبو الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ بشيء لم يكن قد قُدِّر له، ولكن يُلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّرَ له فيستخرج اللَّهُ تعالى به من البخيل، فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبلُ».

وقال مسلم[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكرِ ابنُ أبي شيبةَ وابنُ نمير قالا: حدثنا عبدُ الله بنُ إدريسَ عن ربيعةَ بنِ عثمانَ عن محمد بنِ يحيى بنِ حبانَ عن الأعرج عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خيرٌ، احرِصْ على ما ينفعُك واستعنْ بالله ولا تعجَزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللَّهُ وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عملَ الشيطان».

وفي حديث ابن عباسٍ ﷺ في التِرمذيَ[3] وغيره[4] قولُ النبيِّ ﷺ له: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبك». الحديث.

والأحاديث في القدر كثيرةٌ جداً قد تقدم منها أشياءُ متفرقةٌ، وسنذكر منها ما يُيَسِّره اللَّهُ عز وجل في هذا الباب.

[الإيمان بالقدر على أربع مراتب]

(فصل) واعلم رحِمكَ اللَّهُ تعالى، ووفقنا وإياكَ لما يحبه ويرضاه، وهدانا وإياك صراطَه المستقيمَ أن الإيمانَ بالقدر على أربع مراتبَ:

المرتبة الأولى: الإيمانُ بعلم اللَّهِ عز وجل المحيطِ بكل شيءٍ من الموجوداتِ

---

(١) البخاري في صحيحه (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٩).

(٢) في صحيحه (٤/٢٠٥٢ رقم ٣٤/٢٦٦٤).

قلت: وأخرجه أحمد (٢/٣٦٦، ٣٧٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٣، ٦٢٤) والطحاوي (٢٦٠، ٢٦١) من طريق محمد بن عجلان عن ربيعة عن عثمان عن الأعرج عن أبي هريرةَ وهو حديث صحيح.

(٣)(٤) تقدم تخريجه.

والمعدوماتِ والممكناتِ والمستحيلاتِ. فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلقُ عاملون قبل أن يخلُقهم، وعلم أرزاقَهم وآجالَهم وأحوالَهم وأعمالَهم في جميع حركاتِهم وسكناتِهم وشقاوتِهم وسعادتِهم، ومن هو منهم من أهلِ الجنةِ ومن هو منهم من أهلِ النارِ من قبل أن يخلُقَهم ومن قبل أن يخلُق الجنةَ والنارَ، علم دِقَّ ذلك وجليلَه وكثيرَه وقليلَه وظاهرَه وباطنَه وسرَّه وعلانيتَه ومَبدأَهُ ومُنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفتُه ومقتضى اسمِه العليم الخبيرِ عالم الغيبِ والشهادةِ علامِ الغيوب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠]. [وقال تعالى]: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ: اللَّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين، حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا غُندَرٌ حدثنا شعبةُ عن أبي بشرٍ عن سعيد بن جبيرٍ عن ابن

---

(١) في صحيحه (١١/٤٩٣ رقم ٦٥٩٧) و (٣/٢٤٥ رقم ١٣٨٣).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٩ رقم ٢٦٦٠) وأبو داود (٥/٨٤ رقم ٤٧١١) والنسائي (٤/٥٩ رقم ١٩٥٢).

عباس ﷺ قال: «سُئل النبيُّ ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله أعلمُ بما كانوا عاملين**».

حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدثنا الليثُ عن يونسَ عن ابن شهابٍ قال: وأخبرني عطاءُ بنُ يزيدَ أنه سمعَ أبا هريرةَ يقول: «سُئل رسولُ اللّهِ ﷺ عن ذراري المشركين فقال: «**الله أعلمُ بما كانوا عاملين**»[1].

حدثني إسحاقُ أخبرنا عبدُ الرزاقِ أخبرنا مَعْمرٌ عن همّام عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه كما تُنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاءَ حتى تكونوا أنتم تجدّعونها**»[2]، قالوا: يا رسولَ الله أفرأيتَ من يموت وهو صغيرٌ؟ قال: «**اللّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين**»[3].

وقال[4] أيضاً رحمه الله تعالى: حدثنا آدمُ حدثنا شعبةُ حدثنا يزيدُ الرشك قال: سمعتُ مُطَرِّفَ بنَ عبدِ الله بنِ الشخّير يحدث عِمرانَ بنِ حُصينٍ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللّهِ، أيُعرف أهلُ الجنةِ من أهل النار؟ قال: «**نعم**». قال: فلمَ يعمل العاملون؟ قال: «**كلٌّ يعمل لما خُلق له**». أو: «**لما يُسِّر له**».

وقال رحمه الله أيضاً[5]: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، حدثنا أبو غسانَ، حدثني أبو حازمٍ عن سهلٍ أن رجلاً من أعظم المسلمين غَناءً عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر إليه النبيُّ ﷺ فقال: «**من أحب أن ينظرَ إلى رجل من أهل النارِ فلينظُر إلى هذا**». فاتبعه رجلٌ من القوم وهو على تلك الحالِ من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٩٣ رقم ٦٥٩٨) ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٩ رقم ٢٦٥٩) والنسائي في «السنن» (٤/٥٨ رقم ١٩٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٩٣ رقم ٦٥٩٩) ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٧ ـ ٢٠٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٩٣ رقم ٦٦٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٩١ رقم ٦٥٩٦) ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٤١ رقم ٢٦٤٩).

(٥) البخاري في صحيحه (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٧).
قلت: ومسلم في صحيحه (١/١٠٦ رقم ١١٢).

أشدَّ الناسِ على المشركين حتى جُرح، فاستعجل الموتَ فجعل ذبابةَ سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتِفيه، فأقبلَ الرجل إلى النبي ﷺ مسرعاً فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله، فقال: **«وما ذاك؟»**، قال: قلتَ لفلانٍ من أحب أن ينظُر إلى رجل من أهلِ النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غَناءً عن المسلمين، فعرفتُ أنه لا يموت على ذلك، فلما جُرح استعجل الموتَ فقتل نفسَه.

فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: **«إن العبدَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ وإنه من أهل الجنة، ويعملُ بعمل أهلِ الجنةِ وإنه من أهل النار، وإنما الأعمالُ بالخواتيم»**.

وقال مسلم[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الله بنُ مسلمةَ بنِ قنعب، حدثنا مُعتمرُ بنُ سليمانَ عن أبيه عن رقَبَة بنِ مسقلةَ عن أبي إسحاقَ عن سعيد بنِ جبيرٍ عن ابن عباس عن أبيِّ بنِ كعبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الغلامَ الذي قتلَه الخِضرُ طُبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»**.

حدثني زهيرُ بنُ حربٍ، حدثنا جريرٌ عن العلاء بنِ المسيّبِ عن فُضيل بنِ عمْرٍو عن عائشةَ بنتِ طلحةَ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت: «تُوفّيَ صبيٌّ فقلتُ: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أوَلا تدرينَ أن اللَّهَ تعالى خلقَ الجنةَ وخلقَ النارَ، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً»**[2].

حدثنا أبو بكر ابنُ أبي شيبةَ، حدثنا وكيعٌ عن طلحةَ بنِ يحيى عن عمتِه عائشةَ بنتِ طلحةَ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت: «دُعيَ رسولُ الله ﷺ إلى جنازةِ صبيٍّ من الأنصار، فقلت: يا رسولَ اللَّهِ طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجنةِ لم يعمل السوءَ ولم يدرِكه، قال: **«أو غيرَ ذلكَ يا عائشةَ، إن الله خلقَ للجنة أهلاً**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ رقم ٢٦٦١) ورقم (١٧٢/ ٢٣٨٠).

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٠٥) و (٤٧٠٦) والترمذي رقم (٣١٥٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأحمد وابنه عبد الله في «زوائد المسند» (٥/ ١٢١) والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ١٧٤) من طرق من حديث أبي بن كعب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ رقم ٣٠/ ٢٦٦٢).

خلقهم لها وهم في أصلاب آبائِهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائِهم»[1].

وقال[2] رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، حدثنا عبدُ العزيز ـ يعني ابنَ محمد ـ عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهلِ الجنةِ ثم يُختم له عملُه بعمل أهلِ النارِ، وإن الرجلَ ليعملُ الزمن الطويلَ بعمل أهلِ النارِ ثم يُختم له عملُه بعملِ أهلِ الجنةِ»**.

قلت: وهذا الحديثُ وما في معناه تفسيرُه عند أهل العلمِ والسنةِ على حديث سهلِ بنِ سعدٍ عند مسلم[3] رحمه الله تعالى قال: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، حدثنا يعقوبُ ـ يعني ابنَ عبد الرحمنِ القاري ـ عن أبي حازم عن سهل بن سعدٍ الساعديِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنَّ الرجلَ ليعمل عملَ أهلِ الجنةِ فيما يبدو للناس وهو من أهل النارِ، وإن الرجلَ ليعمل عملَ أهل النارِ فيما يبدو للناس وهو من أهلِ الجنةِ»**.

الحديث يفسر الأول أن عملَ المختومِ له بالشقاوة إذا ظهرَ صلاحُه إنما هو فيما يبدو للناس.

وقال[4] رحمه الله تعالى: حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ، حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ، حدثنا عَزْرةُ بنُ ثابتٍ عن يحيى بنِ عقيلٍ عن يحيى بنِ يَعمَرَ عن أبي الأسودِ الدُؤَليِّ قال: قال لي عِمرانُ بنُ الحُصين: أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليوم ويكدحونَ فيه، أشيءٌ قُضي عليهم ومضَى عليهم من قَدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُهم وثبتت الحجةُ عليهم.

فقلت: بل شيءٌ قُضيَ عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزِعتُ من ذلك فزعاً شديداً وقلت: كلُ شيءٍ خلقُ اللَّهِ ومُلكُ يدِه فلا يُسئل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ رقم ٣١/ ٢٦٦٢) وأبو داود (٥/ ٨٦ رقم ٤٧١٣) والنسائي (٤/ ٥٧ رقم ١٩٤٧) وابن ماجه (١/ ٣٢ رقم ٨٢) وأحمد في «المسند» (٦/ ٤١، ٢٠٨).

(٢) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٢ رقم ١١/ ٢٦٥١).

(٣) في صحيحه (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧ رقم ١١٢).

(٤) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤١ رقم ١٠/ ٢٦٥٠).

عما يفعلُ وهم يُسألون، فقال لي: يرحمك اللَّهُ تعالى إني لم أُرِدْ بما سألتُك إلا حَزْرَ عقلك، إن رجلين من مزينةَ أتيا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالا: يا رسولَ الله أرأيتَ ما يعمل الناسُ اليوم ويكدحون فيه، أفي شيءٍ قُضيَ عليهم ومضى فيهم من قدَر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم ﷺ وثبتت الحجةُ عليهم؟.

فقال: لا بل شيءٌ قُضيَ عليهم ومضى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتابِ الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس].

وفيه[1] عن علي رضي الله عنه قال: «**كان رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ جالساً وفي يده عودٌ ينكتُ به، فرفع رأسه فقال: ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزِلُها من الجنة والنار**».

قالوا: يا رسولَ اللَّهِ فلمَ نعملُ، أفلا نتكلُ؟ قال: «**اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له**». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]. والآياتُ والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ شهيرةٌ يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملةٌ في إثباتِ علمِ اللَّهِ عز وجل من توحيد المعرفةِ والإثباتِ.

[فصل]:

(المرتبةُ الثانيةُ من مراتب الإيمان بالقدر): **الإيمانُ بكتاب اللَّهِ تعالى الذي لم يفرِّطْ فيه من شيء**.

قال الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر].

وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

---

(١) أي عند مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٠ رقم ٧/ ٢٦٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات التي يُقرن فيها بين إثبات العلمِ والكتاب، أو يُذكر كلٌ على حدته، وكتابُه تعالى من علمه.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عُبدانُ بنُ أبي حمزةَ عن الأعمش عن سعد بنِ عبيدةَ عن أبي عبد الرحمنِ السّلمي عن علي رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً مع النبيِّ ﷺ ومعه عودٌ ينكتُ في الأرض وقال: **«ما منكم من أحد إلا قد كُتب مقعدُه من النار أو من الجنة»**. فقال رجلٌ من القوم: ألا نتكلُ يا رسولَ الله؟ قال: **«لا، اعمَلوا فكلٌ مُيسّرٌ»**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥]. الآية.

ورواه مسلمٌ[2] بأبسطَ منه فقال رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ وزهيرُ بنُ حربٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ - واللفظُ لزهير - قال إسحاقُ: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا جريرٌ عن منصور عن سعد بنِ عبيدةَ عن أبي عبدِ الرحمنِ السُلَميِّ عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغَرقدِ، فأتانا رسولُ اللّهِ ﷺ فقعد وقعدْنا حوله ومعه مِخْصَرَةٌ، فنكس ثم جعل ينكُت بمخصرته ثم قال: **«ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسةٍ إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقيةً أو سعيدةً»**.

قال: فقال رجل: يا رسولَ الله أفلا نمكث على كتابنا وندعُ العملَ؟ فقال:

---

(١) في صحيحه (٣/ ٢٣٥ رقم ١٣٦٢) وأطرافه رقم (٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٧، ٤٩٤٨، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢).

(٢) في صحيحه (٤/ ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠ رقم ٦/ ٢٦٤٧).

«من كان من أهلِ السعادةِ فسيصير إلى عملِ أهلِ السعادةِ، ومن كان من أهل الشقاوةِ فسيصير إلى عملِ أهلِ الشقاوةِ»، فقال: **«اعمَلوا فكلٌ ميسّرٌ، أما أهلُ السعادةِ فيُيسَّرون لعمل أهلِ السعادةِ، وأما أهلُ الشقاوةِ فيُيسَّرون لعمل أهلِ الشقاوة»**. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ يونسَ، حدثنا زهيرٌ، حدثنا أبو الزبيرِ (ح).

وحدثنا يحيى بنُ يحيى، أخبرنا أبو خيثمةَ عن أبي الزبير عن جابر قال: «جاء سراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعشُم قال: يا رسولَ الله، بيِّنْ لنا دينَنا كأنا خُلِقْنا الآن، فيما نعمل اليومَ؟ أفيما جفَّت به الأقلامُ وجرت به المقاديرُ، أم فيما نَستقبلُ؟ قال: **«لا بل فيما جفَّت به الأقلامُ وجرت به المقاديرُ»**. قال: ففيمَ العملُ؟ قال زهيرٌ: ثم تكلم أبو الزبيرِ بشيء لم أفهَمه، فسألتُ: ما قال؟ فقال: **«اعمَلوا فكلٌ ميسَّرٌ»**.

وفي رواية[2] قال رسولُ الله ﷺ: **«كلُ عاملٍ ميسَّرٌ لعمله»**.

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: باب: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

وقال منصورُ بنُ النعمانِ عن عِكرِمَةَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: وحِرْمٌ بالحبشية وَجَب.

حدثني محمودُ بنُ غيلانَ، حدثنا عبدُ الرزاق، أخبرنا مَعمرٌ عن ابن طاوسٍ عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيتُ شيئاً أشبهَ باللَّمَم مما قال أبو هريرةَ عن النبي ﷺ: إن اللَّهَ تعالى كَتَبَ على ابنِ آدمَ حظَّه من الزنا أدرك ذلك لا محالةَ، فزِنا العينِ النظرُ، وزِنا اللسانِ المنطِقُ، والنفسُ تَمنَّى وتشتهي، والفرجُ يصدّق ذلك

---

(١) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١ رقم ٨/ ٢٦٤٨).
(٢) (٤/ ٢٠٤١ رقم .../ ٢٦٤٨).
(٣) في صحيحه تعليقاً (١١/ ٥٠٢). وقال الحافظ: لم أقف على هذا التعليق موصولاً... وانظر بقية كلام ابن حجر.

أبو يكذبه». رواه[1] مسلمٌ بهذا اللفظِ وبلفظ[2] قال ﷺ: **«كُتب على ابن آدمَ نصيبَه من الزنا مُدركٌ ذلك لا محالة، فالعينانِ زناهما النظرُ، والأذنانِ زناهما الاستماعُ، واللسانُ زِناه الكلامُ، واليدُ زناها البطشُ، والرجلُ زناها الخُطا، والقلبُ يهوَى ويتمنّى ويصدّق ذلك الفرجُ ويكذبه»**.

وقال الإمامُ أحمد[3] رحمه الله تعالى: حدثنا يونسُ، حدثنا الليثُ عن قيس بنِ الحجاجِ عن حنَشٍ الصنعانيِّ عن عبد الله بنِ عباس رضي الله عنهما أنه ركبَ خلفَ رسولِ الله ﷺ يوماً فقال له رسولُ الله ﷺ: **«يا غلامُ إني مُعلِّمُك كلماتٍ ينفعُك اللَّهُ بهن: احفظ اللَّهَ يحفظْك، احفَظ اللَّهَ تجدْه تُجاهك، وإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبهُ اللَّهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضُرّوك لم يضُرّوك إلا بشيء قد كتبَه اللَّهُ عليك، رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحُفُ»**. ورواه الترمذي[4] بنحوه وقال: حسنٌ صحيحٌ.

وقال الإمامُ أحمدُ[5] أيضاً: حدثنا هاشمُ بنُ القاسمِ، حدثنا ليثٌ، حدثني أبو قَبيلٍ المعافِريُّ عن شُفَيٍّ الأصبحيِّ عن عبد اللَّهِ بنِ عَمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما عن رسولِ الله ﷺ قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: **«أتدرون ما هذان الكتابان؟»**. قال قلنا: إلا أن تُخبِرَنا يا رسولَ الله، قال للذي في يده اليمنى: **«هذا كتابٌ من ربِّ العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهلِ الجنةِ وأسماءِ آبائِهم وقبائِلهم، ثم أُجمل على آخرهم فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبداً»**.

ثم قال للذيّ في يساره: **«هذا كتابُ أهلِ النارِ بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم وقبائِلهم، ثم أُجملَ على آخرِهم لا يزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبداً»**.

فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: فلأي شيءٍ إذاً نعملُ إن كان هذا أمرٌ قد فُرغ منه؟

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٤٦ رقم ٢٠/٢٦٥٧).
(٢) في صحيحه (٤/٢٠٤٦ ـ ٢٠٤٧ رقم ٢١/٢٦٥٧).
(٣) في «المسند» (١/٢٩٣). وقد تقدم تخريجه.
(٤) في «السنن» (٤/٦٦٧ رقم ٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح.
(٥) في «المسند» (٢/١٦٧) بإسناد صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحبَ الجنةِ يُختم بعملِ الجنةِ وإن عمِلَ أيَّ عمل، وإن صاحبَ النارِ ليُختم بعمل أهلِ النارِ وإنْ عمل أيَّ عملٍ**»، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: «**فرَغ ربُكم عز وجل من العباد**»، ثم قال باليُمنى فنَبَذ بها فقال: «**فريقٌ في الجنة**»، ونبذ باليسرى فقال: «**فريقٌ في السعير**». ورواه الترمذيُّ[1] بنحوه وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ. وغيرُ ذلك من الأحاديث[2] كثيرٌ.

(فصل) والإيمانُ بكتابة المقاديرِ يدخُل فيه خمسةُ تقاديرَ:

الأول: التقديرُ الأزليُّ قبل خلق السمواتِ والأرضِ عندما خلق اللّهُ تعالى القلمَ، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٥١] الآية. وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ، حدثنا أبي، حدثنا الأعمشُ، حدثنا جامعُ بنُ شدادٍ عن صفوانَ بنِ مُحرِزٍ أنه حدثه عن عِمرَانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وعقَلتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم فقال: «**اقبَلوا البُشرى يا بني تميم**»، قالوا: قد بشّرتَنا فأعطِنا (مرتين). ثم دخلَ عليه ناسٌ من أهلِ اليمنِ فقال: «**اقبَلوا البُشرى يا أهلَ اليمن إذ لم يقبَلْها بنو تميم**»، قالوا: قبِلْنا يا رسولَ الله، قالوا: جئناكَ نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «**كان اللّهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذكر كلَّ شيءٍ وخلقَ السمواتِ والأرضَ**». فنادى منادٍ: ذهبتْ ناقتُك يا ابنَ الحُصين، فانطلقتُ فإذا هي يُقطع دونها السرابُ، فوالله لوددْتُ أني كنتُ تركتُها.

وقال مسلمٌ[4] رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهرِ أحمدُ بنُ عمْرِو بنِ

---

(١) في «السنن» (٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠ رقم ٢١٤١).

(٢) تقدم ذلك.

(٣) في صحيحه (٦/٢٨٦ رقم ٣١٩١).

(٤) في صحيحه (٤/٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣).

عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ سَرحٍ، حدثنا ابنُ وهبٍ، أخبرني أبو هانئٍ الخولانيُّ عن أبي عبدِ الرحمنِ الحبلي عن عبد اللَّهِ بنِ عمرِو بن العاص ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كتب اللَّهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلُق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنةٍ**»، قال: «**وعرشُه على الماء**».

ولهما[1] عن أبي هريرةَ حديثُ احتجاجِ آدمَ وموسى، وهذا اللفظ لمسلم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**احتج آدمُ وموسى عليهما السلام عند ربِّهما، فحج آدمُ موسى. قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك اللَّهُ بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكتَه، وأسكنك في جنته، ثم أهبطتَ الناسَ بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدمُ: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواحَ فيها تبيانُ كلِّ شيءٍ وقرّبك نجيّاً. فبكم وجدتَ اللَّهَ تعالى كتب التوراةَ قبل أن أُخلقَ؟ قال موسى: بأربعين عاماً. قال آدمُ: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؟ قال: نعم. قال: أفتلومُني على أن عملتُ عملاً كتب اللَّهُ عليَّ أن أعمَلَه قبل أن يخلُقني بأربعينَ سنة. قال رسولُ الله ﷺ: فحج آدمُ موسى**».

وله[2] عندهما وغيرِهما[3] ألفاظٌ من طرق كثيرة.

وقال أبو داودَ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا جعفرُ بنُ مسافرِ الهُذَليُّ حدثنا يحيى بنُ حسانَ، حدثنا الوليدُ بنُ رباحٍ عن إبراهيمِ بنِ أبي عَبْلَةَ عن أبي حفصةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤١ رقم ٣٤٠٩) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٢).

(٢) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٥٠٥ رقم ٦٦١٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٣ رقم ١٣/ ٢٦٥٢).

(٣) كأبي داود (٥/ ٧٨ رقم ٤٧٠٢) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٩) وابن خزيمة (ص١٤٣) والفريابي في «القدر» رقم (١١٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٩٣)، من طرق بسند حسن. **والخلاصة إنَّ الحديث حسنٌ.**

(٤) في «السنن» (٥/ ٧٦ رقم ٤٧٠٠).
قلت: وأخرجه الطيالسي رقم (٥٧٧) وأحمد (٥/ ٣١٧) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٧).
وهو حديث صحيح.

قال: قال عبادةُ بنُ الصامتِ لابنه: يا بنيَّ إنك إن تجدُ طعمَ حقيقةِ الإيمانِ حتى تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبَك.

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أولَ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ فقال له: اكتب. قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتب مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعة**». يا بنيَّ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**».

وقال الترمذيُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ موسى، أخبرنا أبو داودَ الطيالسيُّ، أخبرنا عبدُ الواحد بنُ سليم قال: قدمتُ مكةَ فلقِيتُ عطاءَ بنَ أبي رباح فقلت له: يا أبا محمدٍ إن أهلَ البصرةِ يقولون في القدر، قال: يا بنيَّ أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرُفَ، قال: فقرأتُ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف].

قال: أتدري ما أمُّ الكتاب؟ قلت: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإنه كتاب كتبه اللَّهُ قبل أن يخلقَ السماءَ وقبل أن يخلُق الأرضَ، فيه: إن فرعونَ من أهل النارِ، وفيه تبّت يدا أبي لهبٍ وتبَّ.

قال عطاءٌ: فلقِيتُ الوليدَ بنَ عبادةَ بنِ الصامتِ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فسألتُه: ما كانت وصيةُ أبيك عند الموت؟ قال: دعاني فقال: يا بني اتقِ اللَّهِ، واعلم أنك لن تتَّقيَ الله تعالى حتى تؤمنَ بالله وتؤمنَ بالقدرِ كلِه خيرِه وشرِه، فإن متَّ على غير هذا دخلتَ النارَ. إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أولَ ما خلقَ اللَّهُ تعالى القلمَ فقال: اكتُبْ، قال: ما أكتبُ؟ قال: اكتُب القدرَ ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبد**». هذا حديثٌ غريبٌ.

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: قال أَصْبَغُ: أخبرني ابنُ وهْبٍ عن يونسَ بنِ يزيدَ عن ابن شهابٍ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا

---

(١) في «السنن» (٥/٤٢٤ رقم ٣٣١٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: وأخرجه الفريابي في «القدر» رقم (٤٢٥) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٤) بسند حسن. وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) في صحيحه (٩/١١٧ رقم ٥٠٧٦).

رسولَ الله إني رجلٌ شابٌ وأخاف على نفسي العنَتَ ولا أجد ما أتزوج به النساءَ، فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلتُ مثلَ ذلك فسكت عني، ثم قلتُ مثلَ ذلك فقال النبيُّ ﷺ: **«يا أبا هريرةَ جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ، فاختصِرْ على ذلك أو ذرْ»**. وغيرُ ذلك من الأحاديث.

(فصل) التقدير (الثاني) من تقادير الكتابةِ: كتابةُ الميثاقِ يومَ ألستُ بربكم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

وقال الإمامُ أحمدُ[١] رحمه الله تعالى: حدثنا معاويةُ بنُ عمرٍو، حدثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ أبو إسحاقَ الفزاريُّ، حدثنا الأوزاعيُّ، حدثني ربيعةُ بنُ يزيدَ عن عبدِ اللّهِ بنِ الدَّيليِّ عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن اللّهَ عز وجل خلق خلقَه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقولُ جفَّ القلمُ على علم الله عز وجل»**. حسنه الترمذي[٢].

وقال أحمدُ[٣] رحمه الله تعالى: حدثنا هُشيمٌ وسمعتُه أنا منه قال: حدثنا أبو

---

(١) في «المسند» (٢/ ١٧٦ و ١٩٧).

قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٢٦ رقم ٢٦٤٢) وقال: هذا حديث حسن.

وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٤١) و (٢٤٢) و (٢٤٣) و (٢٤٤). واللالكائي رقم (١٠٧٩) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٥) والبزار رقم (٢١٤٥) والحاكم (١/ ٣٠) وصححه ووافقه الذهبي.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤) وقال: رواه أحمد بإسنادين والبزار، والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات.

(٢) في «السنن» (٥/ ٢٦).

(٣) في «المسند» (٢٧٣٦١) بسند صحيح.

الربيع عن يونسَ عن أبي إدريسَ عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«خلق اللَّهُ آدمَ حينَ خلقه فضرب كتِفه اليمنى فأخرج ذريةً بيضاءَ كأنهم الذرُّ، وضرب كتِفه اليسرى فأخرج ذريةً سوداءَ كأنهم الحُمَمُ، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي»**.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا الحسنُ بنُ سوارٍ، حدثنا الليثُ ـ يعني ابنَ سعدٍ ـ عن معاويةَ بنِ راشد بنِ سعدٍ عن عبد الرحمنِ بنِ قتادةَ السّلَميِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن اللَّهَ عز وجل خلقَ آدمَ ثم أخذ الخلقَ من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»**.

قال: فقال قائلٌ: يا رسولَ الله، فعلى ماذا نعمل؟ قال: **«على مواقع القدر»**.

وفي البابِ عن معاذٍ ونضرةَ عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ، وحديثُ عبدِ الرحمن هذا رجالُه رجالُ الصحيحين إلى الصحابي.

وروى إمامُ دارِ الهجرةِ مالكُ بنُ أنسٍ[2] رحمه الله تعالى عن زيدِ بنِ أُنيسةَ عن عبد الحميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ أنه أخبرَه عن مسلم بنِ يسارٍ الجهنيِّ أن عمرَ بنَ الخطابِ سُئلَ رضي الله عنه عن هذه الآيةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يسأل عنها فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن اللَّهَ تبارك وتعالى خلق آدمَ ثم مسح ظهرَه بيمينه حتى استخرج منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهلِ الجنةِ يعملون، ثم مسحَ ظهرَه فاستخرج منه ذريةً فقال: خلقتُ هؤلاء للنارِ وبعمل أهلِ النارِ يعملون»**.

فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ ففيمَ العملُ؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن اللَّهَ**

= قلت: وأخرجه الفريابي في «القدر» رقم (٣٦) والبزار رقم (٢١٤٤ ـ كشف) وقال البزار: «لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وإسناده حسن.
كما عزاه الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٥) للطبراني.

(١) تقدم تخريجه في الميثاق.

(٢) تقدم تخريجه في الميثاق، وهو حديث صحيح لغيره.

إذا خلقَ العبدَ للجنة استعمله بعمل أهلِ الجنةِ حتى يموتَ على عمل من أعمال أهلِ الجنةِ فيُدخلُه ربُه الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار استعمله بعمل أهلِ النارِ حتى يموتَ على عمل من أعمال أهلِ النارِ فيُدخلُه ربُه النارَ».

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا حسينُ بنُ محمدٍ حدثنا جريرٌ ـ يعني ابنَ أبي حازم ـ عن كلثوم بنِ جَبرٍ عن سعيد بنِ جُبيرٍ عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أخذ اللَّهُ تعالى الميثاقَ من ظهر آدمَ بنُعمانَ ـ يعني عرفةَ ـ فأخرج من صُلبه كلَّ ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذَّرّ ثم كلمهم قُبلًا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾** [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]. صححه الحاكم[2].

وروى ابنُه عبدُ اللَّهِ في زوائدِه[3] على مسند أبيه: حدثنا محمدُ بنُ يعقوبَ الربالي، حدثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ سمعتُ أبي يحدث عن الربيع بن أنسٍ عن رفيع أبي العاليةِ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآية.

قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صوّرهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاقَ وأشهدهم على أنفسِهم ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فإني أُشهد عليكم السمواتِ السَّبع والأرضينَ السبعَ وأُشهد عليكم أباكم آدمَ عليه السلام أن تقولوا يوم القيامةِ لم نعلمْ بذلك، اعلموا أنه لا إلهَ غيري ولا ربَّ غيري فلا تُشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأُنزل عليكم كتبي، قالوا: شهِدنا بأنك ربُنا وإلهُنا لا ربَّ غيرُك. فأقَرّوا بذلك» الحديث. وقال الإمامُ الحاكمُ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرِّجاه.

وقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ، حدثنا غُندَرُ،

---

(١) تقدم تخريجه في الميثاق. وهو حديث صحيح.
(٢) في «المستدرك» (١/ ٢٧).
(٣) تقدم تخريجه في الميثاق. وهو حديث صحيح.
(٤) في صحيحه (١١/ ٤١٦ رقم ٦٥٥٧).

حدثنا شعبةُ عن أبي عِمرانَ قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«يقول اللَّهُ تعالى لأهونِ أهلِ النارِ عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيءٍ أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنتَ في صُلب آدمَ أن لا تشركَ بي، فأبيتَ إلا أن تُشركَ بي»**. ورواه مسلمٌ[1] وغيرهُ.

والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ، وقد قدَّمنا منها جملةً وافيةً في أول هذا الشرحِ عند الكلامِ على الميثاق، ولله الحمدُ والمنّةُ.

(فصل) التقدير (الثالث) العُمريُّ عند تخليقِ النطفةِ في الرحمِ، فيُكتب إذ ذاك ذكوريَّتُها وأنوثتُها والأجلُ والعملُ والشقاوةُ والسعادةُ والرزقُ وجميعُ ما هو لاقٍ، فلا يُزاد فيه ولا يُنقص منه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]. وغيرُها من الآيات.

وروى البخاريُّ[2] ومسلمٌ[3] بإسناديهما إلى سليمانَ الأعمشِ قال: سمعتُ

(١) في صحيحه (٤/ ٢١٦٠ رقم ٢٨٠٥). وقد تقدم تخريجه.
(٢) في صحيحه (١١/ ٤٧٧ رقم ٦٥٩٤). وقد تقدم.
(٣) في صحيحه (٤/ ٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣).

زيدَ بنَ وهْبٍ عن عبد اللّهِ ـ يعني ابنَ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه ـ قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ: **«إن أحدَكم يُجمع خلقُه في بطن أمّه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون في ذلك مضغةً مثلَ ذلك، ثم يُرسل الملَكُ فينفُخُ فيه الروحَ ويؤمر بأربع كلماتٍ تُكتب: رزقُه، وأجلُه، وعملُه، وشقيٌ أو سعيدٌ.**

فوالذي لا إله غيرُه إن أحدَكم ليعمل بعمل أهلِ الجنةِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهلِ النارِ فيدخُلها، وإن أحدَكم ليعمَلُ بعمل أهلِ النارِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهلِ الجنةِ فيدخلها». وهذا لفظُ مسلم.

ولهما[1] من حديث حمادِ بنِ يزيدٍ عن عبيدِ اللّهِ بنِ أبي بكرِ بنِ أنسٍ عن أنس بنِ مالك ؓ عن النبي ﷺ قال: **«وكّل اللّهُ تعالى بالرحم ملكاً فيقول: أيْ ربِّ نطفةٌ، أي ربِّ علقةٌ، أي ربِّ مضغةٌ، فإذا أراد اللّهُ أن يقضيَ خلْقَها قال: أي ربِّ ذكرٌ أم أنثى؟ أشقيٌ أم سعيد؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ؟ فيُكتب كذلك في بطن أمّه»**.

وقالم مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهرِ أحمدُ بنُ عمرِو بنِ سرحٍ، أخبرنا ابنُ وهب أخبرني عمْرُو بنُ الحارثِ عن أبي الزبير المكيِّ أن عامرَ بنَ واثلةَ حدثه أنه سمع عبدَ الله بنَ مسعودٍ ؓ يقول: الشقيُّ من شقيَ في بطن أمّه، والسعيدُ من وعُظ بغيره.

فأتى رجلٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ يُقال له حُذيفةُ بنُ أُسيدٍ الغِفاريُّ فحدّثه بذلك من قول ابنِ مسعودٍ فقال: وكيف يشقى رجلٌ بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلةً بعث اللّهُ تعالى إليها ملَكاً فصوّرها وخلق سمعَها وبصرَها وجِلدها ولحمَها وعظامَها ثم قال: يَا ربِّ ذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتبُ**

---

(١) أي للبخاري في صحيحه (١١/٤٧٧ رقم ٦٥٩٥)، ومسلم (٤/٢٠٣٨ رقم ٢٦٤٦).
(٢) في صحيحه (٤/٢٠٣٧ رقم ٢٦٤٥).

الملكُ، ثم يقول: يا ربِّ أجلُه؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب المَلكُ، ثم يقول: يا رب ما رزقُه؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج المَلكُ بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أُمر ولا يَنقُص».

وفي رواية له[1] من طريق أخرى: «فيقول: يا ربِّ أذكرٌ أم أنثى؟ فيجعله اللَّهُ ذكراً أو أنثى. ثم يقول: يا ربِّ أسَوِيٌّ أو غيرُ سويّ؟ فيجعله الله تعالى سوياً أو غيرَ سويٍّ. ثم يقول: يا ربِّ ما رزقُه، ما أجلُه، ما خلقُه؟ ثم يجعله الله تعالى شقياً أو سعيداً».

وفي رواية لأحمدَ[2]: «فيقول: يا ربِّ ماذا؟ أشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيُكتبان، فيقول: ماذا أذكرٌ أم أنثى؟ فيقول اللَّهُ عز وجل فيُكتبان. فيكتب عملَه وأثرَه ومصيبتَه ورزقَه، ثم تطوى الصحيفةُ فلا يُزاد على ما فيها ولا يُنقص».

وله[3] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استقرت النطفةُ في الرحِم أربعين يوماً أو أربعين ليلةً بعث الله إليه ملكاً فيقول: يا ربِّ ما رزقُه؟ فيقال له. فيقول: يا ربِّ ما أجلُه؟ فيقال له. فيقول: يا ربِّ ذكرٌ أم أنثى؟ فيعلمه[4]. فيقول: يا ربِّ شقيٌّ أو سعيد؟ فيعلمه[4]». تفرد به وإسنادُه حسن.

وله[5] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «فرغَ اللَّهُ إلى كل عبد من خمس: من أجله ورزقِه وأثرِه وشقيٍّ أم سعيدٍ». والأحاديث في ذلك كثيرٌ.

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٣٨ رقم ٤/٢٦٤٥).

(٢) في «المسند» (١/٣٧٥ و ٣٨٢) بسند صحيح.

(٣) أي لأحمد في مسنده (٣/٣٩٧) وفي سنده خُصيف بن عبد الرحمن الجزري، سيء الحفظ اختلط قبل موته، والخطاب بن القاسم اختلط قبل موته.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٩٢): «وفيه خصيف، وثقه ابن معين وجماعة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات».
قلت: وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» رقم (٢٦٦٥) و (٢٦٦٦) وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٤٠٥) والفريابي في «القدر» رقم (١٤٣) وله شاهد من حديث حذيفة عند مسلم رقم (٢٦٤٥).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٤) كذا في «الأصل وفي «المسند» (فيعلم).

(٥) لأحمد في مسنده (٥/١٩٧) والبزار (٣/٢٤ رقم ٢١٥٢ ـ كشف). والطبراني في=

(فصل) والرابعُ التقديرُ الحَوليُّ في ليلة القدْر، يقدّر فيها كلُ ما يكون في السنة إلى مثله.

قال الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان]. الآيات.

قال مجاهدٌ[١] ليلةُ القدْرِ ليلةُ الحكْم، وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ[٢]: يُؤذَن للحجاج في ليلة القدْر فيُكتبون بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم فلا يغادر منهم أحدٌ ولا يزاد فيهم ولا يُنقص منهم.

وقال الحسنُ البصريُّ[٣]: واللَّهِ الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان، وإنها لليلةُ القدرِ، يُفرق فيها كلُ أمرٍ حكيم، فيها يقضي اللَّهُ تعالى كلَّ أجلٍ وعملٍ ورزقٍ إلى مثلها.

وقال ابن عباس[٤]: يُكتب من أم الكتابِ في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياةٍ ورزقٍ ومطرٍ، حتى الحجاجُ يقال: يحُجُّ فلانٌ ويحج فلان.

وقال مقاتل[٥]: يقدر اللَّهُ تعالى في ليلة القدرِ أمرَ السنةِ في بلاده وعبادِه إلى السنة القابلة، وقال أبو عبدِ الرحمنِ السّلميُّ[٦]: يقدَّرُ أمرُ السنةِ كلِها في ليلةِ القدر، وذكر عن سعيد بنِ جبيرٍ[٤] في هذه الآية: إنك ترى الرجلَ غشِيَ في الأسواق وقد وقع اسمُه في الموتى.

= «الكبير» كما في «المجمع» (٧/١٩٨) و «الأوسط» (٣/٢٧٢ رقم ٣١٢٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨). وابن حبان في «الإحسان» رقم (٦١٥٠). **وهو حديث صحيح.**

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره رقم (٣٦٦٧).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٧/٣٩٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٠٨) والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٠٩) والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠٠) وقال: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٨٥٣٠) والحاكم في «المستدرك» (٢/٤٤٩).

وقال الحاكم: **صحيح الإسناد ولم يخرجاه.**

(٥) لم أعثر على مصدره؟!

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٠٨) والسيوطي في «الدر المنثور» =

وروى عن ابن عمرَ[(١)] ومجاهدٍ[(٢)] وأبي مالكٍ[(٣)] والضحاك: في ليلة القدر يُفصّل من اللوح المحفوظِ الكتبةَ أمرُ السنةِ وما يكون فيها من الآجال والأرزاقِ وما يكون فيها إلى آخرها.

والآثارُ في ذلك عن الصحابةِ وأئمةِ التفسيرِ من تابعيهم بإحسان كثيرةٌ مشهورةٌ.

(فصل) والخامسُ التقديرُ اليوميُّ وهو سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيت التي قُدِّرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وروى ابنُ جرير[(٤)] رحمه الله تعالى عن منُيب بن عبدِ اللّهِ بنِ منيبٍ الأزديِّ عن أبيه قال: «تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فقلنا: يا رسولَ الله، وما ذاك الشأنُ؟ قال: **«أن يغفرَ ذنباً، ويفرِّجَ كَرباً، ويرفَع قوماً ويضعَ آخرين»**.

وروى ابنُ أبي حاتم[(٥)] عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: **قال اللّهُ عز**

= (١٣/ ٤٠٠) وعزاه إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن جرير والبيهقي.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره رقم (١٨٥٢٨). والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/ ١٠٨).
قلت: وعزاه الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٥٥) إلى عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة.

(٤) في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٣٥).
قلت: وأخرجه البزار (٣/ ٧٣ رقم ٢٢٦٦ ـ كشف). وابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢١١ رقم ٤٩٩٩).
وقال ابن منده: غريب جداً. وقال ابن عبد البر: أخشى أن يكون حديثه مرسلاً. وتعقبه ابن حجر فقال: رواية الحسن المذكورة دالةٌ على اتصال حديثه.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وفيه من لم أعرفهم.
قلت: وفيه أيضاً ـ عمرو بن بكر السكسكي ـ وهو متروك كما في «التقريب» رقم (٤٩٩٣).

(٥) في تفسيره رقم (١٨٧٣٧).

وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال: «مِن شأنِه أن يغفرَ ذنباً، ويفرّج كرباً، ويرفعَ قوماً ويضعَ آخرين». وعلّقه البخاريُّ[1] موقوفاً.

وروى البزارُ[2] عن ابن عمرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قال: «يغفرُ ذنباً ويكشِفُ كرباً».

وله[3] هو وابنُ جريرٍ[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن اللَّهَ خلقَ لوْحاً محفوظاً من دُرّة بيضاءَ، دُفّتاه ياقوتةٌ حمراءُ قلمُه نورٌ وكتابُه نورٌ، وعَرضُه ما بين السّماء والأرضِ، ينظر فيه كلَّ يوم ثلاثمائةٍ وستين نظرةً، يخلُق في كل نظرةٍ ويُحيي ويُميتُ، ويُعزُّ ويُذِلّ، ويفعل ما يشاء.

وروى ابنُ أبي حاتم[5] عن سويدِ بنِ جَبَلَةَ الفزاريِّ قال: إن رَبكم كلَّ يوم هو في شأن فيُعتِق رقاباً، ويُعطي رغاباً، ويُقحم عقاباً.

---

(١) في صحيحه (٨/ ٦٢٣).

(٢) (٣/ ٧٤ رقم ٢٢٦٧ ـ كشف).

قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٠٢) وابن أبي عاصم رقم (٣٠١).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (ص١٢): هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان... ثم نقل ما تقدم، وقال: «روى البخاري هذا الحديث (٨/ ٦٢٣) تعليقاً في تفسير سورة الرحمن....

قال الحافظ ابن حجر: وصله المصنف في «التاريخ»، وابن حبان في «الصحيح» وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً. وأخرجه البيهقي في «الشعب» من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً ونسبه البوصيري إلى أبي يعلى حدثنا ابن أبان الكوفي، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن معاوية بن يحيى، عن يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفاً...

وللمرفوع شاهد آخر، عن ابن عمر أخرجه البزار رقم (٢٢٦٨) وفي سنده عبد الرحمن البيلماني، قال في «التقريب» ضعيف واتهمه ابن عدي...».

وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٣) لم أجدهُ في «كشف الأستار»، ولا في مسند البزار لأن مسند ابن عباس لم يطبع بعد.

(٤) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٣٥).

قلت: وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٦) والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٩) وعزاه لابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ في «العظمة» وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٥) في تفسيره رقم (١٨٧٣٦).

وقال الأعمشُ[1] عن مجاهد عن عُبيد بن عمير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال: من شأنه أن يجيب داعياً، أو يعطي سائلاً، أو يفُكَّ عانياً، أو يشفي سقيماً.

وقال ابنُ نجيح[2] عن مجاهد قال: كلَّ يوم هو يجيب داعياً، ويكشِف كرباً، ويجيب مضطراً، ويغفر ذنباً.

وقال قتادةُ[3]: لا يستغني عنه أهلُ السمواتِ والأرضِ، يُحيي حياً ويميت ميتاً، ويربّي صغيراً ويفُكّ أسيراً، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخُهم، ومنتهى شكواهم.

وقال الحسينُ بنُ فضل[4]: هو سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيت. وقال أبو سليمانَ الدارنيُّ[5] في هذه الآية: كلَّ يوم له إلى العبيد بِرٌّ جديدٌ. وذكر البغويُّ[6] رحمه الله تعالى قولَ المفسرين: من شأنه أن يُحييَ ويُميتَ، ويخلقَ ويرزُقَ، ويُعزَّ قوماً، ويُذِلّ قوماً، ويشفي مريضاً ويفُك عانياً، ويفرّج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً، إلى ما لا يُحصى من أفعاله وإحداثِه في خلقه ما يشاء.

وجملةُ القولِ في ذلك أن التقديرَ اليوميَّ هو تأويل المقدورِ على العبد وإنفاذُه فيه، في الوقت الذي سبق أنه ينالُه فيه، لا يتقدمه ولا يتأخره.

كما أن في الآخرة يأتي تأويلُ الجزاء الموعودِ إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، ولكل نبأٍ مستقرٌ وسوف تعلمون.

ولهذا قال سفيانُ بن عُيينة فيما ذكره البغويُّ[7] رحمه الله تعالى: الدهرُ كلُه عند الله يومان: أحدُهما مدةُ أيام الدنيا، والآخرُ يومُ القيامة، فالشأنُ الذي هو فيه

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ج٢٧/ ١٣٥).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ج٢٧/ ١٣٥).
(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٠).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٧) وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١١٤).
(٥) لم أعثر على مصدر له.
(٦) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٧/ ٤٤٦).
(٧) في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٦).

اليومُ الذي هو مدةُ الدنيا الاختبارُ بالأمر والنهْي والإحياءِ والإماتةِ والإعطاءِ والمنع يعني وغيرَ ذلك، وشأن يومُ القيامةِ الجزاءُ والحسابُ والعقابُ اهـ.

ثم هذا التقديرُ اليومي تفصيلٌ من التقدير الحوليّ، والحوليُّ تفصيلٌ من التقدير العُمريِّ عند تخليقِ النطفةِ، والعُمريُّ تفصيلٌ من التقدير العمريِّ الأولِ يوم الميثاقِ، وهو تفصيلٌ من التقدير الأزليِّ الذي خطه القلمُ في الإمام المبين.

والإمامُ المبينُ هو من علم اللَّهِ عز وجل، وكذلك منتهى المقاديرِ في آخريتها إلى علم الله عز وجل، فانتهت الأوائلُ إلى أوّليته وانتهت الأواخرُ إلى آخريّته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

(فصل) والمرتبةُ الثالثةُ من مراتب الإيمانِ بالقدر، الإيمانُ بمشيئة اللَّهِ النافذةِ وقُدرتِهِ الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائنٌ.

فما شاء اللَّهُ تعالى كونَه فهو كائنٌ بقدرته لا محالة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وما لم يشأ اللَّهُ تعالى لم يكن لعدم مشيئةِ اللَّهِ تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فالسببُ في عدم وجودِ الشيء هو عدم مشيئةِ اللَّهِ تعالى إيجادَه، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

(فصل) والمرتبةُ الرابعةُ مرتبة الخلقِ، وهو الإيمانُ بأن الله سبحانه وتعالى خالقُ كلِّ شيءٍ، فهو خالقُ كلِّ عاملٍ وعملِه، وكلِّ متحركٍ وحركتِه، وكلِّ ساكنٍ وسكونِه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا واللَّهُ سبحانه وتعالى خالِقُها وخالقُ حركتِها وسكونِها، سبحانَه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواهُ.

وهاتان المرتبتان قد تقدم بسطُ الكلام عليهما في توحيد المعرفةِ والإثباتِ بما أغنى عن إعادته، ولله الحمدُ والمنةُ وبه التوفيقُ والعصمَةُ.

(فصل) وللعباد قدرةٌ على أعمالِهم ولهم مشيئةٌ، واللَّهُ تعالى خالقُهم وخالقُ قدرتِهم ومشيئتِهم وأقوالِهم وأعمالِهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمةً بهم مضافةً إليهم حقيقةً، وبحسَبها كُلِّفوا وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم اللَّهُ تعالى إلا وُسْعَهم، ولم يحمِّلْهم إلا طاقَتهم.

وقد أثبت اللَّهُ تعالى ذلك لهم في الكتابِ والسنةِ، ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم اللَّهُ تعالى عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاءَ اللَّهُ عز وجل، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، كما جمع تعالى بين ذلك في غيرِ ما موضع من كتابه، كقوله عز وجل: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]. وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] أي بسببه. وقال تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «**الحمدُ للَّهِ، نحمَده ونستعينُه ونستهديه ونستغفره ونتوبُ إليهِ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهد اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له**»[1].

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى في باب: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا

---

(١) تقدم تخريجه في مقدمة المحقق في المجلد الأول.
وهو حديث صحيح.

(٢) في صحيحه (١١/٥١٥ ـ ٥١٦ رقم ٦٦٣٠).

ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]:

حدثنا أبو النُعمان أخبرنا جريرٌ - هو ابنُ حازم - عن أبي إسحاق عن البراء بنِ عازبٍ ﷺ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يوم الخندقِ ينقُل معنا الترابَ وهو يقول: **«واللّهِ لولا اللّهُ ما اهتدَينا، ولا صُمنا ولا صلَّينا، فأنزلن سكينةً علينا، وثبِّت الأقدامَ إن لاقَينا، والمشركون قد بغَوا علينا، إذا أرادوا فتنةً أبينا»**.

وقال ﷺ في الحمر: **«ما أنزل اللّهُ عليَّ فيها شيئاً إلا هذه الآيةَ الجامعة الفاذَّة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]»**[1]. وغيرُ ذلك ما لا يُحصى.

وقد تقدم منها جملةٌ وافيةٌ في إثبات الإرادةِ والمشيئةِ والخلقِ، فكما لم يوجِد العبادُ أنفسَهم لم يوجِدوا أفعالَهم، فقدرتُهم وإرادتُهم ومشيئتُهم وأفعالُهم، تبعٌ لقدرةِ اللّهِ سبحانه وإرادتِهِ ومشيئتِه وأفعالِه، إذ هو تعالى خالِقُهم وخالقُ قدرتِهم ومشيئتِهم وإرادتِهم وأفعالِهم، وليس مشيئتُهم وإرادتُهم وقدرتُهم وأفعالُهم هي عين مشيئةِ اللّهِ تعالى وإرادتِه وقدرتِه وفعلِه، كما ليسوا هم إياه، تعالى اللّهُ عن ذلك، بل أفعالُهم المخلوقةُ لله قائمةٌ بهم لائقةٌ بهم مضافةٌ إليهم حقيقةً، وهي من آثار أفعال الله تعالى القائمة به، اللائقة به، المضافة إليه حقيقة، فالله فاعلٌ حقيقةً والعبدُ مُنفعلٌ حقيقةً، واللّهُ تعالى هادٍ حقيقةً، والعبدُ مهتدٍ حقيقةً، ولهذا أضاف تعالى كُلًّا من الفعلين إلى من قام به، فقال عز وجل: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

فإضافةُ الهدايةِ إلى اللّهِ تعالى حقيقةٌ، وإضافةُ الاهتداء إلى العبد حقيقةٌ، وكما أن الهاديَ تعالى ليس هو عينَ المهتدي، فكذلك ليست الهدايةُ هي عينَ الاهتداء، وكذلك يُضِلُّ الله تعالى من يشاء حقيقةً، وذلك العبدُ يكون ضالاً حقيقةً، وهو سبحانه وتعالى خالقُ المؤمن وإيمانِه، والكافرِ وكفرِه، كما قال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٣٢٩ - ٣٣٠ رقم ٣٧٥٦). ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٨٠ - ٦٨٢ رقم ٢٤/ ٩٨٧).

أي هو الخالقُ لكم على هذه الصفةِ وأراد منكم ذلك كَوناً لا شرعاً، فلا بد من وجود مؤمنٍ وكافر، وهو البصيرُ بمن يستحق الهدايةَ ممن يستحق الضلالَ، وهو شهيدٌ على أعمال عبادِه، وسيجزيهم بها أتمَّ الجزاء، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

فأضاف اللَّهُ تعالى الخَلْقَ الذي هو فعلُه القائمُ به إليه حقيقةً، وأضاف الإيمانَ والكفرَ الذي هو عملُهم القائمُ بهم إليهم حقيقةً، واللَّهُ تبارك وتعالى هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتِهم ومشيئتِهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرَهم ونهاهم بحسبها.

[مذهب الجهمية[١] والمعتزلة[٢] في إنكار القدر]

والمقصودُ أن اللَّهَ سبحانه في جميع تصرفاتِه في عباده فاعلٌ حقيقةً، والعبدُ منفعلٌ حقيقة، فمن أضاف الفعلَ والانفعالَ كليهما إلى المخلوق كفَرَ، ومن أضافهما كليهما إلى الله تعالى كفر.

ومن أضافَ الفعلَ إلى اللَّهَ تعالى حقيقةً والانفعالَ إلى المخلوق حقيقةً كما أضافهما اللَّهُ تعالى فهو المؤمنُ حقيقةً. فالأول قولُ القَدَرية[٣] النفاةِ، وأولُ من أحدثه في هذه الأمة مَعبدٌ الجهنيُّ في آخر عصْرِ الصحابةِ كما قدَّمنا عن يحيى بنِ يَعْمَرَ في سياق حديثِ جبريلِ السابقِ في سؤاله النبيَّ ﷺ عن الدين، وأنكر عليه ذلك بقيةُ الصحابة وأئمةُ التابعين، وتبرأوا من هذا الاعتقادِ وكفَّروا مُنتحِلَه ونفَوا عنه الإيمانَ، وأوصى بعضُهم بعضاً بمجانبته والفرارِ من مجالسته.

ثم تقلد عنه ذلك المذهبَ الفاسدَ والسنةَ السيئةَ التي انتحلَها هو رؤوسُ المعتزلةِ وأئمتُهم المُضِلّون كواصل بنِ عطاءِ الغزّالِ، وعمْرِو بنِ عُبيد ومن في معناهم وعلى طريقتِهم حتى بالغ بعضُهم فأنكر علمَ الله تعالى وأنكرَ كتابةَ المقاديرِ السابقةِ، وجعَل العبادَ هم الخالقين لأفعالِهم، ولهذا كانوا هم مَجوسَ هذه الأمةِ.

---

(١) تقدم التعريف بها.
(٢) تقدم التعريف بها.
(٣) تقدم التعريف بهم.

فأما واصلُ بنُ عطاءٍ[1] فقال فيه أبو الفتح الأزديُّ[2] رجلُ سوءٍ كافرٌ، قال الذهبي: كان من أجلاد المعتزلة، وُلد سنةَ ثمانينَ بالمدينة، ومما قيل فيه:

ويجعلُ البُرَّ قمحاً في تصرّفه ... وخالف الراءَ حتى احتال للشّعر

ولم يُطقْ مطراً [في القول يجعله][3] ... فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المطر

وكان يتوقف في عدالة أهلِ الجمَلِ ويقول: إحدى الطائفتين فسَقَتْ لا بعينها، فلو شهدتْ عندي عائشةُ وعليٌّ وطلحةُ على باقة بقْلٍ لم أحكُم بشهادتهم. هلك سنةَ إحدى وثلاثين ومائة.

وأما عمْرُو بنُ عُبيد[4] فهو ابنُ ثوبانَ ـ ويُقال ابنُ كيسانَ ـ التيميُّ مولاهم أبو عثمانَ البصريّ من أبناء فارسَ، قال ابنُ كثير: هو شيخُ القدرية والمعتزلة، روى الحديثَ عن الحسن البصري وعُبيد اللَّهِ بنِ أنسٍ وأبي العالية وأبي قُلابةَ، وعنه الحمّادانِ، وسفيانُ بنُ عُيينةَ والأعمشُ، وكان من أقرانِه، وعبدُ الوارث بنُ سعيدٍ وهارونَ بنُ موسى، ويحيى القطّانُ، ويزيد بن زُريع، قال الإمامُ أحمدُ[5]: ليس بأهل أن يُحدَّثَ عنه.

وقال عليُّ بنُ المدينيِّ ويحيى بنُ معين: ليس بشيء. وزاد ابنُ مَعينٍ: وكان رجلَ سوءٍ وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناسُ مثلُ الزرع.

---

(1) وهو واصل بن عطاء البصريُّ، الغزّال المتكلم البليغ المتشدّق، الذي كان يلثغ بالراء. فلبلاغته هجر الراء وتجنّبها في خطابه. سمع من الحسن البصري وغيره.
كان من أجلاد المعتزلة، وُلد سنة ثمانين بالمدينة.
له من التصانيف: كتاب «أصناف المرجئة» وكتاب «التوبة» وكتاب «معاني القرآن». مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.
انظر: «الميزان» [٧/١١٨ ـ ١١٩ رقم ٩٣٣٣/٩٠٥٨].

(2) ذكر ذلك الذهبي في «الميزان» (٧/١١٨).

(3) وصوابه [في القول يُعجلُه] ولا معنى ليجعله لأن واصلاً كان ألثغ بحرف الراء، ويخطب دون أن يأتي بحرف الراء.

(4) انظر ترجمته في: «ميزان الاعتدال» (٥/٣٢٩ رقم ٦٤١٠/٤٢٧٩) «وتهذيب التهذيب» (٣/٢٨٨ ـ ٢٩٠).

(5) في «بحر الدم» (ص٣٢١ رقم ٧٦٥).

وقال الفلاسُ[1]: متروكٌ صاحبُ بدعة، كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه. وكان ابنُ مهديٍّ لا يحدّث عنه، وقال أبو حاتم[2]: متروكٌ، وقال النسائيُّ[3]: ليس بثقة، وقال شُعبةُ عن يونسَ بنِ عُبيدٍ: كان عَمرُو بنُ عُبيدٍ يكذب في الحديث.

وقال حمادُ بنُ سلمةَ[4] قال لي حُميدٌ: لا تأخذْ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصْري.

وكذا قال أيوبُ[4] وعَوفُ بنُ عَونٍ، وقال أيوبُ[4]: ما كنت أعُدُّ له عقلاً، وقال مطرٌ الورَّاق: واللَّهِ لا أصدّقه في شيء، وقال ابنُ المبارك: إنما تركوا حديثَه لأنه كان يدعو إلى القدَر.

وقد ضعّفه غيرُ واحدٍ من أئمةِ الجرحِ والتعديلِ، وأثنى عليه آخرون في عبادتِه وزهدِه وتقشُّفه، قال الحسن البصْريُّ: هذا سيدُ شبَابِ القرّاء ما لم يُحْدِثْ، قالوا: فأحدث واللَّهِ أشدَّ الحدثِ.

وقال ابنُ حبانَ[5]: كان من أهلِ الورعِ والعبادةِ إلى أن أحدَث ما أحدَث، واعتزل مجلسَ الحسنِ هو وجماعةٌ معه فسُمُّوا المعتزلةَ.

وكان يشتم الصحابةَ ويكذِب في الحديث وهماً لا تعمداً. وقد رُويَ عنه[6] أنه قال: إن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] في اللوح المحفوظِ فما تُعدُّ منه على ابن آدمَ حجةٌ.

ورُويَ له حديثُ ابنِ مسعودٍ: حدثنا الصادقُ المصدوقُ: **«إنَّ خلْقَ أحدِكم يُجمع في بطن أمِّه أربعين يوماً ـ حتى قال ـ فيؤمر بأربع كلماتٍ: رزقُه وأجلُه**

---

(١) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٥/ ٣٣١).

(٢) في «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٤٦ رقم ١٣٦٥).

(٣) في «الضعفاء والمتروكين» (ص١٩٢ رقم ٥٠١).

(٤) انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٨٨).

(٥) في «المجروحين» (٢/ ٦٩).

(٦) انظر: «ميزان الاعتدال» (٥/ ٣٣٢).

وعملُه وشقيٌّ أو سعيدٌ»[1] إلى آخره، فقال: لو سمعتُ الأعمشَ يرويه لكذَّبته، ولو سمعتُه من زيد بنِ وهْب لما أحببتُه، ولو سمعتُه من ابن مسعودٍ لما قبلتُه، ولو سمعتُه من رسولِ الله ﷺ لردَدْتُه: ولو سمعتُ اللَّهَ يقول هذا لقلتُ: ما على هذا أخذتَ علينا الميثاقَ.

وهذا من أقبحِ الكفرِ، لعنه اللَّهُ إن كان قال هذا، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقّه. وقد قال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[2] رحمه الله تعالى:

أيـــهـــا الـــطـــالـــبُ عـــلـــمـــا	إئـــتِ حـــمـــادَ بـــن زيـــدِ
فـــخُـــذ الـــعـــلـــمَ بـــحِـــلـــم	ثـــمَّ قـــيِّـــدهُ بـــقـــيـــدِ
وذرِ الـــبـــدعـــةَ مـــن آثـــ	ـــار عـــمـــرو بـــنِ عـــبـــيـــدِ

وقال ابنُ عديٍّ[3]: كان عمْرٌو يغُرّ الناسَ بتقشّفه، وهو مذمومٌ ضعيفُ الحديثِ جداً مُعلنٌ بالبدع.

وقال الدارقطنيُّ[4]: ضعيفُ الحديثِ. وقال الخطيبُ البغداديُّ[5]: جالس الحسنَ واشتهر بصحبتِه، ثم أزاله واصلُ بنُ عطاءٍ عن مذهب أهلِ السنة وقال بالقدَر ودعا إليه واعتزل أصحابَ الحديثِ رحمهم الله تعالى.

ثم توارثت القدريةُ هذا المذهبَ الفاسدَ بعد هؤلاء وتواصوا به، ثم منهم من نفى علمَ اللَّهِ تعالى كأولِّيهم، ففيهم من نفى علمَه بالكليات والجُزئيات، ومنهم من أثبتَ العلمَ بالكليات دون الجزئياتِ، ثم افترقوا في أفعالِ اللَّهِ كما افترقوا في علمه.

ففرقةٌ قالت: كلُ أفعالِ العبادِ ليست مقدورةً لله ولا مخلوقةً له، لا خيرُها ولا شرُها.

والأخرى قالت: الخيرُ من أفعالهم مخلوقٌ له تعالى ومقدورٌ له، وأما الشرُّ

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٥٣).
(٣) في «الكامل» (٥/ ١٧٦٣).
(٤) ذكر ذلك الذهبي في «الميزان» (٥/ ٣٣٠).
(٥) في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٦٦ رقم ١٦٥٢).

فليس عندهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً له. فأثبتوا نصفَ القدَرِ ونفَوا نصفَه، وأثبتوا خالقَين. فهم في الحقيقة مجوسٌ ثِنْويةٌ، بل أعظم منهم، فإن الثِنوية أثبتوا خالقَين للكون كلِّه وهؤلاء أثبتوا خالقَين لكل فردٍ من الأفراد ولكل فعلٍ من الأفعال، بل جعلوا المخلوقين كلَّهم خالِقين.

ولولا تناقضُهم لكانوا أكفرَ من المجوس، فإن اطرادَ قولِهم ولازمَه وحاصلَه هو إخراجُ أفعالِ العبادِ عن خلقِ اللّهِ عز وجل وملكِه وأنها ليست داخلةً في ربوبيته عز وجل، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد، ويريد ما لا يكون، وأنهم أغنياء عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولا تركِ معصيتِه، ولا يعوذون به من شرور أنفسِهم ولا سيئاتِ أعمالِهم، ولا يستهدونه الصراطَ المستقيم.

فقولُ إياك نعبد وإياك نستعين، وقولُ لا حولَ ولا قوة إلا بالله لا معنى له عندهم، وربما استنكروه، كما جحدوا قولَه تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

هذا مع إنكاره علمَ اللّهِ عز وجل وقدرتَه ومشيئتَه وإرادتَه، وغيرَ ذلك من صفاتِه، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

[مذهب الجبرية في إضافة الفعل والانفعال إلى الله]

(**فصل**) والقولُ الثاني وهو إضافةُ الفعلِ والانفعالِ كليهما إلى الله عز وجل هو قولُ الجبريةِ الغُلاةِ الجُفاةِ الذين يقولون: إن العبدَ مجبورٌ على أفعاله مقسورٌ عليها كالسَّعفَة يحركها الريحُ العاصفُ، وكالهاوي من أعلى إلى أسفلَ.

وأن تكليف اللّهِ سبحانه وتعالى عبادَه - من أمْرهم بالطاعات ونهْيهم عن المعاصي - كتكليف الحيوانِ البهيم بالطيرانِ، وتكليفِ المُقعدِ بالمشي، وتكليفِ الأعمى بنقْط الكتاب، وأن تعذيبَه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيبٌ لهم على فعله لا على أفعالهم، وأن ذلك كتعذيب الطويلِ لِمَ لم يكن قصيراً، والقصيرِ لِمَ لمْ يكن طويلاً، والأسودِ لم لمْ يكن أبيضَ، والأبيضِ لمَ لمْ يكن أسودَ.

فسلبوا العبدَ قدرتَه واختيارَه، وأخرجوا عن أفعال اللّهِ تعالى وأحكامه حكمَها ومصالحَها، ونفوا عن الله تعالى حِكمتَه البالغةَ، وجحدوا حجّتَه الدامغة، وأثبتوا

عليه تعالى الحجةَ لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدلِه وشرعِه، فلا قيامَ عندهم لسوق الجهادِ، ولا معنى لإقامةِ الحدودِ ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسلِ والكتبِ إلا التكليفَ في غيرِ وُسْعٍ وتحميل ما لا يُطاق، والظلمَ الذي حرمه اللَّهُ تعالى على نفسه، وجعله بين عبادِه محرماً.

فأقاموا عذرَ إبليسَ اللعينَ وعذرَ فرعونَ وهامانَ وقارون وسائِرِ الأممِ العصاةِ الممقوتين المقبوحين المغضوبِ عليهم، المخسوفِ بهم المُعدَّةِ لهم جهنم وساءت مصيراً، وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالِهم، بل قالوا: إنه عاقبَهم ومقَتهم على طاعتِهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعَه فقد أطاعوا إرادتَه ومشيئتَه. هذا معنى إثبات القدَرِ عند هذه الفرقةِ الإبليسيةِ.

وقد ذكر ابنُ القيم[1] رحمه الله تعالى كثيراً من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمنُ حكايتَها لولا أن اللَّهَ تعالى حكى في كتابه أقوالَ الكفارِ قبحهم الله. فمن ذلك قولِ بعضهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له	إياك إياك أن تبتلَّ بالماء

وقولُ آخر قبَّحه الله:

دعاني وسدَّ البابَ عني فهل إلى	دخولي سبيلٌ؟ بيِّنوا لي قضيتي

وقولُ كافرٍ آخر فضَّ الله فاه.

وضعوا اللحمَ للبُزا	ةِ على ذُروتي عدَنْ
ثم لاموا البُزاةَ إذ	خلعوا عنهم الرسَنْ
لو أرادوا صيانتي	ستروا وجهَكِ الحسنْ. اهـ

وقال بعضُهم وقد ذُكر له من يُخاف إفسادُه فقال: لي خمسُ بناتٍ لا أخاف على إفسادهن غيرَه.

وصعِد رجلٌ يوماً على سطح دارٍ له فأشرفَ على غلام له يفجُر بجاريته فنزل وأخذهما ليُعاقبَهما، فقال الغلام: إن القضاءَ والقدرَ لم يدَعانا حتى فعلنا ذلك، فقال: لَعِلمُك بالقضاء والقدرِ أحبُّ إليّ من كل شيءٍ، أنت حرٌ لوجه اللَّهِ.

---

(١) في كتابه «طريق الهجرتين» (ص١٥٢ ـ ١٥٦).

ورأى آخرَ يفجرُ بامرأتِه فبادر ليأخذَه فهرب فأقبلَ يضرب المرأةَ وهي تقول: القضاءُ والقدرُ، فقال: يا عدوةَ اللَّهِ أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوّهْ تركتَ السنةَ وأخذتَ بمذهب ابنِ عباس. فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال: لولاكِ لضلَلْتُ.

ورأى آخرُ رجلاً يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاءُ اللَّهِ وقدَرُه، فقال: الخِيرَةُ فيما قضى الله. فلُقِّبَ بالخِيرةِ فيما قضى الله، وكان إذا دُعي به غضب.

وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول ولا يَرْضىٰ لعبادِه الكفرَ؟ فقال: دعْنا من هذا، رضِيَه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيرُه. ولقد بالغ بعضُهم في ذلك حتى قال: القدرُ عذرٌ لجميعِ العصاةِ، وإنما مَثَلُنا في ذلك كما قيل:

إذا مـرضْـنـا أتـيـنـاكـم نـعـودُكـمُ ... وتُـذنـبـون فـنـأتـيـكـم فـنـعـتـذِرُ

ويلغَ بعضَ هؤلاء أن علياً مرَّ بقتلى النهْروان فقال: بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم. فقيل: من غرّهم؟ فقال: الشيطانُ والنفسُ الأمارةُ بالسوء والأمانيُّ. فقال هذا القائلُ: كان عليٌّ قدرياً، وإلا فاللَّهُ غرَّهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك المواردَ.

واجتمعَ جماعةٌ من هؤلاء يوماً فتذاكروا القدرَ، فجرى ذكرُ الهُدهدِ وقولِه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤]، فقال: كان الهُدهدُ قدرياً، أضافَ العملَ إليهم والتزيينَ إلى الشيطان، وجميعُ ذلك فعلُ الله.

وسُئل بعضُ هؤلاء عن قول اللَّهِ تعالى لإبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أيمنعه ثم يسأله ما منعه؟ قال: نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه.

قال له: فما معنى قوله عز وجل: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٣٩] إذا كان هو الذي متعهم؟ قال: استهزاءً بهم. قال: فما معنى قولِه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾؟ [النساء: ١٧٤]

قال: فعل ذلك بهم من غير ذنبٍ جنَوه بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى.

وقال بعضُ هؤلاء وقد عوتِب على ارتكابه معاصيَ اللّهِ فقال: إن كنتُ عاصياً لأمره فأنا مطيعٌ لإرادتِه. وجرى عند بعضِ هؤلاء ذكرُ إبليسَ وإبائِه وامتناعِه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللومُ؟ لو خُلّيَ لسجدَ، ولكن مُنع. وأخذ يقيمُ عُذره. فقال بعضُ الحاضرين: تباً لك سائرَ اليوم، أتذُبُّ عن الشيطان وتلومُ الرحمنَ؟

وجاء جماعةٌ إلى منزل رجلٍ من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنتُ أصلحُ بين قوم. فقيل له: وأصلحت بينهم؟ قال: أصلحتُ إن لم يُفسِدِ اللّهُ. فقيل له: بؤساً لك أتُحسِنُ الثناءَ على نفسك وتُسيءُ الثناءَ على ربك.

ومُرَّ بلصٍّ مقطوعِ اليدِ على بعض هؤلاء فقال: مسكينٌ مظلومٌ أجبره على السرقة ثم قطعَ يدَه عليها، وقيل لبعضهم: أترى اللّهَ كلّف عبادَه ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه؟ قال: واللّهِ قد فعلَ ذلك، ولكن لا نجسُر أن نتكلم.

وقال بعضُ هؤلاء: ذنبةٌ أُذنِبُها أحبُّ إليَّ من عبادةِ الملائكةِ. قيل: ولم؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها عليَّ وقدَّرها، ولم يقضِها إلا والخِيرةُ لي فيها، وقال بعضُ هؤلاء: العارفُ لا يُنكرُ مُنكراً لاستبصارِه بسر اللّهِ في القدر.

قال: وسمعتُ شيخَ الإسلامِ ابن تيميةَ رحمه الله يقول: عاتبْتُ بعضَ شيوخ هؤلاء، فقال لي: المحبةُ نارٌ تُحرِق من القلب ما سوى مُرادِ المحبوبِ، والكونُ كلُه مرادُه، فأَيَّ شيءٍ أُبغِضُ منه؟ قال: فقلتُ له: إذا كان المحبوبُ قد أبغض بعضَ مَن في الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببْتَهم أنتَ وواليتَهم، أكنتَ ولياً للمحبوب، أو عدواً له؟ قال: فكأنما أُلقِم حجراً.

وقرأ قارئٌ بحضرة بعضِ هؤلاء: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]؟ فقال: هو واللّهِ مَنَعه، ولو قال إبليسُ ذلك لكان صادقاً. وقد أخطأ إبليس الحجةَ، ولو كنتُ حاضراً لقلتُ له: أنت منعْتَه. وسمع بعضُ هؤلاء قارئاً يقرأ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

فقال: ليس من هذا شيءٌ، بل أضلّهم وأعماهم اهـ - إلى أن قال: فيقال: اللّهُ أكبرُ على هؤلاء الملاحدةِ أعداءِ اللّهِ حقاً، الذين ما قدروا اللّهَ حقَّ قدرِه، ولا عرفوه حقَّ معرفته، ولا عظّموه حقَّ تعظيمه، ولا نزّهوه عما لا يليق به، وبغّضوه

إلى عبادِه وبغّضوهم إليه سبحانه، وأساءوا الثناءَ عليه جُهدَهم وطاقتَهم، وهؤلاء خُصماءُ اللّهِ حقاً الذين جاء فيهم الحديثُ: **«يقال يوم القيامةِ أين خُصماءُ الله؟ فيؤمر بهم إلى النار»**[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2] رحمه الله في تائيته:

ويُدعى خُصومُ اللّهِ يوم معادِهم — إلى النارِ طُرًّا فِرقةُ القدريةِ
سواءٌ نفَوه أو سعَوا ليُخاصموا — به اللّهَ أو مارَوا به للشريعةِ

قال: وسمعتُه يقول: القدريةُ المذمُّون في السنة وعلى لسان السلفِ هم هؤلاء الفِرقُ الثلاثُ: نُفاتُه وهم القدريةُ المجوسيةُ، والمُعارضون به للشريعة الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وهم القدريةُ المشركون. والمُخاصمون به للرب سبحانه، وهم أعداءُ الله تعالى وخُصومُه، وهم القدريةُ[3] الإبليسيةُ وشيخُهم إبليسُ، وهو أولُ من احتج على الله بالقدر فقال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]. ولم يعترِف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدمُ.

فمن أقرّ بالذنب وباءَ به ونزه ربّه فقد أشبه أباه آدمَ، ومن أشبَه أباه فما ظُلم، ومن برّأ نفسَه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبَه إبليسَ».

ثم ساق كلاماً طويلاً في فِرق القدرية وضلالِهم إلى أن قال[4] رحمه الله تعالى: «فانظر كيف انقسمت هذه المواريثُ على هذه السهامِ، وورِث كلُ قومٍ أئمتَهم وأسلافَهم إما في جميع تركتِهم، وإما في كثير منها، وإما في جزء منها، وهدى اللّهُ بفضله ورثةَ أنبيائِه ورسلِه لميراثِ نبيِّهم ﷺ وأصحابه ﷺ، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفُروا ببعض، بل آمنوا بقضاء اللّهِ وقدرِه ومشيئتِه العامةِ النافذةِ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٤٨ رقم ٣٣٦). والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣١٧ رقم ٦٥١٠).
وأورده الهيثمي في المجمع «(٧/٢٠٦) وقال: بقية مدلس، وحبيب بن عمرو (عمر) مجهول.
قلت: بقية صرح بالتحديث، **والحديث ضعيف لضعف حبيب، وجهالة أبيه، والله أعلم.**

(٢) في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٤٥ ـ ٢٥٥).

(٣) انظر تفصيل ذلك في: «مجموع الفتاوى» (٨/٢٥٨ ـ ٢٦١).

(٤) في «طريق الهجرتين» (ص١٦٠ ـ ١٦٢).

وأنه ما شاءَ اللَّهُ كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلِّبُ القلوب ومُصرِّفُها كيف أراد.

وأنه هو الذي جعلَ المؤمنَ مؤمناً والمُصليَ مُصلياً والمتقي متقياً، وجعل أئِمةَ الهُدى يهدون بأمره، وأئمةَ الضلالةِ يدعون إلى النار، وأنه ألهم كلَّ نفسٍ فجورَها وتقواها، وأنه يهدي من يشاء بفضله ورحمتِه، ويُضل من يشاء بعدلِه وحكمتِه، وأنه هو الذي وفّق أهلَ الطاعةِ لطاعتِه فأطاعوهُ ولو شاء لخذلهم فعصَوه، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبِهم فإنه تعالى يحول بين المرءِ وقلبِه فكفروا به، ولو شاء لوفَّقهم فآمنوا وأطاعوه، وأنه من يهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلُهم جميعاً إيماناً يثابون عليه ويُقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعلُ ما يريد، ولو شاء ربُك ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

والقضاءُ والقدرُ عندهم أربعُ مراتب جاء بها نبيُّهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى:

الأولُ: علمُهُ السابقُ بما هم عاملوه قبل إيجادِهم.

الثانيةُ: كتابتُه ذلك في الذكرِ عنده قبل خلقِ السمواتِ والأرضِ.

الثالثةُ: مشيئتُه المتناولةُ لكل موجودٍ، فلا خروجَ لكائن عن مشيئته كما لا خروجَ له عن علمه.

الرابعة: خلقُه له وإيجاده وتكوينه، فإنه لا خالِقَ إلا اللَّهُ، واللَّهُ خالقُ كلِ شيء.

فالخالقُ عندهم واحد وما سواه فمخلوقٌ ولا واسطةَ عندهم بين الخالقِ والمخلوقِ. ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيمٌ في كل ما فعله وخلقه، وأن مصدَرَ ذلك جميعِه عن حكمة تامةٍ هي التي اقتضت صدورَ ذلك وخلْقِه، وأن حكمتَه حكمةٌ حقٌ عائدةٌ إليه قائمة به كسائر صفاتِه، وليست عبارةً عن مطابقة علمِه لمعلومه وقدرتِه لمقدوره كما يقوله نُفاةُ الحِكمةِ الذين يُقِرّون بلفظها دون حقيقتِها، بل هي أمرٌ وراءَ ذلك، وهي الغايةُ المحبوبةُ له المطلوبةُ التي هي متعلّقُ محبتِه وحمدِه ولأجلها خَلقَ فسوّى وقدّر فهدى، وأمات وأحيا وأسعد وأشقى، وأضلَّ وهدى ومنع وأعطى.

وهذه الحِكمةُ هي الغايةُ، والفعلُ وسيلةٌ إليها، فإثباتُ الفعلِ مع نفيها إثباتٌ للوسائل ونفيٌ للغايات، وهو مُحالٌ، إذ نفيُ الغايةِ مستلزمٌ لنفي الوسيلةِ، فنفيُ الوسيلةِ وهي الفعلُ لازمٌ لنفي الغايةِ وهي الحكمةُ، ونفيُ قيامِ الفعلِ والحكمةِ به نفيٌ لهما في الحقيقة، إذ فعلٌ لا يقوم بفاعله وحكمةٌ لا تقوم بالحكيم شيءٌ لا يُعقل، وذلك يستلزمُ إنكارَ ربوبيتِه وإلهيَّته، وهذا لازمٌ لمن نفى ذلك، ولا محيدَ له عنه وإن أبى التزامِه.

وأما من أثبت حكمتَه تعالى وأفعالَه على الوجه المطابقِ للعقلِ والفطرةِ ولِما جاءت به الرسلُ لم يلزَم من قوله محذورٌ البتة، بل قولُه حقٌّ، ولازمُ الحقِّ حقٌ كائناً ما كان[1].

والمقصودُ أن ورثةَ الرسلِ وخلفاءَهم لكمال ميراثِهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدرِ والحِكَم والغاياتِ المحمودةِ في أفعال الربِّ تعالى وأوامرِه، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي وصدقوا بالوعد والوعيدِ، فآمنوا بالخالق الذي من تمام الإيمانِ به إثباتُ القَدرِ والحِكمة، وبالأمر الذي من تمام الإيمانِ به الإيمانُ بالوعد والوعيد وحشرِ الأجسادِ والثوابِ والعقابِ، فصدّقوا بالخلق والأمرِ ولم ينفُوهما بنفي لوازِمهما كما فعلت القدَريةُ المجوسيةُ والقدريةُ المعارضةُ للأمرِ بالقدرِ، وكانوا أسعدَ الناسِ بالحق وأقربَهم عَصَبةً في هذا الميراثِ النبويِّ، وذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه من يشاء واللَّهُ ذو الفضلِ العظيم»، انتهى ما سُقنا من كلامه[2] رحمه الله تعالى.

وقد بسطَ الكلامَ قبل ذلك وبعده فشفى وكفى، رحمه الله تعالى.

والمقصودُ أن الإيمانَ بالقدر مرتبطٌ بامتثال الشرعِ، وامتثالُ الشرعِ مرتبطٌ بالإيمانِ بالقدر، وانفكاكُ أحدِهما من الآخر مُحالٌ، فإن الإقرارَ بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربتَه به مخاصمةٌ لله تعالى في أمره وشرعِه ووعدِه ووعيدِه وثوابِه وعقابِه، وطعنٌ في حكمتِه وعدلِه، وانتقادٌ عليه في إرسال الرسلِ وإنزالِ الكتب، وخلقِ الجنةِ لأوليائِه المصدِّقين بها، وخلقِ النارِ لأعدائِه المكذبين،

---

(١) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم (ص١١٠ ـ ١١٩).

(٢) أي ابن القيم من كتابه «طريق الهجرتين».

ونسبةٌ لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين ـ الحكيمِ في خلقه وشرعِه، العدْلِ في قولِه وفعِله وحكمِه ـ إلى العبث والظلمِ في ذلك كلِّه.

وكذلك الانقيادُ في الشرع مع نفْي القدرِ وإخراجِ أفعالِ العباد عن قدرة الباري، وجعلِهم مستقلّين بها مستغْنين عنه طعنٌ في ربوبيةِ المعبودِ وملكوته ونسبتِه إلى العجز ووصفِه بما لا يستحق الإلهيةَ ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يُغني عنك شيئاً، تعالى ربُنا وتقدَّس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوّاً كبيراً.

بل الإيمانُ بالقدر، خيرِه وشرِه، هو نظامُ التوحيدِ، كما أن الإتيانَ بالأسباب التي توصل إلى خيرِه وتحجُز عن شرِه واستعانةَ اللّهِ عليها هو نظامُ الشرع، ولا ينتظم أمرُ الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرعَ كما قرر النبيُّ ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا نتكلُ على كتابنا وندعُ العملَ؟ قال: «**لا، اعملوا فكل ميسر لما خُلق له**»[1].

فمن نفى القدَرَ رغم منافاتِه للشرع فقد عطّل اللّهَ تعالى عن علمه وقدرتِه ومعاني ربوبيتِه، وجعل العبدَ مستقلاً بأفعاله خالقاً لها، فأثبتَ خالقاً آخرَ مع الله تعالى، بل أثبت أن جميعَ المخلوقين خالقون، ومن أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به نافياً عن العبد قدرتَه واختيارَه التي منحه اللّهُ تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعماً أن الله تعالى كلف عباده ما لا يُطاق، فقد نسب اللّهَ تعالى إلى الظلم وإلى العبث وإلى ما لا يليق به، ورجحَ حجةَ إبليسَ وأثبتها وأقامَ عُذرَه وكان هو إمامُه في ذلك إذ يقول: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

وأما المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر خيره وشرِه وأن اللّهَ تعالى خالقُ ذلك كلِه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، وينقادون للشرع أمرِه ونهْيه، ويصدِّقون خبرَ الكتابِ والرسولِ، ويحكّمونه في أنفسهم سراً وجهراً، وأن الهدايةَ والإضلالَ بيدِ اللّهِ يهدي من يشاء بفضله ورحمتِه ويُضل من يشاء بعدله وحكمتِه، وهو أعلمُ بمواقع فضلِه وعدلِه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

وله في ذلك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغةُ، وأن الثوابَ والعقابَ مترتبٌ على الشرع فعلاً وتركاً لا على القدر، ويعزّون أنفسَهم بالقدر عند المصائب ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب، فإذا وفّقوا لحسنة عرَفوا الحقَ لأهله فقالوا: الحمدُ لله الذي هدانا سبلنا: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ولم يقولوا كما قال الفاجرُ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وإذا اقترفوا سيئةً باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوانِ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ولم يحملوا ذنبهم وظلمَهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال إبليسُ لعنه اللّٰهُ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

وإذا أصابتهم مصيبةٌ رضُوا بقضاء الله وقدرِه واستسلموا لتصرف ربِّهم ومالكِهم تبارك وتعالى وقالوا كلمةَ الصابرين: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. ولم يقولوا كما قال الذين كفروا: ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

(فصل) واتفقت جميعُ الكتبِ السماويةِ والسننِ النبويةِ على أن القدر السابقَ لا يمنع العملَ ولا يوجب الاتكالَ، بل يوجب الجدَّ والاجتهادَ والحِرصَ على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبيُّ ﷺ أصحابَه بسبْق المقاديرِ وجَرَيانِها وجُفوفِ القلم بها فقيل له: أفلا نتكِلُ على كتابِنا وندعُ العملَ؟ قال: «**لا، اعملوا فكلٌ ميسّرٌ**»(١)، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، كما في الأحاديث التي قدمنا غيرها.

فاللّٰهُ سبحانه وتعالى قدّر المقاديرَ وهيأ لها أسباباً، وهو الحكيمُ بما نصبَه من الأسباب في المعاش والمَعادِ، وقد يسّر كلاً من خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأٌ له ميسّرٌ له، فإذا علمَ العبدُ أن مصالِحَ آخرتِه مرتبطةٌ بالأسبابِ المُوصلةِ إليها

---

(١) تقدم تخريجه.

كان أشدَّ اجتهاداً في فعلها والقيامِ بها، وأعظمَ منه في أسبابِ معاشِه ومصالحِ دُنياه من كون الحرثِ سبباً في وجود الزرع، والنكاحِ سبباً في وجود النسل، وكذلك العملُ الصالحُ سببٌ في دخول الجنةِ، والعملُ السيءُ سببٌ في دخول النارِ.

وقد فقِه هذا كلَّ الفقهِ من قال من الصحابة لما سمع أحاديثَ القدَر: «**ما كنتُ بأشدَّ اجتهاداً مني الآنَ**»[1].

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث المتقدم: «**احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ بالله ولا تعجزَن، وإن أصابك شيءٌ فلا تقلْ لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل قدَّر اللَّهُ وما شاء فعل**»[2].

وفي المسند[3] والترمذيِّ[4] وابن ماجه[5] من حديث الزُّهريِّ عن ابن أبي خُزامةَ عن أبيه أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: أرأيتَ رُقًى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتُقاةً نتقيها هل ترُدّ من قدَر الله شيئاً؟ قال: «**هي من قدر اللَّهِ**». يعني أن الله تبارك وتعالى قدّر الخيرَ والشرَّ وأسبابَ كل منهما.

ذكرُ ما جاء من الأحاديث في ذم القدَرية

تقدم في الحديث الذي رواه مسلمٌ[6] عن أبي هريرةَ أن هذه الآيةَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر] أنها نزلت في المخاصمين في القدر.

وتقدم فيهم أحاديثُ الصحابةِ من مواضِعَ من هذا المجموعِ، وقال أبو داودَ[7] رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٧٦ رقم ١٧٣) **بسند ضعيف**. رجاله ثقات رجال البخاري غير أبي حنيفة قاله الألباني. ولفظه: «**الآن حق العلم**».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (٣/ ٤٢١).

(٤) في «السنن» (٤/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ رقم ٢٠٦٥) وقال: **حديث حسنٌ صحيح**.

(٥) في «السنن» (٢/ ١١٣٧ رقم ٣٤٣٧). **وهو حديث صحيح**.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) في «السنن» (٥/ ٦٦ ـ ٦٧ رقم ٤٦٩١) **بسند منقطع** أبو حازم ـ سلمة بن دينار ـ لم=

حازم قال: حدثني بِمِنًى عن أبيه عن ابن عمرَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«القدريةُ مَجوسُ هذه الأمةِ، إنْ مَرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**.

ورواهُ الإمامُ أحمدُ[1] عنه بلفظِ: أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«لكل أمةٍ مجوسٌ، ومَجوسُ أمتي الذين يقولون لا قدَرٌ، إن مرضوا فلا تعودوهم»**، إلخ.

وفي رواية[2]: **«إن لكل أمةٍ مجوساً، وإن مجوسَ أمتي المكذبون بالقدرَ»** إلخ.

وله[3] عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«سيكون في هذه الأمةِ مسخٌ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقيَّة»**.

وله[4] عن نافع قال: كان لابن عمرَ ﷺ صديقٌ من أهلِ الشامِ يكاتبه، فكتب إليه مرة عبدُ اللّهِ بنُ عمرَ: إنه بلغني أنك تكلمتَ في شيء من القدر، فإياكَ أن تكتب إليّ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«سيكون في أمتي أقوامٌ يكذّبون بالقدر»**.

وللتِرمِذي[5] عن نافع عنه ﷺ جاءه رجلٌ فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال: إنه بلغني أنه قد أحدثَ، فإن كان قد أحدثَ فلا تُقرِئه مني السلامَ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«في هذه الأمةِ - أو في أمتي، الشكُّ منه -**

= يسمع من ابن عمر وقد رُوي هذا الحديث عن ابن عمر من طرق ليس فيها شيء يثبت.
قلت: وأخرجه الحاكم (١/٨٥) من طريق أبي حازم أيضاً. وأخرجه اللالكائي رقم (١١٥٠) والآجري في «الشريعة» (ص١٩٠) من طريق زكريا بن منظور عن أبي حازم عن نافع عن ابن عمر...
وزكريا بن منظور ضعيف ومع هذا فقد حسن الألباني الحديث في صحيح أبي داود.

(١) في «المسند» (٢/٨٦) **بسند ضعيف.**

(٢) في «المسند» (٢/٤٠٦ - ٤٠٧) **بسند حسن.**

(٣) أي لأحمد في «المسند» (٢/١٠٨) **بسند ضعيف.**
قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٢١٥١، ٢١٥٢) وأبو داود رقم (٤٦١٣) وابن ماجه رقم (٤٠٦١) والحاكم (١/٨٤). **وهو حديث حسن.**

(٤) أي لأحمدَ في «المسند» (٢/٩٠).

(٥) في «السنن» (٤/٤٥٦ رقم ٢١٥١، ٢١٥٢) وقد تقدم.

خسفٌ أو مسخٌ أو قذفٌ في أهلَ القدرِ. هذا حديثٌ حسن[1] صحيحٌ غريبٌ.

وقال أبو داودَ[2] رحمه الله أيضاً: حدثنا محمدُ بنُ أبي كثيرٍ، أخبرنا سفيانُ عن عمرَ بنِ محمدٍ عن عمرَ مولى غُفْرَةَ عن رجل من الأنصار عن حُذيفة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لكل أمةٍ مجوسٌ، ومَجوسُ هذه الأمةِ الذين يقولون لا قدَرَ. من مَاتَ منهم فلا تشهدوا جنازتَه، ومن مرضَ منهم فلا تعودوهم، وهم شيعةُ الدّجال، وحقٌّ على الله أن يُلحقهم بالدجال»**.

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ حدثنا عبدُ اللّهِ بنُ يزيدَ المُقْرِيُّ أبو عبد الرحمنِ قال: حدثني سعيدُ بنُ أبي أيوبَ قال: حدثني عطاءُ بنُ دينارٍ عن حكيم بنِ شريكٍ الهُذليِّ عن يحيى بن ميمونٍ الحضرميِّ عن ربيعةَ الجُرشيِّ عن أبي هريرةَ عن عمرَ بنِ الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا تجالسوا أهلَ القدرِ ولا تفاتِحوهم»**. صحيحٌ.

وقال[4] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرنا سفيانُ عن أبي سنانٍ عن وهْب بنِ خالدِ الحِمْصيِّ عن ابن الديلميِّ قال: أتيتُ أُبيَّ بنَ كعْبٍ فقلتُ له: وقع في نفسي شيءٌ من القدر فحدثني بشيء لعل اللّهَ أن يُذهبَه من قلبي، فقال:

---

(١) في «السنن» (٤/ ٤٥٦).

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٧ رقم ٤٦٩٢) **وهو حديث ضعيف**.

(٣) أي لأبي داودَ في «السنن» (٥/ ٨٤ رقم ٤٧١٠).
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٣٠) وابنه عبد الله في «السنة» رقم (٦٧٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٥ رقم ٣٣٠) والحاكم (١/ ٨٥) واللالكائي (٤/ ٣٦٠ رقم ١١٢٤) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٤). وابن حبان في صحيحه رقم (٧٩) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٢١٨).
وقال ابن الجوزي: «**هذا حديث لا يصح**...».
وخلاصة القول أنَّ الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٧٥ رقم ٤٦٩٩).
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ١٨٥) وابن ماجه (١/ ٢٩ رقم ٧٧) وابن حبان رقم (٧٢٧) والبيهقي (١٠/ ٢٠٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٩٤٠) والآجري في «الشريعة» (ص١٨٧).
وهو حديث صحيح.

لو أن اللَّهَ عذَّب أهلَ سماواتِه وأهلَ أرضِه عذبهم وهو غيرُ ظالِمهم، ولو رحِمهم كانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالِهم، ولو أنفقتَ مثلَ أُحدٍ ذهباً في سبيل اللَّهِ ما قبِلَه اللَّهُ منك حتى تؤمنَ بالقدرِ، وتعلمَ أن ما أصابَك لم يكن ليُخطئك وأن ما أخطأكَ لم يكن ليُصيبَك، ولو مُتَّ على غيرِ هذا لدخلتَ النارَ.

قال: ثم أتيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ فقال مثلَ ذلك، قال: ثم أتيتُ حُذيفةَ بنَ اليمانِ فقال مثلَ ذلك، قال: ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابتٍ فحدثني عن النبيّ ﷺ مثلَ ذلك. وتقدم ذكرُ وصية عُبادةَ لابنه في ذلك.

وقال التِرمِذيُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعلى أخبرنا محمدُ بنُ فُضيلٍ عن القاسمِ بنِ حبيبٍ وعليِّ بنِ نزارٍ عن نزارٍ عن عِكرمةَ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«صِنفانِ من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيبٌ، المُرجئةُ والقدريةُ»**. هذا حديث حسنٌ غريبٌ[2].

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا محمودُ بنُ غيلانَ أخبرنا أبو داودَ أنبأنا شُعبةُ عن منصورٍ عن رِبعيِّ بنِ حِراش عن علي رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يؤمن عبدٌ**

---

(١) في «السنن» (٤/ ٤٥٤ رقم ٢١٤٩).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/ ٣١ رقم ٦٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٧ رقم ٣٣٤) و (٢/ ٤٦١ رقم ٩٤٦) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٣٨) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٦٨) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥٨ رقم ٢٤٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢/ ١٣٣) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٦٢ رقم ١٦٨٢) واللالكائي رقم (١١٥٦) **بسند ضعيف**.
وقال ابن الجوزي: **هذا حديث لا يصح**.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.
(٢) في «السنن» (٤/ ٤٥٤).
(٣) أي الترمذي في «السنن» (٤/ ٤٥١ رقم ٢١٤٤).
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ١٣٣) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٢ ـ ٣٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٥٩ رقم ١٣٠) وابن ماجه (١/ ٣٢ رقم ٨١). وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٠٤ رقم ١٧٨). والبغوي في «شرح السنة» رقم (٦٦).
وهو حديث صحيح.

حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ اللَّهِ بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدَر».

وقال[1] رحمه الله تعالى: باب ما جاء من التشديد في الخوضِ في القدَر.

حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ معاويةَ الجُمَحيُّ، أنبأنا صالحٌ المُريُّ عن هشام بنِ حسانَ عن محمد بنِ سيرينَ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضِبَ حتى احمرَّ وجهُه حتى كأنما فُقِىءَ في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: «أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرسِلْتُ إليكم؟ إنما هلكَ من كان قبلكم حين تنازعُوا في هذا الأمرِ، عزمتُ عليكم ألا تنازَعوا فيه».

ولأحمد[2] عن عمْرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جده قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ والناسُ يتكلمون في القدر، قال وكأنما تَفَقأ في وجهِه حبُّ الرمّانِ من الغضب، قال: فقال لهم: «ما لكم تضرِبون كتابَ اللَّهِ بعضَه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم». قال: فما غبَطْتُ نفسي بمجلس فيه رسولُ الله ﷺ لم أشهدْه بما غبطتُ نفسي بذلك المجلسِ أني لم أشهدْه. ورواه ابنُ ماجه[3].

ولأحمدَ[4] عن أبي الدرداءِ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنةَ عاقٌ ولا مدمنُ خمرٍ ولا مُكذِّبٌ بقدَر».

---

(١) أي للترمذي في «السنن» (٤/٤٤٣ رقم ٢١٣٣).
وقال الترمذي: «وفي الباب عن عُمرَ وعائشة وأنس، وهذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه من حديث صالح المُريِّ وصالحٌ المُريُّ لَهُ غرائبُ ينفردُ بها لا يُتابعُ عليها» وله شواهد.
وهو حديث حسن بشواهده.

(٢) في «المسند» (٢/١٧٨).

(٣) في «السنن» (١/٣٣ رقم ٨٥) وقال البوصيري: **هذا إسناد صحيح**، رجاله ثقات.
وقال الألباني: **إسناده حسن.**

(٤) في «المسند» (٦/٤٤١).
قلت: وأخرجه البزار (٣/٣٦ رقم ٢١٨٢ ـ كشف).
وقال البزار: **إسناده حسن.**
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٠٢) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني وزاد: ولا مَنّان، وفيه سليمان بن عُتبة الدمشقي وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه ابن معين وغيره.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

وله[1] عن محمد بنِ عبيدِ المكيِّ عن ابن عباس ﷺ قال: قيل لابن عباس ﷺ إن رجلاً قدم علينا يكذّب بالقدر، فقال: دُلُوني عليه، وهو يومئذ قد عميَ، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنتُ منه لأعضَنَّ أنفَه حتى أقطعَه، ولئن وقعتُ على رقبتِه في يدي لأدُقَّنَّها، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كأني بنساء بني فِهر يطُفْنَ بالخزرج تصطفق إلياتُهن مشركاتٍ**». هذا أولُ شركِ هذه الأمةِ، والذي نفسي بيده لَيَنتهيَنّ بهم سوءُ رأيِهم حتى يُخرجوا اللَّهَ من أن يكون قدّر خيراً، كما أخرجوه من أن يكون قدّر شراً.

وروى البزارُ[2] عن عمْرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جده قال: ما نزلتْ هذه الآيــاتُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. إلا في أهل القدَرِ.

ولابن أبي حاتم[3] عن ابن زُرارةَ عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

قال: «**نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمانِ يكذّبون بقدر الله**».

وروى الحسنُ[4] بنُ عرفةَ عن عطاءَ بنِ رباحٍ قال: أتيتُ ابنَ عباس وهو ينزع

---

(١) أي لأحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠) من طريقين. بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١١١٦) بسند ضعيف.

(٢) (٣/ ٧٢ ـ ٧٣ رقم ٢٢٦٥ ـ كشف).
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) رواه البزار، وفيه يونس بن الحراث، وثّقه ابن معين وابن حبان، وفيه ضعيف.
قلت: وأخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣). وفيه يونس بن الحارث وهو ضعيف.
وأصل الحديث عند مسلم من رواية أبي هريرة ﷺ (٤/ ٢٠٤٦ رقم ٢٢٥٦). وأحمد (٢/ ٤٤٤ و ٤٧٦).

(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٣٢١ رقم ١٨٧١٤).
قلت: وأخرجه الطبراني (٥/ ٢٧٦ رقم ٥٣١٦) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣١٤ رقم ١٧٤٠).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): وفيه من لم أعرفه.
قلت: ويشهد له ما تقدم.

(٤) رقم (١٠). =

من زمزمَ وقد ابتلتْ أسافِلُ ثيابِه، فقلت له: تُكُلِّمَ في القدر. فقال: أَوَقدْ فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فواللَّهِ ما نزلتْ هذه الآيةُ إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. أولئك شرارُ هذه الأمةِ، فلا تعودوا مَرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم. إن رأيْتُ أحداً منهم فقأتُ عينيه بأُصبعيَّ هاتين.

ذكرُ أقوالِ الصحابةِ في هذا البابِ

تقدم قولُ ابنِ عمرَ ليحيى بنِ يعمَرَ، وقولُ أُبيِّ بنِ كعبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعود وحُذيفةَ بنِ اليمانِ وزيدِ بنِ ثابت لابن الديلمي، ووصيةُ عُبادةَ ابنِ الصامتِ لابنه.

وروى عبدُ الله[1] بنُ أحمدَ عن ابن عباس قال: أولُ ما خلق الله القلمَ ثم قال: اكتبْ، قال: ما أكتب؟ قال: اكتبْ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

وله عنه: فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

وله[2] عنه قال: أخرج اللَّهُ ذريةَ آدمَ من ظهره مثلَ الذرِّ فسمّاهم، قال: هذا فلانٌ وهذا فلانٌ، ثم قبض قبضتين فقال للتي في يمينه: ادخُلوا الجنة، وقال للتي في يده الأخرى: ادخلُوا النارَ ولا أبالي.

وله[3] عنه قال: إن الرجلَ ليمشي في الأسواق وإن اسمه لفي الموتى.

وله[4] عنه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

= قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٢١ رقم ١٨٧١٥) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤/ ٧١٢ رقم ١١٦٢) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٢١ - ١٢٢ رقم ١٥٥٠) كلاهما من طريق الحسن عن مروان بن مالك الجزري. ومروان: قال الحافظ صدوق له أوهام.

(١) في «السنة» رقم (٨٧١، ٨٧٢، ٨٩٤، ٨٩٨) بأسانيد بعضها صحيح.
قلت: وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٧١) وزيادة «تبت يدا أبي لهب».
والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أبي لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٦) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣ رقم ٨٥٣١).

(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٨٧) بسند صحيح.

(٤) أي لعبد الله في «السنة» رقم(٨٩٧) بسند ضعيف. فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: وهو سيء الحفظ.

قال: إلاَّ الشقاوةَ والسعادةَ والحياةَ والموتَ.

وله[1] عنه أن أولَ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ فأمرَه أن يكتُبَ ما يريده أن يُخلَقَ، فالكتابُ عنده، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وله[2] عن عكرمةَ قال: سُئل ابنُ عباسٍ كيف تفقّد سليمانُ الهدهدَ من بين الطير؟ قال: إن سليمانَ نزل منزلاً فلم يدرِ ما بُعدُ الماء، وكان الهدهد مهندساً قال: فأراد أن يسأله عن الماء ففقدَه. قلت: وكيف يكون مهندساً والصبيُّ ينصب له الحِبالةَ فيَصيدَه. قال: إذا جاء القدَرُ حال دون البصرِ.

وله[3] عن أبي الزبيرِ أنه كان يطوف مع طاوسٍ بالبيت فمرّ بمعبد الجهني، فقال قائلٌ لطاوسٍ: هذا معبد الجهنيُّ الذي يقول في القدر، فعدل إليه طاوسٌ حتى وقف عليه، فقال: أنت المفتري على الله، القائلُ ما لا تعلم. قال معبد: يَكذب عليّ. قال أبو الزبير: فعدلتُ مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباسٍ، فقال له طاوسٌ: يا أبا عباسٍ الذين يقولون في القدر. فقال ابن عباس: أروني بعضَهم، قال: قلنا صانعٌ ماذا؟ قال: إذن أجعلُ يدي في رأسِه ثم أدقّ عُنُقَه.

وله[4] عنه قال: ليس قومٌ أبغضَ إليّ من القَدَرية، إنهم لا يعلمون قُدرةَ الله، إن اللَّهَ تعالى يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وله[5] عن طاوس قال: كنت مع ابن عباس في حلْقة قال: فذكروا أهلَ القدَر، قال فقال: أفي الحلقة منهم أحدٌ فآخذُ برأسِه ثم اقرأ عليه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا.

---

(١) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٨٩٨) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٨١ رقم ١٨٤٩٤).

(٢) أي عبد الله في «السنة» رقم (٩٠٠ و ٩٣١) بسند حسن.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٩١١). وسنده صحيح.

(٤) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٩١٢) وسنده حسن.

(٥) لعبد الله في «السنة» رقم (٢٩٢) وسنده صحيح.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦٠).

وله[1] عنه وذُكر عنده القدَريةُ قال فقال: لو رأيتُ أحداً منهم لعضَضْتُ أنفَه.

وله[2] عنه قال: الإيمانُ بالقدر نظامُ التوحيدِ، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقضٌ للتوحيد. وفي لفظ[3]: فمن وحّد وكذّب بالقدر فقد نقض التوحيد.

وله[4] عن أبي يحيى مولى ابنِ عفراءَ قال: أتيتُ ابنَ عباسٍ ومعي رجلان من الذين يذكُرون القدَرَ أو يُنكِرونه، فقلت: يا ابن عباس ما تقول في القدر لو أن هؤلاء أتَوك يسألونك - وقال مرة - يسألونك عن القدر إن زنا أو سَرق أو شرب؟ فحسّر قميصَه حتى أخرج مَنكِبيه وقال: يا أبا يحيى لعلك من الذين يُنكرون القدَرَ ويكذبون به، واللّهِ لو أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتُهم، إن زنا فبقدَرٍ، وإن سَرق فبقدر، وإن شربَ الخمرَ فبقدر.

وروى إسحاقُ ابنُ الملائيّ[5] عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال: إن الله تعالى أخذ على آدمَ ميثاقَه أنه ربُّه وكتب رزقَه وأجلَه، ومُصيباتِه، ثم أخرج من ظهره ولدَه كهيئةِ الذرِّ فأخذ عليهم الميثاقَ أنه ربُهم، وكتب رزقَهم وأجلَهم ومصيباتِهم.

وفي تفسير أسباط[6] عن السُدي عن أصحابِه: أي مالكٍ وأبي صالحٍ عن ابن عباس.

وعن مُرَّةَ الهمدانيِّ[7] عن ابن مسعودٍ. وعن أناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ

---

(١) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٤أ) وسنده صحيح وقد تقدم.

(٢) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٥) وفي سنده مجهول.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٢٤) بسند فيه انقطاع.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٩٧) رواه الطبراني في «الأوسط» - (رقم ٣٥٧٣) - وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف. فأسانيده لا تخلو من مجاهيل أو ضعفاء.

(٣) لعبد اللّهِ في «السنة» رقم (٩٢٨) بسند ضعيف.

(٤) لعبدالله في «السنة» رقم (٩٣٧) وفي سنده من لا يعرف.
قلت: وأخرجه اللالكائي في «أصول الاعتقاد» رقم (١٢٣٠) بسند عبد الله بن أحمد.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣/٥ رقم ٨٥٣٠).

(٦) ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره (٦/ج٩/١١٦ - ١١٧).
وانظر: «الدر المنثور» (٥٩٩/٣).

(٧) انظر: «الدر المنثور» (٥٩٩/٣) حيث عزاه إلى ابن عبد البر في «التمهيد».

ورضي عنهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: لما أخرج اللَّهُ آدمَ من الجنة قبل أن يهبِطَ من السماء مسح صفحةَ ظهرِ آدمَ اليمنى فأخرجَ منه ذريةً بيضاءَ مثلَ اللؤلؤِ كهيئة الذرِّ فقال لهم: ادخلُوا الجنةَ برحمتي، ومسحَ صفحةَ ظهرِه اليسرى فأخرج منه ذريةً سوداءَ كهيئةِ الذرِّ فقال: ادخلوا النارَ ولا أبالي. فذلك حين يقول أصحابُ اليمين وأصحابُ الشمال، ثم أخذ منهم الميثاقَ فقال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى. فأعطاه طائفةٌ طائعين وطائفةٌ كارهين على وجه التَّقيَّة، فقال هو والملائكة: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]. الآية.

فلذلك ليس أحدٌ من ولد آدمَ إلا وهو يعرف أن اللَّهَ ربُّه، ولا مشركٌ إلا وهو يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. فذلك قولُه عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وذلك حين يقول تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وذلك حين يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. قال:[1] يعني يومَ الميثاقِ.

وعن مِقْسَم عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]. قال: تستنسخ الحفَظةُ من أم الكتابِ ما يعمل بنو آدمَ، فإنما يعمل الإنسانُ على ما استنسخ الملكُ من أم الكتاب.

وعنه[3] رضي الله عنه قال: كتب في الذكر عنده كلَّ شيءٍ هو كائنٌ، ثم بعث الحفَظةَ على آدمَ وذريتِه، وكلُّ ملائكتِه ينسخون من الذكر ما يعمل العبادُ، ثم قرأ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وفي تفسير الضحاكِ[4] عنه رضي الله عنه في هذه الآيةِ قال: هي أعمالُ أهلِ الدنيا

(١) انظر: «جامع البيان» للطبري (٦/ج٩/١١٦).
(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٥٦).
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٥٦).
(٤) ذكر ذلك السيوطي في تفسيره (٧/ ٤٣٠) وقال: أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الحسناتُ والسيئاتُ تنزل من السماء كل غداةٍ وعشيةٍ ما يصيب الإنسانَ في ذلك اليوم أو الليلة، الذي يُقتل والذي يغرَق والذي يقع من فوق بيتٍ والذي يتردى من جبل، والذي يقع ، والذي يُحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كلَّه، وإذا كان الشيءُ صعِدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم.

وقال أبو بكر الصديق(١) ﷺ: خلقَ اللَّهُ الخلقَ قبضتين، فقال لمن في يمينه: ادخُلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخُلوا النارَ ولا أُبالي.

ولعبدِ اللَّهِ(٢) ابنِ الإمامِ أحمدَ عن ابن عباسٍ ﷺ قال: لا يزالُ أمرُ هذه الأمةِ قِواماً، أو مقارباً، ما لم يتكلموا في القدر.

وله(٣) عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ أنه قال حين طُعن: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وله(٤) عن عبد اللَّهِ بنِ الحارثِ الهاشميِّ قال: خطبَ عمرُ ﷺ بالجابية - في لفظ بالشام - والجاثليق(٥) ماثلٌ فتشهد فقال: «مَنْ يهدِهِ اللَّهُ فلا مضِلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له»، فقال الجاثليقُ بقميصه هكذا يعني نفضَه، وقال: إن اللَّهَ لا يُضل أحداً. فقال: ما يقولُ؟ فقالوا ما قال. فقال: كذبتَ عدوَّ الله، اللَّهُ

---

(١) أخرجه سفيان بن عيينة في «جامعه» عن عمرو بن دينار أن أبا بكر الصديق قام على المنبر... الأثر - كما في «كنز العمال» (١/ ٣٣٥ - ٣٣٦ رقم ١٥٤٢) -.

(٢) في «السنة» رقم (٨٧٠) وإسناده صحيح.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٣) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولا نعلم له علة ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
ولفظه عند الحاكم: «لا يزال أمر هذه الأمة قواماً أو قال مقارباً ما لم يتكلموا في الوالدان والقدر».
وأخرجه اللالكائي رقم (١١٢٧).

(٣) أي لعبد اللَّهِ في «السنة» رقم (٨٩٢) وإسناده صحيح.

(٤) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٩).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١١٩٨) والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٦١) والفريابي في «القدر» رقم (٥٤، ٥٥) وابن وهب في القدر (٢٢، ٢٣) وأبو داود في كتاب «القدر» كما في «تهذيب الكمال» (١٦/ ٣٥٨) بسند ضعيف.

(٥) الجاثليق: لقب عظيم عظماء النصارى كما عند ابن وهب في كتاب «القدر» رقم (٢٣).

خلقكَ، واللّهُ أضلّك ثم يميتك ثم فيدخِلُك النارَ إن شاء الله، واللّهِ لولا عقدٌ لك لضربتُ عنقَك، ثم قال: إن اللّهَ خلقَ آدمَ فنثر ذريتَه في يديه ثم كتب أهلَ الجنةِ وما هم عاملون، وكتبَ أهلَ النارِ وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. قال: فتصدّع الناسُ وما يُتنازعُ في القدر.

وقال علي[1] ﷺ: ما من آدميٍّ إلا ومعه ملكٌ يقيه ما لم يقدّر له، فإذا جاء القدرُ خلّاه وإياه.

وله[2] عنه ﷺ قال: وذُكر عنده القدرُ يوماً فأدخلَ إصبعَيه السبابةَ والوسطى في فيه فرَقَم بهما باطنَ يديه فقال: أشهد أن هاتين الرقْمتينِ كانتا في أمِّ الكتابِ.

وله[3] عن أسير بن جابرٍ قال: طلبتُ علياً في منزله فلم أجدْه، فنظرت فإذا هو في ناحية المسجد. قال: فقلت له ـ كأنه خوفه ـ قال فقال: إيهِ ليس أحدٌ إلا ومعه ملكٌ يدفع عنه ما لم ينزِل القدرُ، فإذا نزل القدر لم يُغنِ شيئاً.

وله[4] عن عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ ﷺ ـ وقال له رجلٌ إنا نسافر فنلقى قوماً يقولون لا قدَرٌ ـ قال: إذا لقيتَ أولئكَ فأخبِرهُم أن ابنَ عمرَ منهم بريءٌ وهم منه بُرَآءُ، ثلاث مرات.

ولعبد الرزاقِ[5] عن يحيى بنِ يعمَرَ قال: قلت لابن عمرَ: إن أناساً عندنا يقولون: الخيرُ والشرُ بقدر. وناسٌ عندنا يقولون الخيرُ بقدر والشرُ ليس بقدر ـ فقال ابنُ عمرَ: إذا رجعتَ إليهم فقل لهم: إن ابنَ عمرَ يقول إنه منكم بريءٌ وأنتم منه بُرآءُ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٧٤) وإسناده صحيح.

(٢) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٥٥) والآجري في «الشريعة» (ص٢٠٢) واللالكائي رقم (١٢١٣) وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال عنه الحافظ في «تعجيل المنفعة» (١/ ٧٥٠ رقم ٥٦٣): «فيه نظر».

(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٧) وإسناده صحيح.

(٤) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢١).
قلت: وأصله عند مسلم في صحيحه (١/ ٣٨ رقم ٢/ ٨).
وأخرجه الفريابي في «القدر» (ص١٤٥) رقم (٢٠٩) و (ص١٤٧ رقم ٢١٠).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٢٦). وفي سنده سعيد بن حيان لم أعرف له ترجمة. وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٣١) بسند آخر إلى يحيى بن معمر.

ولعبد اللّهِ بنِ أحمدَ[1] ﷺ قال: من زعم أن مع الله بارئاً أو قاضياً أو رازقاً أو يملِك لنفسه ضراً أو نفعاً أو موتاً أو حياةً أو نشوراً بعثه اللّهُ يوم القيامةِ فأخرسَه وأعمى بصرَه وجعل عملَه هباءً منثوراً وقطّع به الأسباب وكبّه على وجهه في النار.

وله[2] عن نافعٍ قال: قيل لابن عمرَ: إن قوماً يقولون لا قدر. فقال: أولئك القدَريون، أولئكَ مَجوسُ هذه الأمةِ.

وله[3] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: مضت الكتبُ وجفّت الأقلامُ فشقيٌّ أو سعيد، فريقٌ في الجنة وفريق في السعير.

وله[4] عن الحسن بنِ عليٍّ ﷺ قال: رفع الكتابُ وجفت الأقلامُ، وأمورٌ تقضى في كتاب قد خلا.

وفي رواية[5] قُضيَ القضاءُ وجَفّ القلمُ وأمورٌ تُكفى في كتاب قد خلا.

وله[6] عنه ﷺ قال: سيكون ناسٌ يصدّقون بقدر ويكذبون بقدر، فيلعنهم أبو هريرةَ عند قولهم هذا.

وله[7] عن عمارٍ مولى بني هاشمٍ قال: سألتُ أبا هريرةَ عن القدر فقال: اكتفِ بآخر سورةِ الفتحِ.

وله[8] عن أبي الحجاجِ الأزديّ عن سلمان ﷺ قال: لقِيتُه بماء سبَذَانَ، قال

---

(١) في «السنة» رقم (٩٥٧) وفي سنده مؤمل: صدوق سيء الحفظ وسنده حسن.

(٢) لعبد الله في «السنة رقم (٩٥٨) وفي سنده مؤمل: صدوق سيء الحفظ وسنده حسن.

(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٨). في إسناده كريب الحضرمي وكثير بن نمر لم أقف لهما على ترجمة.

(٤) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٥ و ٨٨١) ورجاله ثقات.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٦٨٤) بسند لين في ليث بن أبي سليم. واللالكائي رقم (١٢٣٤) والآجري (ص٢٤٨).

(٥) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٨١) وفيه حميد الطويل ثقة يدلس.

(٦) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٠) بسند حسن وليس في سنده ابن لهيعة.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٣١١٤) وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٠٥) وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث.

(٧) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٣٠) بسند حسن.

(٨) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٣).

فقلت له: أخبرني كيف الإيمانُ بالقدر؟ قال: أن تعلمَ أنَّ ما أصَابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولا تقل لو كان كذا لكان كذا، ولو نفعل كذا لكان كذا.

وروى عبدُ الرزاق[1] عن معمرٍ قال: قال عمرُو بنُ العاصِ لأبي موسى الأشعريِّ: ودِدْتُ أني وجدتُ من أخاصمُ إليه ربي. فقال أبو موسى: أنا. فقال عمْرُو بنُ العاصِ: أيقدِّر عليَّ شيئاً يعذِّبني عليه؟ فقال أبو موسى: نعم، قال: لمَ؟ قال: لأنه لا يظلمك. فقال عمْرُو: صدقْتَ.

وله[2] عن ابن الديلميِّ: سألتُ عبدَ الله بنَ عمرٍو عن «جف القلم» فقال: إن اللَّهَ حين خلق الخلقَ ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شيءٌ منه اهتدى. وكلامُ الصحابةِ في هذا البابِ يطول ذكرُه، وقد جُمعت فيه التصانيفُ الكثيرة.

ذكرُ أقوالِ التابعين

قال[2] عبيدُ بنُ عمير: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحِلاكم ومجالسِكم.

وقال[3] سعيدُ بنُ جبير: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال: يحولُ بين المؤمنِ والكفرِ، وبين الكافر والإيمان.

= قلت: وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٠٨٣) والآجري (ص٢٠٦) واللالكائي في «الاعتقاد» رقم (١٢٤٠) والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٢٠ رقم ٦٠٦٠).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٩٩) وقال: رواه الطبراني وأبو الحجاج لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) في مصنفه رقم (٢٠٠٩٧).
قلت: وأخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٢٧) **بسند منقطع** لأن معمر لم يرو عن عمرو.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٧٩) وفي سنده الأعمش ثقة حافظ يدلس.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٠) **بسند حسن**.
وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ج٩/ ٢١٥). وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٠ رقم ٨٩٥٤).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٤ ـ ٤٥) لابن مردويه.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٨) موقوفاً، وقال: **صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه. =

وقال[1] رحمه الله تعالى فذكرَ قصةَ بُختَ نَصَّرَ ومُلكِ ابنِه، فرأى كفاً فُرجتْ بين لوحين ثم كَتبتْ سطرين. فدعا الكُهّانَ والعلماءَ فلم يجد عندهم منه علماً، فقالت له أمُّه: إنك لو أعذتَ لدانيال منزلتَه التي كانت له من أبيك ـ وكان قد جفاه ـ أخبرك. فدعاه فقال: إني معيدٌ لك منزلتَك من أبي، فأخبرنا ما هذان السطرانِ؟ قال: أما ما ذكرتَ أنك معيدٌ لي منزلتي من أبيك فلا حاجةَ لي بذلك. وأما هذان السطرانِ فإنك تُقتل الليلةَ. فأخرج من في القصرِ أجمعين، وأمر بقَفلةِ جِلادٍ فقُفّلت بها الأبوابُ عليه، وأدخل معه آمنَ أهلِ القريةِ في نفسِه، معه سيفٌ، وقال له: من جاء من خلق اللّهِ فاقتله وإن قال: أنا فلان. وبعث اللّهُ عليه البطن فجعل يمشي والآخرُ مستيقظٌ، حتى إذا كان على شطرِ الليلِ رقَد ورقد صاحبُه، ثم نبّهه البطنُ فذهب يمشي والآخرُ راقدٌ فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربَه بالسيف فقتله.

وقال ابنُ المسيِّبِ[2] ما قدّر اللّهُ فهو قدرٌ. وكان إياسُ بنُ معاويةَ[3] يقول: أعلمُ الناسِ بالقدرِ ضعفاؤُهم، يقول: إن كلَّ من لم يدخُل في خصومة القدر كان من قوله إذا تكلم: كان من قدرِ اللّهِ كذا وكذا.

وقال معْمَرٌ[4]: إن ابنَ شُبْرمَةَ كان يغضب إذا قيل له مدّ الله في عمرك، يقول: إن العمر لا يزاد فيه ولا يُنقص.

وقال أبو حازم[5]: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس].

قال: الفاجرةُ ألهمها اللّهُ الفجورَ، والتقيّةُ ألهمها اللّهُ التقوى.

= وعزاه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣١٠) لابن مردويه مرفوعاً.
وقال ابن كثير: ولا يصح لضعف إسناده والموقوف أصح.

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٢) **بسند صحيح.**

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٣) **بسند صحيح.**
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٢١ رقم ١٧٩٩ ـ ك٢).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٤) **بسند صحيح.**

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٥) **بسند صحيح.**

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٠) **بسند صحيح.**
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣٤ رقم ٥٤٣/ ٢٦٨) وقال الشيخ مقبل في «كتاب القدر» (ص٥٠٨): «هذا الأثر صحيح».

وقال مجاهدٌ[1]: قولُ الله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. قال: علمَ من إبليسَ المعصيةَ وخلقه لها.

وعن إبراهيمَ[2] بنِ أبي عَبلةَ قال: وقف رجاءُ بنُ حَيوة على مكحول وأنا معه فقال: يا مكحولُ بلغني أنك تكلمتَ في شيء من القدر، وواللّٰهِ لو أعلم ذلك لكنتُ صاحبَك من بين الناس. فقال مكحول: لا واللّٰهِ أصلحك الله، ما ذاك من شأني ولا من قولي. أو نحوَ ذلك.

وقال إبراهيمُ النخعيُ[3]: إن آفةَ كلِّ دينٍ كان قبلكم ـ أو قال: ـ آفةُ كلِّ دينِ القدرُ.

وقال مُطرّفُ[4] بنُ عبدِ الله بنِ الشِخِّيرِ: لم يُوكلْ في القرآن إلى القدر، وأخبرنا أنا إليه نَصيرُ.

وكان طاوسٌ[5] بمكةَ يصلي ورجلان خلفَه يتجادلان في القدر، فانصرف إليهما فقال: يرْحَمُكما اللّٰهُ تُجادلان في حكم الله؟

وقال ميمونٌ[6]: لا تسبوا أصحابَ النبيِّ ﷺ، ولا تَعلّموا النجومَ، ولا تجادلوا أهلَ القدرِ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩١): بسند صحيح.
وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٧٩ رقم ٣٣٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٥) رجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً بين يعلى ووائل.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٢١ رقم ١٠ ١٨ك٢).

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٩) بإسناد صحيح.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٩٧ رقم ١٧١٧ك٢) والآجري (ص٢٢٠) وعبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٠٨٩) و (٢٠٠٩٨).
وصححه الشيخ مقبل بمعناه في كتاب «القدر» (ص٥٠٧).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٠٩) بسند حسن.

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩١٠) رجاله ثقات.
وأخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٦٠ رقم ١٩) بإسناد صحيح.
وانظر: تعليق محقق «فضائل الصحابة».

وقال طاوسٌ[1] أيضاً: أدركتُ ناساً من أصحاب النبيِّ ﷺ يقولون كلُّ شيء بقدر.

وقال أبو حازم[2]: لعنَ اللَّهُ ديناً أنا أكبرُ منه ـ يعني التكذيب بالقدر ـ يقول هذا عندما يروي حديثَ عمْرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جده أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا يؤمن المرءُ حتى يؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه»**[3].

وعن عمْرو بنِ محمدٍ[4] قال: كنتُ عند سالم بنِ عبدِ اللَّهِ فجاءَه رجلٌ فقال: الزنا بقدرٍ؟ فقال: نعم. قال: كتبَه عليَّ؟ قال: نعم. قال: ويعذِّبني عليه؟ قال: فأخذ له الحصى.

وقال الحسن[5]: من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن. وقال مجاهدٌ[6] في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٥).
وعبد الله في «السنة» رقم (٩١٣) بإسناد حسن.
ومالك في «الموطأ» (٢/٨٩٩) والفريابي في «القدر» (ص١٨٩ رقم ٢٩٩).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩١٦) بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٨١ و ٢١٢) وعبد الله في «السنة» رقم (٩١٦) وأبو يعلى رقم (٧٣٤٠) والفريابي في «القدر» (ص١٤٢) رقم (٢٠٢).
وابن أبي عاصم (١/٦١) واللالكائي (٢/٦٠١) وابن بطة في «الإبانة»(٢/٥٩ رقم ١٤٦٣ك٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/١٩٩) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧/١٢٢ رقم ٧٠٤٣) وأبو يعلى ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٣٣).
وابن بطة في «الإبانة» (٢/٤٦ رقم ١٤٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص٢٤٠) واللالكائي رقم (١٢٧٠).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٣٤) إسناده صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٠٨٥) واللالكائي رقم (١٢٥٤) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٨٠ رقم ١٦٦ك٢).

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٣٩) بإسناد صحيح.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/٢٠٦) رقم (١٧٤٨ك٢). وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ج١٨/٣٦).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٠٧) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، قال: أعمالٌ لا بد لهم من أن يعملوها.

وعن أبي صالح[١]: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وأنا قدَّرتُها عليك.

وقال حُميدٌ[٢]: قدِم الحسنُ مكةَ، فقال لي فقهاءُ مكةَ ـ الحسنُ بنُ مسلم وعبدُ الله بنُ عبيدٍ ـ لو كلمتَ الحسنَ فأخلانا يوماً. فكلمتُ الحسنَ فقلت: يا أبا سعيدٍ إخوانُك يُحبّون أن تجلِس لهم يوماً. قال: نعم ونِعمتْ عينٌ، فواعدَهم يوماً فجاءوا واجتمعوا، وتكلم الحسنُ، وما رأيتُه قبل ذلك اليومِ ولا بعد أبلغَ منه ذلك اليومَ، فسألوه عن صحيفة طويلةٍ فلم يُخطئ فيها شيئاً إلا في مسألة.

فقال له رجلٌ: يا أبا سعيدٍ من خلقَ الشيطانَ؟ قال: سبحان الله، سبحان الله، وهل من خالق غيرُ الله؟ ثم قال: إن الله تعالى خلق الشيطانَ وخلق الشرَّ وخلق الخير. فقال رجلٌ منهم: قاتلهم اللّهُ يكْذِبون على الشيخ.

وقال[٣] أيضاً: قرأتُ على الحسن في بيتِ أبي خليفةَ القرآنَ أجمعَ من أوله إلى آخرِه، وكان يفسّره على الإثبات.

وقال خالدٌ الحذّاءُ[٤]: قلت للحسن: أرأيتَ آدمَ أللجنة خُلق أم للأرض؟ قال: للأرض؟ قال قلت: أرأيتَ لو اعتصم؟ قال: لم يكن بدٌّ من أن يأتي على الخطيئة.

وقال إياسُ بنُ معاويةَ[٥]: ما كلمتُ أحداً من أهلِ الأهواء بعقلي كلِّه، إلا

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٠) بإسناد صحيح.
وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٥/١٧٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/١٠١١ رقم ٥٦٦١).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٢) وفي سنده حميد الطويل ثقة مدلس.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٤) وفيه حميد الطويل ثقة يدلس.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٥) بإسناد صحيح.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/١٨٤ رقم ١٦٨٠ ـ ك٢) والآجري في «الشريعة» (١/٤٢٣ رقم ٥٠٧/٢٣٢) ورقم (٥٠٨/٢٣٣).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٦) بإسناد صحيح. =

القدرَ، فإني قلت لهم: ما الظلمُ فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسانُ ما ليس له. فقلتُ لهم: فإن اللَّهَ على كل شيء قديرٌ.

ولعبد الرزاق[1] عن مَعْمَرٍ قال: كتب عمرُ بنُ عبد العزيزِ إلى عديِّ بنِ أرطاةَ: «أما بعدُ: فإن استعمالكَ سعدَ بنَ مسعودٍ على عُمانَ كان من الخطايا التي قدر الله عليكَ وقدّر أن تُبتليَ بها».

ولعبدِ الله[2] بنِ أحمدَ عنه ﷺ قال: لو أرادَ الله ألاّ يُعصى لم يخْلق إبليسَ. ثم قرأ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

وله[3] عنه ﷺ أنه قال لغيلان: ألستَ تُقرّ بالعلم؟ قال: بلى. قال: فما تريد مع أن اللَّهَ يقول: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات].

وله[4] عن أبي جعفرٍ الخطميِّ قال: شهدتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ وقد دعا غيلانَ لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلانُ، ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يُكذبُ عليَّ يا أميرَ المؤمنين ويقالُ عليَّ ما لم أقل، قال: ما تقول في العلم،

= والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٦ رقم ٥١٩/ ٢٤٤). واللالكائي (٢/ ٩٦١ رقم ١٢٨٠).
وقال الشيخ مقبل في «القدر» (ص٥٠١) هذا الأثر صحيح.

(١) في مصنفه رقم (٢٠٠٩١).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٤٨) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٧ رقم ١٨٤٤ ـ ك٢) وعبد الله في «السنة» رقم (٩٣٥) بإسناد صحيح.

(٢) في «السنة» رقم (٩٣٦) بإسناد صحيح.
قلت: وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢٨ رقم ٢٥٦٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٢٧) والفريابي في «القدر» (ص١٩٣ رقم ٣١٤).

(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٤٧) في سنده خصيف بن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ خلط بآخره ورمي بالإرجاء.
قلت: وأخرجه الفريابي في «القدر» (ص٢٠٣ رقم ٣٤٠).

(٤) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٤٨) بسند حسن.
قلت: وأخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ رقم ٥٥٦/ ٢٨١) والفريابي في «القدر» (ص١٨١ ـ ١٨٢ رقم ٢٨٠) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ رقم ١٨٣٨ ـ ك٢) واللالكائي رقم (١٣٢٣). بسند حسن.

قال: قد نفِذَ العلمُ. قال: فأنت مخصومٌ. اذهب الآن فقل ما شئتَ. ويحك يا غيلانُ إنك إن أقررتَ بالعلم خُصِمْتَ، وإن جحدتَ كفرْتَ. وإنك أنْ تُقِرَّ به فتُخْصَمَ خيرٌ لك من أن تجحدَه فتكفُر.

قال ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال نعم. فقال له اقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس]. فقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ - إلى قوله - ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [يس]، قال: قفْ، كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآيةَ يا أميرَ المؤمنين. قال: زد. قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٨ - ٩]. قال له عمرُ: قل سداً فأغشيناهم. قال، قال له عمرُ قل: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [يس].

قال: كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآياتِ، وإني أعاهد اللَّهَ أن لا أتكلمَ في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً. قال: اذهب، فلما ولّى قال: اللهم إن كاذباً فيما قال فأذِقْهُ حرَّ السلاحِ.

قال: فلم يتكلم زمنَ عمرَ، فلما كان زمنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ جاء رجلٌ لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه، قال: فتكلم غيلانُ، فلما وَلِيَ هشامٌ أرسل إليه فقال: أليس عاهدتَ اللَّهَ تعالى لعمرَ أن لا تتكلمَ في شيء من هذا الأمرِ أبداً. قال: أَقِلْني، فلا واللَّهِ لا أعودُ. قال: لا أقالني اللَّهُ إن لم أقتُلْكَ، هل تقرأ فاتحةَ الكتابِ؟ قال: نعم، قال: اقرأها. فقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

قال: قفْ علامَ تستعينُه؟ أعلى أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه، واضربوا عُنقَه واصلِبوه.

قال ابنُ عونٍ[1]: أنا رأيتُ غيلانَ مصلوباً على باب دمشقَ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٩) بإسناد صحيح.

والفريابي في «القدر» (ص١٨٣ رقم ٢٨١). وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٥ رقم ١٨٣٩ - ك٢)، =

وعنه[1] قال في أصحابِ القدَر: فإن تابوا وإلا نُفوا من دار المسلمين.

وقال[2] مالكٌ عن عمه سهْلٍ قال: كنتُ مع عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدَرية؟ قال قلت: أرى أن تستتيبَهم فإن قبِلوا وإلا عرضْتَهم على السيف. فقال عمرُ بنُ عبد العزيز: ذلك رأيي، قلت: أسألُك فما رأيُك أنت؟ قال: هو رأيي. القائلُ لمالك فما رأيُك؟ هو إسحاقُ بنُ عيسى.

وكان نافعٌ[3] مولى ابنِ عمرَ يقول لأميرٍ كان على المدينة: أصلحك اللَّهُ اضربْ أعناقَهم. يعني القدَرية.

وقال ابنُ سيرينَ[4]: إن لم يكن أهلُ القدَر من الذين يخوضون في آياتِ الله فلا أدري من هم.

وقال مجاهد[5]: لا يكون مَجوسيةٌ حتى يكون قدريةٌ، ثم تزندقوا ثم تمجّسوا.

وقال منصورُ[6] بنُ عبدِ الرحمنِ: سألتُ الحسنَ عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]. فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، ومن رحم غير مختلف فيه، فلقّنتُه: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]. قال: نعم، خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره. وخلقَ هؤلاءِ لرحمتِه وهؤلاء لعذابِه.

= واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٦٨٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٧) وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(١) عبد الله في «السنة» رقم (٩٥١) بسند حسن.
قلت: وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٧ رقم ١٨٤٣ ـ ك٢)، واللالكائي (٢/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٢) بإسناد حسن.
وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٩) والآجري في «الشريعة» رقم ((٥٥٢/ ٢٧٧) بسند صحيح. ورقم (٥٥٣/ ٢٧٨) بسند ضعيف. ورقم (٥٥٤/ ٢٧٩) بسند صحيح. ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٠) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٣ رقم ١٨٣٤ ـ ك٢).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٤).

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٠٢) واللالكائي رقم (١٢١٣). بسند حسن.

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٠) بإسناد حسن.

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٠). وفي سنده منصور بن عبد الرحمن صدوق يهم.
وابن جرير في «جامع البيان» (٧/ج١٢/ ١٤٣). وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٥ رقم ١١٢٩٥).

وقال[1] أيضاً للحسن: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. قال: قسمةُ الله، ومن يشكُّ في هذا؟ كلُ مصيبةٍ بين السماء والأرض ففي كتابِ اللّهِ تعالى قبل أن تُبرأ النَسمةُ.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ[2] القُرظيُّ نزلت هذه الآيةُ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. في أهل القدَر.

وفي رواية[3] عنه قال: نزلت تعييراً لأهل القدَر.

وعنه[4] أن الفضلَ[5] الرُقاشيَّ قعد إليه فذاكره شيئاً من القدر، فقال له محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ تَشهدُه فلما بلغ: «من يهده اللّهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هاديَ له» رفع محمدٌ عصاً معه فضرب بها رأسَه وقال: قم. فلما قام فذهب قال: لا يرجِعُ هذا عن رأيه أبداً.

وقال مطرٌ[6] رحمه الله: لقِيني عمرُو بنُ عُبيدٍ[7] فقال: واللّهِ إني وإياك لعلى

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦١). في إسناده منصور بن عبد الرحمن الغداني صدوق يهم.
والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٤٠ ـ ١٤١ رقم ٩٧٧٠) وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٣٤).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢) وعزاه للبيهقي في «الشعب» وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩١٩) في إسناده خصيف صدوق سيء الحفظ خلط بأخره ورمي بالإرجاء.
وأخرجه الفريابي في «القدر» (١٦٠ ـ ١٦١ رقم ٢٢٦) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢١٢ رقم ١٧٦٨ ـ ك٢). والأجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٩ رقم ٥٢٦/ ٢٥١). **وإسناده ضعيف**.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤١) والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٩ رقم ٥٢٧/ ٢٥٢ **بإسناد لا بأس به**، من أجل سالم ابن أبي حفص صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غالي، قال الحافظ: وتابعه خصيف عند عبد الله في «السنة» رقم (٩١٩) و (٩٤١) وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٦٠) بمتابعة عاصم بن محمد العمري.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٢) **بإسناد حسن**.

(٥) وهو قدري منكر الحديث. انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٩٤).

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٣) في سنده مطر الوراق صدوق كثير الخطأ.
وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٠٨ رقم ١٧٥٦ ـ ك٢).

(٧) هو عمرو بن عبيد بن أبان، أبو عثمان البصريُّ المعتزليُّ القدري مع زهده وتألُّهه. . . =

أمرٍ واحدٍ. قال: وكذب واللَّهِ إنما عني على الأرض. وقال: واللَّهِ ما أصدِّقُه في شيء.

وعن ثابتٍ البنانيِّ[1] قال: رأيتُ عمْرَو بنَ عبيدٍ وهو يحكُّ المُصحَفَ، فقلت: ما تصنع؟ فقال: أُثبِتُ مكانه أخيرَ منه.

وعن حماد بنِ زيدٍ[2] قال: كنت مع أيوبَ ويونسَ وابنِ عونٍ وغيرِهم، فمر بهم عمرُو بنُ عبيدٍ فسلم عليهم ووقف وقْفتَه، فما ردّوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه.

وعن الحسن[3] بنِ شقيقٍ قال: قلت لعبد الله - يعني ابنَ المبارك -: سمعتُ من عمْرِو بنِ عبيدٍ؟ قال: هكذا بيده، أي كثيراً. قلت: فلم لا تسمّيه وأنت تسمي غيرَه من القدَرية؟ قال: لأن هذا كان رأساً.

وعن معاذ بنِ مُكْرم[4] قال: رآني ابنُ عونٍ مع عمرو بنِ عبيدٍ في السوق فأعرض عني، قال: فاعتذرتُ إليه قال: أما إني قد رأيتُك فما زادني.

وعن أبي بحرٍ البكراويِّ[5] قال: قال رجلٌ لعمرو - يعني ابنَ عبيدٍ - وقرأ عنده هذه الآيةَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج]. فقال له: أخبرني عن: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] كانت في اللوح المحفوظ؟ قال: ليست هكذا كانت. قالوا: وكيف كانت؟ قال: كانت تبتْ يدا من عمل بمثلِ ما عمل أبو لهب، فقال له الرجل: وهكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة؟ فغضِبَ عمرٌو. فتركه حتى سكَن ثم قال له: يا أبا عثمانَ أخبرني عن تبت يدا أبي

= انظر ترجمته في: «الميزان» (٥/٣٢٩ - ٣٣٤) رقم (٦٤١٠/٤٢٧٩).

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٤) وفي سنده الحسن بن عبد الرحمن بن العريان الحارثي: لم أقف على ترجمته.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/١٧٥١) واللالكائي رقم (١٣٧١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/١٧١).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٥). وفي سنده الهيثم: لم أقف له على ترجمة.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٦). رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٧) وفي سنده معاذ بن مكرم لم أقف على ترجمته.

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٧٥) وفي سنده ضعيف ومجهول.

لهب كانت في اللوح المحفوظ؟ فقال: ليس هكذا كانت. قال: فكيف كانت؟ قال: تبت يدا من عملَ بمثل عملِ أبي لهب، قال: فرددتُ عليه، قال عمرٌو: إن علمَ اللَّهِ ليس بسلطان، إن علمَ الله لا يضُرّ ولا ينفع.

قلت: إن كان قال هذا ومات عليه فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين، وإن كان ذلك مكذوباً عليه فلعنةُ اللَّهِ على الكاذبين.

وعن سلامِ بنِ أبي مطيع[1] قال: كنت أمشي مع أبي في جنازة وبين أيدينا ثلاثةُ رهْطٍ قد كانوا مع عمرو بنِ عبيدٍ في الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه، قال: فقال لي أيوبُ من غير أن أسأله: لا ترجعُ قلوبُهم إلى ما كانت عليه.

وعن أبي رجاء[2] قال: رأيتُ رجلين يتكلمان في المِربْد في القدَر، فقال فضلٌ الرُقاشيُّ لصاحبه: لا تُقِرَّ له بالعلم، وإن أقررتَ له بالعلم فأمكنْتَ من نفسك، يسحبك عرض المِربْد.

وعن حوثرة بنِ أشرس[3] قال: سمعتُ سلاماً أبا المنذرِ غيرَ مرةٍ وهو يقول: سلوهم عن العلم، هل علمَ أو لم يعلم؟ فإن قالوا: قد علمَ فليس في أيديهم شيءٌ، وإن قالوا لم يعلمْ فقد حلت دماؤُهم.

قال حوثرةُ[4]: وحدثنا حمادُ بنُ سلمةَ عن أبي جعفرٍ الخطميِّ قال: قيل لعمرَ بنِ عبدِ العزيز: إن غيلانَ يقول القدَرُ كذا وكذا، قال: فمرَّ به فقال: أخبرني عن العلم، قال: سبحان اللَّهِ فقد علمَ اللَّهُ كلَّ نفسٍ ما هي عاملةٌ وإلى ما هي صائرةٌ. فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيز: والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربتُ عُنقك، اذهب الآن فجاهد جهدَك.

وعن معاذ بنِ معاذٍ[5] قال: صليتُ خلف رجلٍ من بني سعدٍ، ثم بلغني أنه قدريٌّ، فأعدتُ الصلاةَ بعد أربعين سنةً أو ثلاثين سنة.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٧٩) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٦) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٧). في إسناده من لا يعرف وهو شيخ المؤلف.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٨). فيه انقطاع بين عبد الله وحوثرة.

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٩) بإسناد صحيح. =

وقال إبراهيمُ بنُ طهمانَ(١): الجهْميةُ كفارٌ والقدريةُ كفارٌ. وقال(٢) عمرُو بنُ دينارٍ: قال لنا طاوسٌ: أُخزُوا معبداً الجُهنيَّ فإنه قدريٌّ.

وقال الحسنُ بنُ محمدِ بنِ علي(٣): لا تجالسوا أهلَ القدَر. وقال عكرمةُ بنُ عمارٍ(٤): سمعت القاسمَ بنَ محمدٍ وسالمَ بنَ عبد الله يلعنان القدَريةَ الذين يكذّبون بقدرِ اللَّهِ حتى يؤمنوا بخيره وشرِّه.

وقال مرحومُ بنُ عبدِ العزيز العطار(٥): سمعتُ أبي وعمي يقولان: سمعنا الحسن - وهو ينهى عن مجالسة معبدٍ الجهنيِّ - يقول: لا تجالسوا معبداً فإنه ضالٌّ مضلٌّ. قال مرحومٌ قال أبي: ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم بالقدر غيرَ معبدٍ ورجلٍ من الأساورة يقال له(٦) سِسْوَيهِ.

= وأخرجه الفريابي في «القدر» (ص٢١٠ رقم ٣٦٠) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٨٧ رقم ١٩٣١ - ك٢).

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٠) **رجاله ثقات إلا حماد بن قيراط.**

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٥٦ رقم ٥٨٩/ ٣٠٩) **بسند صحيح.**

وعبد الله في «السنة» رقم (٨٤٧أ) واللالكائي رقم (١١٤١) والفريابي في «القدر» (ص١٧٧) رقم (٢٦٦).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٧ ب). والفريابي في «القدر» (ص١٧٨ - ١٧٩ رقم ٢٧٠) وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٨٢٩) **رجاله ثقات، لكن فيه تدليس الأعمش.**

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٨) والفريابي في «القدر» (ص١٦٥ رقم ٢٣٩) وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٥٥٢) واللالكائي رقم (١١٦٧) والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣١ رقم ٥٣٣/ ٢٥٨).

إسناد حسن من أجل عكرمة بن عمار. قال عنه الحافظ: «صدوق يغلط».

انظر: تهذيب التهذيب» (٣/ ١٣٢).

وقال الشيخ مقبل في كتاب «القدر» (ص٥٠٢): «هذا أثر حسن».

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٩) **بإسناد ضعيف.** واللالكائي رقم (١١٤٢).

(٦) هو زوج والدة موسى الأسواري. مجهول، هكذا قال الذهبي، لكن ابن حجر عقب عليه بقوله: اسمه يونس الأسواري أول من تكلم بالقدر وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهني ذكره الكعبي في «طبقات المعتزلة» (ص٦٠).

وقال الحافظ في «لسان الميزان» (٦/ ٣٣٥): كان يلقب سيسْوَيهِ.

انظر: «لسان الميزان» (٣/ ١٣١) و (٦/ ٣٣٥).

وقال عِكرِمةُ[1]: سألتُ يحيى بنَ أبي كثيرٍ عن القدرية فقال: هم الذين يقولون: إن اللَّهَ لم يقدّر الشرّ.

وقال مسلمُ بنُ يسارٍ[2]: إن معبداً يقول بقول النصارى. وقال عُمارةُ بنُ زاذانَ[3]: بلغني أن القدرية يُحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: واللَّهِ ما كنا مشركين، فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون. قال: وبلغني أنه يقال لهم يوم القيامة: أنتم خُصماءُ الله عز وجل.

وقال عبدُ الله بنُ أحمدَ[4]: سمعتُ أبي يقول: لا يُصلى خلفَ القدَريةِ والمعتزلةِ والجهميةِ.

وسألتُ أبي[5] مرة أخرى عن الصلاة خلف القدَريِّ فقال: إن كان يخاصِم فيه أو يدعو إليه فلا يصلى خلفه.

سمعتُ أبي[6] وسأله عليُّ بنُ الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال: إذا جحدَ العلمَ، إذا قال: إن اللَّهَ لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علمَ اللَّهِ فهو كافرٌ اهـ. من كتاب السنة.

وكلامُ الصحابةِ والتابعين وسائرِ الأئمةِ من القرون الثلاثةِ المفضّلةِ ذكرُه، ومحلُّه كتبُ النقلِ الجامعةِ، وفيما ذكرنا كفايةٌ، ولله الحمدُ والمنة.

اللهم يا ربنا ومليكَنا وإلَهنا قد علِمْتَ مَن سعِد بطاعتك والجنة، ومن شقيَ بمعصيتك والنار، وكتبتَ ذلك وسطرتَه وقدّرته وقضيتَه وشَملت الجميعَ قدرتُك ونفذت فيه مشيئتُك، ولك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغةُ، ولا يدري عبدُك في أي القسمين ولا في أي القبضتين هو وأنت تعلم.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٥٠) بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٥٢). وفي إسناده كلثوم بن جبر: أبو محمد. صدوق يخطئ روى عن مسلم بن يسار وعنه ابنه ربيعة.
(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٥٣) في إسناده المؤمل: صدوق سيء الحفظ.
(٤) في «السنة» رقم (٨٣٣). إسناده صحيح.
(٥) في «السنة» رقم (٨٣٤) بسند صحيح.
(٦) في «السنة» رقم (٨٣٥) بسند صحيح.

اللهم إياكَ نعبدُ، إيماناً بكتبك وتصديقاً لرسُلك وانقياداً لشرعك وقياماً بأمرك ودينِك، وإياك نستعين إيماناً بربوبيتك واستسلاماً لقضائك وقدرِك وافتقاراً إليك وتوحيداً لك في إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتِك وخَلْقِك وتكوينك. ولا مشيئةَ إلا أن تشاء، ولا قدرةَ لنا إلا على ما أقدَرْتَنا عليه، ولا معصومَ إلا من عصمْتَ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسِّرتَه لليسرى، اهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحينَ وحسُن أولئك رفيقاً، غيرِ المغضوبِ عليهم ممن علمَ الحقَّ وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمناً قليلاً، ولا الضالينَ الذين ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حُلْ بيننا وبين معصيتِك والكفر، يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلوبنا على دينك حتى نلقاك به: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

[نفي الخصال الست إيمان بالقدر]

(لا نــوءَ لا عــدوى ولا طـيــرَ ولا	عــمــا قـضـى الـلّـهُ تـعـالـى حِـولا)
(لا غُــولَ لا هــامــةَ لا ولا صَـفَـرْ	كـمــا بـذا أخـبـر سـيـدُ الـبـشـر)

هذان البيتان من تتمة بحث القدر، فإن نفيَ هذه الخصالِ الستِّ وما في معناها إيمانٌ بالقدر وتوكلٌ على خالق الخيرِ والشرِ، الذي بيده النفعُ والضرُّ. واعتقادُ صحةِ شيءٍ منها شركٌ منافٍ للتوحيد أو لكماله، مناقضٌ للتوكل على الله عز وجل عياذاً بالله منه.

الكلامُ على النَّوء

فأما النوءُ فهو من الاعتقاد في النجوم الذي سبق بسطُ القولُ في بيانِ بطلانِه، فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكبِ ومغاربِها وسيرِها وانتقالِها واقترانِها وافتراقِها تأثيراً في هبوب الرياحِ وسكونِها، وفي مجيء المطرِ وتأخُرِه، وفي رُخص الأسعارِ وغلائِها وغيرِ ذلك.

فإذا وقع شيءٌ من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا: هذا بنوء عُطارِدَ أو المشتري أو المرّيخِ أو كذا أو كذا.

وردّ اللَّهُ تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسولِ الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ في موطئه[1] رحمه الله تعالى: باب الاستمطار بالنجوم. عن صالح بنِ كيسان عن عبيد الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتبةَ بنِ مسعود عن زيد بنِ خالدٍ الجُهنيِّ أنه قال: صلى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبحِ بالحُديبية على أثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**أتدرون ماذا قال ربُكم؟** قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «**قال أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ بي، فأما من قال: مُطرنا بفضلِ اللَّهِ ورحمتِه فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: مُطِرْنا بنَوءِ كذا وكذا فذلكَ كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب**». ورواه الشيخان[2] من طريقه بلفظه، وعليه ترجم البخاريُّ رحمه الله تعالى: بابُ[3] قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

---

(١) (١/١٩٢ رقم ٤).

(٢) البخاري (٢/٣٣٣ رقم ٨٤٦) وأطرافه رقم (١٠٣٨) و (٤١٤٧) و (٧٥٠٣) ومسلم في صحيحه (١/٨٣ رقم ٧١).

(٣) في صحيحه (٢/٥٢٢) رقم الباب (٢٨). والحديث رقم (١٠٣٨).

وقال مسلمُ[1] بنُ الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا حَرملةُ بنُ يحيى وعمرُو بنُ سوادِ العامريُّ ومحمدُ بنُ سلمةَ المُراديُّ، قال المُراديُّ: حدثنا عبدُ الله ابنُ وهْبٍ عن يونسَ، وقال الآخران أخبرنا ابنُ وهْبٍ، قال: أخبرني يونسُ عن ابن شهابٍ قال: حدثني عُبيد اللَّهِ بنِ عبد الله بن عُتبة أن أبا هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألم ترَوا إلى ما قال ربُكم؟ قال: ما أنعمتُ على عبادي من نعمة إلا أصبحَ فريقٌ منهم بها كافرين يقولون الكواكبَ وبالكواكبِ**».

وحدثني محمدُ بنُ سلمةَ المراديُّ، حدثنا عبدُ الله بنُ وهْبٍ عن عمْرو بنِ الحارثِ (ح).

وحدثني عمرو بنُ سوادٍ أخبرنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ أخبرنا عمرُو بنُ الحارث أن أبا يونسَ مولى أبي هريرةَ حدثه عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ما أنزل اللَّهُ من السماء من بركة إلا أصبحَ فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزلُ اللَّهُ الغيثَ فيقولون: الكوكبُ كذا وكذا**»[2]، وفي حديث المراديِّ[2]: «**بكوكب كذا وكذا**».

وحدثني[3] عباسُ بنُ عبدِ العظيم العَنبريُّ حدثنا النضرُ بنُ محمدٍ حدثنا عكرمةُ ـ وهو ابنُ عمارٍ ـ حدثنا أبو زُمَيلٍ قال: حدثنا ابنُ عباس قال: مُطر الناسُ على عهد النبيِّ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «**أصبح من الناسُ شاكرٌ ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمةُ الله، وقال بعضُهم: لقد صدقَ نوءُ كذا وكذا**. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

وقال الترمذيُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ منيع حدثنا الحسينُ بنُ

---

(١) في صحيحه (١/ ٨٤ رقم ١٢٦/ ٧٢).
(٢) في صحيح مسلم (١/ ٨٤ رقم .../ ٧٢).
(٣) في صحيح مسلم (١/ ٨٤ رقم ١٢٧/ ٧٣).
(٤) في «السنن» (٥/ ٤٠١ رقم ٣٢٩٥) وقال: **هذا حديث حسن غريب صحيح**، لا نعرفُه مرفوعاً إلا من حديث إسرائيل.
ورواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عليٍّ نحوَه ولم يرفعه.

محمدٍ حدثنا إسرائيلُ عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمنِ عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] قال: **شُكرَكم، تقولون مُطرنا بنَوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا**. هذا حديث حسنٌ غريب. ورواه الإمامُ أحمدُ[١] وابنُ أبي حاتمٍ[٢].

وقال ابنُ جريرٍ[٣] حدثني يونسُ أخبرنا سفيانُ عن محمد بنِ إسحاقَ عن محمد بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التيميِّ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الله ليُصبّح القومَ بالنعمة أو يمسّيهم بها، فيصبح بها قومٌ كافرين يقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا**».

قال محمد[٤] هو ابنُ إبراهيمَ فذكرتُ هذا الحديثَ لسعيد بنِ المسيِّبِ فقال: ونحن قد سمعِنا من أبي هريرة.

وقال رحمه الله تعالى: حدثني يونسُ أخبرنا سفيانُ عن إسماعيلَ بنَ أميةَ - فيما أحسبه أو غيرِه - أن رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلًا ومُطروا يقول: مُطرْنا ببعض عَثانينِ الأسد، فقال ﷺ: «**كذبتَ بل هو رزقُ اللّهِ عز وجل**».

وقال[٥] رحمه الله تعالى: حدثني أبو صالح الصراريُّ حدثنا أبو جابرٍ محمدُ بنُ عبدِ الملِك الأوديُّ حدثنا جعفرُ بنُ الزبيرِ عن القاسم عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ قال: «**ما مُطِرَ قومٌ من ليلة إلا أصبح قومٌ بها كافرين**، ثم قال: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. **يقول قائلٌ مُطرِنا بنجم كذا وكذا**».

وعن الإمام مالك[٦] بنِ أنسٍ رحمه الله أنه بلغه أن أبا هريرةَ ﷺ كان يقول

---

(١) في «المسند» (١/ ٨٩ و ١٠٨ و ١٣١).
(٢) في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٤ رقم ١٨٨٠٦).
وقال الألباني: **هذا حديث ضعيف الإسناد**.
(٣) في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٢٠٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٢٠٨).
(٥) أي ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٢٠٩).
(٦) في «الموطأ» (١/ ١٩٢).
قلت: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧١ رقم ١٧٩٢٦).

إذا أصبحَ وقد مُطِرَ الناسُ: مُطِرنا بنَوء الفتح، ثم يتلو هذه الآية: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

وروى ابنُ جريرٍ(١) بسنده عن سعيدِ بنِ جبيرٍ عن ابن عباس ﷺ قال: ما مُطر قومٌ قطُّ إلا أصبح بعضُهم كافراً يقولون مُطرنا بنَوء كذا وكذا، وقرأ ابنُ عباس: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ عباس.

ما ورد في العدوى

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سَرَيان المرضِ من جسد إلى جسد بطبيعته، فنفى اللَّهُ تعالى ذلك ورسولُه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]. وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. الآيات. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وروى البخاريُّ(٢) عن الزهري قال: أخبرني سنانُ بنُ أبي سنانٍ الدُؤَليُّ أنا أبا هريرةَ ﷺ قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا عدوى**». فقام أعرابيٌّ فقال: أرأيتَ الإبلَ تكون في الرمال أمثالَ الظباءِ فيأتيها البعيرُ الأجربُ فتَجْرَبُ، قال النبيُّ ﷺ: «**فمن أعدى الأول**». ورواه مسلم(٣) من طريق آخر بنحوه.

وقال البخاريُّ(٤) رحمه الله تعالى: حدثني محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا محمدُ بنُ

(١) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/٢٠٨).
قلت: وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٠) وقال: هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.
(٢) في صحيحه (١٠/ ٢٤١ رقم ٥٧٧٠).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣ رقم ١٠١/ ٢٢٢٠).
(٤) في صحيحه (١٠/ ٢٤٤ رقم ٥٧٧٦).

جعفرٍ حدثنا شُعبةُ قال: سمعتُ قتادةَ عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طِيَرة، ويُعجبني الفألُ**. قالوا: وما الفألُ؟ قال: **كلمة طيبة»**. ورواه مسلمٌ[1].

ولهما[2] من طرُق عن أبي هريرةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طِيَرة ولا هامةَ ولا صَفَر»**. هذا لفظ البخاريِّ.

والأحاديثُ في نفي العدوى كثيرةٌ في الصحيحين والسننِ وغيرِهما، ولا يُعارض ذلك حديثُ: **«لا يُورِد مُمرضٌ على مُصِحّ»**[3]، وحديث: **«فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد»**[4]. وكلاهما في الصحيح متصلاً بحديث: **«لا عدوى ولا طِيَرَة»**. فإن البخاريَّ رحمه الله قال: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن الزهري قال: حدثني أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ أنَّ أبا هريرةَ قال: إن رسُولَ الله ﷺ قال: **«لا عدوى»**. قال أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ: سمعتُ أبا هريرةَ عن النبي ﷺ قال: **«لا تُوردوا المُمْرِضَ على المُصِحّ»**[5].

وقال رحمه الله تعالى: قال عفانُ: حدثنا سليمُ بنُ حيانَ حدثنا سعيدُ بنُ ميناءَ قال: سمعتُ أبا هريرةَ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا عدوى ولا طِيَرةَ ولا هامةَ ولا صفَرَ، وفِرَّ من المجذوم كما تفِرّ من الأسد»**[4]. **والجمعُ بين نفي العدوى وبين النهي عن إيرادِ المُمْرِض على المُصح والأمرِ بالفرار من المجذوم وما في معناها من ثلاثة أوجهٍ كلُها نفيُ العدوى فيها على إطلاقِه.**

الوجهُ الأول: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتّفقَ للمخالط شيءٌ من ذلك ابتداءً لا بالعدوى المنْفيّة، فيظُن أنه بسبب المخالطةِ فيعتقد ثبوتَ العدوى التي

---

(١) في صحيحه (٤/١٧٤٦ رقم ١١٢/٢٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢١٥ رقم ٥٧٥٧) ومسلم في صحيحه (٤/١٧٤٤ رقم ١٠٦/٢٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢٤٣ رقم ٥٧٧٤). ومسلم في صحيحه (٤/١٧٤٣ رقم ١٠٤/٢٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٥٨ رقم ٥٧٠٧) وأطرافه (٥٧١٧) و(٥٧٥٧ و٥٧٧٣ و٥٧٧٥).

(٥) تقدم تخريجه.

نفاها رسولُ الله ﷺ فيقع في الحرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بتجنّب ذلك شفقةً منه على أمته ورحمةً بهم وحسماً للمادة وسدّاً للذريعة لا إثباتاً للعدوى كما يظن بعضُ الجهلةِ من الأطباء.

والدليلُ على ذلك قولُه ﷺ للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعيرِ الأجربِ يدخل في الإبل الصِحاحِ فتجرَب، فقال له ﷺ: **«فمن أعْدى الأول»**[1]، يعني أن اللَّهَ تعالى ابتدأ المرضَ في الباقي كما ابتدأه في الأول لا أن ذلك من سريانِ المرضِ بطبيعته من جسد إلى آخرَ.

الوجه الثاني: أن نهيَه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى اللَّهُ تعالى العادةَ بأنها تُفضي إلى مسبَّباتها لا استقلالاً بطبعها، ولكن اللَّهَ سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسبابَ ومسبَّباتِها، فإن شاء تعالى أبقى السببَ وأثّر في مسبَّبه بقضاء اللَّهِ تعالى وقدرِه، وإن شاء سلب الأسبابَ قُواها فلا تؤثر شيئاً، ومن قويَ إيمانُه وكملَ توكلُهُ وثقتُه بالله، وشاهد مصيرَ الأمورِ كلِها إلى رب الأربابِ ومسبِّب الأسبابِ كما أن مصدرها من عنده عز وجل، فنفسُه أبيةٌ وهمتُه عليّةٌ وقلبُه ممتلىءٌ بنور التوحيدِ فهو واثقٌ بخالق السببِ ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفاتٍ سواءٌ عليه فعَلها أو لم يفعلها.

والدليلُ على ذلك ما روى أبو داودَ[2] رحمه الله تعالى حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا يونسُ بنُ محمدٍ حدثنا مُفضّلُ بنُ فضالةَ عن حبيب بنِ الشهيدِ عن محمد بنِ المنكدرِ عن جابر رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أخذ بيد مجذومٍ فوضعها معه في القصعة وقال: **«كلْ ثقةً بالله وتوكلْ عليه»**.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٤/ ٢٣٩ رقم ٣٩٢٥).

قلت: وأخرجه الترمذي (٤/ ٢٦٦ رقم ١٨١٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٢ رقم ٣٥٤٢).

قال الترمذي: **هذا حديث غريب**.

وأخرجه الحاكم (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧) وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وتعقبه الألباني في «الضعيفة» (٣/ ٢٨٢).

لا يخفى بعده عن الصواب ونحوه قول المناوي في «التيسير»: **«إسناده حسن»**، مغتراً بما نقل في الفيض عن ابن حجر أنه قال: **«حديث حسن»**.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف. انظر: «الضعيفة» رقم (١١٤٤).

ففي أمره ﷺ بمجانبة المجذوم إثباتٌ للأسباب التي خلقَها الله عزَ وجل، وفي أكله ﷺ معه تعليمٌ لنا بأن اللّهَ هو مالكُها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبدَ إلا ما كَتب اللّهُ له.

الوجه الثالثُ: أن النفوسَ تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيتِه وتشمئز من مخالطته وتكرهه جداً، لا سيما مع ملامسته وشمِّ رائحتِه فيحصُل بذلك تأثيرٌ بإذن الله في سَقَمها قضاءً من الله وقدراً لا بانتقال الداءِ بطبيعته كما يعتقده أهلُ الجاهلية.

والدليلُ على هذا ما رواه أبو داود[1] رحمه الله تعالى: حدثنا مُخلّدُ بنُ خالدٍ وعباسٌ العنبريُ قالا: حدثنا عبدُ الرزاق أخبرنا معمرٌ عن يحيى بنِ عبدِ اللّهِ بنِ بُحيرٍ قال: أخبرني من سمِعَ فَروةَ بنَ مُسَيكٍ قال: قلتُ يا رسولَ الله أرضٌ عندنا يُقال لها: أرضُ أبينَ، هي أرضُ ريفنا وميرتِنا، وإنها وبِئةٌ ـ أو قال: وباؤُها شديد ـ فقال النبيُ ﷺ: **«دعْها عنك فإن من القرف التلفَ»**. والقرف بالتحريك هو مقاربةُ الوباءِ ومداناةُ المرض، والتلفُ بوزنه هو الهلاكُ، يعني أنه سببٌ فيه قد يؤثر بإذن اللّهِ تعالى لا سيما مع كراهةِ النفسِ له واشمئزازِها منه: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

فإذا تبين لك هذا الجمعُ بين نفي العدوى وبين الأمرِ بمجانبة الداء، تبين لك الجمعُ بينها وبين النهي عن إيراد المُمْرِضِ على المُصِحّ، فإنه إذا كان ﷺ قد أمر المُصحَّ بمجانبة الداء فلأن ينهى المُمرِضَ عن إيرادِه على المُصح من باب أولى، فإنَّ العللَ التي قدمنا أنها من سبب النهي عن القدوم على الوباء والأمرِ بمجانبته موجودةٌ في إيرادِ الممرضِ على المصِحّ بزيادة كونها ليست باختيار المُصحّ كقدومه هو، بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك المُمرِضِ، وربما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغيرِ ذلك.

---

(١) في «السنن» (٢٣٨/٤ رقم ٣٩٢٣).
قلت: وأخرجه أحمد (٤٥١/٣) وعبد الرزاق في «المصنف» (١٤٨/١١ رقم ٢٠١٦٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢٨٦/٨ رقم ٣٠٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٤٧) بسند ضعيف لجهالة الراوي عن فروة.

والمقصودُ أن نفيَ العدوى مطلقٌ على عمومه، وفيه إفرادُ اللّهِ سبحانه وتعالى بالتصرف في خلقه وأنه مالكُ الخيرِ والشرِّ وبيده النفعُ والضرُّ، لا مانع لما أعطى ولا مُعْطيَ لما منع، ولا رادَّ لقضائه ولا مُعقِّب لحكمه، ولا مغالبَ له في شيء من خلقه وأمرِه، وفي ذلك تقويةٌ لقلوب المؤمنين، وإمدادٌ لهم بقوة التوكلِ وصِحّةِ اليقينِ، وحجةٌ لهم على المشركين وسائر المعاندين.

وليس في الأمر بمجانبة البلاءِ ولا في النهي عن إيراده على المعافى منه منافاةٌ ولا مناقضةٌ، بل ذلك مع الثقة بالله والتوكلِ عليه من فعل الأسبابِ النافعةِ وتوقِّي الأسبابِ المؤذيةِ، ودفعِ القدرِ بالقدرِ والالتجاءِ من الله إليه، وليس في فعل الأسبابِ ما ينافي التوكلَ مع اعتماد القلبِ على خالق السبب.

وليس التوكلُ بترك الأسباب، بل التوكلُ من الأسباب، وهو أعظمُها وأنفعُها وأنجحُها وأرجحُها، كما أن من اضطربت نفسُه ووجِلَ قلبُه فرَقاً وخوفاً وارتياباً وعدمَ يقينٍ بالقدر لا يكون متوكلاً على الله بمداناته المرضى والمبتلين وترْكِه فعلَ الأسبابِ، فكما لا يكون المرتابُ متوكلاً بمجرد تركِه الأسبابَ، كذلك لا يكون المُوّحدُ تاركاً التوكلَ أو ناقصَه بمجرد فعلِ الأسبابِ النافعةِ وتوقِّي المضَرَّةِ وحرصِه على ما ينفعه، فإنما الشأنُ فيما وقرَ في القلوب وسكنت إليه النفوسُ، والتوفيقُ بيد الله، والمعصومُ من عصمه اللّهُ تعالى.

ومن هذا الباب نهيُه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعونُ، وعن الخروج منها فراراً منه، فإن في القدوم عليه تعرّضاً للبلاء، وإلقاءً بالأيدي إلى التهلكة وتسبباً للأمور التي أجرى اللّهُ تعالى العادةَ بمضَرَّتِها، وفي الفرار منه تسخُّطٌ لقضاء اللّهِ عز وجل وارتيابٌ في قدره وسوءُ ظنٍ بالله عز وجل.

فأينَ المهربُ من الله وإلى أين المفرُّ؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، كما روى مالكٌ[1] في موطّئه عن ابن شهابٍ عن عبد الحميدِ بنِ عبد الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ عن عبد اللّهِ بنِ عبد اللّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ عن عبدِ الله بنِ عباس أن

---

(١) في الموطأ (٢/ ٨٩٤ ـ ٨٩٦ رقم ٢٢).
قلت: وأخرجه البخاري (١٠/ ١٧٩ رقم ٥٧٢٩) وطرفاه رقم (٥٧٣٠ و ٦٩٧٣) ومسلم (٤/ ١٧٤٠ رقم ٩٨/ ٢٢١٩).

عمرَ بنَ الخطابَ ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغٍ لقِيَهُ أمراءُ الأجنادِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ وأصحابُه فأخبروه أن الوباءَ قد وقع بأرض الشام.

قال ابنُ عباس: فقال عمرُ بنُ الخطاب: ادعُ إليَّ المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارَهم وأخبرهم أن الوباءَ قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمر ولا نرى أن ترجِعَ عنه، وقال بعضُهم: معكَ بقيةُ الناسِ وأصحابُ رسولِ الله ﷺ ولا نرى أن تقدُمَهم على هذا الوباءِ. فقال عمرُ: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعُ ليَ الأنصارُ، فدعَوهم فاستشارَهم فسلكوا سبيلَ المهاجرينَ واختلفوا كاختلافِهم. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعُ لي من كان ها هنا من مَشْيَخة قريشٍ من مُهاجرة الفتحِ، فدعَوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجِعَ بالناس ولا تُقدِمَهم على هذا الوباء.

فنادى عمرُ في الناس: إني مصبحٌ على ظَهْر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدةَ: أفراراً من قدرِ الله؟ فقال عمرُ: لو غيرُك قالها يا أبا عبيدةَ، نعم نفِرّ من قدرِ الله إلى قدرِ اللّهِ. أرأيتَ لو كان لك إبلٌ فهبطْتَ وادياً له عُدْوتان إحداهما مُخصِبةٌ والأخرى جَدْبةٌ، أليس إن رعيتَ الخِصْبةَ رعيتها بقدر الله، وإن رعيتَ الجدبةَ رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ وكان غائباً في بعضِ حاجتِه فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تَقدمُوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرُجوا فراراً منه**». قال: فحمِدَ اللَّهَ عمرُ ثم انصرف.

وأخرجه الشيخانِ[1] من طريقه بلفظه، وقولُه ﷺ: «**فلا تخرجوا فراراً منه**»، تقييدٌ للنهي بخروج لقصد الفرارِ، فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته اللازمة، كما قيد ﷺ الشهادةَ به للماكث ببلده بما إذا كان صابراً محتسباً صحيحَ اليقينِ ثابتَ العزيمةِ قويِّ التوكلِ مستسلماً لقضاء الله عز وجل.

كما قال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: بابُ أجرِ الصابرِ في الطاعون. حدثنا

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) في صحيحه (١٠/ ١٩٢ رقم ٥٧٣٤).

إسحاقُ أخبرنا حِبانُ حدثنا داودُ بنُ أبي الفُراتِ حدثنا عبدُ الله بنُ بريدةَ عن يحيى بنَ يَعمَرَ عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ ورضي الله عنها أنها أخبرتْنا أنها سألت رسولَ الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبيُّ الله ﷺ أنه كان عذاباً يبعثه اللَّهُ على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمةً للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعونُ فيمكُث في بلده صابراً يعلم أنه لن يُصيبَه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثلُ أجرِ الشهيد».

فخرج بهذه الأوصافِ من مكث في أرضه مع نقصان توكله وضعفِ يقينِه فليس له هذه الفضيلةُ، ومع هذا فلا يحلّ له الفرار منه لعموم النهي، وله أجرُه على امتثال الشرعِ بحسَبِ نيته وقُوةِ إيمانِه، وإن خرج فراراً منه فهي معصيةٌ أضافَها إلى ارتيابِه وضعفِ يقينِه والعياذُ بالله، وعلى هذا يحمل حديثُ أنسٍ عن البخاريِّ[1] أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطاعونُ شهادةٌ لكل مسلمٍ**».

فإن مفهوم الحديث الأولِ أن من لم يتصف بالصفات المذكورةِ لا يكون شهيداً وذلك لضعف يقينِه، وقد يقال شهيدٌ في الصورة وليس مثلَ المتصفِ بتلك الصفاتِ، كما أن شهداءَ المعركةِ الذين يُقتلون في معركةِ الكفارِ ليسوا سواءً، بل يتفاوتون بتفاوت نياتِهم وما في قلوبهم، وذلك معلومٌ من الدين بالضرورة، واللَّهُ تبارك وتعالى أعلم.

الكلام على الطِيَرةِ والتطيُّر والغُول

وأما الطِيَرةُ فهي ترك الإنسان حاجتَه، واعتقادُه عدمَ نجاحها، تشاؤماً بسماع بعضِ الكليماتِ القبيحةِ، كيا هالك أو يا ممحوق ونحوِها. وكذا التشاؤمُ ببعض الطيورِ كالبومة وما شاكلها إذا صاحتْ، قالوا: إنها ناعبةٌ أو مُخبرةٌ بشرّ، وكذا التشاؤم بملاقاةِ الأعورِ أو الأعرجِ أو المهزولِ أو الشيخِ الهرِم أو العجوز الشمطاء، وكثيرٌ من الناس إذا لقِيَه وهو ذاهبٌ لحاجة صدّه ذلك عنها ورجع معتقداً عدمَ نجاحها.

وكثيرٌ من أهلِ البيعِ لا يبيع ممن هذه صفتُه إذا جاءَه أولَ النهار، حتى يبيعَ من غيرهِ تشاؤماً به وكراهةً له.

---

(١) في صحيحه (١٠/ ١٨٠ رقم ٥٧٣٢).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٢ رقم ١٦٦/ ١٩١٦).

وكثيرٌ منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيراً قط، وكثيرٌ من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شِيكَ يرى أنه لا يجد خيراً.

ومن ذلك التشاؤم ببعضِ الأيامِ أو ببعض الساعاتِ كالحادي والعشرين من الشهر، وآخِرِ أربعاء فيه ونحوِ ذلك، فلا يسافر فيها كثيرٌ من الناس ولا يعقِد فيها نكاحاً ولا يعمل فيها عملاً مهماً ابتداءً، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحسٌ.

وكذا التشاؤمُ ببعضِ الجهاتِ في بعض الساعاتِ فلا يستقبلها في سفر ولا أمرٍ حتى تنقضيَ تلك الساعةُ أو الساعاتُ.

وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين، يزعُمون أن هناك فلكاً دوّاراً يكون كلَّ يومٍ أو ليلةٍ في جهة من الجهات، فمن استقبل تلك الجهةَ في الوقت الذي يكون فيهَا هذا الفلكُ لا ينالُ خيراً ولا يأمن شراً، وهم في ذلك كاذبون مفترون، قبحهم الله ولعنهم، قد ضلوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعضِ الطيورِ على البيوتِ يرَوْنَ أنها مُعْلمةٌ بشر، وكذا صوتُ الثعلبِ عندهم، ومن ذلك الاستقسامُ بتنفير الطيرِ والظِباءِ، فإن تيامنتْ ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرتْ تركوها.

وهذا من الاستقسام بالأزلام الذي أمر اللَّهُ تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجسٌ من عمل الشيطان، وهذا وما شاكله كثيرٌ منه كان في الجاهلية قبلَ النبوةِ، وقد أبطله الإسلامُ فأعاده الشيطان في هذا الزمانِ أكثرَ مما كان عليه في الجاهلية بأضعافٍ مضاعفة. ووسّع دائرةَ ذلك، وساعده عليه شياطينُ الإنسِ من الكهنة والمنجمين وأضرابِهم وأتباعهم، أرداهم اللَّهُ وألحقهم بهم آمين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى في قصة الثلاثةِ رسلِ عيسى: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٦ ـ ١٨].

قال مجاهد[١] في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٣١]، قالوا: العافيةُ والرخاءُ نحن أحقُّ بها، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣١]. قال بلاءٌ وعقوبة: ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣١] قال: يتشاءموا به.

وأخرج ابن جرير[٢] عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، قال: الأمرُ من قِبل الله.

وقال[٣] ﷺ في قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧]، قال: الشؤمُ أتاكم من عند اللهِ لكفركم، وتقدم ذكرُ الطِيَرةِ ونفيها في الأحاديث السابقة.

وقال البخاري[٤] رحمه الله تعالى: حدثني عبدُ اللّهِ بنُ محمدٍ حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ حدثنا يونسُ عن الزهري عن سالمٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لاعدوى، ولا طِيَرةَ، والشُؤمُ في ثلاثٍ: في المرأة، والدارِ، والدابة»**.

والشؤمُ ضدُّ اليُمنِ، وهو عدم البركةِ، والمرادُ به الأمرُ المحسوسُ المشاهَدُ كالمرأة العاقرُ التي لا تلِد، أو اللَّسِنةُ المؤذيةُ أو المبذّرةُ بمال زوجها سفاهةً ونحو ذلك.

وكذا الدارُ الجدِبةُ أو الضيقةُ أو الوبيئةُ الوخيمةُ المشربِ أو السيئةُ الجيرانِ وما في معنى ذلك.

وكذا الدابةُ التي لا تلد ولا نسلَ لها، أو الكثيرةُ العيوبِ الشيْنةُ الطبعِ وما في

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٦/ج٩/ ٢٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٩) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ.
(٢) في «جامع البيان» (٦/ج٩/ ٣٠).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٩) وزاد نسبته لابن المنذر.
(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ١٦٩).
(٤) في صحيحه (١٠/ ٢١٢ رقم ٥٧٥٣).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٤٦ ـ ١٧٤٧ رقم ١١٥/ ٢٢٢٥).

معنى ذلك، فهذا كلُه شيءٌ ضروريٌ مشاهدٌ معلومٌ ليس هو من باب الطِيرةِ المنفيةِ، فإن ذلك أمرٌ آخرُ عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحسٌ على صاحبها لذاتِها لا لعدم مصلحتِها وانتفائِها، فيعتقدون أنه إن كان غنياً افتقر ليس بتبذيرها بل لنَحاستها عليه، وأنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولِها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجماً لا يوافق نجمَه بل ينطَحُه ويكسِره، وذلك من وحي الشيطانِ يوحيه إلى أوليائِه من المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

حتى إن رجلاً في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك، ويفرّق به بين المرء وزوجه، فتنبّه له بعضُ العامةِ ممن يحضُر مجالسَ الذكرِ ويسمع ذمَّ المنجّمين وتكذيبَهم بالآياتِ والأحاديث، فقال له: إني أريد أن أُنكِحَ امرأة، ما ترى فيها هل هي سعدٌ لي أو نحسٌ عليّ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعْها فإنك إن أخذتها لا تُبلي معها ثوباً، يعني يموت سريعاً لا تطول معها صحبتُه، وكانت تلك المرأةُ التي سأله عنها وسماها له هي زوجتُه وقد طالت صحبتُه معها وله منها نحوُ خمسةٍ من الأولاد، فدعاهم كلَّهم بأسمائِهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادي منها. ولهذا نظائرُ كثيرةٌ من خُرافاتِهم.

والمقصودُ أن الشؤمَ المُثبتَ في هذا الحديثِ أمرٌ محسوسٌ ضروريٌ مشاهدٌ ليس من باب الطِيَرةِ المنفيةِ التي يعتقدها أهلُ الجاهليةِ ومن وافقهم.

وقال البخاريُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن الزهري قال: أخبرني عبيدُ اللّهِ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ عُتبةَ أن أبا هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا طيَرةَ، وخيرُها الفألُ**، قالوا: وما الفألُ؟ قال: **الكلمةُ الصالحةُ يسمَعُها أحدُكم**».

قال[2] حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ حدثنا هشامٌ عن قَتادةَ عن أنس ﷺ عن

---

(١) في صحيحه (١٠/٢١٢ رقم ٥٧٥٤) وطرفه رقم (٥٧٥٥).
(٢) أي البخاري في صحيحه (١٠/٢١٤ رقم ٥٧٥٦).

النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طِيَرةَ، ويعجبني الفألُ الصالحُ الكلمةُ الحسنةُ**».

قلت: ومن ذلك قولُه ﷺ يومَ صلح الحديبية حين جاء سهيلُ بنُ عمرٍو قال: «**سهّل اللّهُ أمرَكم**»[1]، الحديثُ وما شاكله.

ومن شرط الفألِ أن لا يُعتمَدَ عليه وأن لا يكون مقصوداً، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال.

ومن البِدَع الذميمةِ والمُحدثاتِ الوخيمة مأخذُ الفألِ من المُصحف فإنه من اتخاذ آياتِ اللّهِ هزواً ولعِباً ولهواً، ساء ما يعملون.

وما أدري كيفَ حالُ من فتح على قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨]. وقولِه: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، وأمثالِ هذه الآيات.

ويروى أن أولَ من أحدث هذه البِدعةَ بعضُ المروانيةِ وأنه تفاءل يوماً ففتح المصحفَ فاتفق لاستفتاحه قولُ اللّهِ عز وجل: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] الآيات، فيقال أنه أحرق المصحفَ غضباً لذلك فقال أبياتاً لا نسوّد بها الأوراقَ. والمقصودُ أن هذه بدعةٌ قبيحةٌ، والفألُ إذا قصده المتفائلُ فهو طِيرةٌ كالاستقسام بالأزلام.

وقد روى الإمامُ أحمدُ[2] في تعريف الطِيَرة حديث الفضلِ بنِ العباسِ رضي الله عنهما: «**إنما الطِيَرةُ ما أمضاك أو ردّك**».

وروى[3] في كفارتها حديثَ عبدَ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما وقفه: «**من ردته الطِيَرةُ عن حاجته فقد أشركَ**، قالوا: فما كفارةُ ذلك؟ قال: **أن تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إلهَ غيرُك**».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٣٢٩ ـ ٣٣٣ رقم ٢٧٣١ و ٢٧٣٢).

(٢) في «المسند» (١/٢١٣) بإسناد ضعيف لانقطاعه.

(٣) أي أحمد في «المسند» (٦/٤٧١ ـ ٤٧٢ رقم ٧٠٤٥ ـ شاكر) بإسناد صحيح.

قلت: وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/١٠٥) وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات».

وقال أبو داودَ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرنا سفيانُ عن سلمَةَ بنِ كهيلٍ عن عيسى بنِ عاصمٍ عن زرِّ بنِ حُبيش عن عبد الله بنِ مسعودٍ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: **«الطيرةُ شركٌ - ثلاثاً - وما منا إلا، ولكن اللَّهَ يُذهبُه بالتوكل»**، وقوله: **«وما منا إلا»** إلخ هو من كلام ابن مسعودٍ.

كما فصّله الترمذيُّ[2] رحمه الله في روايته عن المرفوع حيث قال: سمعتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ يقول: كان سليمانُ بنُ حربٍ يقول في هذا الحديثِ: **«وما منا إلا، ولكن اللَّهَ يذهبه بالتوكل»**، كلُّ هذا عندي قولُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ.

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ قالا: حدثنا وكيعٌ عن سفيانَ عن حبيب بنِ أبي ثابتٍ عن عروةَ بنِ عامرٍ عن أحمدَ القرشيِّ قال: ذُكرت الطِيَرةُ عند رسولِ الله ﷺ فقال: **«أحسنُها الفألُ ولا تردّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا أنت، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك»**.

وأما الغُولُ فهي واحدُ الغِيلانِ، وهي من شرِّ شياطينِ الجنِّ وسحَرَتِهم[4]،

---

(١) في «السنن» (٤/ ٢٣٠ رقم ٣٩١٠).

قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٤/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ١٦١٤) وقال: **هذا حديث حسن صحيح** لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل.

وابن ماجه في «السنن» (٢/ ١٧٠ رقم ٣٥٣٨). وأحمد (١/ ٣٨٩ و ٤٣٨ و ٤٤٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٣٦٧ رقم ٩٠٩).

والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧ - ١٨) وقال: **هذا حديث صحيح سنده ثقات رواته** ولم يخرجاه.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) في «السنن» (٤/ ١٦١).

(٣) أبو داود في «السنن» (٤/ ٢٣٥ رقم ٣٩١٩).

قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩) **بإسناد ضعيف.**

وقال المنذري في «المختصر» (٥/ ٣٧٩): عروة - هذا - قيل فيه: القرشي، كما تقدم: وقيل فيه: الجهني.

حكاهما البخاري وقال أبو قاسم الدمشقي. وله صحبة له تصح.

وذكر البخاري وغيره: أنه سمع من ابن عباس. **فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً».**

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٤٤): «وفيه أثر عن عمر رضي الله عنه [أخرجه ابن أبي شيبة في=

والنفيُ لِما كان يعتقده أهلُ الجاهليةِ فيهم من الضرِّ والنفعِ، وكانوا يخافونهم خوفاً شديداً ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. زادَ الإنسُ الجنَّ جُرأةً عليهم وشراً وطغياناً، وزادتهم الجنُّ إخافةً وخَبلاً وكُفراناً.

وكان أحدُهم[1] إذا نزل وادياً قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائِه، فيأتي الشيطانُ فيأخذ من مال هذا المُستعيذِ أو يُروِّعه في نفسه، فيقول: يا صاحبَ الوادي، جارَك، أو نحوَ ذلك. فيسمع منادياً ينادي ذلك المعتديَ أن اترُكه أو دعه أو ما أشبه ذلك.

فأبطل اللّهُ تعالى ورسولُه ﷺ ذلك ونفى أن يضُروا أحداً إلا بإذن الله عز وجل، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذةَ بجبار السمواتِ والأرض، ربِّ الكونِ وخالقِه ومالكِه وإلهه، وبأسمائِه الحسنى وصفاتِه العُليا وكلماتِه التاماتِ التي لا يجاوِزُهن جبارٌ ولا متكبرٌ، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] إلى آخر السورة، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] إلى آخر السورة. وغيرُها من الآيات.

وقال رسولُ الله ﷺ في هاتين السورتين: **«ما سأل سائلٌ بمثلها ولا استعاذ مستعيذٌ بمثلها»**[2].

= مصنفه (٥/ ١٦٢) **بسند صحيح**] «أن الغيلان ذكروا عند عمر فقال: إن أحداً لا يستطيعُ أن يتحول عن صورته التي خلقه اللّهُ عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذنوا».

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/١٠٨ ـ ١٠٩).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٥٧). وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧٧ رقم ١٩٠٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن» (٨/ ٢٥٠ ـ ٢٥١). **بسند صحيح**.
والدارمي (٢/ ٤٦٢) من حديث معاذ بن عبد الله بن خبيب.
* وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (١٤٦٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه بلفظ قال: =

وقال ﷺ: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات اللّهِ التاماتِ من شر ما خلق، لم يضُرُّه شيءٌ حتى يرحَلَ من منزله ذلك» وهو في الصحيح[1]، وفي بعض الأحاديثِ: «إذا تغوّلت الغِيلانُ فبادروا بالآذان»[2].

وفي الحديث الصحيح[3]: «إن الشيطانَ إذا سمعَ النداءَ أدبر وله ضُراطٌ ـ وفي لفظ ـ حُصاصٌ».

= بينما أنا أسير مع رسولِ الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريحٌ وظلمةٌ شديدةٌ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ: «أعوذ برب الفلق» و «أعوذ برب الناس» ويقول:
يا عقبةُ! تعوّذ بهما، فما تعوّذ متعوذٌ بمثلِها». قال: وسمعتُه يؤمُّنا بهما في الصلاة.
* وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٠) وصححه، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن حديث عقبة بن عامر صحيح.

(١) مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٣٥٤٧) وابن خزيمة رقم (٢٥٦٧) والنسائي في «اليوم والليلة» (٥٦٠) وعنه ابن السني في «اليوم والليلة» رقم (٥٢٨) والترمذي (٣٤٣٧) والبيهقي (٥/ ٢٥٣) وأحمد (٦/ ٣٧٧) من طرق من حديث خولة بنت حكيم السُلميةِ.
وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٥) وابن السني رقم (٥٢٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٩٧ رقم ٩٧٩٠). وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (٩٢٤٧) وابن خزيمة رقم (٢٥٤٨) من حديث جابر رضي الله عنه والحسن لم يسمع من جابر.
* وأخرجه البزار (٤/ ٣٤ ـ كشف) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٦٠) من حديث سعد بن أبي وقاص، والحسن لم يسمع من سعد بن أبي وقاص.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٤) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من سعد فيما أحسب» اهـ.
* وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٤٣٦) وفي «الدعاء» رقم (٢٠٠٩).
وأورده الهيثمي في «المجمع (١٠/ ١٣٤) وقال) وفيه عدي بن الفضل وهو متروك.
* وأخرجه ابن عدي (٥/ ١٦٨٥) من حديث ابن عمر وفي سنده عمر بن صبح وهو واهم.
والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٤ ـ ٨٥ رقم ٦٠٨) وأطرافه رقم (١٢٢٢ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ٣٢٨٥).
ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩١ رقم ١٦/ ٣٨٩).

وأحاديثُ الاستعاذةِ والأذكارِ في طرد الشيطانِ وغيرِه كثيرةٌ مشهورةٌ مسبورةٌ في مواضعها من كتب السنة.

وأما قولُ من قال: إن المُرادَ في الحديث نفيُ وجُودِ الغِيلانِ مطلقاً فليس بشيء، لأن ذلك مكابرةٌ للأمور المشاهدةِ المعلومةِ بالضرورة في زمن النبيِّ ﷺ وقبلَه وبعدَه من إتيانِهم وانصرافِهم ومخاطبتِهم وتشكّلِهم، والله أعلم.

وأما الهامةُ والصفَرُ فقال أبو داودَ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ المُصفى حدثنا بقيةُ قال: قلتُ لمحمد - يعني ابنَ راشدٍ - قولُه: «هام»، قال: كانت الجاهليةُ تقول: ليس أحدٌ يموت فيدفن إلا خرج من قبرِه هامةٌ.

قلت: فقولُه: «صفَر»، قال: سمعتُ أهلَ الجاهليةِ يستشئمون بصفرٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «لا صفرَ». قال محمدٌ: وقد سمعنا من يقول هو وجعٌ يأخذ في البطن، فكانوا يقولون: هو يُعدي فقال: «لا صفرَ».

وقال[2] رحمه الله: حدثنا يحيى بنُ خلفٍ حدثنا أبو عاصم حدثنا ابنُ جريج عن عطاءٍ قال: يقول الناسُ: الصفرُ وجعٌ يأخذ في البطن. قلت: فما الهامةُ؟ قال: يقول الناسُ: الهامةُ التي تصرخ هامةُ الناسِ، وليست بهامة الإنسان، إنما هي دابةٌ.

وقال[3] رحمه الله: قرئ على الحارث بنِ مسكينٍ وأنا شاهدٌ أخبركم أشهب قال: سُئل مالك عن قوله: «لا صفر». قال: إن أهلَ الجاهليةِ كانوا يُحلّون صفرَ، يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً، فقال النبيُّ ﷺ: «لا صفر».

قلت: وكلُ هذه المعاني لهذه الألفاظِ قد اعتقدها الجهّالُ، وكلُها بجميع معانيها المذكورةِ مَنفيةٌ بنص الحديثِ، ولله الحمدُ والمنة.

---

(١) في «السنن» (٤/ ٢٣٤ رقم ٣٩١٥).
وقال الألباني: **صحيح مقطوع**.

(٢) أبو داود في «السنن» (٤/ ٢٣٥ رقم ٣٩١٨) **وهو حديث مقطوع**.

(٣) أبو داود في «السنن» (٤/ ٢٣٣ رقم ٣٩١٤) **وهو حديث صحيح مقطوع**.
وقد أخرج البخاري في صحيحه (١٠/ ٢١٥ رقم ٥٧٥٧) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٤٣ رقم ١٠٢/ ٢٢٢٠) من حديث أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفرَ»**.

مرتبةُ الإحسان

(وثالثُ مرتبةُ الإحسانِ وتلك أعلاها لدى الرحمنِ)

(وهو رسوخُ القلبِ في العِرفان حتى يكونَ الغيبُ كالعِيان)

هذه المرتبةُ هي الثالثةُ من مراتب الدين المفصّلة في حديث جبريلَ[1] المتقدم، وهي أعلى مراتبِ الدينِ وأعظمُها خطراً، وأهلُها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقرّبون في علو الدرجات.

وقد قدمنا أن الإسلامَ هو الأركانُ الظاهرةُ عند التفصيلِ واقترانه بالإيمان، والإيمانُ إذ ذاك هو الأركانُ الباطنةُ، والإحسانُ هو تحسينُ الظاهرِ والباطن، وأما عند الإطلاق فكلٌ منها يشمل دينَ اللّهِ كلَّه.

وقد جاء الإحسانُ في القرآن في مواضِع كثيرةٍ، تارة مقترناً بالإيمان، وتارة بالتقوى، وتارةً بهما معاً، وتارةً بالجهاد، وتارة بالإسلامِ، وتارةً بالعمل الصالحِ مطلقاً.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

وتارةً بالإنفاق في سبيل اللَّهِ وهو من الجهاد كقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقد فسّره النبيُّ ﷺ تفسيراً لا يستطيعه من المخلوقين أحدٌ غيرُه ﷺ لما أعطاه اللَّهُ تعالى من جوامع الكِلم، فقال ﷺ: **«الإحسانُ أن تعبدَ اللَّهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[1]. أخبر ﷺ أن مرتبةَ الإحسانِ على درجتين، **وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:**

(المقام الأول) ـ **وهو أعلاهما ـ أن تعبدَ اللَّهَ كأنك تراه، وهذا مقامُ المشاهدة**، وهو أن يعملَ العبدُ على مقتضى مشاهدتِهِ اللَّهَ عز وجل بقلبه، وهو أن يتنور القلبُ بالإيمانِ وتنفُذَ البصيرةُ في العِرفان حتى يصيرَ الغيبُ كالعِيان، فمن عبدَ اللَّهَ عز وجل ـ على استحضار قُربه منه وإقبالِه عليه وأنه بين يديه كأنه يراه ـ أوجب له ذلك الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيم.

وفي حديث حارثةَ المرسَل أن النبيَّ ﷺ قال له: **«يا حارثةُ كيف أصبحت؟** قال: أصبحتُ مؤمناً حقاً، قال: **انظر ما تقول، فإن لكل قولٍ حقيقةً**، قال: يا رسولَ اللَّهِ، عزفتْ نفسي عن الدنيا فأسهرْتُ ليلي وأظمأتُ نهاري وكأني أنظرُ إلى عرشِ ربي بارزاً، وكأني أنظرُ أهلَ الجنةِ في الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظُر إلى أهلِ النار في النار كيف يتعاوونَ فيها. قال: **أبصرتَ فالزم»**[2] عبدٌ نوَّر اللَّهُ تعالى بصيرتَه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/٢٦٦ ـ ٢٦٧ رقم ٣٣٦٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/٥٧) وقال: أخرجه الطبراني في «الكبير» وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه.
وأخرجه البزار (١/٢٦ رقم ٣٢ ـ كشف) عن أنس.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/٥٧) وقال: رواه البزار يوسف بن عطية لا يحتج به.
وأخرجه البيهقي في «الزهد» رقم (٩٧٣) من طريق آخر ضعيف.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/٤٣ رقم ١٠٤٧٤). وفي «الإيمان» (ص٤٣) من طريق مالك بن مغول عن زبيد.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص١٠٦ رقم ٣١٤) عن معمر عن صالح بن مسمار.
قال ابن الوراق: قال ابن صاعد: ولا أعلمُ صالح بن مسمار أسند إلا حديثاً واحداً»، زاد الحافظ في «الإصابة» (١/ ٢٩٠) بعد ذكر كلام ابن صاعد: وهذا الحديث لا يثبت موصولاً. =

(المقام الثاني) :**مقامُ الإخلاصِ**، وهو أن يعملَ العبدُ على استحضار مشاهدَةِ اللّهِ إياه واطلاعه عليه وقُربِه منه، فإذا استحضر العبدُ هذا في عمله وعمِل عليه فهو مخلصٌ لله تعالى، لأن استحضارَه ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير اللّهِ وإرادتِه بالعمل، وهذا المقامُ هو الوسيلةُ الموصلةُ إلى المقام الأول.

ولهذا أتى النبيُّ ﷺ تعليلاً للأول فقال: **«فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[1]. وفي بعضِ ألفاظِ الحديثِ: **«فإنك إلا لم تكنْ تراه فإنه يراك»**[1].

فإذا تحقق في عبادتِه بأن الله تعالى يراه ويطّلع على سره وعلانيته وباطِنه وظاهرِه، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمره، فحينئذ يسهُل عليه الانتقالُ إلى المقام الثاني، وهو دوامُ التحقيقِ بالبصيرة إلى قربِ اللّهِ تعالى مِن عبدِه ومَعيّته حتى كأنه يراه.

وقد ذكرَ اللّهُ تبارك وتعالى هذا المعنى في غير ما موضعِ من القرآنِ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء]. وغيرُ ذلك من الآياتِ.

فأولياءُ اللّهِ المتقون المحسنون، هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، وأفردوه بالعبادة محبةً وتذلّلاً وانقياداً وخوفاً ورجاءً ورغبةً ورهبةً وخشيةً وخشوعاً ومَهابةً وتعظيماً وتوكُّلاً عليه وافتقاراً إليه واستغناءً به

= وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً.

(١) تقدم تخريجه.

عما سواه، واتقوا بامتثال أوامرِه ومحبةِ مرضاتِه وترْكِ مناهيه وموجباتِ سخطِه سراً وعلناً وظاهراً وباطناً قولاً وعملاً واعتقاداً، واستشعرت قلوبُهم ونفوسُهم إحاطةَ اللَّهِ عز وجل بهم علماً وقدرةً ولطفاً وخِبرةً بأقوالهم وأعمالِهم ونياتِهم وأسرارِهم وعلانياتِهم وحركاتِهم وسكناتِهم وجميعِ أحوالِهم، كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا، فكان عملُهم خالصاً لله موافقاً لشرعه مُناطاً بما جاءت به رسلُه ونطقت به كُتبه، مستحضرينَ ذلك بقلوبهم نافذةً فيه بصائرُهم. فأخصلوا لله العملَ وراقبوه مراقبةَ من ينظُر إلى ربه، لكمال علمِهم بأن اللَّهَ ينظر إليهم ويرى حالَهم ويسمع مقالَهم.

فطرحوا النفوسَ بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه، والتجأوا منه إليه، وعاذُوا به منه، وأحبوه من كل قلوبِهم، فامتلأت بنور معرفتِه، فلم تتسع لغيره، فيه يُبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون، وبرؤيتهم يُذكر اللَّهُ تعالى، وبذكره يُذكرون.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عمرُ بنُ حفصٍ حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ سمعتُ أبا صالحٍ عن أبي هريرةَ ﷺ يقول: قال النبيُّ ﷺ: **«يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرّب إليّ شبراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً»**.

وقال[2] رحمه الله تعالى: حدثني محمدُ بنُ عثمانَ بنِ كرامةَ، حدثنا خالدُ بنُ مخلَدٍ، حدثنا سليمانُ بنُ بلالٍ، حدثني شريكُ بنُ عبدِ اللَّهِ بن أبي نمرٍ عن عطاءٍ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببْتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطِيَنّه، ولئن عاذ بي لأُعيذَنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعلُه تردُّدي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموتَ وأنا أكره مساءتَه»**.

---

(١) في صحيحه (١٣/ ٥١١ ـ ٥١٢ رقم ٧٥٣٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١ رقم ٢/ ٢٦٧٥).

(٢) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) وقد تقدم.

ذكروا الله تعالى فذكرهم، وشكروه فشكرهم، وتولَّوه ووالَوا فيه فتولاَّهم، وعادَوا أعداءَه لأجله فآذن بالحرب مَن عاداهم، وأحسنوا عبادةَ ربِهم فأحسن جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتِهم به فجازاهم بفضله وزادهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ولما ذكر أهلَ الجنة وما وعدهم به من النِعم وصفهم أن ذلك جزاءُ إحسانِهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾ [الذاريات]. ثم فسر إحسانهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات]. وقدمنا في الفصل الأول أن الحُسنى التي وعد اللَّهُ عز وجل المحسنين هي الجنةُ، والزيادةُ هي النظرُ إلى وجه اللَّهِ عز وجل كما رواه مسلمٌ[1] عن صهيبٍ عن النبي ﷺ.

فلما كانوا يعبُدون اللَّهَ عز وجل في الدنيا على وجه الحضورِ والمراقبةِ كأنهم يرَونه بقلوبهم وينظُرون إليه في حال عبادتِهم إياه، كان جزاؤُهم على ذلك النظرَ إلى وجهه تبارك وتعالى في الآخرة عِياناً بأبصارِهم.

وعكسُ هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فقال تعالى فيهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. لما كان حالُهم في الدنيا التكذيبَ، وأعقبَهم ذلك التكذيبُ تراكمَ الرانِ على قلوبِهم حتى حُجبت عن معرفتِه ومراقبتِه في الدنيا فكان جزاؤُهم على ذلك أن حُجبوا عن رؤيتِه في الآخرة. وذلك قول اللَّهِ عز وجل: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

---

(١) في صحيحه (١/١٦٣ رقم ٢٩٦/ ١٨٠).
من صهيب عن النبي ﷺ: «إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنجِّينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظر إلى ربهم عزَّ وجلَّ».

[خاتمة الكلام على حديث جبريل]

هذا آخرُ ما يسَّر الله تعالى من الكلامِ على مفردات حديثِ جبريلَ[1]، وقد قال ابنُ رجبٍ رحمه الله تعالى في شرح الأربعين[2] بعد كلامِه على مراتب الدينِ في هذا الحديثِ، قال: «فمن تأمل ما أشرنا إليه مما دل عليه هذا الحديث العظيمُ علم أن جميعَ العلومِ والمعارفِ يرجِعُ إلى هذا الحديثِ ويدخُل تحته، وأن جميعَ العلماءِ من فِرقَ هذه الأمة لا تخرج علومُهم التي يتكلمون فيها على هذا الحديثِ وما دلَّ عليه مجملاً ومفصلاً، فإن الفقهاءَ إنما يتكلمون في العبادات التي هي من جملةِ خِصال الإسلامِ، ويُضيفونَ إلى ذلك الكلامَ في أحكامِ الأموالِ والأبضاعِ والدماء، وكلُ ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيهُ عليه، ويبقى كثيرٌ من عِلمِ الإسلامِ ـ من الآداب والأخلاقِ وغير ذلك ـ لا يتكلم عليه إلا القليلُ منهم، ولا يتكلمونَ على معنى الشهادتين وهما أصلُ الإسلامِ كلِه.

والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمانِ بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والإيمانِ بالقدر خيرِه وشره، والذين يتكلمون على علم المعارفِ ومقاماتِ العبادِ يتكلمون على مقام الإحسانِ وعلى الأعمال الباطنةِ التي تدخل في الإيمانِ أيضاً كالخشية والمحبةِ والتوكلِ والرضا والصبْرِ ونحوِ ذلك، فانحصرت العلومُ الشرعيةُ التي يتكلم عليها فرقُ المسلمين في هذا الحديثِ ورجعت كلُها إليه، ففي هذا الحديثِ وحده كفايةٌ ولله الحمدُ والمنة». انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (١/١٣٤ ـ ١٣٥).

[ال] فصْلُ: [العاشر]
في ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

(فصل) في مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين:

(الأولى): كونُ الإيمانِ يزيد بالطاعة وينقُص بالمعصية.

(والثانية): تفاضلُ أهلِه فيه.

(والثالثة): أن فاسقَ أهلِ الملةِ الإسلاميةِ لا يكفر بذنب دون الشركِ ولوازِمه إلا إذا استحلَّه.

(والرابعة): أنه لا يخلد في النار.

(والخامسةُ): أنه في العقاب وعدمِه تحت المشيئةِ.

(والسادسةُ): أن التوبةَ في حق كلِّ فردٍ مقبولةٌ ما لم يُغرْغِرْ سواءٌ من كفر أو دونه من أي ذنبٍ كان.

١ ـ الإيمانُ يزيدُ وينقصُ

(إيمـانـنـا يـزيـد بـالـطـاعـات ونـقـصُـه يـكـون بـالـزلاّت)

هذه هي المسألةُ الأولى من مسائلِ الفصلِ، وهي أن الإيمانَ يزيد وينقصُ وعلى ذلك ترجمَ البخاريُّ رحمه الله تعالى في كتابه فقال في جامِعه: كتابُ الإيمانِ، بابُ قولِ النبيِّ ﷺ: «بُني الإسلامُ على خمس»[1]. وهو قولٌ وفعلٌ ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]. ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال الترمذيُّ[1] رحمه الله تعالى: بابٌ في استكمال الإيمانِ والزيادةِ والنقصانِ، وساق فيه حديثَ عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن أكملَ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً وألطفُهم بأهله»**، وحديثَ: **«يا معشرَ النساءِ تصدّقنَ»** إلخ، وهو في الصحيحين[2].

والشاهدُ منه قولُه ﷺ: **«ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذوي الألبابِ وذوي الرأي منكن»**[2].

وذكر حديثَ أبي هريرةَ وهو في الصحيحين[3] أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمانُ بضعٌ وسبعون باباً، فأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق وأرفعُها قولُ لا إله إلا الله»**. هذا لفظُ التِرمذيّ[4] وقال: حسنٌ صحيحٌ ولفظه: **«بضع وستون»**.

ولمسلم[5] روايةٌ: **«بضعٌ وسبعون»**، لكن قالا: **«شعبةً»** بدلَ **«باباً»**.

وقال النسائي[6]: بابُ زيادةِ الإيمانِ ـ وذكر فيه حديثَ الشفاعةِ، ودِلالُته ـ منطوقاً ـ على تفاضل أهلِ الإيمانِ فيه، وأما الزيادةُ والنقصُ فدِلالُته عليها مفهوماً لا منطوقاً.

---

(1) في «السنن» (٥/ ٩ رقم ٢٦١٢) وقال: **هذا حديث صحيح**. ولا نعرف لأبي قلابة سماعاً من عائشة.
قلت: وأخرجه أحمد (٦/ ٤٧ و ٩٩) والحاكم (١/ ٥٣) من طريق أبي قلابة عن عائشة ﵂.
قال الحاكم: رواته عن آخرهم ثقات على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «فيه انقطاع».
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ رقم ٩٥٦). ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٥ رقم ٩/ ٨٨٩).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٥١ رقم ٩) ومسلم في صحيحه (١/ ٦٣ رقم ٥٧/ ٣٥) عن أبي هريرة ولفظه: **«الإيمانُ بضعٌ وستون شُعبةً، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»**.

(4) في «السنن» (٥/ ١٠ رقم ٢٦١٤) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

(5) في صحيحه (١/ ٦٣ رقم ٥٨/ ٣٥).

(6) في «السنن» (٨/ ١١٢ ـ ١١٣).
وهو حديث صحيح.

ومثلُه حديث أبي سعيدٍ الخُدريّ[1]: «**رأيتُ الناسَ وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلُغ الثديَ**». الحديث.

وفيه: «**وعُرض عليَّ عمرُ بنُ الخطابِ وعليه قميصٌ يجُرّه**، قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسولَ الله؟ قال: **الدين**»، ثم ذكر[2] حديثَ عمرَ في نزول قولِه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ودلالتُها على ذلك منطوقاً.

وعلى ذلك ترجم البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى وقال: حدثنا الحسنُ بنُ الصباحِ سمع جعفرَ بنَ عون حدثنا أبو العَميس قال: أخبرنا قيسُ بنُ مسلم عن طارق بنِ شهابٍ عن عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابِكم تقرَءُونها لو علينا معشرَ اليهودِ نزلت لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً. قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال عمرُ: قد عرَفنا ذلك اليومَ والمكانَ الذي نزلت فيه على النبيِّ ﷺ، وهو قائمٌ بعرَفةَ يومَ جُمعةٍ.

وعلى ذلك ترجمَ أبو داودَ[4] وغيرُه من أئمةِ السنة، وساقوا في ذلك أحاديثَ تتضمنُه منطوقاً ومفهوماً.

قال مسلمُ[5] بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ يحيى التيميُّ وقَطَنُ بنُ نُسير ـ واللفظُ ليحيى ـ أخبرنا جعفرُ بنُ سليمانَ عن سعيدِ بنِ إياسٍ

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن» (٨/ ١١٣).
قلت: وأخرجه البخاري (٧/ ٤٣ رقم ٣٦٩١). ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٩ رقم ١٥/ ٢٣٩٠).

(٢) أي النسائي في «السنن» (٨/ ١١٤) و (٥/ ٢٥٠).
قلت: وأخرجه البخاري (١/ ١٠٥ رقم ٤٥) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٣ رقم ٥/ ٣٠١٧). والترمذي (٥/ ٢٥٠ رقم ٣٠٤٣).

(٣) في صحيحه (١/ ١٠٥ رقم ٤٥).
وتقدم تخريجه في التعليقة السابقة.

(٤) في «السنن» (٥/ ٥٩ ـ ٦٦) باب رقم (١٦) الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

(٥) في صحيحه (٤/ ٢١٠٦ رقم ١٢/ ٢٧٥٠).

الجَريريِّ عن أبي عثمانَ النهْديِّ عن حنظلةَ الأُسيديِّ قال: وكان من كُتَّابِ رسولِ الله ﷺ قال: «لقِيني أبو بكرٍ ﷺ فقال: كيف أنت يا حنظلةُ؟ قال: قلت: نافقَ حَنظلةُ. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال قلت: نكونُ عند رسولِ الله ﷺ يُذكِّرنا بالنار والجنةِ حتى كأنا رأيَ عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسولِ اللَّهِ ﷺ عافسْنا الأزواجَ والأولادَ الصغارَ، فنسِينا كثيراً.

قال أبو بكر ﷺ: فواللَّهِ إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسولِ الله ﷺ قلت: نافق حنظلةُ يا رسول اللَّهِ.

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«وما ذاك؟»**. قلت: يا رسولَ اللَّهِ نكون عندك تذكّرنا بالنارِ والجنةِ حتى كأنا رأيَ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسْنا الأزواجَ والأولادَ والضَّيعاتِ، نسينا كثيراً. فقال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتْكُم الملائكةُ على فُرشكم وفي طُرُقكم، ولكن يا حنظلةُ، ساعةً وساعةً»**. ثلاث مرات.

حدثني[1] إسحاقُ بنُ منصورٍ أخبرنا عبدُ الصمدِ سمعتُ أبي يحدّث حدثنا سعيدٌ الجَريريُّ عن أبي عثمانَ النهْديِّ عن حنظلةَ قال: كنا عند رسولِ الله ﷺ فوعظنا فذكر النارَ. قال: ثم جئتُ إلى البيت فضاحكتُ الصبيانَ ولاعبْتُ المرأةَ، قال: فخرجتُ فلقِيتُ أبا بكرٍ فذكرتُ ذلك له قال: وأنا قد فعلتُ مثل ما تذكر. فلقينا رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله نافق حنظلةُ. فقال: **«مَهْ»**. فحدثْتُه بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلتُ مثلَ ما فعلَ فقال: **«يا حنظلةُ ساعةً وساعة، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذِكرِ لصافحتْكُم الملائكةُ حتى تُسلّمُ عليكم في الطرق»**. ومن طريق ثالثٍ[2]: فذكرنا الجنةَ والنارَ الحديث.

وعلى هذا إجماعُ الأئمةِ المعتدِّ بإجماعِهم، وأن الإيمانَ قولٌ وعملٌ ويزيد وينقص، وإذا كان ينقُص بالفترة عن الذكر فلأَن ينقُصَ بفعل المعاصي من بابِ أولى كما سيأتي إن شاء اللَّهُ تبارك وتعالى بيانه قريباً.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٧ رقم ١٣/٢٧٥٠).

(٢) عند مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٧ رقم .../٢٧٥٠).

٢ ـ تفاضُلُ أهلِ الإيمانِ

(وأهــلُــه فــيــه عــلــى تــفــاضــل   هــل أنــت كــالأمــلاك أو كــالــرُّســلِ!)

هذه المسألةُ الثانيةُ، وهي تفاضلُ أهلِ الإيمانِ فيه، كما ذكر اللَّهُ تبارك وتعالى أقسامَهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمتِه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. الآيات.

فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين، وهم الأبرارُ أصحابُ اليمينِ الذين اقتصروا على التزام الواجباتِ واجتنابِ المحرماتِ فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه، وإلى سابق بالخيراتِ، وهم المقرّبونَ الذين تقرَّبوا إليه بالنوافل بعد الفرائضِ وتركوا ما لا بأسَ به خوفاً مما به بأسٌ، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرَهم الذي يبصرون به إلى آخر معنى الحديثِ السابق، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطِقون وبه يعقِلون، يسبحون الليلَ والنهارَ لا يفتُرون.

وأما الظالمُ لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالحِ قولان:

أحدُهما: أن المُراد به الكافرُ، فيكون كقولِ الله عز وجل في تقسيمهم في سورة الواقعةِ عند البعثِ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة]. إلى آخر الآيات.

وقسمهم عند الاحتضار كذلك، فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة].

فإن تفاضلَ أهلِ الإيمانِ في تقسيم هذه السورةِ إنما هو على درجتين: سابقين مقرّبين، وأبرارهم أصحابُ اليمين. وأما أصحابُ الشمالِ الذين هم

المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلامِ باتفاق، وإنما الخلافُ في الظالم نفسه في آيةِ فاطر[1].

والقولُ الثاني أن المُرادَ به عصاةُ الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسِهم، ولكن ظلمٌ دون ظلم، لا يخرُج من الدين ولا يخلّد في النار، فعلى هذا يكون قسمٌ ثالثٌ في تفاضلِ أهلِ الإيمانِ.

ورجح هذا القولَ ابنُ القيِّم[2] رحمه الله تعالى، فإذا كان هذا التفاوتُ بين أتباعِ الرسلِ فكيف تفاوتُ ما بينهم وبين رسلِهم، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسلَ متفاضلون فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقد تقدم تقرير ذلك في موضعه.

وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم في الإيمان في دار التكليفِ كذلك جعل الجنةِ التي هي دارُ الثوابُ متفاوتةَ الدرجاتِ مع كون كلٍ منهم فيها، فقال في سورة الرحمنِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ [الرحمن]. إلى آخر السورة.

وكذا في سورة الواقعةِ أخبرَ بصفة الجنةِ التي يدخلها السابقون أعظمَ وأعلى من صفاتِ الجنةِ التي يدخلها أصحابُ اليمين، وكذلك في سورة المطففين. قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين]. وغيرُ ذلك من الآيات.

---

(١) فاطر: (٣٢).

(٢) في كتابه «طريق الهجرتين» (ص٢٨٩ ـ ٢٩٦).

وقال النبيُّ ﷺ: **«جنتانِ من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وجنتانِ من فضة، آنيتُهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنة عدْنٍ»**[1].

وأهلُ الجنةِ متفاوتون في الدرجات حتى إنهم يتراءَوْن، أهلَ عِلّيين يرَون غُرفَهم مِن فوقهم كما يُرى الكوكبُ في الأفق الشرقي أو الغربي، ومتفاوتون في الأزواج. ومتفاوتون في الفواكه من المطعومِ والمشروبِ، ومتفاوتون في الفُرش والملبوساتِ، ومتفاوتون في المُلك، ومتفاوتون في الحسن والجمالِ والنور، ومتفاوتون في قربهم من الله عز وجل، ومتفاوتون في تكثير زيارتِهم إياه، ومتفاوتون في مقاعدهم يومَ المزيد، ومتفاوتون تفاوتاً لا يعلمه إلا اللَّهُ عز وجل.

وقد قدمنا أحاديث الشفاعةِ[2] وفيها أن عُصاةَ الموَحدين الذين تمسُّهم النارُ بقدْرِ ذنوبِهم، متفاوتون تفاوتاً بعيداً: متفاوتون في مقدار ما تأخذُه منهم، فمنهم من تأخذُه النارُ إلى كعبيه، ومنهم من تأخذُه إلى أنصافِ ساقيه، ومنهم من تأخذُه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذُه إلى حِقْوَيه، ومنهم من تأخذُه كلَّه إلا مواضعَ السجودِ.

وكذلك يتفاوتون في مقدار لُبثِهم فيها وسُرعةِ خروجِهم منها، لأنهم متفاوتون في الإيمانِ والتوحيدِ الذي بسببه يخرجون منها، ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلّدين أبداً.

فيُقال للشفعاء أخرِجوا من كان في قلبِه مثقالُ دينارٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه نصفُ دينارٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه وزنُ بُرّةٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه ذرّةٌ من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقالِ ذرةٍ من إيمان.

فأين هذا ممن الإيمانُ في قلبه مثلُ الجبلِ العظيم، وأين مَن نورُه على الصراط كالشمس، ممن نورُه على إبهام قدمه يُنوْنِصُ تارةً ويَطْفأُ أخرى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٢٤ رقم ٤٨٧٩).

(٢) تقدم تخريجها.

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرضوا عليّ وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلُغ الثُّديَّ، ومنها ما يبلغ دون ذلك. وعُرض عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ يجرُّه: قالوا: فما أوّلْتَه يا رسولَ الله؟ قال: الدين**».

وقال ابنُ أبي مُلَيكةَ: أدركتُ ثلاثين من أصحابِ النبيِّ ﷺ كلُهم يخاف النفاق على نفسِه. ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ذكره البخاريُّ[2] تعليقاً مجزوماً به.

وقال النبيُّ ﷺ: «**مُلئ عمارٌ إيماناً إلى مُشاشِه**»[3].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**»[4].

وقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: «لو وُزن إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان أهلِ الأرض لرجح»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (١/١٠٩ ـ ١١٠ رقم ٣٦). تعليقاً.

(٣) أخرجه النسائي في «السنن» (٨/١١١ رقم ٥٠٠٧).
والحاكم (٣/٣٩٢ ـ ٣٩٣) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، إنْ كان محمدُ بن أبي يعقوب حفظ عن عبد الرحمن بن مهدي». ووافقه الذهبي.
قلت: محمد بن أبي يعقوب هذا ثقة من شيوخ البخاري، واسم أبيه إسحاق، «فإذا كان قد حفظه فلا يزيد على كونه صحيحاً لأن أبا عمار ليس من رجال الشيخين».
وله طريق أخرى أخرجها ابن ماجه (١/٥٢ رقم ١٤٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٣٩).
ورجاله ثقات، رجال البخاري غير هاني بن هانئ وهو مستور كما في «التقريب» رقم (٧٢٦٤) ومن طريق أبي يعلى (١/١١٧) وابن جرير في «التهذيب» (٢٥٨/١٥٧) وقال: «مجهول».
«الصحيحة» رقم (٨٠٧).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) أخرجه مسلم (١/٦٩ رقم ٧٩/٤٩) وأحمد (٣/١٠) وأبو داود رقم (١١٤٠) و (٤٣٤٠) وابن ماجه رقم (١٢٧٥) و (٤٠١٣) والبيهقي في «السنن» (٦/٩٤ ـ ٩٥). من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/٤١٨ رقم ٦٥٣). **بإسناد ضعيف جداً لأجل** أيوب بن سويد الرملي.

=

وقرأ الفضيلُ بنُ عياض[1] رحمه الله أولَ الأنفال حتى بلغ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]. قال حين فرَغ: إن هذه الآيةَ تخبرك أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، وأن المؤمنَ إذا كان مؤمناً حقاً فهو من أهلِ الجنةِ، فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنةِ فهو شاكٌّ في كتاب اللّهِ، مكذّبٌ أو جاهلٌ لا يعلم.

فمن كان على هذه الصفةِ فهو مؤمنٌ حقاً مستكمل الإيمان، ولا يُستكمل الإيمانُ إلا بالعمل، ولا يستكمل عبدٌ الإيمانَ ولا يكون مؤمناً حقاً حتى يؤْثِرَ دينَه على شهوتِه، ولن يهلِكَ عبدٌ حتى يؤْثِرَ شهوتَه على دينه.

يا سفيهُ ما أجهلك، لا ترضى أن تقولَ أنا مؤمنٌ حتى تقول أنا مؤمنٌ حقاً مستكملٌ الإيمان، واللّهِ لا تكون مؤمناً حقاً مستكملَ الإيمانِ حتى تؤدّيَ ما افترض اللّهُ عليك، وتجتنب ما حرم الله عليك، وترضى بما قسمَ اللّهُ لك، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبلَ اللّهُ منك.

ووصفَ فضيلٌ الإيمانَ بأنه قولٌ وعملٌ، وقرأ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

قد سمّى اللّهُ تعالى دينَ القيمةِ بالقول والعملِ، فالقولُ الإقرارُ بالتوحيد والشهادةِ للنبيِّ ﷺ، والعملُ أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المحارم، وقرأ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم]. وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشورى: ١٣].

فالدينُ التصديقُ بالعملِ كما وصفه الله تعالى، وكما أمر به أنبياءَه ورسلَه بإقامتِه. والتفرّقُ فيه تركُ العملِ والتفريقُ بين القولِ والعملِ، قال الله تبارك وتعالى:

= وتابعه ابن المبارك عند أبي خيثمة في «فضائل أبي بكر» (ص١٣٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٥ ـ ٢٦). وأبو عثمان في «عقائد السلف» رقم (١١٠). بإسناد صحيح.
وأخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٢٣) بإسناد حسن.

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨١٨).

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١]. فالتوبةُ من الشرك جعلها الله تعالى قولاً وعملاً بإقامة الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة.

وقال أصحابُ الرأي[(١)]: ليس الصلاةُ ولا الزكاةُ ولا شيءٌ من الفرائض من الإيمان، افتراءً على الله وخلافاً لكتابه وسنةِ نبيِّه، ولو كان القولُ كما يقولون لم يقاتل أبو بكرٍ أهلَ الردةِ.

وقال فُضيلٌ[(١)]: يقول أهلُ البدع: الإيمانُ الإقرارُ بلا عملٍ، والإيمانُ واحدٌ، وإنما يتفاضل الناسُ بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان. قال: فمن قال ذلك فقد خالفَ الأثرَ، ورد على رسولِ الله قوله، لأن رسولَ الله ﷺ قال: **«الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً أفضلُها لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»**[(٢)].

وتفسيرُ[(٣)] من يقول: الإيمانُ لا يتفاضل يقول إن فرائضَ اللَّهِ ليست من الإيمان، فميّز أهلُ البِدَعِ العملَ من الإيمان وقالوا: إن فرائضَ اللَّهِ ليست من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفِرْيةَ، أخاف أن يكون جاحداً للفرائض راداً على الله أمرَه.

ويقول أهلُ السنةِ[(٤)]: إن الله تعالى قرّر العملَ بالإيمانِ وإن فرائضَ اللَّهِ من الإيمان. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [العنكبوت: ٧] فهذا موصولُ العملِ بالإيمان.

ويقولُ أهلُ الإرجاء: لا ولكنه مقطوعٌ غيرُ موصول، وقال أهلُ السنةِ: قال اللَّهُ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤]. فهذا موصولٌ. وأهلُ الإرجاء يقولون بل هو مقطوعٌ، وقال أهلُ السنةُ[(٤)]: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]. فهذا موصولٌ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨١٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١/ ٣٧٦).
(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٦).

وكلُ شيءٍ في القرآن من أشباه هذا فأهلُ السنةِ يقولون: هو موصولٌ مجتمعٌ، وأهلُ الإرجاءِ يقولون: بل هو مقطوعٌ متفرقٌ. ولو كان الأمرُ كما يقولون كان من عصى وارتكبَ المعاصيَ والمحارِمَ لم يكن عليه سبيلٌ فكان إقرارُه يكفيه من العمل، فما أسوأ هذا مِن قولٍ وأقبَحه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال فضيلٌ[1]: أصلُ الإيمانِ عندنا وفرعُه ـ بعد الشهادةِ لله بالتوحيد والشهادةِ للنبيِّ ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض ـ صدقُ الحديث، وحِفظُ الأمانةِ، وتركُ الخيانةِ، والوفاءُ بالعهد، وصلةُ الرحم، والنصيحةُ لجميع المسلمين، والرحمةُ للناس عامة.

قيل له ـ يعني فضيلاً ـ هذا من رأيك تقوله أو سمعتَه؟ قال: بل سمعناه وتعلّمناه. ولو لم آخُذْه من أهلِ الفقهِ والفضْل لم أتكلم به.

وقال فُضيلٌ[1]: يقول أهلُ الإرجاءِ: الإيمانُ قولٌ بلا عملٍ، ويقول الجهميةُ: الإيمانُ المعرفةُ بلا قولٍ ولا عمل، ويقول أهلُ السنةِ: الإيمانُ: المعرفةُ والقولُ والعملُ.

فمن قال الإيمانُ قولٌ وعملٌ فقد أخذ بالتوثقة. ومن قال الإيمانُ قولٌ بلا عمل فقد خاطر. لأنه لا يدري أيُقبلُ إقرارُه أو يُرَدّ عليه بذنوبه. وقال يعني فضيلاً: قد بيّنتُ لك إلا أن تكون أعمى.

وقال فضيل[1]: لو قال لي رجلٌ: مؤمنٌ أنت؟ ما كلّمته ما عشتُ. وقال: إذا قلتَ: آمنتُ بالله فهو يُجزيك من أن تقول أنا مؤمن. وإذا قلتَ أنا مؤمنٌ لا يُجزيك من أن تقول آمنتُ بالله لأن (آمنتُ بالله) أمْرٌ، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]. الآية.

وقولُك أنا مؤمنٌ تكلّفٌ لا يضُرك أن لا تقوله ولا بأسَ إن قلتَه على وجه الإقرار، وأكرهُه على وجه التزكية.

وقال فضيلٌ[2] سمعتُ الثَّوريَّ يقول: من صلّى إلى هذه القِبلةِ فهو عندنا

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٦).
(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٧).

مؤمنٌ، والناسُ عندنا مؤمنون بالإقرار في المواريث والمناكحةِ والحدودِ والذبائح والنُسُك. ولهم ذنوب وخَطايا اللَّهُ حسبُهم، إن شاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم، لَا ندري ما لهم عند اللَّهِ عزَّ وجل.

وقال فضيلٌ[1]: سمعتُ المُغيرةَ الضَّبيَّ يقول: من شك في دينه فهو كافرٌ وأنا مؤمنٌ إن شاء الله. قال فضيلٌ[1]: الاستثناءُ ليس بشك.

وقال فضيلٌ[1] المُرجئةُ كلما سمعوا حديثاً فيه تخويفٌ قالوا: هذا تهديدٌ. وإن المؤمنَ يخافُ تهديد اللَّهِ وتحذيرَه وتخويفَه ووعيدَه ويرجو وعْدَه، وإن المنافقَ لا يخاف تهديدَ الله ولا تحذيرَه ولا تخويفَه ولا وعيدَه ولا يرجو وعدَه.

وقال فضيلٌ[1]: الأعمالُ تُحبِطُ الأعمالَ، والأعمالُ تحول دون الأعمالِ.

قال عبدُ الله[2] قال أبي: أُخبرْتُ عن فضيلٍ عن ليثٍ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. قال: الفقه والعلم اهـ من «كتاب السنة».

وفيه[3] عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «القلوبُ أربعةٌ: قلبٌ أجردُ كأنما فيه سراجٌ يُزهِرُ، فذلك قلبُ المؤمن. وقلبٌ أغلفُ، فذلك قلبُ الكافر، وقلبٌ مُصْفَحٌ فذلك قلبُ المنافق. وقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ، ومَثَلُ الإيمانِ فيه كمثلِ شجرةٍ يَسقيها ماءٌ طيّبٌ، ومثلُ النفاقِ فيه كمثل قُرحةٍ يُمدّها قيحٌ ودمٌ، فأيُّهما غلب عليه غلبه» اهـ.

وهذا الموقوفُ قد رُوي مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ بإسنادٍ جيدٍ حسن.

فقال الإمامُ أحمدُ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو النضْرِ حدثنا أبو معاويةَ

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٧ رقم ٨١٩) وفي سنده مجهول.
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٣/ ٩٠).

(٣) أي «السنة» (١/ ٣٧٧ رقم ٨٢٠) في سنده مجهول.

(٤) في «المسند» (٣/ ١٧) بإسناد صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٣٦ رقم ١٠٤٥٣) والطبراني في «الصغير» (٢/ ١١٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٥).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

حدثنا شيبانُ عن ليثٍ عن عمْرِو بنِ مُرَّةَ عن أبي البَخْترِيِّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**القلوبُ أربعةٌ: قلبٌ أجردُ فيه مثلُ السِراجِ يُزهرُ، وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غلافه، وقلبٌ منكوسٌ، وقلبٌ مُصْفَحٌ. فأما القلبُ الأجردُ فقلبُ المؤمنِ سراجُه فيه نورُه، وأما القلبُ الأغلفُ فقلبُ الكافرِ، وأما القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافق عرَف ثم أنكر.**

وأما القلبُ المصفحُ فقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ. ومثلُ الإيمانِ فيه كمثل البقْلةِ يُمدّها الماءُ الطيبُ، ومثلُ النفاقِ فيه كمثلِ القُرحةِ يُمدّها الدمُ والقيحُ، فأيُّ المادتين غلبت على الأخرى غلبتْ عليه».

والآياتُ والأحاديثُ وآثارُ الصحابةِ والتابعين في هذا الباب أكثرُ من أن تُحصرَ وأشهرُ من أن تُذكرَ.

والمقصودُ بيانُ بأن الناسَ متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمانِ في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلُهم وأعلاهم أولو العزمِ من الرسل، وأدناهم المخلّطون من أهلِ التوحيد. وبين ذلك مراتبُ ودرجاتٌ لا يحيط بها إلا اللّهُ عز وجل الذي خلقهم ورزقهم.

وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمانِ الظاهرةِ، بل واللّهِ يتفاضلون في عمل واحدٍ يعملُه كلُهم في آنٍ واحدٍ وفي مكانٍ واحد، فإن الجماعةَ في الصلاة صافّون كلُهم في رأيِ العين، مستوون في القيامِ والركوعِ والسجودِ، والخفْضِ والرفْعِ، والتكبيرِ والتحميدِ، والتسبيحِ والتهليلِ، والتلاوةِ وسائرِ الأذكارِ والحرَكات والسكنات، في مسجد واحدٍ ووقت واحدٍ وخلف إمامٍ واحدٍ، وبينهم من التفاوت والتفاضلِ ما لا يُحصى: فهذا قُرَّةُ عينه في الصلاة يودّ إطالتَها ما دام عمرُه، وآخرُ يرى نفسَه في أضيق سجنٍ يود انقضاءَها في أسرع من طرفةِ عينٍ، أو يود الخروجَ منها، بل يتندّم على الدخول فيها، وهذا يعبد الله على وجه الحضورِ والمراقبةِ كأنه يشاهده، وآخرُ قلبُه في الفلوات قد تشعَبتْ به الضَّيعاتُ وتفرقت به الطُرقاتُ، حتى إنْ يدري ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى.

وهذا تُرفع صلاتُه تتوهج بالنورِ حتى تخترقَ السمواتِ إلى عرش الرحمنِ عز وجل. وهذا تخرُج مُظلمةً لظلمة قلبِه فتُغلق أبوابُ السماءِ دونها فتُلفّ كما يُلفّ

الثوبُ الخلِقُ فيُضربُ بها وجهُ صاحبِها، وهذا يُكتبُ له أضعافُها وأضعافٌ مضاعفةٌ. وهذا يخرُج منها وما كتب له إلا نصفُها، إلا ربعُها، إلا ثمنُها، إلا عشرُها، وهذا يحضُرها صورةً ولم يُكتب له منها شيءٌ، وهذا منافقٌ يأتيها رياءَ الناسِ ولا يؤمن بالله واليومِ الآخر.

هذا والناظرُ إليهم يراهُم مستوين في فعلِها، ولو كُشفَ له الحجابُ لرأى من الفُرقان ما لا يقدِر قدْرَه إلا اللّهُ الرقيبُ على كل نفسٍ بما كسبت، الذي أحاط بكل شيءٍ علماً لا تخفى عليه خافية.

وكذلك الجهادُ ترى الأمةَ من الناس يخرُجون فيه مع إمامٍ واحدٍ ويقاتلون عدواً واحداً، على دينٍ واحدٍ متساوين ظاهراً في القُوى والعدد، فهذا يُقاتل حميةً وعصبيةً، وهذا يقاتل رياءً وسمعةً لتُعلَم شجاعتُه ويُرى مكانُه، وهذا يقاتل للمغنم ليس له همٌّ غيرُه، وهذا يقاتل لتكون كلمةُ اللّهِ هي العليا، وذا هو المُجاهدُ في سبيلِ اللّهِ لا لغيره، وهذا هو الذي يُكتب له بكل حركةٍ أو سكونٍ أو نصَبٍ أو مخمصةٍ عملٌ صالحٌ.

وهكذا الزكاةُ والصومُ والحجُّ والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر وجميعُ أعمالِ الإيمانِ، الناسُ فيها على هذا التفاوتِ والتفاضلِ بحسب ما وقرَ في قلوبهم من العلم واليقين.

وعلى ذلك يموتون، وعليه يُبعثون، وعلى قدره يقِفون في عرَق الموقفِ، وعلى ذلك الوزنُ والصحفُ. وعلى ذلك تُقسَم الأنوارُ على الصراط، وبحسب ذلك يمرون عليه. **«ومن يُبطِئ به عملُه لم يُسرِع به نسبُه»**[1].

وبذلك يتسابقون في دخول الجنة، وعلى حسبه رفعُ درجاتِهم، وبقدْرِه تكون مقاعِدُهم من ربهم تبارك وتعالى في يوم المزيد، وبمقدار ذلك ممالكُهم فيها ونعيمُهم، واللّهُ يختص برحمتِه من يشاء، واللّهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

---

(١) وهو جزء من حديث صحيح.
أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩/٣٨) وابن ماجه رقم (٢٢٥) وأحمد (٤٠٧/٢) من حديث أبي هريرة.

٣ ـ فاسقُ أهلِ القبلةِ مؤمنٌ ناقصُ الإيمان

(والفاسقُ المليُّ ذو العصيانِ   لم يُنفَ عنه مطلقُ الإيمان)

(لكن بقدر الفسقِ والمعاصي   إيمانُه ما زال في انتقاص)

هذه هي المسألةُ الثالثةُ. وهي أن فاسقَ أهلِ القبلةِ لا يُنفى عنه مُطلقُ الإيمانِ بفسوقه. ولا يوصف بالإيمان التامِّ. ولكنْ هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرتِه. فلا يُعطى الاسمَ المطلقَ ولا يُسلبُ مطلقَ الاسم.

والمُرادُ بالفسق هنا هو الأصغرُ. وهو عملُ الذنوبِ الكبائرِ التي سمَّاها اللَّهُ ورسولُه فسقاً وكفراً وظلماً مع إجراء أحكامِ المؤمنين على عاملها. فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقاً فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. ومع هذا لم يخرُجْ ذلك الرجلُ الذي نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم يُنف عنه الإيمانُ مُطلقاً ولم يُمنع من جريان أحكامِ المؤمنين عليه.

وكذلك قال النبي ﷺ: **«سبابُ المسلمِ فسوقٌ وقتالهُ كفرٌ»**[١].

وقال ﷺ: **«لا ترجِعوا بعدي كفاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعض»**[٢] الحديث وغيرُه.

وقد استُبَّ كثيرٌ من الصحابةِ على عهده وفي حضورِه فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقُوا أنصارَه ووزراءَه في الدين. وقال الله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فسمى الله تعالى كلاً من الطائفتين المُقتتِلتين مؤمنةً وأمرَ بالإصلاحِ بينهما ولو بقتال الباغية، ثم قال: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ثم لم ينفِ عنهم الأخوّةَ أخوةَ الإيمانِ لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقيةِ المؤمنين بل أُثبتت أخوّةُ الإيمان لهم مطلقاً، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦ رقم ٧٠٧٦)، ومسلم في صحيحه (١/ ٨١ رقم ١١٦/ ٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦ رقم ٧٠٧٧)، ومسلم (١/ ٨١ ـ ٨٢ رقم ١١٨/ ٦٥).

وكذلك في آيةِ القصاصِ أثبتَ الإيمانَ للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أُخوّةَ الإيمانِ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وكذلك الذين قال لهم النبيُّ ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ»**[١] سماهم أيضاً مسلمين بعد أن رجَعوا كذلك فقال في صفةِ الخوارجِ: **«تمرُق مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»**[٢].

ومعلومٌ أن أصحابَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وأهلَ الشامِ هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارجُ من بينهما قد اقتتلا قتالاً عظيماً، فسمى الجميعَ مسلمين.

وقال ﷺ في سِبطه الحسن بن عليٍّ: **«إن ابني هذا سيدٌ، وسيُصلحُ الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين»**[٣]، فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين[٤] بعد موت أبيه ﷺ في عام الجماعة ولله الحمدُ والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العملِ فسقاً أو عامِله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريانِ أحكام المسلمين عليه، لأنه ليس كلُّ فسقٍ يكون كفراً، ولا كلُّ ما سُمي كفراً وظلماً يكون مُخرجاً من الملة حتى يُنظر إلى لوازِمه وملزوماتِه، وذلك لأن كلّاً من الكفرِ والظلمِ والفسوقِ والنفاقِ جاءت في النصوص على قسمين: أكبرَ يُخرج من الملة لمنافاته أصلَ الدين بالكلية، وأصغرَ ينقُص الإيمانَ وينافي كمالَه ولا يُخرج صاحبَه منه، فكفرٌ دون كفرٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، وفسوقٌ دون فسوق، ونفاقٌ دون نفاق.

قال الله تعالى في بيان الكفر: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝١٦٩﴾ [النساء].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦ رقم ٧٠٧٧)، ومسلم (١/ ٨١ ـ ٨٢ رقم ١١٨/ ٦٥) وقد تقدم.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٥ رقم ١٥٠/ ١٠٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٦).
(٤) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٦١ ـ ٦٨).

وقال النبيُّ ﷺ في بيان الكفرِ الأصغرِ: «**سبابُ المسلم فسوقٌ وقتالُه كفرٌ**»[1]. وقال الله تعالى في الظلم الأكبر: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وقال في الظلم الأصغر: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال في الفسوق الأكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. وقال تعالى في النفاق الأكبر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال النبيُّ ﷺ في النفاق الأصغرِ: «**أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعَها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجَر**»[2].

فهذه الخصالُ كلُها نفاقٌ عمليٌّ لا يُخرِج من الدين إلا إذا صحبه النفاقُ الاعتقادي المتقدِّم، وما تمسك به الخوارجُ[3] والمعتزلةُ[3] وأضرابُهم من التشبث بنصوص الكفرِ والفسوقِ الأصغرِ، واستدلالِهم به على الأكبر فذلك مما جنتْه أفهامُهم الفاسدةُ وأذهانُهم البعيدةُ وقلوبُهم الغُلْفُ، فضربوا نصوصَ الوحي بعضَها ببعض، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه.

فقالت الخوارجُ: المُصرُّ على كبيرة من زِناً أو شُربِ خمرٍ أو رباً كافرٌ مرتدٌّ خارجٌ من الدين بالكلية لا يصلّى عليه ولا يُدفن في مقابرِ المسلمين، ولو أقرَّ لله تعالى بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ، وصلى وصام وزكّى وحجّ وجاهد، وهو مخلّدٌ في النار أبداً مع إبليسَ وجنودِه ومع فرعون وهامانَ وقارونَ.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (١/٨٩ رقم ٣٤)، ومسلم في صحيحه (١/٧٨ رقم ١٠٦/٥٨).
(٣) تقدم التعريف بهما.

وقالت[1] المعتزلةُ: العصاةُ ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسمّيهم فاسقين. فجعلوا الفسقَ منزلةً بين المنزلتين. ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين. بل قضوا بتخليده في النار أبداً كالذين قبلهم، فوافقوا الخوارجَ مآلاً وخالفوهم مقالاً، وكان الكلُّ مخطئين ضُلّالاً.

وقابل ذلك المرجئةُ[2] فقالوا: لا تضُر المعاصي مع الإيمانِ لا بنقص ولا منافاةٍ ولا يدخُل النارَ أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية. ولا تفاضُلَ عندهم بين إيمان الفاسقِ الموحّدِ وبين إيمان أبي بكرٍ وعمرَ، حتى ولا تفاضلَ بينهم وبين الملائكة، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين، إذ الكلُّ مستوفي النطقِ بالشهادتين كما قدمنا اعتقادَهم في بحث الإيمانِ، نسأل الله تعالى العافية.

٤ ـ العاصي لا يخلّد في النار وأمرُه إلى الله

(ولا نقول إنه في النار	**مخلّدٌ بل أمرُه للباري)**
(تحت مشيئةِ الإلهِ النافذة	**إن شا عفا عنه وإن شا آخذهْ)**
(بقدر ذنبِه إلى الجنان	**يخرُج إن مات على الإيمان)**

(ولا نقول إنه) أي الفاسقَ بالمعاصي التي لا توجب كفراً **(في النار مخلد)** هذه هي المسألةُ الرابعةُ من مسائل الفصلِ **(بل نقول أمرُه)** مردودٌ حكمُه **(للباري)** في الجزاء والعفوِ **(تحت مشيئة الإله النافذة)** في خلقه **(إن شاء)** اللّهُ عز وجل **(عفا عنه)** وأدخلَه الجنةَ من أولِ وهْلةٍ برحمته وفضلِه **(وإن شاء آخذه)** أي جازاه وعاقبه **(بقدر ذنبه)** الذي مات مُصِرّاً عليه.

كما في الصحيحين[3] من حديث عُبادة بنِ الصامتِ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال وحوله عِصابةٌ من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تَسرِقوا، ولا تزنوا، ولا تقتُلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم**

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٦٤ رقم ١١) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٣٣ رقم ٤١/ ١٧٠٩).

وأرجلِكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجرُه على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره اللّهُ عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك.

(إلى الجنان يخرج) من النار **(إن)** كان **(مات على الإيمان)** كما تقدم في أحاديث الشفاعةِ، وأنه لا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحمِ الراحمين ثم بشفاعةِ الشافعين.

(والعرضُ تيسيرُ الحسابِ في النبا ومن يُناقَشِ الحسابَ عُذِّبا)

في هذا البيتِ إشارةٌ إلى تفسيرِ رسولِ الله ﷺ لقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧﴾ [الإنشقاق]. الآيات، كما في صحيح البخاريّ[1] وغيره[2] من طرق عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك»**، قالت: قلت يا رسولَ الله جعلني اللّهُ فداءَك أليس يقولُ الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧﴾ [الانشقاق].

قال: **ذلك العَرضُ، يُعرضون، ومن نوقش الحسابَ هلك»**، وفي رواية:[3] **«عُذِّب»**.

وقد قدمنا من نصوص الحشرِ وأحوالِ الموقفِ والميزانِ ونشرِ الصحفِ والعرضِ والحسابِ والصراطِ والشفاعاتِ وغيرِها ما يُعلم به تفاوتُ مراتب الناسِ وتبايُن أحوالِهم في الآخرة بحسب تفاوتِهم في الدار الدنيا في طاعة ربِّهم وضدِّها من سابق ومقتصدٍ وظالمٍ لنفسه.

إذا عرفتَ هذا فاعلم أن الذي أثبتته الآياتُ القرآنيةُ والسننُ النبويةُ ودرج عليه السلفُ الصالحُ والصدْرُ الأولُ من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان من أئمةِ التفسيرِ والحديثِ والسنةِ أن العصاةَ من أهلِ التوحيدِ على ثلاث طبقاتٍ:

---

(١) في صحيحه (١/١٩٦ ـ ١٩٧ رقم ١٠٣) وأطرافه (٤٩٣٩ و ٦٥٣٦ و ٦٥٣٧).

(٢) كمسلم في صحيحه (٤/٢٢٠٥ رقم ٨٠/٢٨٧٦) وأبو داود رقم (٣٠٩٣) والترمذي رقم (٢٤٢٨) و (٣٣٣٧).

(٣) عند مسلم في صحيحه (٤/٢٢٠٤ رقم ٧٩/٢٨٧٦).

الأولى: قومٌ رجَحَت حسناتُهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنةَ من أول وهلةٍ ولا تمسهم النارُ أبداً.

الطبقةُ الثانيةُ: قومٌ تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم وتكافأت فقصّرتْ بهم سيئاتُهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النار، وهؤلاء هم أصحابُ الأعرافِ الذين ذكر اللَّهُ تعالى أنهم يوقَفون بين الجنةِ والنارِ ما شاء اللَّهُ أن يوقفوا، ثم يُؤذَن لهم في دخول الجنة، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النار النـــارَ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف].

الطبقةُ الثالثةُ: قومٌ لقُوا اللَّهَ تعالى مُصِرّين على كبائر الإثمِ والفواحش، ومعهم أصلُ التوحيد، فرجَحَتْ سيئاتُهم بحسناتِهم، فهؤلاء هم الذين يدخُلون النارَ بقَدْر ذنوبِهم، فمنهم من تأخذُه إلى كعبيه، ومنهم من تأخُذه إلى أنصافِ ساقَيه، ومنهم من تأخُذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حِقْوَيْه، ومنهم فوقَ ذلك، حتى إن منهم من لم يحرَّم منه على النار إلا أثرَ السجودِ، حرَّم اللَّهُ على النار أن تأكلَ أثرَ السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن اللَّهُ تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمدٍ ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكةِ ومن شاءَ اللَّهُ أن يُكرِمَه، فيَحُدّ لهم حداً فيُخرجونهم، ثم يَحُدّ لهم حداً فيُخرجونهم، ثم هكذا، فيُخرجون من كان في قلبه وزنُ دينارٍ من خير، ثم من كان في قلبه نصفُ دينارٍ من خير، ثم بُرّةٍ، ثم خردلةٍ، ثم ذرةٍ، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاءُ: ربَّنا لم نذَرْ فيها خيراً.

ويُخرجُ اللَّهُ تعالى من النار أقواماً لا يعلم عدتَهم إلا هو بدون شفاعةِ الشافعين، ولم يخلّد في النار أحدٌ من الموحّدين ولو عمِل أيَّ عملٍ، ولكن كلُ من كان منهم أعظمَ إيماناً وأخفَّ ذنباً كان أخفَّ عذاباً في النار وأقلَّ مكثاً فيها

وأسرعَ خروجاً منها، وكلُ من كان أضعفَ إيماناً وأعظمَ ذنباً كان بضد ذلك والعياذ بالله.

والأحاديثُ في هذا البابِ لا تحصى كثرةً، وقد قدمنا منها ما فيه كفايةٌ.

وإلى هذا المعنى أشار النبيُ ﷺ بقوله: «**من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من الدهر يُصيبه قبل ذلك ما أصابه**»[1].

وهذا مقامٌ ضلتْ فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، وهدى اللَّهُ الذين آمنوا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، واللَّهُ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

قال إمامُ الأئمةِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد[2] بعد سرْدِه أحاديثَ الشفاعةِ بأسانيدِها قال: «قد رَوينا أخباراً عن النبيِّ ﷺ يحسب كثيرٌ من أهلِ الجهلِ والعنادِ أنها خلافُ هذه الأخبارِ التي ذكرناها مع كثرتها وعدالةِ ناقليها في الشفاعة، وفي إخراج بعضِ أهلِ التوحيدِ من النار بعد ما دخلوها بذنوبِهم وخطَاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبارِ عندنا بحمدِ اللَّهِ ونعمتِه. وأهلُ الجهلِ الذين ذكرتُهم في هذا الفصلِ صنفانِ:

صنفٌ منهم من الخوارج والمعتزلةِ أنكرت إخراجَ أحدٍ من النار ممن يدخُل النارَ، وأنكرتْ هذه الأخبارَ التي ذكرناها في الشفاعة.

الصنفُ الثاني: الغاليةُ من المُرجئةِ التي تزعمُ أن النارَ حُرّمت على من قال: لا إله إلا الله تتأول هذه الأخبارَ التي رُويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظةِ على خلافِ تأويلِها.

---

(١) أخرجه البزار (١/ ١٠ رقم ٣ ـ كشف). والطبراني في «الأوسط» رقم (٤) كما في «مجمع البحرين» و «الصغير» (١/ ١٤٠).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧) وقال: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» و «الصغير» ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤٦) والخطيب في «موضع أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢٠٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣١٠) وأورده في «الصحيحة» رقم (١٩٣٢).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) (٢/ ٧٦٩ ـ ٧٧٠).

فأولُ ما نبدأ بذكر الأخبارِ بأسانيدِها وألفاظِ متونِها ثم نبين معانيَها بعون اللّهِ ومشيئتِه ونشرح ونوضح أنها ليست بمُخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة وفي إخراج من قضى اللّهُ إخراجَهم من أهلِ التوحيدِ من النارِ.

ثم ساق[(١)] منها حديثَ ابنِ مسعودٍ[(٢)] ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«لا يدخُل الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبْر، ولا يدخل النارَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمان»**.

وحديثَ عمرَ[(٣)] بنَ الخطاب ﷺ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إني لأعلمُ كلمةَ لا يقولُها عبدٌ حقاً من قلبه فيموتُ على ذلك إلا حُرّم على النار: لا إله إلا الله»**.

وحديثَ عِتْبانَ[(٤)] بنِ مالك: قال رسولُ الله ﷺ: **«لن يُوافي عبدٌ يومَ القيامةِ**

---

(١) أي ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» (٢/ ٧٧٠ ـ ٨١٠).

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٤٨/ ٩١) وابن ماجه رقم (٤١٧٣) وابن منده في «الإيمان» رقم (٥٤٢) من طرق عن علي بن مهر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود.
وأخرجه أبو داود رقم (٤٠٩١) والترمذي رقم (١٩٩٨) وأحمد (١/ ٤١٢ و ٤١٦) والطبراني في «الكبير» (١٠٠٠٠ و ١٠٠٠١) وابن أبي شيبة (٩/ ٨٩) وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٧) من طرق عن الأعمش به.
وأخرجه مسلم رقم (٩١) والترمذي رقم (١٩٩٩) وابن منده رقم (٥٤٠ و ٥٤١) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٥٨٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٧٢ رقم ٨/ ٤٩٨) وأبو عوانة (١/ ٣١) من طريق أبان بن تغلب.
وأحمد (١/ ٤٥١) من طريق حجاج.
كلاهما عن فضيل بن عمرو الفقيمي عن إبراهيم النخعي به. **وهو حديث صحيح**.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٦٣) والحاكم (١/ ٧٢) أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٩٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٧٤ رقم ١١/ ٥٠٠).
قال الحاكم: **«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين** لم يخرجاه بهذا اللفظ ولا بهذا الإسناد....» ووافقه الذهبي.
والحديث صحيح. فقد أخرجه مسلم رقم (٢٦) من طرق كثيرة، أحدُهما هذا الطريق من حمران... به.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٤١ رقم ٦٤٢٣) ومسلم في صحيحه (١/ ٦١ ـ ٦٢ رقم ٥٤/ ٣٣).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٧٥ رقم ١٢/ ٥٠١).

وهو يقول: **لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله إلا حرم الله على النار** ـ وفي رواية[1]: **فإن الله قد حرم على النار ـ أن تأكل من قال لا إله إلاّ الله»**.

وحديثَ عثمانَ[2] عن النبي ﷺ قال: **«من مات وهو يشهد أن لا إله إلا اللَّهُ دخل الجنةَ»**.

وحديثَ معاذِ[3] بنِ جبلٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من مات وهو يشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ اللَّهِ صادقاً من قلبه دخل الجنة»**.

وحديثَ عبادةَ[4] بنِ الصامتِ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من لقيَ اللَّهَ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ اللَّهِ دخل الجنة»**، وفي رواية[5]: **«حرَّمه الله على النار»**.

وحديثَ جابرِ[6] بنِ عبدِ اللَّهِ أن رسولَ الله ﷺ بعثه فقال: **«اذهبْ فنادِ في الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله موقناً ـ أو مخلصاً ـ دخل الجنة»**.

وحديثَ أنسِ بنِ مالكٍ[7] ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله ما تركتُ من حاجة ولا داجةٍ إلا أتيتُ عليها، قال: **«أوَ تشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً**

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٨٤ ـ ٧٨٥ رقم ٢٣/ ٥١١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥ رقم ٤٣/ ٢٦) وأبو عوانة (١/ ٦، ٧) وابن منده في الإيمان رقم (٣٢، ٣٣) وأحمد (١/ ٦٥، ٦٩) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥) وابن خزيمة (٢/ ٧٨٦ رقم ٢٥/ ٥١٣) من طرق...

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦) والحميدي في مسنده رقم (٣٦٩) وابن منده في «الإيمان» رقم (١١١، ١١٢، ١١٣) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣) من طرق عن عمرو بن دينار عن معاذ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٧٤ رقم ٣٤٣٥) ومسلم في صحيحه (١/ ٥٧ رقم ٤٦/ ٢٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٧ ـ ٥٨ رقم ٤٧/ ٢٩).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٩٩ رقم ٤١/ ٥٢٢).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠١ ـ ٨٠٢ رقم ٤٤/ ٥٢٥) ومسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥١/ ٩٣) دون القصة.
والقصة في صحيحه (١/ ٥٩ ـ ٦١ رقم ٥٢/ ٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٨٠٣ رقم ٤٦/ ٥٢٦) إسناده صحيح ورجاله ثقات.

رسولُ الله؟»، قال: نعم. قال: «فإن هذا يأتي على ذلك كلِه».

وحديثَ عمرَ[1] رضي الله عنه: أن رسولَ الله أمرَه أن يُؤذِنَ الناسَ أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً فله الجنة. قال عمرُ: يا رسولَ الله إذاً يتّكلوا. قال: **فدعْهم**.

وحديثَ عبدِ الله بنِ سلام قال[2]: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من شهَد أن لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ اللّهِ وجبتْ له الجنةُ»**.

وحديثَ أبي ذر[3] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«قال لي جبريلُ: من مات من أمتك لا يُشرِك بالله شيئاً دخلَ الجنةَ ولم يدخُل النارَ. قلت: وإن زنى وإن سرَق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»**.

وحديثَ أبي الدرداءِ[4] عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. قلت: وإن زنا وإن سرق يا رسولَ الله؟ قال: فقرأها رسولُ الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلتُ: فإن زنى وإن سرقَ يا رسولَ الله؟ قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلتُ: يا رسولَ الله وإن زنى وسرق؟ يا رسولَ الله قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلتُ: يا رسولَ الله وإن زنى وسرق؟ قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ **وإن زنى وسرق، ورغم أنفِ أبي الدرداء»**. فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠٣ ـ ٨٠٤ رقم ٤٧/ ٥٢٧)، والبزار في مسنده (١/ ١٣ رقم ٩ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦) وقال: رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال: يا رسولَ الله إذاً يتّكلوا: قال: **دعهم يتكلوا**.
وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف لسوء حفظه.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠٨ ـ ٨٠٩ رقم ٥٤/ ٥٣١).
إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٠ رقم ١٢٣٧) ومسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥٣/ ٩٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠٩ رقم ٥٥/ ٥٣٢).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٠ ـ ٨١١ رقم ٥٦/ ٥٣٣). والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦) وفي تفسيره رقم (٥٨٠) والبزار (١/ ١١ رقم ٥ ـ كشف) وأحمد (٢/ ٣٥٧). =

وحديثَ ابنِ مسعودٍ[1] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ كلمةً وأنا أقول أخرى، قال: «**من مات وهو يجعل لله نِدّاً دخل النار**». قال وأقول: من مات وهو لا يجعل لله نِدّاً دخلَ الجنة.

قال أبو بكرٍ[2]: قد كنتُ أمليتُ أكثرَ هذا البابِ من كتاب الإيمانِ وبينتُ في ذلك الموضع معنى هذه الأخبارِ وأن معناها ليس كما يتوهمه المُرجئةُ، وبيقين يعلم كلُ عالم من أهلِ الإسلام أن النبيَّ ﷺ لم يُرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادةَ أن محمداً رسولُ الله ولم يؤمن بأحدٍ من الأنبياء غيرِ محمدٍ ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب اللّهِ عز وجل ولا بجنة ولا نار ولا بعثٍ ولا حسابٍ أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار.

ولئن جاز للمرجئة الاحتجاجُ بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبارُ ظاهرُها خلافُ أصلِهم[3] وخلافُ كتابِ اللّهِ عز وجل، وخلافُ سننِ النبيِّ ﷺ لجاز للجهمية الاحتجاجُ بأخبار رُويت عن النبي ﷺ إذا تُؤُوِّلت على ظاهرها استحق الجنةَ من يعلم أن اللّهَ ربُّه وأن محمداً نبيُّه وإن لم ينطق بذلك لسانُه، ولا يزالُ يسمع أهلُ الجهلِ والعنادِ يحتجون بأخبار مختصرةٍ غيرِ مُتقصّاة وبأخبار مجملةٍ غيرِ مفصّلةٍ لا يفهمون أصولَ العلم فيستدلون بالمتقصّي من الأخبار على مختصرها، وبالمفسّر منها على مُجملِها.

قد ثبتت الأخبارُ عن النبيِّ ﷺ بلفظة لو حُملت على ظاهرِها كما حمَلت

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وإسناد أحمد أصح وفيه ابن لهيعة وقد احتج به غير واحد.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٢٦ رقم ١٨٧٤٢) وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٤٦) والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢) وفي «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٦ رقم ٤١٨٩) وصححه الألباني في «ظلال الجنة» رقم (٩٧٥).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٧٦ رقم ٤٤٩٧) ومسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥٠/ ٩٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٥ رقم ٦٠/ ٥٣٧).
(٢) ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٥).
(٣) أي أصلُ المرجئة:
لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦٢).

المُرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها في شهادةِ أن لا إله إلا الله على ظاهرِها لكان العالمُ بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقاً للجنة وإن لم يُقِرَّ بذلك بلسانه ولا أقرَّ بشيء مما أمر اللَّهُ تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء مما أمر اللَّهُ بالإيمانِ به، ولا عملَ بجوارِحه شيئاً أمرَ الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه اللَّهُ من سفك دماءِ المسلمين وسبْيِ ذرارِيهم وأخذِ أموالِهم واستحلالِ حُرَمِهم، فاسمع الخبرَ الذي ذكرتُ أنه غيرُ جائزٍ أن يُحمَلَ على ظاهره كما حملت المُرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها على ظاهرها.

ثم ذكر حديثَ عثمانَ عن النبيِّ ﷺ قال: **«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّهُ دخل الجنة»**[1].

وحديثَ عِمرَانَ[2] بن حُصينٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من علم أن اللَّهَ ربُّه وأني نبيُّه صادقا من قلبه ـ وأومأ بيده إلى فِلْذة صدرِه ـ حرم اللَّهُ لحمه على النار»**.

وحديثَ معاذٍ[3] رضي الله عنه سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من مات وهو يُوقنُ بقلبه أن اللَّهَ حقٌّ، وأن الساعةَ قائمةٌ، وأن اللَّهَ يبعث من في القبور، قال ابنُ سيرين[4]: إما دخل الجنةَ، وإما قال: نجا من النَّار»**.

كيف جاز للجَهميّ الاحتجاجُ بهذه الأخبارِ أن المرءَ يستحقُ الجنةَ بتصديق القلبِ أن لا إله إلا اللَّهُ وبأن اللَّهَ حقٌ وأن الساعةَ قائمةٌ وأن اللَّهَ يبعث من في القبور، ويترُك الاستدلالَ بما سنبيّنه بعد إن شاء اللَّهُ تعالى من معنى هذه الأخبارِ، لم يؤمَنْ أن يحتجَّ جاهلٌ لم يعرِف دينَ الله ولا أحكامَ الإسلامِ بخبر عثمانَ عن

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٧ رقم ٦١/ ٥٣٨).
ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥ رقم ٤٣/ ٢٦) وقد تقدم.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٢ رقم ٧٢/ . . .).
والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٢٤ رقم ٢٥٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٩) وقال: وفي إسناده عمر بنُ محمد بنُ عمر بن صفوان وهو واهي الحديث.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٤).

النبي ﷺ: **«من علم أن الصلاةَ عليه حقٌ واجبٌ دخل الجنة»**[1].

فيدعي أن جميعَ الإيمانِ هو العلمُ بأن الصلاةَ عليه حقٌ واجبٌ وإن لم يقِرَّ بلسانِه مما أمر اللَّهُ بالإقرار به، ولا صدّق بقلبه بشيء مما أمرَ اللَّهُ بالتصديق به، ولا أطاع في شيء مما أمر اللَّهُ به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله. إذ النبيُّ ﷺ قد أخبرَ[2] أن مَن علم أن الصلاةَ عليه حقٌ واجبٌ دخل الجنةَ.

كما أخبر[2] أن من شهد أن لا إله إلا اللَّهُ دخلَ الجنةَ، ثم ذكر حديثَ عثمانَ بسنده.

قال أبو بكر[3]: فإن جاز الاحتجاجُ بمثل هذا الخبرِ المختصرِ في الإيمان واستحقاقِ المرءِ به الجنةَ وترْكِ الاستدلالِ بالأخبارِ المفسّرة المتقصّاة لم يؤمَن أن يحتجَّ جاهلٌ معاندٌ فيقول: بل الإيمانُ إقامُ صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العصرِ وأن مُصلّيها يستوجب الجنةَ ويُعاذُ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدِّقَ به ويُقِرَّ به، ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض اللَّهُ على عباده، ولا انزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله، ويحتجُّ بخبرِ عمارِ بنِ رُويبة فذكره بإسنادِه إلى عمار بنِ رويبة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **«من صلّى قبل طلوعِ الشمسِ وقبل غروبِها حرمه اللَّهُ على النار»**[4].

فقال رجلٌ من أهلِ البصرةِ: وأنا سمعتُه عن رسول اللَّهِ ﷺ.

قال أبو بكر: قد أمليتُ طرقَ هذا الخبرِ في كتاب المختصر من كتاب الصلاةِ مع أخبار النبيِّ ﷺ: **«من صلّى الصبحَ فهو في ذمة الله»**[5].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٥ رقم ٧٤/ ٥٤٤).
وأحمد (١/ ٦٠) والبزار (١/ ١٦٩ رقم ٣٣٥ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٨٨) وقال: رواه عبد الله بن أحمد في زياداته وأبو يعلى إلا أنه قال: حق مكتوب واجب. والبزار بنحوه ورجاله موثقون.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٦).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٧ رقم ٧٧/ ٥٤٧). وفي صحيحه (١/ ١٦٤ رقم ٣١٨). ومسلم في صحيحه (١/ ٤٤١ رقم ٢١٣/ ٦٣٤). **وهو حديث صحيح.**

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦١/ ٦٥٧) والترمذي رقم (٢٢٢).
وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وأبو داود الطيالسي رقم (٩٣٨) وأحمد (٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣). **وهو حديث صحيح.**

وكلُ عالمٍ يعلم دينَ الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتينِ لا توجبان الجنةِ مع ارتكابِ جميع المعاصي، إنها إنما رُويت في فضائل هذه الأعمال، وإنما رُويت أخبارُ النبيِّ ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1] فضيلةً لهذا القولِ، لا أن هذا القولَ كلُ الإيمان.

قلت[2]: لِلا إلهَ إلا اللَّهُ لوازِمُ ومُقتضياتٌ وشروطٌ مقيدٌ دخولُ الجنةِ بالتزام قائِلها لجميعها واستكمالِه إياها كما قدمنا بسطَه ولله الحمد.

قال رحمه الله تعالى: ولئن جاز لجاهل أن يقولَ إن شهادةَ أن لا إله إلا الله جميعُ الإيمانِ إذ النبيُّ ﷺ أخبرَ أن قائلَها يستوجب الجنةَ ويعاذ من النار لم يؤمَن أن يدّعيَ جاهلٌ معاندٌ أيضاً أن جميع الإيمانِ القتالُ في سبيل اللّهِ فوَاقَ ناقةٍ.

فيحتج بقول النبيِّ ﷺ: «**من قاتل في سبيل الله فواقَ ناقةٍ دخل الجنة**»[3]، كاحتجاج المرجئةِ بقول النبيِّ ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»[4].

ويقول معاندٌ آخرُ جاهلٌ إن الإيمانَ بكماله المشيُ في سبيل الله حتى تُغَبَّر قدما الماشي، ويحتج بقول النبيِّ ﷺ: «**من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار**»[5]، وبقوله ﷺ: «**لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنمَ في منْخَرَيْ رجلٍ مسلم**»[6].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي المصنف رحمه الله «حافظ الحكمي».

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٢٥٤١) والترمذي رقم (١٦٥٧) والنسائي (٦/ ٢٥ ـ ٢٦).
وابن ماجه رقم (٢٧٩٧) وابن خزيمة (٨٢٨/٢ رقم ٢٤٧/٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٤) وعبد الرزاق رقم (٩٥٣٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٧٠) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧) والدارمي (٢/ ٢٠١) والحاكم في المستدرك» (٧٧/٢) من طرق عن معاذ بن جبل.
وقال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم**.
قلت: سليمان بن موسى لم يخرج له مسلم.
وخلاصة القول أن حديث معاذ بن جبل صحيح، والله أعلم.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٩ رقم ٢٨١١). وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢٩/٢) والترمذي رقم (١٦٣٢) والنسائي (٦/ ١٤) وأحمد (٣/ ٤٧٩). والبغوي رقم (٢٦١٨) والبيهقي (٩/ ١٦٢).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢٩/٢) والنسائي (٦/ ١٢) وابن ماجه رقم (٢٧٧٤)=

ويدعي جاهلٌ آخرُ أن الإيمانَ كلّه عِتقُ رقبةٍ مؤمنةٍ ويحتج بأن النبيَّ ﷺ قال: **«من أعتقَ رقبةً مؤمنةً أعتقَ اللَّهُ بكل عضوٍ منه عضواً من النار»**[1].

ويدعي جاهلٌ آخرُ أن جميعَ الإيمانِ البكاءُ من خشيةِ الله تعالى، ويحتجُ بقول النبيِّ ﷺ: **«لا يدخل النارَ من بكى من خشيةِ اللَّهِ تعالى»**[2].

ويدعى جاهلٌ آخرُ أن جميعَ الإيمانِ صومُ يوم في سبيل الله، ويحتج بأن النبيَّ ﷺ قال: **«من صام يوماً في سبيل اللَّهِ باعد اللَّهُ وجهه عن النار سبعين خريفاً»**[3].

ويدعي جاهلٌ آخرُ أن جميعَ الإيمانِ قتلُ كافرٍ، ويحتجُ بقول النبيِّ ﷺ: **«لا يجتمع كافرٌ وقاتلُه في النار أبداً»**[4] ثم ذكره بسنده عن أبي هريرة ﷺ.

ثم قال[5] رحمه الله تعالى: وهذا الجنسُ من فضائلِ الأعمال يطول بتقصيّه

= والترمذي رقم (١٦٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**
قلت: **وهو حديث صحيح.**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٥٩٩ رقم ٦٧١٥) ومسلم في صحيحه (٢/١١٤٧ رقم ١٥٠٩/٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٥٠٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٨٣٠) والترمذي رقم (١٦٣٣) والنسائي (٦/١٢) والحاكم في «المستدرك» (٤/٢٦٠).
قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**
وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد** لم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قلت: **وهو حديث صحيح.**

(٣) أخرجه البخاري (٦/٤٧ رقم ٢٨٤٠) ومسلم في صحيحه (٢/٨٠٨ رقم ١٦٧/١١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٥٠٥ رقم ١٨٩١) وأحمد (٢/٣٦٨، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤١٢) وأبو داود رقم (٢٤٩٥) والبيهقي (٩/١٦٥) والبغوي رقم (٢٦٢١) من طرق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (٢/٢٦٣ و٣٤٠ و٣٥٣ و٣٩٩) ومسلم رقم (١٣٠/١٨٩١) والحاكم (٢/٧٢) والبيهقي (٩/١٦٥) من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه أبي هريرة.
وقال الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٥) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٨٣٢).

الكتابُ، وفي قدْرِ ما ذكرنا غنيةٌ وكفايةٌ لما له قصَدْنا أن النبيَّ ﷺ إنما أخبر بفضائلِ الاعمالِ التي ذكرنا وما هو مثلُها، لا أن النبيَّ ﷺ أراد أن كلَّ عملٍ ذكرَه أعلمَ أن عاملَه يستوجب بفعله الجنةَ أو يُعادُ من النار أنه جميعُ الإيمانِ.

وكذلك إنما أرادَ النبيُّ ﷺ بقوله: **«من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»**[1] **«أو حُرِّم على النار»**[1] فضيلةً لهذا القولِ، لا أن جميعَ الإيمانَ كما ادعى من لا يفهم العلمَ، ويعاندَ فلا يتعلم هذه الصناعَة من أهلها.

ومعنى قوله ﷺ: **«لا يجتمع كافرٌ وقاتِلُه في النار أبداً»**[2]، هذا لفظٌ مختصرُه الخبرُ المقتضي لهذه اللفظةِ المختصرةِ ما حدثنا الربيعُ بنُ سليمانَ قال: حدثنا شعيبُ بنُ الليث قال: حدثنا الليثُ عن محمد بنِ العجلانِ عن سهيلِ بنِ أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«لا يجتمعان في النار اجتماعاً»**[3] يعني أحدُهما مسلمٌ قتل كافراً ثم سدّد المسلمُ وقارب.

قال أبو بكر[4]: لذاك نقول في فضائل الأعمالِ التي ذكرنا: من عمل من المسلمين بعضَ تلك الأعمالِ ثم سدّد وقارب ومات على إيمانِه دخل الجنةَ ولم يدخُل النارَ موضعَ الكفرِ منها وإن ارتكب بعضَ المعاصي، لذلك لا يجتمع قاتلُ الكافرِ إذا مات على إيمانِه مع الكافر المقتولِ في موضعٍ واحدٍ من النار، لا أنه لا يدخل النارَ ولا موضعاً منها وإن ارتكب جميعَ الكبائرِ خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أن يغفرَ له ما دون الشرك، فقد أخبر اللَّهُ عز وجل أن للنار سبعةَ أبوابٍ فقال لإبليسَ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٢ ـ ٤٤].

فأعلمنا ربُنا عز وجل أنه قَسمَ تابعي إبليس من الغاوين سبعةَ أجزاءٍ على عدد أبوابِ النارِ، فجعل لكل بابٍ منهم جزءاً معلوماً، واستثنى عبادَه المُخلصين من هذا القسمِ، فكلُّ مرتكبِ معصيةٍ زجر اللَّهُ عنها فقد أغواه إبليسُ، واللَّهُ عز وجل

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٥ رقم ١٣١/ ١٨٩١) وقد تقدم.

(٤) في «التوحيد» (٢/ ٨٣٣).

قد يشاء غفرانَ كلِّ معصيةٍ يرتكبُها المسلمُ دون الشركِ وإن لم يتُبْ منها.

لذاك علّمَنا في محكم تنزيلِه قولَه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وأعلمنا خالِقُنا عز وجل أن آدمَ الذي خلقه الله بيدِه وأسكنه جنتَه وأمر ملائكتَه بالسجود له عصاه فغوى، وأنه عز وجل برأفتِه ورحمتِه اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى، ولم يحرمه اللّهُ بارتكاب هذا الحُوبِ بعد ارتكابِه إياه.

فمن لم يغفر اللّهُ له حوبتَه التي ارتكبها وأوقع عليه اسمَ غاوٍ فهو داخلٌ في الأجزاء جزءاً وقَسْماً لأبواب النارِ السبعةِ.

وفي ذكره آدمَ ﷺ وقولِه عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، ما يبين ويوضح أن اسمَ الغاوي قد يقع على مرتكبِ خطيئةٍ قد زجر اللّهُ عن إتيانِها وإن لم تكن تلك الخطيئةُ كفراً ولا شركاً ولا ما يُقارِبُهما ويُشبِهُهما.

ومُحالٌ أن يكون المؤمنُ الموحّدُ لله عز وجل قلبُه ولسانُه، المُطيعُ لخالقه في أكثرِ ما فرض اللّهُ عليه وندَبه إليه من أعمالِ البرِّ غيرِ المفروضِ عليه، والمنتهي عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعضَ المعاصي والحوباتِ في قَسْم مَن كفر بالله ودعا معه آلهةً له أو صاحبةً أو ولداً ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ولم يؤمن بشيء مما أمر اللّهُ تعالى بالإيمان به ولا أطاعَ اللّهَ في شيء أمر به من الفرائضِ والنوافلِ ولا انزجرَ عن معصية نهى اللّهُ عنها، مُحالٌ أن يجتمع هذان في درجةٍ واحدةٍ من النار.

والعقلُ مركب على أن يعلمَ أن كلَّ من كان أعظمَ خطيئةً وأكثرَ ذنوباً لم يتجاوز اللّهُ عن ذنوبِه كان أشدَّ عذاباً في النارِ، كما يعلم كلُ عاقل أن كلَّ من كان أكثرَ طاعةً لله عز وجل وتقرباً إليه بفعلِ الخيراتِ واجتنابِ السيئاتِ كان أرفعَ درجةً في الجِنان وأعظمَ ثواباً وأجزَلَ نعمة.

فكيف يجوز أن يتوّهم عاقلٌ مسلمٌ أن أهلَ التوحيدِ يجتمعون في النارِ في الدرجة مع من كان يفتري على الله عز وجل فيدعو له شريكاً وشركاً فيدعو له صاحبةً وولداً، ويكفر به ويُشرِك، ويكفر بكل ما أمرَ اللّهُ بالإيمانِ به، ويكذب جميعَ الرسلِ ويتركَ جميعَ الفرائض، ويرتكب جميعَ المعاصي فيعبد النيرانَ ويسجد للأصنام والصُلبان؟

فمن لم يفهم هذا البابَ لم يجدْ بداً من تكذيب الأخبارِ الثابتةِ من التي ذكرتُها عن النبي ﷺ في إخراج أهلِ التوحيدِ من النار، إذ مُحالٌ أن يقالَ أخرجوا من النار مَن ليس فيها، وأكثرُ استحالةً من هذا أن يقال: يخرُج من النار مَن ليس فيها.

وفي إبطال أخبارِ النبيِّ ﷺ اضمحلالُ الدينِ وإبطالُ الإسلامِ، واللّهُ عز وجل لم يجمع بين جميعِ الكفار في موضع واحدٍ من النار ولا سوّى بين عذابِ جميعِهم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وقال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلِهم وكفّر به الخوارجُ وردّوه بباطل آخَر، شرعَ رحمه الله في بيان ما تشبث به الخوارجُ واحتجوا به على باطِلهم، وما كفرَ به المُرجئةُ وردّوه بباطل آخر.

فقال[١] رحمه الله تعالى: بابُ ذكرِ أخبارٍ رُويت عن النبي ﷺ ثابتةٍ من جهةِ النقلِ، جَهِلَ معناها فِرقتانِ: فرقةُ المعتزلةِ والخوارجِ احتجوا بها وادّعوا أن مرتكبَ الكبيرةِ إذا مات قبلَ التوبةِ منها مخلدٌ في النار محرّمٌ عليه الجِنانُ.

والفرقةُ الأخرى المُرجئةُ كفرت بهذه الأخبارِ وأنكرتها ودفعتها جهلاً منها بمعانيها. وأنا ذاكرُها بأسانيدِها وألفاظِ متونها ومبيّن معانيها بتوفيق الله.

ثم ذكر بأسانيده حديثَ أسامةَ بنِ زيدٍ[٢] وسعد بنِ أبي قاصٍ[٣]، وأبي بكرةَ[٤]، وسعد بنِ أبي مالك[٥]، ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ: **«من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غيرُ أبيه فالجنةُ عليه حرامٌ»**.

---

(١) أي ابن خزيمة (٢/ ٨٣٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٠ ـ ٨٤١ رقم ٧/ ٥٥٣) من حديث أسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص ورجل آخر.
والرجل الآخر هو أبو بكرة لما جاء مصرحاً به في بعض الروايات وإن كان غيره فجهالة الصحابي لا تضر.

(٣) أخرجه البخاري (١٢/ ٥٤ رقم ٦٧٦٦) ومسلم (١/ ٨٠ رقم ١١٤/ ٦٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٢/ ٥٤ رقم ٦٧٦٧) ومسلم (١/ ٨٠ رقم ١١٥/ ٦٣).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٣٨ رقم ٣).

(٥) هو نفسه سعد بن مالك أبي وقاص الزهري.

=

وحديثَ عبدِ الله[1] بنِ عمروِ عن النبي ﷺ قال: «**من انتسب إلى غير أبيه فلن يُرَحْ بريح الجنة، وريحُهَا يوجدُ من مسيرة سبعين عاماً**».

وحديثَ حُذيفةَ[2] قال: قال رسولُ اللَّهِ: «**لا يدخل الجنةَ قتّاتٌ**»، وفي رواية[3]: «**نمّام**».

وحديثَ أبي أُمامةَ[4] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**من اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلم بيمينه فقد أوجب اللَّهُ له النارَ وحرم عليه الجنةَ**. فقال رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «**وإن كان قضيباً من آراكٍ**».

وحديثَ عبدِ الله بنِ عمْرٍو[5] عن النبي ﷺ: «**لا يدخُلُ الجنةَ نمّامٌ ولا عاقٌّ ولا مُدمنُ خمرٍ**».

= قلت: وفي الباب عن ابن عباس أخرجه أحمد (١/ ٣١٨ و ٣٢٨) وابن ماجه رقم (٢٦٠٩). **وهو حديث صحيح**.
* وعن علي بن أبي طالب أخرجه أحمد (١/ ١٨١ و ١٢٦) والبخاري رقم (٦٧٥٥) ومسلم رقم (١٣٧٠).
* وعن أبي ذر أخرجه البخاري رقم (٣٥٠٨) ومسلم رقم (٦١).
* وعن أنس بن مالك أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٥١١٥) **وهو حديث صحيح**.
* وعن أبي أمامة الباهلي، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٧) والطيالسي رقم (١١٢٧).
* وعن عمرو بن خارجة الخشني أخرجه أحمد (٤/ ١٨٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩).
* وعن جابر أورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٤٩) وقال: رواه أبو يعلى وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان، وضعّفه غيره.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧١ و ١٩٤).
والطيالسي رقم (٢٢٧٤).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٨) وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/ ٤٧٢ رقم ٦٠٥٦). ومسلم في صحيحه (١/ ١٠١ رقم ١٦٩/ ١٠٥).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٤ رقم ١٣/ ٥٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٠١ رقم ١٦٨/ ١٠٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٥ رقم ١٤/ ٥٥٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٢ رقم ٢١٨/ ١٣٧).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٦ رقم ١٦/ ٥٦١).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٥٨ رقم ١/ ٥٧٣) وأحمد (٢/ ٢٠١) والدارمي=

وحديثَ جبيرِ[1] بنِ مُطعمٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ قاطعٌ»**.

وحديثَ عمرَ بنِ الخطابِ[2] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا يدخلون الجنةَ: العاقُّ لوالديهِ، والديوثُ، ورَجُلَةُ النساء»**.

وحديثَ عبدِ اللَّهِ[3] بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا ينظر اللَّهُ إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومُدْمنُ خمرٍ، والمنّان بما أعطى»**.

وحديثُ أبي بكرةَ[4] عن النبي ﷺ قال: **«من قتل نفساً معاهَدةً بغير حقها حرَّم اللَّهُ عليه الجنةَ أن يشمَّ ريحَها»**.

= (٢/ ١١٢) والبخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣) **بسند ضعيف**.
وابن حبان في صحيحه رقم (٣٣٨٤ - الإحسان) **بسند ضعيف لضعف نبيط وجابان**.
كما أنه لا يعرف لـ (جابان) سماع من عبد الله بن عمرو ولا لسالم من جابان ولا من نبيط.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤١٥ رقم ٥٩٨٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨١ رقم ٢٥٥٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٥٩ رقم ٣/ ٥٧٥) **بإسناد حسن**.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦١ رقم ٥/ ٥٧٧) والحاكم (٤/ ١٤٦ - ١٤٧) من طرق إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه أحمد (٢/ ١٣٤) والنسائي(٥/ ٨٠) والطبراني في «الكبير» رقم (١٣١٨٠) من طرق عن عمر بن محمد به. وفي أوله زيادة.
وأخرجه البزار (٢/ ٣٧٢ رقم ١٨٧٥) من طريق عمران القطان عن محمد بن عمرو عن سالم بن عبد الله به.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٤٨) وقال: رواه البزار بإسنادين ورجالهما ثقات.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦، ٣٨، ٥٢) والنسائي (٨/ ٢٥) والحاكم (١/ ٤٤) والبيهقي (٩/ ٢٠٥) وابن حبان رقم (٤٨٨٢) وأبو داود رقم (٢٧٦٠).
وهو حديث صحيح.
* وأخرج أحمد (٢/ ١٨٦) والبخاري رقم (٣١٦٦ و ٦٩١٤) والنسائي (٨/ ٢٥) وابن ماجه رقم (٢٦٨٦) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بلفظ: **«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإنَّ ريحَها توجد من مسيرةِ أربعين عاماً»**.

ثم قال[1] رحمه الله تعالى: معنى هذه الأخبارِ إنما هو على أحد معنيين:

أحدُهما: لا يدخل الجنةَ أي بعضَ الجِنان، إذ النبيُّ ﷺ قد أعلمَ أنها جِنانٌ من جنة، واسمُ الجنةِ واقعٌ على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبارِ التي ذكرها: من فعل كذا - لبعض المعاصي - حرم اللَّهُ عليه الجنةَ أو لم يدخل الجنة، معناه لا يدخل بعضَ الجِنان التي هي أعلى وأشرفُ وأنبلُ وأكثرُ نعيماً وسروراً وبهجةً وأوسعَ، لأنه أراد لا يدخل شيئاً من تلك الجِنان التي هي في الجنة.

وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو قد بيَّنَ خبرُه الذي رَوى عن النبي ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ عاقٌّ ولا منّانٌ ولا مُدمنُ خمرٍ»**[2]، إنه إنما أراد حظيرةَ القدسِ من الجنة على ما تأولت على أحد المعنيين. ثم ساق بإسنادِه عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[3] أنه قال: **«لا يدخل حظيرةَ القدس سِكّيرٌ ولا عاقٌّ ولا منّانٌ»**.

قال[4]: والمعنى الثاني ما قد أعلمتُ أصحابي ما لا أُحصي من مرة أن كلَّ وعيدٍ في الكتاب والسنةِ لأهلِ التوحيدِ فإنما هو على شريطة، أي إلا أن يشاء اللَّهُ تعالى أن يغفرَ ويصفحَ ويتكرمَ ويتفضلَ فلا يعذّب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذِ اللَّهُ عز وجل قد خبّر في مُحكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشركِ من الذنوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقد أمليت هذه المسألةَ في كتاب معاني القرآن، الكتابِ الأول، واستدللتُ أيضاً بخبر عن النبي ﷺ بهذا المعنى. وساق بإسنادِه إلى قيس بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ أن الأشعثَ وهب له غلاماً، فغضِبَ عليه وقال: والله ما وهبْتُ لك شيئاً. فلما أصبحَ ردّه عليه وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من حلفَ على يمين صبراً ليقتطع مالَ امرىءٍ مسلم لقي اللَّهَ يوم القيامة وهو مجتمعٌ عليه غضبانُ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»**[5].

---

(١) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦٩ رقم ١٨) بإسناد حسن.

(٤) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦٩).

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٨ رقم ٦٦٧٧) ومسلم في صحيحه (١/ ١٢٢ رقم ٢٢٠/ ١٣٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٠ رقم ١٩/ ٥٨٧).

قلت: وتقدم حديثُ عُبادةَ بنِ الصامتِ[1] في قصةِ البيعةِ، وهو دليلٌ على هذا المعنى.

قال أبو بكر[2]: فاسمعوا الخبرَ المصرِّحَ بصحةِ ما ذكرتُ أنها جِنانٌ في جَنة، واسمُ الجنةِ واقعٌ على كل جنةٍ منها على الانفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلِنا الأخبار التي ذكرنا عن النبي ﷺ مَن فعلَ كذا وكذا ـ لبعض المعاصي ـ لم يدخل الجنةَ، إنما أراد بعضَ التي هي أعلى وأشرفُ وأفضلُ وأنبلُ وأكثرُ نعيماً وأوسعُ، إذ مُحالٌ أن يقول النبيُّ ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنةَ يريد لا يدخل شيئاً من الجنان، ويخبر أنه يدخُل الجنةَ فتكون إحدى الكلمتين دافعةَ الأخرى، وأحدُ الخبرين دافعاً للآخر، لأن هذا الجنسَ مما لا يدخُله الناسخُ، ولكنه من ألفاظِ العامِّ الذي يُرادُ به الخاصُّ.

ثم ساق بإسناده إلى أنس بن مالكٍ[3] ﷺ: «أن أمَّ الرُّبَيِّعِ أتتْ النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله أنبئني عن حارثةَ أُصيبَ يومَ بدرٍ فإن كان في الجنة صبرتُ واحتسبْتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ في البكاء»، فقال: «**يا أمَّ حارثةَ إنها جِنانٌ في جنة وإنه أصابَ الفردوسَ الأعلى**».

قال أبو بكرٍ[4]: قد أمليتُ أكثرَ طرقِ هذا الخبر في كتاب الجهادِ، وقد أمليتُ في كتاب ذكر نعيمِ الجنة ذكرَ درجاتِ الجنةِ وبُعدَ ما بين الدرجتين.

منها أن إخبارَ النبيِّ ﷺ أن أهلَ الجنةِ ليتراءَون أهلَ الغُرفِ كما ترَوْنَ الكوكبَ الدُّريَّ في أفقٍ من آفاق السماءِ لتفاضُل ما بينهما، وقولُ بعضِ أصحابِه: تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلُغها غيرُهم، قال: «**بلى رجالٌ آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين**»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥ ـ ٢٦ رقم ٢٨٠٩) وأطرافه: (٣٩٨٢ و ٦٥٥٠ و ٦٥٦٧).

(٤) في «التوحيد» (٢/ ٨٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٢٠ رقم ٣٢٥٦) وطرفه رقم (٦٥٥٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٧ رقم ١١/ ٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

وأمليتُ[1] إخبارَ النبيِّ ﷺ بين كلِّ درجتين من دَرجِ الجنةِ مسيرةُ مائةِ عام.

فمعنى هذه الأخبارِ التي فيها ذِكْرُ بعضِ الذنوبِ الذي يرتكبُه بعضُ المؤمنين أن مرتكبَه لا يدخُل الجنةَ، معناها لا يدخُل العاليَ من الجنان التي هي دارُ المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوبَ والحُوباتِ والخطايا.

ثم قال: وقد يجوز أن يقولَ ﷺ مَن فعل كذا وكذا لم يدخُل الجنةَ يريد لم يدخُل الجنةَ التي يدخُلها فيه من لم يرتكبْ هذه الحُوبةَ، لأنه يُحبس عن دخول الجنة، إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخالِه النارَ ليعذَّبَ بقدْرِ ذلك الذنبِ، إن كان ذلك الذنبُ مما يستوجبُ به المرتكبُ النارَ إن لم يعفُ اللّهُ ويصفَحْ ويتكرمْ فيغفرْ ذلك الذنبَ، فمعنى هذه الأخبارِ على هذه المعاني، لأنها إذا لم تُحمَلْ على هذه المعاني كانت على وجه التهاتُرِ والتكاذبُ، وعلى العلماء أن يتأولوا أخبارَ رسولِ اللّهِ ﷺ على ما قال عليُّ بنُ أبي طالب[2] ﷺ: «إذا حدثتم عن رسولِ اللّهِ ﷺ فظُنّوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه». ثم ساقه[3] بإسناده عن علي ﷺ فذكره.

انتهى كلامُه[3] رحمه الله تعالى باختصار بعضِ مكرَّرِه فلا تستَطِلْه فإنه كلامٌ متينٌ من إمامٍ متضلِّعٍ من معاني الكتابِ والسنة، ذي خِبرةٍ وعلمٍ لمواردِها ومصادِرها.

وقولُه رحمه اللّهُ تعالى: وعلى العلماء أن يتأولوا أخبارَ رسولِ الله ﷺ لم يعْنِ[3] رحمه الله التأويلَ الذي اصطلحه المتكلمون لصرف النصوصِ عن معانيها إلى الاحتمالات البعيدةِ التي هضَموا بها معانيَ النصوصِ بما اقتضتْه عقولُهم

---

(١) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣ رقم ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧) **بإسناد صحيح**.
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٨ رقم ٢٥/ ٥٩١).
وأخرجه ابن ماجه في «السنن» (١/ ٩ رقم ٢٠).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٧ رقم ٨): هذا إسناد صحيح ورجاله محتج بهم في الصحيحين.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٨ رقم ٢٥/ ٥٩١).

السخيفةُ، وليس ذلك من طريقته ولا من شأنِه رحمه الله، وإنما عنى ما أشار إليه في غير موضعٍ من كتبه من حمل المجملِ على المفسر، والمختصرِ على المُتقصَّى، والمُطلقِ على المُقيد، والعمومِ على الخصوص، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوصِ ومدلولاتِها لئلا تكونَ متناقضةً يرُدّ بعضُها معنى بعض لأن ذلك مما يُنزَّه عنه كلامُ اللّهِ وكلامُ رسولِه ﷺ.

وهذه طريقةُ جميعِ أئمةِ المسلمين من علماء التفسيرِ والحديثِ والفقهِ في أصول الدينِ وفروعِه رحمهم الله تعالى ورضيَ عنهم.

مسألة: فإن قيل وما الجمعُ بين ما تقدم من حديثِ عُبادةَ بنِ الصامتِ[١] فيمن ارتكبَ حدّاً لم يُقمْ عليه قال فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وبين ما صرَّحت به النصوصُ التي في الميزانِ والحسابِ والجنةِ من أن مَن رجحتْ خطاياه وسيئاتُه بحسناتِه تَمَسّه النار ولا بد.

قلنا: لا إشكالَ في ذلك ولا منافاةَ ولله الحمدُ، وقد حصلَ الجمعُ الفاصلُ للنزاع بحديث عائشةَ رضي الله عنها الذي ذكرنا في شرح البيتِ الأدنى بأن من يشأ عز وجل أن يعفوَ عنه يحاسبْه الحسابَ اليسيرَ الذي فسَّره النبيُّ ﷺ بالعَرْض.

وقال في معنى العرضِ في الأحاديثِ السابقةِ في صفته: **«يدنو أحدكُم من ربِّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول أعملْتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرّره ثم يقول: إني سترتُ عليك في الدنيا وأنا أغفِرُها لك اليومَ»**[٢].

وأما الذين يدخُلون النارَ بذنوبِهم فهم ممن يُناقش الحسابَ، وقد قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«من نوقش الحساب عُذِّب»**[٣].

نسألُ اللّهَ عز وجل أن يُيسِّرَ حسابَنا ويتجاوزَ عنا ويغفرَ لنا بمنه وكرمه آمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٩٦ رقم ٢٤٤١) وأطرافه رقم (٤٦٨٥ و ٦٠٧٠ و ٧٥١٤).

ومسلم في صحيحه (٤/٢١٢٠ رقم ٥٢/٢٧٦٨) من حديث صفوان بن محرز المازني.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٩٦ ـ ١٩٧ رقم ١٠٣) ومسلم في صحيحه (٤/٢٢٠٤ رقم ٢٨٧٦) من حديث عائشة.

[المؤمن لا يكفر بالمعاصي إلا إذا استحلَّها]

(ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً   إلا مع استحلاله لما جنى)

(ولا نكفرُ بالمعاصي) التي قدمنا ذكرَها وأنها لا توجب كفراً، والمُرادُ بها الكبائرُ التي ليست بالشركِ، ولا تستلزِمُه، ولا تُنافي اعتقادَ القلبِ ولا عمَلَه **(مؤمناً)** مُقِرًّا بتحريمها معتقداً لها، مؤمناً بالحدود المترتبةِ عليها، ولكن نقول يُفسَّق بفعلِها ويُقام عليه الحدُّ بارتكابِها وينقُص إيمانُه بقدْرِ ما تجارَأ عليه منها.

والدليلُ على فسقِه ونُقصانِ إيمانِه قولُ اللّهِ عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [النور]. وما في معناها من آياتِ الحدودِ والكبائرِ.

وقولُ النبيِّ ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ حين يسرقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشرَب حين يشرب وهو مؤمنٌ، والتوبةُ معروضةٌ بعدُ»**. الحديث في الصحيحين[(١)] وغيرِهما[(٢)] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والدليلُ على أن النفيَ في هذا الحديثِ وغيره ليس لمطلق الإيمانِ بل لكمالِه هو ما قدمنا من النصوص التي صرَّحت بتسميته مؤمناً وأثبتت له أخوّةَ الإيمانِ، وأبقت له أحكامَ المؤمنين.

(إلا مع استحلاله لما جنى) هذه هي المسألةُ الخامسةُ، وهو أن عاملَ الكبيرة يكفُرُ باستحلاله إياها، بل يكفر بمجرد اعتقادِه بتحليل ما حرم اللّهُ ورسولُه لو لم يعمَلْ به، لأنه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كفرٌ بالكتاب والسنة والإجماعِ.

فمن جحد أمراً مُجمَعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة فلا شكَّ في كفره.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٩ رقم ٢٤٧٥) ومسلم في صحيحه (١/ ٧٦ رقم ١٠٠/ ٥٧).

(٢) كأبي داود رقم (٤٦٨٩) والترمذي رقم (٢٦٢٥) والنسائي (٨/ ٦٤، ٦٥) وابن ماجه رقم (٣٩٣٦).

[التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب]

(وتقبل التوبةُ قبلَ الغرغرة كما أتى في الشّرعة المطهّرة)

هذه هي المسألةُ السادسةُ وهي أن التوبةَ إذا استكملت شروطَها مقبولةٌ من كل ذنب كفراً كان أو دونه.

وقد دعا اللّٰهُ تبارك وتعالى إليها جميعَ عبادِه، فدعا إليها من قال المسيحُ هو الله، ومن قال هو ثالث ثلاثةٍ، ومن قال يدُ الله مغلولةٌ، ومن قال إن اللّٰهَ فقيرٌ ونحن أغنياءُ، ومن دعا لله الصاحبةَ والولدَ فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها من هو أعظمُ مُحادةً لله من هؤلاء، وهو من قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات].

وقال له في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء]. وفي الآية الأخرى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

ودعا إلى التوبة من عملِ أكبرِ الكبائرِ وهي الشركُ وقتلُ النفس بدون حق والزنا، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]. ودعا إليها من كتم ما أنزل اللّٰهُ من البينات والهدى فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

ودعا إليها المشركين قاطبةً فقال بعد الأمر بقتلِهم حيث وُجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. ودعا إليها المنافقين قاطبةً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ

لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥ ـ ١٤٦].

ودعا إليها جميعَ المسرفين بأي ذنبٍ كان، فقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٤]. الآياتُ وغيرُها ما لا يُحصى.

بل لم يُرسلْ اللَّهُ تعالى الرسلَ وينزّل الكتبَ إلا دعوةً منه لعباده إلى التوبة ليتوبَ عليهم إنه هو التوابُ الرحيم.

وفي الصحيح[1] من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لله أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبدِه حين يتوب إليه من أحدِكم كان على راحلتِه بأرضِ فَلاةٍ فانفلتتْ منه وعليها طعامُه وشرابُه فأَيِسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلّها قد أَيِسَ من راحلتِه، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةٌ عنده فأخذ بخِطامها ثم قال من شدة الفرحِ: اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شدةِ الفرحِ»**.

وفيه[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: **«أذنبَ عبدي ذنباً فقال: اللهم اغفِرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلِمَ أن له رباً يغفِرُ الذنبَ ويأخُذ بالذنب. ثم أعاد فأذنب فقال: أيْ ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذ بالذنب، اعمَلْ ما شئتَ فقد غفرتُ لك»**.

وفيه[3] عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«إن اللَّهَ عز وجل يبسُط يده بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يده بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلُعَ الشمس من مغربها»**.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٤ رقم ٧/ ٢٧٤٧).
قلت: وأخرجه البخاري مختصراً (١١/ ١٠٢ رقم ٦٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠٧). ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٢ رقم ٢٩/ ٢٧٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٣ رقم ٣١/ ٢٧٥٩).

وفيه[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلَكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ نفساً، فسأل عن أعلمِ أهلِ الأرضِ، فدُلّ على راهبٍ فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعينَ نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مائةً. ثم سأل عن أعلمِ أهلِ الأرضِ، فدُلّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائةَ نفسٍ، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبةِ؟ انطلِق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبُدون اللّهَ تعالى فاعبُد اللّهَ معهم، ولا ترجِعْ إلى أرضك فإنها أرضُ سوءٍ.**

فانطلَق حتى إذا نصفَ الطريقَ أتاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ، فقالت ملائكةُ الرحمةِ: جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكةُ العذاب: إنه لم يعمَلْ خيراً قطُّ. فأتاهم ملكٌ في صورةِ آدميٍّ فجعلوه بينهم، فقال: قِيسوا ما بين الأرضَين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسُوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضتْه ملائكةُ الرحمةِ».

قال قتادةُ[2] فقال الحسن: ذُكر لنا أنه: «**لما أتاه الموتُ ناء بصدْره**».

وفي رواية[3]: «**فلما كان في بعضِ الطريق أدركَه الموتُ فَناءَ بصدرِه، ثم مات، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فكان إلى القريةِ الصالحةِ أقربَ منها شبراً فجُعل من أهلِها**».

وفيه[4] من حديث ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن أناساً من أهل الشركِ كانوا قد قَتلوا وأكثروا، وزَنَوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسنٌ لو تُخبرُنا هل لِما عمِلنا كفارةٌ؟ فنزلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥١٢ رقم ٣٤٧٠) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٨ رقم ٤٦/ ٢٧٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٩ رقم ٤٧/ ٢٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤٩ رقم ٤٨١٠). ومسلم في صحيحه (١/ ١١٣ رقم ١٩٣/ ١٢٢).

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: قال نافعٌ عن عبد اللَّهِ بنِ عمرَ عن عمرَ ﷺ في حديثه قال: وكنا نقول: ما اللَّهُ بقابلٍ ممن افتُتِنَ صَرْفاً ولا عدْلاً ولا توبةً، عَرفوا اللَّهَ ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابَهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. قال: فلما قدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ أنزلَ اللَّهُ تعالى فيهم وفي قولِنا وقولِهم لأنفسهم:

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر].

قال عمرُ ﷺ: فكتبتُها بيدي في صحيفة، وبعثتُ بها إلى هشامِ بنِ العاص ﷺ. قال فقال هشامٌ: لما أتتني جعلتُ أقرأها بِذي طُوى، أصعَدُ بها فيه وأصوِّبُ ولا أفهمها، حتى قلتُ: اللهم أفهِمْنيها.

قال: فألقى اللَّهُ عز وجل في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا وكنا نقول في أنفسنا ويُقال فينا، فرجَعتُ إلى بعيري فجلستُ عليه فلحِقْتُ برسول اللَّهِ ﷺ بالمدينة».

[شروط التوبة النصوح]

والأحاديثُ في شأن التوبةِ والحثِّ عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرةٌ جداً لها مصنَّفاتٌ مستقلةٌ، وحيثُ ذُكرتْ من الآيات والأحاديثِ فإنما المُرادُ بها التوبةُ النَّصوحُ، وهي التي اجتمَعَ فيها ثلاثةُ شروطٍ:

الأولُ: الإقلاعُ عن الذنب.

الثاني: الندمُ على فعلِه.

الثالثُ: العزمُ على أن لا يعودَ فيه.

فإذا كان في ذلك الذنبِ حقٌّ لآدميٍّ لزم استحلالُه منه إن أمكن، للحديث الذي قدَّمنا: «**من كان عنده لأخيه مظلِمةٌ فليتحلَّلْ منه اليوم، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ١٥) بسند حسن.
وابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٥).

درهم»، الحديث في الصحيح[1]. وهذه الشروطُ في كيفية التوبة.

وأما الشرطُ في زمانِها فهو ما أشرنا إليه في المتن بقولنا: **«قبل الغرغرة»**، وهي حشرجةُ الروحِ في الصدْر، والمُرادُ بذلك الاحتضارُ عندما يرى الملائكةَ ويبدأُ بها السياقُ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

وعن أبي العاليةِ أنه كان يحدّث أن أصحابَ رسولِ الله ﷺ كانوا يقولون: كلُ ذنبٍ أصابه عبدٌ فهو جَهالة. رواه ابنُ جرير[2].

وقال عبدُ الرزاق[3]: أخبرنا مَعمرٌ عن قتادة قال: اجتمع أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فرأوا أن كلَّ شيءٍ عُصيَ اللَّهُ به فهو جهالةٌ عمداً كان أو غيره.

وقال مُجاهد[4]: كلُ عاملٍ بمعصيةِ اللَّهِ فهو جاهلٌ حين عملها.

وقال ابنُ عباس[5] رضي الله عنهما: من جهالتِه عملُ السوءِ.

وعنه[6] رضي الله عنه قال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] قال: بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت.

وقال الضحاك[7]: ما كان دون الموتِ فهو قريبٌ. وقال قتادةُ[8] والسُدّي[8]:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠١ رقم ٢٤٤٩).
(٢) في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٢٩٨).
(٣) في تفسيره (١/ ١٥١ رقم ٥٣٣).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٢٩٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٢٩٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٣٠٠).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٩٨ رقم ٥٠٠٥).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٣٠١).
وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥١ رقم ٥٣٧).
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٩٩ رقم ٥٠٠٨) وابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/ ٣٠٠).

ما دام في صحته. وهو مرويٌّ عن ابن عباس[١].

وقال الحسن[٢] البصْري: ثم يتوبون من قريب ما لم يُغرغِرْ. وقال عكرمةُ[٣]: الدنيا كلُها قريبٌ.

وروى الإمامُ أحمدُ[٤] وغيرُه[٥] عن ابن عمرَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن اللّهَ يقبل توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِرْ**».

وله[٦] عن عبد الرحمن بنِ البيلمانيِّ قال: اجتمع أربعةٌ من أصحاب رسولِ اللّهِ ﷺ فقال أحدُهم: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**إن اللّهَ تعالى يقبل توبةَ العبدِ قبل أن يموتَ بيوم**».

فقال الآخرُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ اللّهِ ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبةَ العبدِ قبل أن يموتَ بنصف يوم**».

فقال الثالثُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ اللّهِ ﷺ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبةَ العبدِ قبل أن يموتَ بضَحوة**».

وقال الرابعُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ اللّهِ ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**إن الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِرْ بنفَسه**».

وروى ابنُ مردويه[٧] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله يقبل توبةَ العبدِ ما لم يغرغر**».

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠٠).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٩ رقم ٥٠٠٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠١).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٨ رقم ٥٠٠٧).
(٤) في «المسند» (٥/٤٠٠ رقم ٦١٦٠ ـ شاكر). **بإسناد صحيح**.
(٥) كابن ماجه رقم (٤٢٥٣) والترمذي رقم (٣٥٣٧) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
والحاكم في «المستدرك» (٢٥٧٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٩).
وهو حديث حسن.
(٦) في «المسند» (٣/٤٢٥).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٩٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة.
(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/٤٧٤).

وهذا توقيتُ زمانِ التوبةِ في حق كلِ فردٍ من العباد، وأما في حق عمرِ الدنيا، فقد تقدم في الآيات والأحاديثِ أنها تنقطع بطلوعِ الشمسِ من مغربِها، لأنها أولُ آياتِ القيامةِ العِظام وحين الإياسِ من الدنيا كما أن رؤيةَ ملكِ الموتِ آيةُ الانتقالِ من الدنيا وحين الإياسِ من الحياة، وكذلك الأممُ المخسوفُ بها انقطعت التوبةُ عنهم برؤيتِهم العذابَ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

= قلت: وأخرجه البزار (٤/٧٩ رقم ٣٢٤٣ ـ كشف).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٩٨) وقال: رواه البزار، وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك.

[ال] فصل [الحادي عشر]
في معرفة نبيِّنا محمد ﷺ
وتبليغِه الرِّسالةَ وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبييّن، وأفضلُ الخلقِ أجمعين، وأن من ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب، يكفر من صدّقه واتّبعه

[نسبه[1] ﷺ]

(نبينا محمدٌ من هاشمِ — إلى الذبيحِ دون شكٍ ينتمي)

(نبينا محمدٌ) ﷺ (من) ولدِ (هاشم)، وهو ﷺ أبو القاسمِ محمد بن عبدِ الله بنِ عبدِ المُطلبِ واسمه شيبةُ الحمدِ بنِ هاشمٍ واسمه عَمرٌو بنِ عبدِ منافٍ واسمُه مُغيرةُ بنُ قُصيٍّ واسمُه زيد بنِ كِلابِ بن مُرةَ بنِ كعبِ بنِ لؤيٍّ بنِ غالبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النضرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدركةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعدِّ بنِ عدنانَ.

وأمُّه ﷺ: آمنةُ بنتُ وهبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ بنِ كلابِ بن مُرّة بنِ كعبِ بنِ لؤي.

وأمُّ عبدِ الله: فاطمةُ بنتُ عمرو بنِ عائذِ بنِ عِمرانَ بنِ مخزومِ بنِ يَقظةَ بنِ مرةَ بن كعب بن لؤي.

وأمُّ عبدِ المطلّب: سلمى بنتُ عمْرو بنِ زيد بنِ لبيدِ بن خداشِ بنِ عامرِ بنِ غنمِ بن عديٍّ بن النجار.

وأمُّ هاشمٍ: عاتكةُ بنتُ مرة بن هلال.

وأمُّ عبدِ مناف: حبّى بنتُ حليلِ بنِ حبشيةَ ابنِ سَلولِ بنِ كعب بن عمْرو الخُزاعيِّ.

وأمُّ قُصيّ: فاطمةُ بنتُ سعيدِ بنِ سيلِ أحد الجدرة من جعشمةِ الأسد من اليمن.

وأمُّ كلابٍ: هندُ بنتُ سريرِ بنِ ثعلبةَ بنِ الحارثِ بنِ مالك بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٣ ـ ٣٥) و «البداية والنهاية» (٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

وأمُ مرّة: حبشيةُ بنتُ شيبانَ بنَ محاربِ بنِ فهرِ بنِ مالكِ بنِ النضر. وأم كعبٍ: ماويةُ بنتُ كعب بنِ القَينِ بنِ الجسرِ من قُضاعةَ.

وأمُ لؤي: سلمى بنتُ عمرٍو الخُزاعيّ. وأمُ غالبٍ: ليلى بنتُ سعدِ بنِ هُذيلِ بنِ مُدركةَ.

وأمُ فهرِ بنِ مالكٍ: جَندلةُ بنتُ الحارثِ بنِ مضّاضِ الجُرهُميّ. وأمُ مالكٍ عاتكةُ: بنتُ عُدوانَ بنِ عمرِو بنِ قيسِ بنِ عَيلان.

وأمُ النضرِ: بَرّةُ بِنتُ مُرّ بنِ أُدّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسَ بن مُضر. وأمُ كنانةَ: عَوانةُ بنتُ سعدِ بنِ قيس بنِ عَيلانَ بنِ مضَر.

وأمُ خزيمةَ: امرأةٌ من قُضاعةَ. وأمُ مدركةَ بنِ إلياسِ: خِنْدِفُ بنتُ عمرانَ بنِ الحافِ بنِ قضاعة.

وأمُ إلياسَ بن مضرَ جُرهُميةٌ. وأم مضرَ: سَودةُ بنتُ عَكٍّ بنِ عدنان. وأمُ ربيعةَ أخي مضرَ شقيقةُ بنتُ عكٍّ بن عدنانَ، وهاتان القبيلتان المضروبُ بهما المثلُ - ربيعةُ ومضرُ - ابنا نزارِ بنِ مَعَدّ بنِ عدنانَ.

ولِمُضَرَ أخٌ شقيقٌ وهو إيادُ بنُ نزارٍ، ولربيعةَ أخٌ شقيقٌ أيضاً وهو أنمارُ بنُ نزارٍ.

وهذا هو النسبُ المتفقُ على سرْده، لا خلافَ فيه لأحد. وكذا لا خلاف في أن نسبَ عدنانَ إلى الذبيح إسماعيلَ الحليمِ ابنِ إبراهيمَ الخليل عليهما الصلاة والسلام.

وكذا لا خلاف في أن إبراهيمَ ينتمي إلى سامِ بنِ نوحٍ، وهو أبو العربِ قاطبةً، وكذا لا خلافَ في أن نوحاً ينتمي إلى شيثِ بنِ آدمَ وهو وصيُّ أبيه عليهم السلام.

وإنما الخلافُ في كميةِ الآباء بين عدنانَ وإسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، وبين إبراهيمَ وسامَ بنِ نوحٍ، وبين نوحٍ وشيثِ بنِ آدمَ.

وقد كان كثيرٌ من أئمةِ الدينِ - كمالك بنِ أنسٍ الإمامِ وغيرِه - يكرهون تعدادَ الآباءِ من فوق عدنانَ. ويقولون: هو رجْمٌ بالغيب، وما يدري من يفعل ذلك، واللّهُ تعالى يقول: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

وقال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ[1] رحمه الله: كان قومٌ من السلف - منهم عبدُ الله بنُ مسعودٍ[2] وعمرُو بنُ ميمون الأوديُّ[3] ومحمدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ[4] - إذا تلَوا: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩] قالوا: كذب النسابون. ورُوي عن ابن عباس[5] ﷺ أنه كان إذا بلغ عدنانَ يقول: كذب النسابون.

قال السُّهَيليُّ[6]: وقد رأى جماعةٌ جوازَ ذلك، منهم ابنُ إسحاقَ والبخاريُّ والزبيرُ بنُ بكارٍ والطبريُّ وغيرُهم من العلماء.

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البر[7]: والذي عليه أئمةُ هذا الشأن في نسب عدنانَ قالوا: عدنانُ بنُ أُدَدَ بنِ مِقْوم بنِ ناحور بنِ تَيرحَ بنِ يعربَ بنِ يشجُبَ بنِ نابتِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليهما السلام.

والمقصودُ أن نبيَّنا محمداً ﷺ أخرجه اللَّهُ تعالى من أوسطِ العربِ نسباً وأكرَمِهم حَسباً، وأعلاهُم كعْباً، وأعظَمِهم جُرْثومةً، وأشرفِهم أصلاً وأطيبِهم فَرعاً.

وقال مسلمُ[8] بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ مُهرانَ الرازيُّ ومحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سهمٍ جميعاً عن الوليد.

قال ابنُ مُهرانَ: حدثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ حدثنا الأوزاعيُّ عن أبي عمارٍ شدّادِ

---

(١) في «الأنباه على قبائل الرواة» (ص١٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/١٨٧).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٣٦ رقم ١٢٢١٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٩) وزاد نسبته لابن المنذر وعبد بن حميد.
والبغوي في تفسيره (٤/٣٣٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/١٨٧) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٩).
(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/١١).
وابن كثير في تفسيره (٢/٥٤٣) وذكره ابن عبد البر في «الأنباه على قبائل الرواة» (ص١٩).
(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٥٦).
(٦) في «الروض الأنف» (١/٨).
(٧) في «الأنباه على قبائل الرواة» (ص٢٠).
(٨) في صحيحه (٤/١٧٨٢ رقم ٢٢٧٦).

أنه سمع واثِلةَ بنَ الأسقعِ يقول: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**إن اللَّهَ اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيلَ، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشم**».

وروى التِرمذيُّ[1] عن العباس بن عبدِ المطلب قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابَهم بينهم، فجعلوا مثلَكَ مثَلَ نخلةٍ في كبوة من الأرض.

فقال النبيُّ ﷺ: «**إن اللَّهَ تعالى خلق الخلقَ فجعلني من خير فِرَقهم وخيرِ الفريقينِ، ثم خيرِ القبائلَ فجعلني في خيرِ قبيلةٍ، ثم خيرِ البيوتِ فجعلني في خيرِ بيوتِهم، فأنا خيرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً**».

وفي رواية[2]: فقام النبيُّ ﷺ على المنبر فقال: «**من أنا؟**»، فقالوا: أنتَ رسولُ اللَّهِ عليك السلام. قال: «**أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطلب، إن الله تعالى خلق الخلقَ فجعلني في خيرِهم، ثم جعلَهم فِرقتين فجعلني في خيرِهم فِرقةً، ثم جعلهم قبائلَ فجعلني في خيرِهم قبيلةً، ثم جعلَهم بيوتاً فجعلني في خيرِهم بيتاً وخيرِهم نفساً**». هذا حديثٌ حسنٌ.

وحمى اللَّهُ تبارك وتعالى أصولَ نبيِّنا من سفاح الجاهليةِ فلم يشِبْ نسبَه شيءٌ من ذلك لا من جهة آبائِه ولا من جهةِ أمهاتِه ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلامِ كما رواه جماعةٌ عن جعفر الصادقِ عن آبائه مرفوعاً: «**إني وُلِدتُ من نكاحٍ ولم أولدْ من سِفاح**»[3].

---

(١) في «السنن» (٥/ ٥٨٤ رقم ٣٦٠٧) وفي سنده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف.
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن.**
وقال الألباني في «ضعيف الترمذي» رقم (٧٣٨) **حديث ضعيف.**
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٦٦) من طريق عبد الله بن الحارث بن نوفل به.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٥٨٤ رقم ٣٦٠٨) وقال: **هذا حديث حسن.**
قلت: وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠). وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٠).
وقال الألباني في «ضعيف الترمذي» رقم (٧٣٩) **حديث ضعيف.**

(٣) روي من حديث علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وأبي هريرة. =

....

= أما حديث علي فله طريقان:

الأولى: عن زكريا بن عمر المعروف بـ «الدشتي» ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن ميسرة عنه مرفوعاً بلفظ: «**ولدت من آدم في نكاح، لم يصبني عهر الجاهلية**».

أخرجه ابن شاذان في «فوائد ابن قانع وغيره» (ق١٦٣/ ١) كما في «الإرواء» (٦/ ٣٢٩) **بسند ضعيف**.

الثانية: قال محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني: حدثنا محمد بن جعفر العلوي قال: أشهد على أبي لحدثني عن أبيه عن جده عن عليٍّ مرفوعاً بلفظ: «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهليةِ شيءٌ**».

أخرجه الرامهرمزي في «الفاصل بين الراوي والواعي» (ص١٣٦) والجرجاني السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٦١ ـ ص٣٦٢) والطبراني في «الأوسط» رقم (٤٧٢٨) وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٤) وقال: «وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي صحح له الحاكم في «المستدرك» وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات».

وله عن الباقري طريق أخرى مرسلاً يرويه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم**﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قال: وقال النبي ﷺ: «**خرجت من نكاح غير سفاح**».

أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٧/ج١١/ ٧٦) والبيهقي (٧/ ١٩٠) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٥٧ رقم ١١٤٨) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٧ رقم ١٠١٥٨).

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٢٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

وقال الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٣١): **وهذا مُرسلٌ صحيح الإسناد**.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦٠ ـ ٦١) من طريق أخرى عن جعفر به دون ذكر الآية.

وأما حديث ابن عباس فله عنه طرق:

الأولى: قال ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦١) أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي نا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خرجتُ من لدن آدم من نكاح وغير سفاح**».

وسنده ضعيف جداً.

وله طريق أخرى عن عكرمة، يرويه أنس بن محمد قال: ثنا موسى بن عيسى قال: ثنا يزيد بن أبي حكيم عنه به.

ولفظه: «**لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلابِ طيبة إلى أرحام طاهرة، صافياً مُهذباً، لا تتشعبَ شعبتان إلا كنت في خيرِهما**».

أخرجه أبو نعيم في «أعلام النبوة» (١/ ١١/ ١٢).

وكان مولدُه ﷺ عامَ الفيلِ كما روى التِرمِذيُّ[1] وغيرُه[2] عن عبد المطلبِ بنِ

= وقال الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٣٢): وإسناده واهٍ، مَن دون عكرمة لم أعرفهم.

طريق أخرى عنه موقوفاً، يرويه شبيب عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

قال: «من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجت نبياً»، أخرجه ابن عساكر.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٦) وقال: «رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة».

قلت: وشبيب هذا قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢٧٣٨) صدوق يخطئ.

الثانية: عن هشيم نا المديني عن أبي الحويرث عنه به، ولفظه: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٩٩ رقم ١٠٨١٢). والبيهقي (٧/ ١٩٠).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٤) وقال: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث ولم أعرف المديني ولا شيخه، وبقية رجاله وثقوا».

قلت: شيخه عبد الرحمن بن معاوية أبو الحويرث من رجال التهذيب، قال الحافظ: «صدوق سيء الحفظ رمي بالإرجاء».

ثالثاً: حديث عائشة.

قال ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦١) أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من نكاح غير سفاح».

وفي الطريق إلى الزهري محمد بن عمر الأسلمي وهو متروك. «التقريب» رقم (٦١٧٥).

رابعاً: حديث أبي هريرة.

يرويه أبو حامد أحمد بن محمد بن شعيب: أنبأنا سهل بن عمّار العتكي أنبأنا أبو مُعاوية أنبأنا سعد بن محمد بن ولد بن عبد الرحمن بن عوف عن الزهري عن سعيد بن المسيب عنه مرفوعاً بلفظ: «ما ولدتني بغيّ قط، قد خرجت من صلب أبي آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب: هاشم وزهرة».

أخرجه ابن عساكر (١/ ٢٦٧/ ١) كما في «الإرواء» (٦/ ٣٣٤) بسند ضعيف جداً.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره لأنه صحيح الإسناد عن أبي جعفر الباقر مرسلاً، ويشهد له الطريق الأولى عن علي.

والثانية عن ابن عباس لأن ضعفها يسير محتمل، وأما بقية الطرق فإنها شديدة الضعف لا يصلح شيء منها للاستشهاد بها، والله أعلم. «الإرواء» رقم (١٩١٤).

(١) في «السنن» (٥/ ٥٨٩ رقم ٣٦١٩).

وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

(٢) كأحمد في «المسند» (٤/ ٢١٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٧٧) وأبي نعيم في=

عبدِ اللَّهِ بنِ قيسِ بنِ مَخْرمةَ عن أبيه عن جده قال: وُلدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل. قال: وسأل عثمانُ بنُ عفانَ قَباثَ بنَ أَشْيَمَ أخا بني يَعمَرَ بنِ ليثٍ: أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ؟ فقال: رسولُ اللَّهِ أكبرُ مني وأنا أقدمُ منه في الميلاد.

قال: ورأيتُ حَذَقَ الفيلِ أخضرَ مَحيلاً. قال الترمذي: حديث حسن.

[مولده ﷺ]

(مولده بمكة المطهرة	هجرتُه لطيبةَ المنورة)
(بعد أربعينَ بدأ الوحيُ بهِ	ثم دعا إلى سبيل ربِّه)
(عشرَ سنينَ أيها الناسُ اعبدوا	رباً تعالى شأنُه ووحِّدوا)
(وكان قبل ذاك في غارِ حِرا	يخلو بذكر ربِّه عن الورى)

(مولدُه) ﷺ **(بمكة المطهرة)** من كل رجسٍ حِساً ومعنىً، **(هجرته)** ﷺ **(لطيبةَ)** المدينةِ **(المنورة)** وكان موجوداً في الصُحف التي بشرت به ﷺ من التوراةِ والإنجيل وغيرِهما والآياتُ في ذلك والدلائلُ على ذلك لا تُحصى.

ثم كان الأمرُ كما بشَّرتْ، فوُلدَ بمكةَ وأُوحيَ إليه فيها، وبُعث بالدعوة إلى الله فيها. ثم كانت هجرتُه إلى المدينة كما سيأتي إن شاء اللَّهُ عز وجل.

[بدء الوحي إليه ﷺ]

(بعد أربعين) سنةً من عمره ﷺ **(بدأ الوحيُ)** من الله عز وجل إليه **(به)** ﷺ، كما في الصحيحين[1] عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ رَبْعةً من القوم، ليس بالطويلِ البائنِ ولا بالقصير، أزهرَ اللونِ ليس بأبيض أمْهقَ ولا آدمَ، ليس بجَعْدٍ قَطَط ولا سَبْطٍ رجل. بعثه الله على رأس أربعينَ سنةً فأقام بمكةَ عشرَ سنين»، الحديث.

= «دلائل النبوة» (ص١٠١) والحاكم في «المستدرك» (٢/٦٠٣).
وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٦٤ رقم ٣٥٤٧) وطرفاه رقم (٣٥٤٨، ٥٩٠٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١١٣/ ٢٣٤٧).

وكيفيةُ بدء الوحيْ ما ذكره البُخاريُّ[1] رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ قال: حدثنا الليثُ عن عقيلٍ عن ابن شهابٍ عن عُروةَ بنِ الزبيرِ عن عائشةَ أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: أولُ ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلقِ الصُّبْحِ.

ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغارِ حِراء فيتحنّث فيه ـ وهو التعبُّد ـ الليالِيَ ذواتِ العدَدِ قبل أن ينزِع إلى أهله ويتزود لذلك.

ثم يرجع إلى خديجةَ فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحقُّ وهو في غار حِراء، فجاءَه المَلكُ فقال: «اقرأ». قال: «ما أنا بقارئ». قال: «**فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثانيةَ حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثةَ، ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق]. فرجع بها رسولُ الله ﷺ يرجُف فؤادُه، فدخل على خديجةَ بنتِ خويلدٍ فقال: زمِّلوني زمِّلوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجة وأخبرها الخبرَ: «**لقد خشيتُ على نفسي**».

فقالت خديجةُ: كلا واللّهِ لا يُخزيكَ اللّهُ أبداً، إنك لتصلُ الرحمَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتُكسِبَ المعدومَ، وتُقري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ.

فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتت به ورقةَ بنَ نوفلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزّى بنَ عمِّ خديجةَ، وكان امرءاً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتابَ العِبرانيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللّهُ أن يكتُبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عمِيَ.

فقالت له خديجةُ: يا ابنَ عمِّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقةُ: يا ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبرَه رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى. فقال له ورقةُ: هذا الناموسُ الذي أنزل اللّهُ على موسى. يا ليتني فيها جَذَعٌ. ليتني أكون حياً إذ يُخرجُك قومُك. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أوَ مُخرِجِيّ هم؟**»، قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٣ رقم ٣) وأطرافه رقم (٣٣٩٢ و ٤٩٥٣ و ٤٩٥٥ و ٤٩٥٦ و ٤٩٥٧ و ٦٩٨٢).

بمثل ما جئتَ به إلا عُودِيَ. وإن يُدركني يومُك أنصُرْك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقةُ أن تُوفِّيَ وفتر الوحْيُ».

قال ابنُ شهابٍ: وأخبرني أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنصاريَّ قال وهو يحدّثُ عن فترة الوحي. فقال في حديثه[1]: **«بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملَكُ الذي جاءني جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرُعبتُ منه، فرجعتُ فقلت: زمِّلوني زملوني. فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ - إلى قوله - ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر]. فحميَ الوحْيُ وتتابع»**.

تابعه عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ وأبو صالحٍ وتابعه هلالُ بنُ ردادٍ عن الزُهريِّ. وقال يونسُ ومعمرٌ: «بوادره».

حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ قال: حدثنا أبو عُوانةَ قال: حدثنا موسى بنُ أبي عائشةَ قال: حدثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عباس[2] ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة]. قال: كان رسول الله ﷺ يعالجُ من التنزيل شدّة، وكان مما يحرّك شفتيه. فقال ابنُ عباس فأنا أحركُهما لك كما كان رسولُ الله ﷺ يحركُهما.

وقال سعيدٌ: وأنا أحرّكهما كما رأيتُ ابنَ عباسٍ يحركهما. فحرّك شفتيه. فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة]. قال: جمْعَه لك بصدرك وتقرأُه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال: فاستمعْ له وأنصتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأَه.

وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريلُ استمعَ فإذا انطلقَ جبريلُ قرأه النبيُّ ﷺ كما قرأه».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٧ رقم ٤) وأطرافه رقم (٢٢٣٨، ٤٩٢٢، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٩ رقم ٥) وأطرافه رقم (٤٩٧٢، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤).

ومسلم في صحيحه (١/ ٣٣٠ رقم ١٤٧/ ٤٤٨).

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ قال: أخبرنا مالكٌ عن هشامِ بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ﵄: أن الحارث بنَ هشامٍ ﵁ سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«أحياناً يأتيني مثلَ صَلْصَلةِ الجرسِ وهو أشدُّه عليَّ، فيفصُمُ عني وقد وَعَيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لِيَ الملكُ رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول»**.

قالت عائشةُ ﵄: ولقد رأيته ينزل عليه الوحيُ في اليومِ الشديدِ البرد فَيفصِمُ عنه وإن جبينَه ليتفصّدُ عرَقاً.

[دعوته إلى سبيل ربه]

(ثم دعا إلى سبيل ربه) وهو على دينِ الإسلامِ الذي أرسل اللَّهُ تعالى به رسلَه وأنزل به كتبَه، وهو دينه في السماء والأرضِ، ولن يقبلَ اللَّهُ تعالى من أحد ديناً سواه.

(عشر سنينَ) دعوتُه إلى التوحيد وتركِ عبادةِ الأوثانِ فقط قبل أن يُفرضَ عليه الصلواتُ الخمسُ ولا غيرُها قائلاً: **(أيها الناسُ اعبدوا رباً تعالى شأنُه)** لا تعبُدوا إلا الله **(ووحّدوا)** تفسيرٌ لذلك.

وهذه دعوةُ من قبله من نوح إلى خاتمهم محمدٍ ﷺ، كلُهم يقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكانت الدعوةُ في أول البعثةِ سراً ثلاثَ سنين فيما ذكر ابنُ إسحاقَ[2] وغيرُه، قال ابنُ مسعودٍ ﵁: ما زال النبيُّ ﷺ مستخفياً حتى نزلتْ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى في تفسير سورة الشعراءِ: قولُه عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥]: حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ قال: حدثني عَمرُو بنُ مُرَة عن سعيد بنِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٨ رقم٢) وطرفُه (٣٢١٥).
(٢) في السيرة (١/٣٢٥).
(٣) في صحيحه (٨/٥٠١ رقم ٤٧٧٠).

جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعِد النبيُّ ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهرٍ، يا بني عديّ، لبطون قريشٍ، حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرُج أرسلَ رسولاً لينظُرَ ما هو. فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ فقال: **«أرأيتَكم لو أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدِّقيّ؟»**، قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقاً. قال: **«فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد»**.

فقال أبو لهبٍ: تباً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعْتَنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد].

حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن الزُهريّ قال: أخبرني سعيدُ بنُ المسيّبِ وأبو سلمةَ عن عبد الرحمنِ أن أبا هريرةَ[١] رضي الله عنه قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزلَ اللّهُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: **«يا معشرَ قريشٍ - أو كلمةً نحوَها - اشترُوا أنفسَكم، لا أغني عنكم من اللّهِ شيئاً، يا بني عبدِ منافٍ، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بنَ عبدِ المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمةَ رسولِ اللّهِ ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ﷺ، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»**. ورواهما مسلم[٢] أيضاً.

وقال[٣] رحمه الله: حدثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ وزهيرُ بنُ حربٍ قالا: حدثنا جريرٌ عن عبد الملكِ بنِ عميرٍ عن موسى بنِ طلحةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسولُ اللّهِ ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: **«يا بني كعبِ بنِ لُؤيٍّ، أنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني مُرّةَ بنِ كعبٍ أنقذوا أنفسَكم من النار. يا بني عبدِ شمسٍ، أنقذوا أنفسَكم من النار. يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسَكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسَكم من**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٠١ رقم ٤٧٧١).

(٢) حديث ابن عباس المتقدم أخرجه مسلم (١/ ١٩٣ - ١٩٤ رقم ٣٥٥/ ٢٠٨).
وحديث أبي هريرة أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩٢ رقم ٣٥١/ ٢٠٦).

(٣) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٩٢ رقم ٣٤٨/ ٢٠٤).

النار. يا بني عبدِ المطلبِ، أنقذوا أنفسَكم من النار. يا فاطمةُ أنقذي نفسَك من النار، فإني لا أملِك لكم من الله شيئاً غيرَ أن لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبَلالها»[1].

وله[2] عن عائشة ﵂ قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام رسولُ اللَّهِ ﷺ على الصفا فقال: «يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ، يا صفيةُ بنتَ عبدِ المطلب، يا بني عبدِ المطّلب، لا أملِك لكم من الله شيئاً، سَلوني من مالي ما شئتم».

وله[3] عن قُبيصةَ بنِ المخارق وزهيرِ بنِ عمرو قالا: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. انطلق رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: «يا بني عبدَ منافٍ إني نذيرٌ، إنما مثَلي ومثلُكم كمثل رجلٍ رأى العدوَّ فانطلق يربأ أهلَه، فخشيَ أن يسبقوه، فجعل يهتفُ: يا صبَاحاه (وكان قبل ذلك في غار حراء) تقدم معناه في حديث الحارثِ[4] بنِ هشام.

حديثُ الإسراء والمعراج

(وبعد خمسينَ من الأعوام ... مضت لِعُمر سيدِ الأنام)
(أسرى به اللّهُ إليه في الظلمْ ... وفرضَ الخمسَ عليه وحتمْ)

وكان الإسراءُ من المسجد الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، والمعراجُ من المسجد الأقصى إلى سِدرةِ المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تبارك وتعالى في ذكرى المِعراج: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ

---

(١) (سأبلُّها ببلالها) بفتح الباء الثانية وكسرها، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء.
والبلال: الماء، ومعنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه: «بلُّوا أرحامكم»، أي: صِلوها.
(٢) لمسلم في صحيحه (١/١٩٢ رقم ٢٠٥/٣٥٠).
(٣) لمسلم في صحيحه (١/١٩٣ رقم ٢٠٧/٣٥٣).
(٤) تقدم تخريجه.

ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

وقال البُخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ حديثِ الإسراء وقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدثنا الليثُ عن عقيل عن ابن شهابٍ حدثني أبو سلمة بن عبدِ الرحمنِ سمعتُ جابرَ بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **«لما كذبني قريشٌ، قُمتُ في الحِجْر فجلَّى اللَّهُ لي بيتَ المقدس، فطفِقتُ أُخبرهم عن آياتِه وأنا أنظُر إليه»**.

بابُ المعراج. حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا هُمامُ بنُ يحيى حدثنا قَتادةُ عن أنسِ بنِ مالكٍ عن مالكٍ[2] بنِ صَعصعةَ ﷺ أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ حدثهم عن ليلة أُسريَ به قال: **«بينما أنا في الحطيم** - وربما قال في الحِجْر - **مضطجعاً إذ أتاني آتٍ** - فقد قال وسمعتُه يقول، **فشقَّ ما بين هذه إلى هذه»**.

فقلت للجارود: وهو إلى جنبي ما يعني به؟ قال: من ثُغرة نحرِه إلى شِعْرتِه. وسمعتُه يقول: من قصّهِ إلى شِعرتِه: **«فاستخرج قلبي. ثم أُتيتُ بطَستٍ من ذهب مملوءةٍ إيماناً فغَسل قلبي، ثم حُشيَ ثم أعيد. ثم أُتيتُ بدابةٍ دون البغلِ وفوقَ الحمار أبيضَ»**.

فقال الجارود: هو البُراقُ يا أبا حمزة؟ قال أنسٌ: نعم. **«يضع خَطوَه عند أقصى طرفِه، فحُمِلتُ عليه، فانطلق بي جبريلُ حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتح، فقيل: مَن هذا؟ قال جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففُتح فلما خلَصتُ فإذا فيها آدمُ فقال: هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه، فسلمْتُ عليه فردَّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالحِ والنبيِّ الصالح.**

ثم صعِد حتى أتى السماء الثانيةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ،

---

(١) في صحيحه (٧/ ١٩٦ رقم ٣٨٨٦) وطرفه (٤٧١٠) ومسلم (١/ ١٥٦ رقم ٢٧٦/ ١٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٣٨٨٧).

قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلَصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالةِ قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما. فسلمتُ فردا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صعِد السماء الثالثةِ فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح فلما خلَصْتُ فإذا يوسفُ، قال: هذا يوسفُ فسلمْ عليه، فسلمتُ عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صَعِد بي حتى أتى السماء الرابعةَ فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: أوَقد أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل، مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصْتُ إذا إدريسُ، قال: هذا إدريسُ فسلم عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صَعِد بي حتى أتى السماءَ الخامسةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا هارونُ، قال: هذا هارونُ فسلِّمْ عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ.

ثم صَعِد بي حتى أتى السماءَ السادسةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، فلما تجاوزتُ بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخُل الجَنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخُلها من أمتي.

ثم صَعِد بي إلى السابعة فاستفتح جبريلُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا إبراهيمُ قال: هذا أبوكَ فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فردّ عليّ السلامَ، قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح.

ثم رُفعتُ إلى سِدرةِ المُنتهى فإذا نَبقُها مِثلُ قِلالِ هَجَرَ، وإذا ورقُها مثلُ آذانِ الفِيَلةِ، قال: هذه سِدرةُ المنتهى، وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهران باطنان ونهرانِ ظاهرانِ، فقلت: ما هذان يا جبريلُ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهرانِ فالنيلُ والفراتُ، ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ، ثم أُتيتُ بإناء من خمرٍ وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل، فأخذتُ اللبنَ فقال: هي الفِطرةُ أنت عليها وأُمتُك، ثم فُرضت عليَّ الصلواتُ خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ.

فرَجَعتُ فمررْتُ على موسى فقال: بما أُمرتَ؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كلَّ يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسينَ صلاةً كلَّ يوم، وإني واللّهِ قد جربْتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المُعالجة، فارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك.

فرَجَعْتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرَجَعتُ فوضعَ عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرَجَعتُ فأُمرتُ بعشر صلواتٍ كلَّ يومٍ.

فرجَعتُ فقال مثلَه، فرجعتُ فأُمرتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم. فرجَعتُ إلى موسى فقال: بما أُمرتَ؟ قلت: أُمرتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم، قال: إن أُمتك لا تستطيع خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم، وإني قد جربتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المُعالجة، فارجِعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك، قال: سألتُ ربي حتى استَحْيَيتُ ولكني أرضى وأسلّم، قال: فلما جاوزْتُ ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخفّفتُ عن عبادي». رواه مسلمٌ[1] مختصراً.

قلت: وقولُه في هذه الروايةِ عن إدريسَ مرحباً بالأخ الصالحِ هذا قد يُشكل، لأن إدريسَ من آبائِه، والمعنى واللّهُ أعلمُ على ما في الحديث: «نحن معاشرَ الأنبياء أبناءُ علّاتٍ»[2] إلخ.

---

(١) في صحيحه (١/١٤٩ ـ ١٥٢ رقم ٢٦٤/١٦٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٤٧٧ ـ ٤٧٨ رقم ٣٤٤٢) وطرفه رقم (٣٤٤٣).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٣٧ رقم ١٤٣/٢٣٦٥).

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ حدثني سليمانُ عن شريك بنِ عبدِ اللَّهِ أنه قال: سمعتُ ابنَ مالكٍ - يعني أنساً ﷺ - يقول ليلةَ أُسريَ برسولِ اللَّهِ ﷺ من مسجد الكعبةِ: «إنه جاءَه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يوحى[2] إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرامِ فقال أولُهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسطُهم: هو خيرُهم، فقال آخرَهم: خذوا خيرَهم، فكانت تلك الليلةُ فلم يرَهم حتى أتوه ليلةً أخرى فيما يرَى قلبُه وتنامُ عينُه ولا ينامُ قلبُه.

وكذلك الأنبياءُ تنامُ أعينُهم ولا تنام قلوبُهم. فلم يكلّموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئرِ زمزمَ فتولاه منهم جبريلُ فشق جبريلُ ما بين نحرِه إلى لبته حتى أفرغ من صدره وجَوفِه فغسله من ماء زمزمَ بيده حتى أنقى جوفَه.

ثم أتى بطَسْتٍ من ذهب فيه تورٌ من ذهب، محشو إيماناً وحكمةً، فحشا به صدرَه ولغاديدَه يعني عروقَ حلقِه ثم أطبقه.

ثم عرَج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابِها فناداه أهلُ السماء: من هذا؟ فقال: جبريلُ. قالوا: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قال: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشرُ أهلُ السماء لا يعلمُ أهلُ السماء بما يريدُ اللَّهُ به في الأرض حتى نعلمهم.

فوجد في السماء الدنيا آدمَ فقال له جبريل: هذا أبوك فسلّم عليه، فسلّم ورد عليه آدمُ وقال: مرحباً وأهلاً يا بُنيَّ، نعم الابنُ أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطّردان، فقال: **ما هذان النهرانِ يا جبريلُ؟** قال: هذا النيلُ والفراتُ.

ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر خرّ عليه قصرٌ من لؤلؤٍ وزَبَرْجَدٍ، فضربَ يده فإذا هو مسكٌ، **فقال: ما هذا يا جبريلُ؟** قال هذا الكوثرُ الذي خبأ لك ربُك.

---

(١) في صحيحه (١٣/٤٧٨ - ٤٧٩ رقم ٧٥١٧).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٠): أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي وعبارة النووي: وقع في رواية شريك - يعني هذه - أوهام أنكرها العلماء أحدُها قولُه: «قبل أن يوحى إليه» وهو غلط لم يوافق عليه، وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل الوحي.

* وردَّ الحافظ على ذلك القول في «الفتح» (١٣/ ٤٨٠).

ثم عرجَ إلى السماء الثانية فقالت الملائكةُ له مثل ما قالت له الأولى: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قالوا: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً.

ثم عرَج به إلى السماء الثالثةِ وقالوا مثلَ ما قالت الأولى والثانيةُ. ثم عرَج به إلى الرابعة فقالوا مثلَ ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسةِ فقالوا له مثلَ ذلك. ثم عرَج به إلى السادسةِ فقالوا له مثلَ ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعةِ فقالوا له مثلَ ذلك.

كلُّ سماءٍ فيها أنبياءُ قد سمّاهم فأوعيتُ منهم إدريسَ في الثانية وهارون في الرابعة، وآخرَ في الخامسة لم أحفَظ اسمه، وإبراهيمَ في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلامِ الله.

فقال موسى: ربِّ لم أظنَّ أن يُرفعَ عليّ أحدٌ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللّهُ تعالى حتى جاء سدرة المُنتهى ودنا الجبارُ ربُّ العزةِ فتدلى حتى كان منه قابَ قوسين أو أدنى، فأوحى اللّهُ فيما أوحى إليه خمسينَ صلاةً على أمتك كلَّ يومٍ وليلةٍ.

ثم هبطَ حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمدُ ماذا عهِد إليك ربُك؟ قال: **عهِد إليَ خمسين صلاةً كلَّ يومٍ وليلة**. قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجِعْ فليخفِفْ عنك ربُك وعنهم، فالتفتَ النبيُ إلى جبريلَ كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريلُ أن نعم إن شِئت، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: **يا ربِّ خففْ عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا**، فوضع عنه عشرَ صلواتٍ.

ثم رجع إلى موسى فاحتبسَه فلم يزل يردِّدُه موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلواتٍ، ثم احتبسَه موسى عند الخمسِ فقال: يا محمدُ واللّهِ لقد راودتُ بني إسرائيلَ قومي على أدنى من هذا فضعُفوا فتركوه، فأمتُك أضعفُ أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجِعْ فليخففْ عنك ربُك، كلَّ ذلك يلتفت النبيُ ﷺ إلى جبريلَ ليُشيرَ عليه ولا يكره ذلك جبريلُ، فرفعه عند الخامسةِ فقال: **يا ربِّ إن أمتي ضعفاءُ أجسامُهم وقلوبُهم وأسماعُهم وأبدانُهم فخفف عنا**.

فقال الجبارُ: **يا محمدُ**، قال: **لبيك وسعديك**، قال: **إنه لا يبدلُ القول**

لديَّ، كما فرضتُ عليك في أم الكتاب، قال: فكلُ حسنةٍ بعشرِ أمثالِها فهي خمسونَ في أمِّ الكتاب، وهي خمسٌ عليك.

فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلتَ؟ فقال: خففَ عنا. أعطانا بكل حسنةٍ عشرَ أمثالِها، قال موسى: قد والله راودتُ بني إسرائيلَ على أدنى من ذلك فتركوه، ارجِع إلى ربك فليخففْ عنك أيضاً، قال رسولُ الله ﷺ: يا موسى قد والله استحييتُ من ربي مما اختلفتُ إليه. قال: فاهبِط باسمِ الله. قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام.

ورواه مسلمٌ[1] بعد حديثِ ثابتٍ البنانيِّ أصْلِه، وقال: نحوَ حديثِ ثابتٍ البنانيِّ وقدم فيه شيئاً وأخّر وزاد ونقص، وهذا السياقُ روايتُه لحديث ثابتٍ قال: رحمه الله تعالى: حدثنا شيبانُ بنُ فَرُّوخَ حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ حدثنا ثابتٌ البنانيُّ عن أنس بن مالكٍ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراقِ وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ فوق الحمارِ ودون البغلِ، يضع حافرَه عند مُنتهى طَرْفِه، قال: فركبتُه حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ. قال: فربطتُه بالحلقة التي يَربِطُ الأنبياءُ. قال: ثم دخلتُ المسجدَ فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ، فجاءني جبريلُ عليه السلام بإناء من خمر وإناءٍ من لبن فاخترتُ اللبنَ، فقال: جبريلُ عليه السلامُ: اخترتَ الفِطرةَ. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريلُ فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدمَ فرَحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانيةِ فاستفتح جبريلُ عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا فإذا أنا بابنَيِ الخالةِ عيسى بنِ مريمَ ويحيى بنِ زكريا صلواتُ الله عليهما وسلامه، فرحبا ودَعَوا لي بخير.

ثم عرَج بي إلى السماء الثالثةِ فاستفتح جبريلُ فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه.

---

(١) في صحيحه (١/١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/١٦٢).

ففتح لنا فإذا أنا بيوسفَ عليه السلام إذ هو قد أُعطِيَ شطرَ الحُسنِ، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعةِ فاستفتحَ جبريلُ عليه السلامُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح البابُ فإذا أنا بإدريسَ عليه السلام فرحب ودعا لي بخير، قال اللَّهُ عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسةِ فاستفتح جبريلُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بهارونَ ﷺ، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسةِ فاستفتح جبريلُ عليه السلامُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا بموسى ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعةِ، فاستفتح جبريلُ فقيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بإبراهيمَ ﷺ مُسنداً ظهرَه إلى البيت المعمورِ، وإذا هو يدخُله كلَّ يوم سبعونَ ألف ملكٍ ثم لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى سِدرة المنتهى، وإذا ورقُها كآذان الفِيَلةِ، وإذا ثمرُها كالقِلال، قال: فلما غشِيَها من أمر الله ما غشِيَ تغيرتْ فما أحدٌ من خلقِ اللَّهِ يستطيعُ أن ينعتها من حُسنِها، فأوحى اللَّهُ إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسينَ صلاةً في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال: ما فرضَ ربُك على أمتك؟ قلت: خمسينَ صلاةً، قال: ارجِعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ فإن أمَتك لا يُطيقون ذلك، فإني قد بلوتُ بني إسرائيلَ وخَبَرتُهم.

قال: فرجعتُ إلى ربي فقلتُ: يا ربِّ خففْ عن أمتي، فحطَّ عني خمساً، فرجعتُ إلى موسى فقلتُ: حطّ عني خمساً، قال: إن أمتَك لا تُطيق ذلك، فارجِعْ إلى ربّك فاسأله التخفيفَ.

قال: فلم أزل ارجِعْ بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى

قال: يا محمدُ إنهن خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ، لكل صلاةٍ عشرٌ فذلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبتْ له حسنةً، فإن عملها كُتبتْ له عشراً، ومن همَّ بسيئة فلم يعملْها لم تكتب شيئاً، فإن عمِلها كتبتْ سيئةً واحدةً.

قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرتُه، فقال: ارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسولُ الله ﷺ: فقلتُ قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ كيف فُرِضتْ الصلاةُ في الإسراء: حدثنا يحيى بنُ بُكيرٍ قال: حدثنا الليثُ عن يونسَ عن ابن شهابٍ عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: كان أبو ذرٍّ ﷺ يحدِّث أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «فُرِجَ عن سقف بيتي وأنا بمكةَ، فنزل جبريلُ ففرَج صدري ثم غسله بماء زمزمَ، ثم جاء بطَسْتٍ من ذهب مُلئ حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئتُ السماء الدنيا قال: جبريلُ لخازن السماءِ: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريلُ، قال: هل معك أحد قال: نعم معي محمدٌ ﷺ، فقال: أُرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماءَ الدنيا فإذا رجلٌ قاعدٌ على يمينه أَسْوِدةٌ وعلى يساره أسودة، إذا نظر قِبَلَ يمينِه ضحِك، وإذا نظر قِبلَ يسارِه بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالحِ والابنِ الصالحِ، قلتُ لجبريلَ: من هذا؟ قال: هذا آدمُ، وهذه الأسوِدةُ عن يمينه وشِمالِه ذُريتُه.

فأهلُ اليمينِ منهم أهلُ الجنةِ والأسودةُ التي عن شمالِه أهلُ النارِ، فإذا نظر عن يمينه ضحِك وإذا نظر قِبل شمالِه بكَى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازِنها: افتح، فقال له خازنُها مثلَ ما قال: الأولُ، ففتح.

قال أنسٌ: فذكرَ أنه وجد في السمواتِ آدمَ وإدريسَ وموسى وعيسى وإبراهيمَ صلواتُ الله وسلامُه عليهم، ولم يُثبتْ كيف منازلُهم غير أنه ذكر أنه وجد آدمَ في السماء الدنيا وإبراهيمَ في السماء السادسةِ.

---

(١) في صحيحه (١/٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ٣٤٩) وطرفاه رقم (١٦٣٦) و (٣٣٤٢).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (١/١٤٨ - ١٤٩ رقم ٢٦٣/١٦٣).

قال أنس: فلما مر جبريلُ بالنبيِّ ﷺ بإدريسَ قال: مرحباً بالنبي الصالحِ والأخِ الصالحِ، فقلتُ: من هذا؟ قال: هذا إدريسُ، ثم مررتُ بموسى فقال: مرحباً بالنبيِ الصالحِ والأخِ الصالحِ، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررتُ بعيسى فقال: مرحباً بالنبيِ الصالحِ والأخِ الصالحِ، قلتُ: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررتُ بإبراهيمَ فقال: مرحباً بالنبي الصالحِ والابنِ الصالحِ، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيمُ ﷺ».

قال ابنُ شهابٍ[1]: فأخبرني ابنُ حزمٍ أن ابنَ عباسٍ وأبا حَبّةَ الأنصاريَّ كانا يقولانِ: قال النبيُّ ﷺ: «ثم عُرج بي حتى ظهرتُ لمستوىً أسمعُ فيه صريفَ الأقلامِ»[2].

قال: ابنُ حزم وأنس بنُ مالك قال النبي ﷺ: «فرض اللَّهُ على أمتي خمسين صلاةً، فرجعتُ بذلك حتى مررتُ على موسى فقال: ما فرَض اللَّهُ لك على أمتك؟ قلت: فرضَ خمسين صلاةً، قال: فارجِعْ إلى ربك فإن أمتَك لا تُطيق ذلك، فراجعتُ فوضع عني شطرَها، فرجعتُ إليه فقال: ارجِع إلى ربك فإن أمتَك لا تُطيق ذلك، فراجعتُه فقال: هي خمسٌ وهي خمسون، لا يبدّل القول لديَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجِعْ ربَّك، فقلتُ: استحْييتُ من ربي.

ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سِدرةَ المنتهى، وغشِيها ألوانٌ لا أدري ما هي.

ثم أُدخلتُ الجنةَ فإذا فيها جبالُ اللؤلؤِ، وإذا ترابُها المِسكُ». وافقه عليه مسلمٌ رحمه الله تعالى.

وله[3] عن مُرّةَ عن عبد الله قال: لما أُسريَ برسول الله ﷺ انتُهيَ به إلى سِدرةِ المُنتهى وهي في السماء السادسةِ، إليها ينتهي ما يُعرَجُ به من الأرض فيُقبض

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٤٩) بعد الحديث رقم (٢٦٣/١٦٣).

(٢) (صريف الأقلام) تصويتها حال الكتابة.
قال الخطابيّ: هو صوت ما تكتبه الملائكةُ من أقضية الله تعالى ووحيه ينسخونه من اللوح المحفوظ.

(٣) لمسلم في صحيحه (١/١٥٧ رقم ٢٧٩/١٧٣).

منها، وإليها ينتهي ما يُهبَطُ به من فوقها فيُقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]. قال: فراشٌ من ذهب.

قال: فأُعطيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلواتِ الخمسَ، وأعطيَ خواتيمَ سورةِ البقرةِ وغُفر ـ لمن لم يشركْ بالله من أمته شيئاً ـ المُقْحِماتُ[1].

وله[2] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لقد رأيتُني في الحِجْرِ وقريشٌ تسألني عن مسْرايَ فسألتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أُثبِتْها، فكُرِبْتُ كُربةً ما كُربت مثلَها قطُّ**، قال: **فرفعه الله لي أنظُر إليه: ما يسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهم»**. الحديث.

وهذا الذي ذكرنا من حديث أنسٍ وجابرٍ ومالكِ بنِ صعصعةَ وأبي ذرٍ وابنِ مسعودٍ وأبي هريرةَ وابنِ عباسٍ وأبي حَبةَ هي من أصح ما ورد وأقواه وأجودِه وأسندِه وأشهرِه وأظهرِه لاتفاق الشيخين على إخراجهما، وعن هؤلاء رواياتٌ أُخَرُ لم نذكُرها استغناءً عنها بما في الصحيحين.

وفي الباب أحاديثُ أُخَرُ عن جماعة من الصحابة منهم مَن لم نذكر: عمرُ بنُ الخطابِ وعليٌّ وأبو سعيدٍ وشدّادُ بنُ أوسٍ وأُبيُّ بنُ كعبٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ قَرَظٍ وأبو ليلى وعبدُ الله بنُ عمرٍو وحذيفةُ وبُريدةُ وأبو أيوبَ وأبو أمامةَ وسَمُرةَ بنُ جُندبٍ وأبو الحَمَأ وصُهيبٌ الروميُّ وأمُّ هانئٍ وعائشةُ وأسماءُ ابنتا أبي بكرٍ ﷺ أجمعين.

ثم الذي دلت عليه الآياتُ والأحاديثُ أن الإسراءَ والمعراجَ كانا يقظةً لا مناماً، ولا ينافي ذلك ما ذُكر في بعض الرواياتِ في قوله ﷺ: **«بينما أنا نائمٌ»**[3]، فإن ذلك عند أولِ ما أتياه ولا يدُل على أنه استمر نائماً.

---

(١) (المقحمات): معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها.
والتقحم: الوقوع في المهالك. ومعنى الكلام: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات.

(٢) لمسلم في صحيحه (١/١٥٦ ـ ١٥٧ رقم ٢٧٨/١٧٢).

(٣) تقدم التعليق عليه. وانظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥).

ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحياً، ولكن في سياق الأحاديثِ من ركوبه ونزولِه وربطِه، وصلاتِه، وصعودِه وهبوطِه، وغير ذلك مما يدل على أنه أُسريَ بروحه وجسدِه يقظةً لا مناماً.

وكذا لا ينافي ذلك روايةُ شريكٍ: «**فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام**»[١]، فإن روايةَ شريكٍ فيها أوهامٌ كثيرةٌ تخالف روايةَ الجمهورِ عن أنس في أكثرَ من عشرةِ مواضعَ سَرَدها في الفتح، وسياقه يدل على أنه بالمعنى، وصرّح في مواضع كثيرةٍ أنه لم يثبت، وتصريحُ الآيةِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]. شاملٌ للروح والجسدِ، وكذلك قولُه تعالى في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم]، جَعل رؤيةَ النبيِّ ﷺ لجبريلَ عند سدرةِ المنتهى مقابلاً لرؤيتِه إياه في الأبطح، وهي رؤيةُ عينٍ حقيقةً لا مناماً.

ولو كان الإسراءُ والمعراجُ بروحه في المنام لم تكن معجزةً ولا كان لتكذيب قريشٍ بها وقولِهم: كنا نضرِب أكبادَ الإبلِ إلى بيت المقدسِ شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ومحمدٌ يزعم أنه أُسريَ به إليه وأصبح فينا، إلى آخر تكذيبهم واستهزائِهم به ﷺ.

لو كان ذلك رؤيا مناماً لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنىً، لأن الإنسانَ قد يرى في منامه ما هو أبعدُ من بيت المقدِس ولا يكذبه أحدٌ استبعاداً لرؤياه، وإنما قصّ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ مسْرىً حقيقةً يقظةً لا مناماً فكذبوه واستهزءوا به استبعاداً لذلك واستعظاماً له، مع نوع مكابرةٍ لقلة علمِهم بقدرة اللهِ عز وجل وأن الله يفعل ما يريد.

ولهذا لما قالوا:[٢] للصدّيق وأخبروه الخبرَ قال: إن كان قال: ذلك لقد صدق. قالوا وتصدّقه بذلك؟ قال: نعم، إني لأُصدّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، في خبر السماء يأتيه بُكرةً وعشياً أو كما قال.

---

(١) تقدم التعليق عليه. وانظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) فقد أخرجه ابن إسحاق معلقاً. فالحديث ضعيف.

[هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج]

واختلف السلفُ الصالحُ هل رأى نبيُّنا محمدٌ ﷺ ربَّه ليلةَ المعراجِ؟ فروى ابنُ خزيمةَ[1] وغيرُه[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتعجبون أن تكونَ الخُلَّةُ لإبراهيمَ، والكلامُ لموسى، والرؤيةُ لمحمد ﷺ؟

وعن عكرمةَ[3] قال: سمعتُ ابن عباس وسُئل هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ قال: نعم. قال: فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: لا أمَّ لك، ذلك نورُه إذا تجلى بنوره لم يدركه شيءٌ.

ورُوِيَ عنه من طرق لا تُحصى كثرة قال: رأى محمدٌ ﷺ ربه. وعنه[4]: رآه

---

(١) في «التوحيد» (٢/ ٤٧٩ رقم ١/ ٢٧٢).

(٢) كابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٢ رقم ٤٤٢).
وقال الألباني: **إسناده صحيح على شرط البخاري.**
وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٩٩ رقم ٥٧٩) **بسند صحيح.**
والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٥) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.**
والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٤٧٢ رقم ١١٥٣٩/ ٥).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨١ رقم ٢/ ٢٧٣).
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٠ رقم ٤٣٧).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩٠) **إسناده ضعيف**، ورجاله ثقات، لكن الحكم بن أبان فيه ضعف من قبل حفظه. وسلم هو ابن جعفر. ومحمد بن أبي صفوان هو ابن عثمان بن أبي صفوان نسب إلى جده وهو ثقة توفي سنة (٢٥٠).
وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٣٩٥ رقم ٣٢٧٩) وقال: **هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**
وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٦٣ رقم ٧٧٣٨).
وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨٣ رقم ٤/ ٢٧٥) **إسناده ضعيف.**
وفيه محمد بن عيسى مقبول وسلمة بن الفضل. وهو صدوق له أوهام ومحمد بن إسحاق صدوق يرسل، وقد عنعن.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٨٩ رقم ٤٣٥) من طريق محمد بن الصباح عن إسماعيل بن زكريا عن عاصم، عن الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس. =

بقلبه. وفي رواية: رآه بفؤادِه مرتين، رواه مسلمٌ[1] وغيرُه[2].

وله[3] عن أبي ذرٍ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنّى أراه؟». وفي رواية[4] قال: «رأيتُ نوراً».

قال: ابنُ خزيمة[5] في قوله: «نورٌ أنى أراه»: هذا يحتمل معنيين على سَعةِ لسانِ العربِ:

أحدُهما: الإثباتُ ومعناه أنى أراه، أو كيف أراه فهو نورٌ، أو فإن ما أرى نورٌ. ويؤيد هذا روايةُ: «رأيتُ نوراً».

المعنى الثاني: النفيُ، قال: والعربُ قد تقول: «أنى» على معنى النفي كقوله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. الآية.

يريدون كيف يكون له الملكُ علينا ونحن أحقُّ بالملك منه. ثم رُويَ عن أبي ذر[6] قال: رآه بقلبه ولم يرَه بعينِه.

وله[7] عن عبّادِ بنِ منصور قال: سألتُ الحسنَ فقلت: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾

= قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/١٨٩) إسناده صحيح موقوف وهو على شرط البخاري.
ومن طريق ابن أبي عاصم أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٦٥).

(١) في صحيحه (١/١٥٨ رقم ١٧٦/٢٨٤).

(٢) كالترمذي في «السنن» (٥/٣٩٦ رقم ٣٢٨١) وقال: هذا حديث حسن.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٩١ رقم ٤٣٩). وهو حديث صحيح.

(٣) أي مسلم: في صحيحه (١/١٦١ رقم ١٧٨).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٥١٠ رقم ٤١/٣٠٥).
والترمذي في «السنن» (٥/٣٩٦ رقم ٣٢٨٢) وقال: هذا حديث حسن.
وأحمد (٥/١٥٧ و ١٧١ و ١٧٥) من طرق.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٩٢ رقم ٤٤١).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/١٩٢) إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط البخاري غير عبد الله بن سقيف وهو العقيلي فهو على شرط مسلم. وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٥١٢ ـ ٥١٣ رقم ٤٣/٣٠٧).
وانظر بسط المسألة في: «مختصر الصواعق» لابن قيم الجوزية (٢/١٨٩ ـ ١٩٠).

(٥) في «التوحيد» (٢/٥١٤ ـ ٥١٥).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٥١٦ رقم...) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٥٢٩ رقم ٥٢/٣١٦).

[النجم: ٨]، من ذا يا أبا سعيد؟ قال: ربي.

وله[1] عن المبارك بنِ فضالةَ قال: كان الحسنُ يحلِف بالله لقد رأى محمدٌ ﷺ ربَّه.

وله[2] عن كعب قال: إن الله قسمَ رؤيتَه وكلامَه بين موسى ومحمدٍ صلواتُ الله عليهما فرآه محمدٌ مرتين وكلم موسى مرتين.

وروى ابنُ أبي حاتم[3] عن عباد بنِ منصورٍ قال: سألتُ عكرِمةَ عن قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم].

فقال عكرمةُ: تريد أن أُخبركَ أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه، ثم قد رآه.

وروى ابنُ جريرٍ[4] عن محمد بن كعبٍ عن بعضِ أصحابِ النبيِّ ﷺ قال: قلنا يا رسولَ اللّهِ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين»، ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨].

وقال البغويُّ[5]: وذهب جماعةٌ إلى أنه رآه بعينه، وهو أنسٌ والحسنُ وعكرمةُ قالوا: رأى محمدٌ ربَّه، قال ابنُ كثيرٍ[6]: وقولُ البغويِّ فيه نظرٌ.

وروى البخاريُّ[7] ومسلمٌ[8] عن مسروق قال: قلت لعائشةَ ﵄: يا أمّتاه هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلتَ، أين أنت مِن ثلاثٍ:

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٤٨٨ رقم ١٠/٢٨١).
(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٤٩٦ رقم ٢١/...) بسند حسن.
والترمذي في «السنن» (٥/٣٩٤ رقم ٣٢٧٨) والدارقطني في «الرؤية» (ص١٦٤ ـ ١٦٥ رقم ٢٥١).
(٣) في تفسيره (١٠/٣٣١٨ رقم ١٨٦٩٧).
(٤) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/٤٨).
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/٢٦٧).
(٥) في «معالم التنزيل» (٧/٤٠٢).
(٦) في تفسيره (٤/٢٦٧).
(٧) في صحيحه (٨/٦٠٦ رقم ٤٨٥٥).
(٨) في صحيحه (١/١٥٩ رقم ٢٨٧/١٧٧).

من حدّثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربّه فقد كذب ـ ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ـ ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ـ ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان: ٣٤] ـ ومن حدثك أنه كتمَ فقد كذب ـ ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين.

هذا لفظُ البخاريِّ[(١)]، ولفظُ مسلم[(٢)] عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشةَ ﵂ فقالت: «يا أبا عائشٍ ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظمَ على الله الفريةَ، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية». قال: وكنت متكئاً فجلستُ فقلتُ: يا أمَّ المؤمنين أَنظِريني ولا تُعجليني، ألم يقُل اللَّهُ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟

فقالت: أنا أولُ هذه الأمةِ سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: إنما هو جبريلُ لم أرَه على صورتِه التي خُلق عليها غيرَ هاتين المرتين، منهبطاً من السماء سادًّا أعظَمُ خلقِه ما بين السماء إلى الأرض. فقالت: أوَ لم تسمعْ أن اللَّهَ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أوَ لم تسمَعْ أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتم شيئاً من كتاب اللَّهِ فقد أعظَمَ على الله الفريةَ، واللَّهُ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفريةَ، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) في صحيحه (٦٠٦/٨ رقم ٤٨٥٥).
(٢) في صحيحه (١٥٩/١ رقم ٢٨٧/١٧٧).

وزاد في رواية[1] قالت: ولو كان محمدٌ ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل إليه لكتم هـذه الآيـة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وعن أبي هريرةَ[2] وابنِ مسعودٍ[3] في آيةِ النجمِ مثلُ قولِ عائشةَ.

قال أبو بكرِ بنُ خزيمةَ[4] رحمه الله في قول عائشة رضي الله عنها: «فقد أعظمَ على الله الفريةَ»[5] قال: هذه لفظةٌ أحسَب عائشةَ تكلمت بها في وقت غضبٍ كانت لفظةٌ أحسنُ منها يكون فيها دَرَكٌ لبُغيتِها، كان أجملَ بها، ليس يحسنُ في اللفظ أن يقول قائلٌ أو قائلةٌ قد أعظمَ ابنُ عباسٍ الفريةَ وأبو ذرٍ وأنسُ بنُ مالكٍ وجماعاتٌ من الناسِ الفريةَ على ربهم.

ولكن قد يتكلمُ المرءُ عند الغضبِ باللفظةِ التي يكون غيرُها أحسنَ وأجملَ منها، أكثرُ ما في هذا أن عائشةَ رضي الله عنها وأبا ذرٍ وابنَ عباسٍ رضي الله عنهما وأنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه قد اختلفوا: هل رأى النبيُّ ﷺ ربَّه؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: لم يرَ النبيُّ ﷺ ربَّه. وقال أبو ذر وابنُ عباس رضي الله عنهما قد رأى النبيُّ ﷺ ربه.

وقد أعلمتُ في مواضعَ من كتبنا أن النفيَ لا يوجب علماً، والإثباتُ هو الذي يوجب العلمَ، لم تحكِ عائشةُ عن النبيِّ ﷺ أنه أخبرها أنه لم يرَ ربَّه عز وجل، وإنما تلتْ قولَه عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقولَه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٦٠ رقم ٢٨٨/ ١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٣/ ١٧٥).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٠/ ١٧٤).
وأحمد في «المسند» (١/ ٤٦٠) بسند صحيح.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٩) وقال: إسناده جيد.
وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٧) من طريق أخرى عن مسعود مرفوعاً بلفظ: «رأيت جبريلَ على سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح».
أورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٩) وقال: هذا أيضاً إسناد جيد.
(٤) في «التوحيد» (٢/ ٥٥٦ ـ ٥٦٠).
(٥) تقدم تخريجه.

ومن تدبر هاتين الآيتين ووُفّق لإدراك الصوابِ علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال إن محمداً رأى ربّه الرميَ بالفريةِ على الله، كيف بأن يقول قد أعظمَ الفريةَ على الله.

ثم قال[1] رحمه الله تعالى: فقد ثبت عن ابن عباس إثباتُه أن النبيَّ ﷺ قد رأى ربّه[2]، وبيقين يعلم كلُ عالم أن هذا ليس من الجنس الذي يُدرك بالعقول والآراءِ والجَنان والظنون، ولا يُدرك مثلُ هذا العلمِ إلا من طريق النبوّة إما بكتاب أو بقول نبيٍّ مُصْطفىً.

ولا أظنُّ أحداً من أهلِ العلم يتوهم أن ابنَ عباسٍ قال رأى النبيُّ ﷺ ربَّه برأي ولا ظنٍّ، لا، ولا أبو ذرٍ ولا أنسُ بنُ مالك.

نقول كما قال مَعمرُ بنُ راشدٍ لما ذكر اختلافَ عائشةَ رضي الله عنهما وابنِ عباس في هذه المسألة: ما عائشةُ عندنا أعلمَ من ابن عباس.

نقول عائشةُ الصديقةُ بنتُ الصديقِ حبيبةُ حبيبِ الله عالمةٌ فقيهةٌ، كذلك ابنُ عباس رضي الله عنهما ابنُ عمِّ النبيِّ ﷺ قد دعا[3] النبيُّ ﷺ له أن يُرزقَ الحكمةَ والعلمَ.

وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمَّى تَرجمانُ القرآن[4]، وقد كان الفاروقُ رضي الله عنه يسأله عن معاني القرآن فيقبَلُ منه وإن خالفَه غيره ممن هو أكبرُ سناً

---

(١) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٥٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٠ رقم ٣٧٥٦) عن ابن عباس قال: «ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: **اللهم علِّمه الحكمةَ**».
وفي لفظ: «**اللهم علِّمه الكتاب**».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١١١ رقم ١٢٢٦٩) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٣٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش.
وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٦) من طرق عن عبد الله بن مسعود.
* وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٨٠ رقم ١١١٠٨).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٧٦) وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف» عن مجاهد عن ابن عباس قال: «دعا لي رسولُ الله ﷺ فقال: **نعم الترجمان أنت**».

منه وأقدمُ صحبةً للنبيِّ ﷺ، وإذا اختلفا فمُحالٌ أن يقال قد أعظم ابنُ عباس الفريةَ على الله لأنه قد أثبت شيئاً نفتْه عائشةُ رضي الله عنها.

والعلماءُ لا يُطلقون هذه اللفظةَ، وإن غلِطَ بعضُ العلماء في معنى الآية من كتاب اللَّهِ عز وجل أو خالف سنةً أو سنناً من سنن النبيِّ ﷺ لم تبلُغ المرءَ تلك السننُ، فكيف يجوز أن يقال أعظمَ الفريةَ على الله من أثبت شيئاً لم ينفه كتابٌ ولا سنةٌ، فتفهموا هذا لا تغالطوا.

ثم قال[1] رحمه الله تعالى: وقد كنت قديماً أقول إن عائشةَ حكت عن النبيِّ ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألةِ أن النبيَّ ﷺ لم يرَ ربَّه جل وعلا وأن النبيَّ ﷺ أعلمها بذلك.

وذكر ابنُ عباس رضي الله عنهما وأنسُ بنُ مالكٍ وأبو ذرٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنه رأى ربَّه لعلم كلِّ عالمٍ يفهم هذه الصناعةَ أن الواجبَ من طريق العلمِ والفقهِ قبولُ قولِ من رَوى عن النبيِّ ﷺ أنه رأى ربَّه.

إذ جائزٌ أن تكونَ عائشةُ رضي الله عنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: لم أرَ ربي قبل أن يرى ربَّه عز وجل، ثم يسمعُ غيرُها أن النبيَّ ﷺ يخبر أنه قد رأى ربَّه بعد رؤيتِه ربَّه، فيكون الواجبُ من طريق العلمِ قَبولِ خبرِ من أخبرَ أن النبيَّ ﷺ رأى ربَّه. انتهى كلامُه[1] رحمه الله.

حديثُ الهجرةِ

(وبعد أعوامٍ ثلاثةٍ مضت … من بعد معراجِ النبيِّ وانقضت)
(أُوذِنَ بالهجرةِ نحوَ يثربا … مع كلِ مسلمٍ له قد صَحِبا)

(وبعد أعوامٍ ثلاثةٍ) وقيل خمسةٍ، وقيلَ أقلَّ من ذلك وقيلَ أكثرَ، وهذا الذي في المتْنِ هو اختيارُ الشيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ رحمه الله تعالى في الثلاثة الأصولِ[2]، وله فيه سلفٌ، وليست مسألةُ التاريخِ اعتقاديةً في هذا الباب، والإسراءُ والمعراجُ ثابتٌ بالكتابِ والسنةِ وإجماعِ الأمةِ فلا تأثيرَ لاختلاف أهلِ السيَرِ في تاريخه، وتعيينِ سنَتِه ووقتِه.

---

(١) ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٦٣).
(٢) (ص٨).

غيرَ أن الراجحَ فيه كونه بين عاشرِ البعثةِ وبين هجرته ﷺ إلى المدينة. وعلى قول من يقول إن خديجةَ ﵂ أدركتْ فريضةَ الصلواتِ، فالمعراجُ في سنة عشرٍ أو قبلَها والله أعلم، لأنها توفيتْ[1] هي وأبو طالبٍ في ذلك العامِ.

(أوذنَ بالهجرةِ) أمره اللَّهُ عز وجل بها **(نحوَ يثربَ)** وهي المدينةُ المنورةُ **(مع كل مسلم)** في ذاكَ الزمنِ **(له قد صحِبا)** على الإسلامِ، وكانت هجرةُ النبيِّ ﷺ بعد ثلاثَ عشرةَ سنةً من البعثة وهو ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً.

قال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا مطَرُ بنُ الفضلِ حدثنا رَوْحُ بنُ عبادةَ حدثنا هشامٌ حدثنا عِكرمةُ عن ابن عباس ﵄ قال: بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكث بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشرَ سنينَ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين.

وقال البغويُّ[3] رحمه الله تعالى في تفسير قولِ اللَّهِ عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]: وهذه الآيةُ معطوفةٌ على قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]. واذكر: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وأن

---

(١) انظر السيرة النبوية (٢/ ٦٦).
وأخرج البخاري في صحيحه (٧/ ٢٢٤ رقم ٣٨٩٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين».

(٢) في صحيحه (٧/ ٢٢٥ رقم ٣٩٠٢).

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).
قلت: أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ٩/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).
من طريق ابن إسحاق والكلبي **وهو ضعيف**. ومن طريق مجاهد **وسند مجاهد متصل إلى ابن عباس**.
* وأخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٣٦) **وسنده منقطع لجهالة من حدثه فقد قال**: «فحدثني من لا أتهم من أصحابنا».
ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٦٦ رقم ٢٤٦٨).
* وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧ رقم ٨٩٩٤).
فالأثر صحيح من طريق مجاهد، والله أعلم.

هذه السورةَ مدنيةٌ وهذا المكرُ والقولُ إنما كان بمكةَ، ولكن اللّهَ ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان هذا المكرُ على ما ذكره ابنُ عباس وغيرُه من أهلِ التفسيرِ أن قريشاً فرَقوا لما أسلمت الأنصارُ أن يتفاقم أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فاجتمع نفرٌ من كبارهم في دار الندوةِ ليتشاوروا في أمر رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت رؤوسُهم عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ وأبو جهلِ بنُ هشامٍ وأبو سفيان والمطعم بن عدي والنضر بن الحارث وأبو البَخْتريِّ بن هشام وزُمعةُ بنُ الأسودِ وحكيمُ بنُ حِزامٍ ونبيهٌ ومنبّهُ بنُ الحجاج وأميةُ بنُ خلفٍ، فاعترضَهم إبليسُ لعنه الله في صورةِ شيخٍ، فلما رأوه قال: شيخٌ من نجد سمعتُ باجتماعِكم فأردتُ أن أحضُركَم ولن تعدَموا مني رأياً ونُصْحاً.

قالوا: ادخُل، فدخل. فقال أبو البَختريُّ: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيتٍ وتشدُّوا وَثاقَه، وتسدوا بابَ البيتِ، غيرَ كوةٍ تُلقونَ إليه طعامَه وشرابه وتتربصوا به ريبَ المَنون حتى يهلك فيه كما هلك مَن قبلَه من الشعراء.

قال: فصرخ عدوُّ اللَّهِ الشيخُ النجْديُّ وقال: بئس الرأيُ رأيتم، والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابِه فيوشِك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. قالوا: صدق الشيخُ النجْديُّ. فقال هشامُ بنُ عمرٍو من بني عامرِ بنِ لؤيٍّ: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتُخرجوه من بين أظهرِكُم فلا يضُرُّكم ما صنع وإلى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه.

فقال إبليسُ لعنه الله: ما هذا لكم برأيٍ تعتمدونَه، تعمِدون إلى رجل قد أفسدَ أحلامَكم فتخرجونَه إلى غيركم فيُفسدهُم، ألم ترَوا إلى حلاوة منطقِه وحلاوةِ لسانِه وأخذِ القلوبِ بما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلَن قلوبَ قومٍ ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخُ النجدي.

فقال أبو جهل: واللّهِ لأُشيرَن عليكم برأيٍ ما أرى غيرَه، إني أرى أن تأخذوا من كل بطنٍ من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يُعطى كلُ فتىً منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فإذا قتلوه تفرَّق دمُه في القبائل كلِها، ولا أظنّ هذا الحيَّ من بني هاشم يقْوُون على حرب قريشٍ كلِها، وإنهم إذا رأَوا ذلك قبلوا العقْلَ فتؤدي قريشٌ دِيَتَه.

فقال إبليسُ لعنه الله: صدق هذا الفتى وهو أجودُكم رأياً، القولُ ما قال لا أرى رأياً غيرَه. فتفرقوا على قولِ أبي جهلٍ وهم مُجمعون له، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وأخبره بذلك، وأمره ألا يبيتَ في مضجعه الذي يبيت فيه، فأذن اللّٰهُ له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ أن ينامَ في مضجعه وقال له: «**اتّشح ببُردتي هذه فإنه لن يخلُصَ إليك منهم أمرٌ تكرَهه**».

ثم خرج النبيُّ ﷺ فأخذ قبضةً من تراب فأخذ اللّٰهُ أبصارَهم عنه، فجعل ينثرُ الترابَ على رؤوسِهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ - إلى قوله - ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٨ - ٩]. ومضى إلى الغار من ثَورٍ هو وأبو بكرٍ، وخلّف علياً بمكةَ حتى يؤدّيَ عنه الودائعَ التي كانت عنده، وكانت الودائعُ تودَع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركونَ يحرُسون علياً في فراشِ رسولِ اللّٰهِ ﷺ يحسَبون أنه النبيُّ ﷺ، فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا علياً ﷺ فقالوا: أين صاحبُك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثرَه وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغارَ رأوا على بابه نسْجَ العنكبوتِ فقالوا: لو دخلَه لم يكن نسجُ العنكبوتِ على بابه، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدِم المدينةَ، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠].

ويبسُطُ حديثَ الهجرةِ ما ساقه البخاريُّ[١] رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ قال: حدثنا الليثُ عن عقيلٍ قال ابنُ شهابٍ: فأخبرني عُروةُ بنُ الزبيرِ ﷺ أن عائشةَ ﷺ زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: «لم أعقِلْ أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدينان الدينَ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرَفي النهار بُكرةً وعشيةً».

فلما ابتُليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحوَ أرضِ الحبشةِ حتى إذا بلغَ بَرْكَ الغَمادِ لقيَه ابنُ الدُّغُنةِ وهو سيد القارةِ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجَني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرضِ وأعبُدَ ربي، قال ابنُ الدغنة: فإن مثلَك يا أبا بكر لا يخرُج ولا يُخرَج، إنك تكسبُ المعدومَ وتصِلُ الرحِمَ وتحمِلُ الكَلَّ وتَقْري الضيفَ وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌ، ارجع واعبُدْ ربَّك ببلدك.

---

(١) في صحيحه (٧/ ٢٣٠ - ٢٣٣ رقم ٣٩٠٥).

فرجع وارتحلَ معه ابنُ الدُغْنة، فطاف ابن الدغنةِ عشيةً في أشراف قريشٍ فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرُج مثلُه ولا يُخرج، تُخرجون رجلاً يُكسب المعدومَ ويصل الرحِمَ ويحمِل الكَلَّ ويَقْري الضيفَ ويُعين على نوائب الحقِّ؟

فلم تُكذِّبْ قريشاً بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فلْيعبُدْ ربَّه في داره، فلْيُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعْلِن به، فإنا نخشى أن يفتِنَ نساءَنا وأبناءَنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بمكةَ يعبُد ربَّه في داره ولا يستعْلِن بصلاتِه ولا يقرأ في غيرِ داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفِناء دارِه، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآنَ، فينقذِفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤُهم وهم يعجبون منه وينظُرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشرافَ قريشٍ من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدِم عليهم فقالوا إنا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبُد ربَّه في داره، فقد جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفِناء دارِه فأعلن بالصلاةِ والقراءةِ فيه، وإنا قد خشِينا أن يَفتِنَ نساءَنا وأبناءَنا فانْهَهُ، فإن أحبَّ أن يقتصِرَ على أن يعبدَ ربَّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسَلْه أن يردَّ إليك ذمّتَك، فإنا قد كرِهنا أن نُخفرَك، ولسنا مُقرِّين لأبي بكرٍ الاستعلانَ.

قالت عائشةُ: فأتى ابنُ الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمْتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصِرَ على ذلك وإما أن ترجِعَ إليَّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمَعَ العربُ أن أخفَرْتُ رجلاً عقدتُ له.

فقال أبو بكر: فأنا أردُّ إليك جِوارَك وأرضى بجوارِ اللّهِ عز وجل ـ والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة ـ فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين: «**إني رأيتُ دارَ هجرتِكم ذاتَ نخلٍ بين لابتَيْنِ**»، وهما الحرَّتان، فهاجر مَن هاجر قِبَلَ المدينةِ، ورجع عامةُ من كان هاجرَ بأرض الحبشةِ إلى المدينة.

وتجهز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ: «**على رِسْلك، فإني أرجو أن يُؤذَنَ لي**». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبَسَ أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ لِيَصْحَبَه، وعلفَ راحلتين كانتا عنده ورَق السَّمُرِ وهو الخبطُ أربعةَ أشهر.

قال ابنُ شهابٍ[1]: قال عُروةُ: قالت عائشةُ ﷺ: فبينما نحن في يوم جلوسٌ في بيت أبي بكرٍ في نحرِ الظهيرةِ قال قائلٌ لأبي بكر: هذا رسولُ الله متقنّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر، فِدىً له أبي وَأمي، واللّهِ ما جاء به في هذه الساعةِ إلا أمرٌ.

قالت: فجاء رسولُ اللّهِ ﷺ فاستأذن فأُذن له فدخل فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكر: أخرِجْ من عندَك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسولَ الله، قال: فإني قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبةَ بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله.

قال رسولُ الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخُذ بأبي أنت يا رسولَ اللّهِ إحدى راحلتيَّ هاتينِ، قال رسولُ اللّهِ ﷺ: بالثمن. قالت عائشةُ: فجهّزناهما أحثَّ الجَهازِ، وصنعنا لهما سُفرةً في جِراب، فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ قطعةً من نطاقِها فربطتْه على فم الجِرابِ فبذلك سُمّيتْ ذاتَ النطاقِ.

قالت: ثم لحِقَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثَورٍ فكَمنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندَهما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لقِنٌ، فيُدلج عندهما بسحَرٍ فيُصبح مع قريش بمكةَ كبائتٍ، فلا يسمع أمراً يُكادانِ به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبرِ ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامرُ بنُ فهيرةَ مولى أبي بكر مِنْحةً من غنَم فيُريحَها عليهم حين تذهب ساعةٌ من العِشاء فَيبيتانِ في رِسْل، وهو لبنُ منحتِهما ورضيفِهما حتى ينعَقَ بهما عامرُ بنُ فهيرةَ بغلس، يفعل ذلك في كل ليلةٍ من تلك الليالي الثلاثِ.

واستأجرَ رسولُ اللّهِ ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِيلِ وهو من بني عبد بنِ عَديٍّ هادياً خِرِّيتاً ـ والخِرّيتُ الماهرُ بالهداية ـ قد غمس حِلفاً في آل العاصِ بنِ وائلٍ السهميِّ وهو على دين كفارِ قريشٍ فأمَّناهُ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاثِ ليالٍ براحلتيهما صُبحَ ثلاثٍ، وانطلق معهما عامرُ بنُ فهيرةَ والدليلُ، فأخذ بهم طريق السواحل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ رقم ٣٩٠٥).

قال ابنُ شهابٍ[1]: وأخبرني عبدُ الرحمنِ بنُ مالكٍ المُدْلِجيّ - وهو ابنُ أخي سُراقةَ بنِ جُعْشُم يقول: جاءنا رسُل كفارِ قريشٍ يجعلون في رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبي بكر ديةَ كلِّ واحدٍ منهما مَن قتله أو أسره. فبينما أنا جالسٌ في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلِجٍ أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحن جلوسٌ فقال: يا سُراقةُ إني رأيتُ آنفاً أسوِدة بالساحل أراها محمداً وأصحابَه.

قال سُراقةُ: فعَرفتُ أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالّةً لهم. ثم لبثتُ في المجلس ساعةً ثم قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تُخرِجَ بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتحبِسُها عليّ، وأخذتُ رمحي فخرجتُ به من ظهر البيتِ، فخططتُ بزُجّه الأرضَ وخفضتُ عاليَهُ حتى أتيتُ فرسي فركبتُها فرفعتُها تقرِّب بي حتى دنوتُ منهم، فعثرَتْ بي فرسي فخرَرْتُ عنها، فقمتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي فاستخرجتُ منها الأزلامَ فاستقسمتُ بها أضرّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره.

فركبتُ فرسي وعصيتُ الأزلامَ تقرب بي، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكثر الالتفاتَ ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخرَرْتُ عنها ثم زجرتُها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمةً إذا لإثر يديها عنانٌ ساطعٌ في السماء مثلُ الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتُهم بالأمان فوقفوا، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أنْ سيظهرُ أمرُ رسولِ الله ﷺ، فقلت له: إن قومَك قد جعلوا فيك الديةَ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يريد الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاعَ، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أَخْفِ عنا، فسألتُه أن يكتبَ لي كتابَ أمنٍ فأمر عامرَ بنَ فهيرةَ فكتب في رقعة من أديمٍ. ثم مضى رسولُ الله ﷺ.

قال ابنُ شهاب[2]: فأخبرني عروةُ بنُ الزبيرِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لقيَ الزبيرَ في ركْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثياباً بيضاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٨/٧ - ٢٣٩ رقم ٣٩٠٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٨/٧ - ٢٤٠ رقم ٣٩٠٦).

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرَج رسولِ اللَّهِ ﷺ من مكةَ فكانوا يغْدون كلَّ غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يرُدَّهم حرُّ الظهيرةِ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارَه فلما أوَوا إلى بيوتِهم أوفى رجلٌ من يهودَ على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصُرَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه مُبيضين يزول بهم السراب، فلم يملِكْ اليهوديُّ أن قال بأعلى صوتِه: يا معشرَ العربِ، هذا جدّكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوا رسولَ الله ﷺ بظهر الحَرَّةِ فعدَل بهم ذاتَ اليمين حتى نزل بهم في بني عمرِو بنِ عوفٍ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيعِ الأولِ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ اللَّهِ ﷺ صامتاً، فطفِقَ مَن جاء من الأنصار من لم يرَ رسولَ الله ﷺ يُحيّ أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ، فأقبلَ أبو بكر حتى ظلّل عليه بردائِه، فعرَف الناسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عند ذلك، فلبِثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرِو بنِ عوفٍ بضْعَ عشرةَ ليلةً، وأسس المسجدَ الذي أُسّس على التقوى، وصلى فيه رسولُ الله ﷺ.

ثم ركِب راحلتَه فسار يمشي معه الناسُ حتى بركت عند مسجد النبيِّ ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين، وكان مِربداً للتمر لسهلٍ وسُهيل: غلامين يتيمين في حِجْر أسعَدَ بنَ زُرارةَ، فقال رسولُ الله ﷺ حين بركت به راحلتُه: هذا إن شاءَ اللَّهُ المنزلُ.

ثم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الغلامين فساومهما بالمِرْبد ليتخِذّه مسجداً، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسولَ اللَّهِ، فأبى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يقبلَه منهما هبةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً وطفِق رسولُ الله ﷺ ينقُل معهم اللبِنَ في بنيانِه، ويقول وهو ينقُل اللبنَ:

هـذا الـحِـمـالُ لا حـمـالُ خـيـبـرْ   هـذا أبـرُ - ربَّـنـا - وأطـهـرْ

ويقول:

الـلـهـم إن الأجـرَ أجـرُ الآخـرةْ   فـارحـم الأنـصـارَ والـمـهـاجِـرةْ

فتمثل بشعر رجلٍ من المسلمين لم يُسمِّ لي.

قال ابنُ شهاب[1]: ولم يبلُغنا في الأحاديث أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تمثل ببيت شعرٍ تامٍّ إلا هذا البيتَ.

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٤٠).

وهذا الكلامُ كما ترى ليس من باب الشعرِ ولا هو في شيء من بحوره وأوزانِه، وإنما هو كلامٌ منثرٌ اتفقت تقفيتُه لا عن قصد كما يقع كثيراً.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثني محمدٌ حدثنا عبدُ الصمدِ حدثنا أبي حدثنا عبدُ العزيزِ ابنُ صهيبٍ حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ قال: أقبل نبيُّ اللَّهِ ﷺ إلى المدينة وهو مُردفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يُعرف، ونبيُّ الله ﷺ شابٌّ لا يعرف، قال فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول: يا أبا بكرٍ: من هذا الرجلُ الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجلُ يهديني السبيلَ.

قال فيحسَب الحاسبُ أنه إنما يعني الطريقَ وإنما يعني سبيلَ الخيرِ. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحِقهم فقال: يا رسولَ الله هذا فارسٌ قد لحِق بنا، فالتفت نبيُّ اللَّهِ ﷺ فقال: **«اللهم اصرَعه»** فصرعه الفرسُ، ثم قامت تُحمحِمُ، فقال: يا نبيَّ اللَّهِ مُرْني بما شئتَ. قال: فقفْ مكانَك لا تتركُنّ أحداً يلحقُ بنا.

قال: فكان أولُ النهارِ جاهداً على نبي اللَّهِ ﷺ وكان آخرُ النهارِ مسْلَحةً له، فنزل رسولُ الله ﷺ جانبَ الحرةِ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي اللَّهِ ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنَينِ مُطاعَين، فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفّوا بهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبيُّ الله، جاء نبيُّ اللَّهِ ﷺ، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبيُّ الله جاء نبيُّ الله ﷺ، فأقبل يسير حتى نزل دارَ أبي أيوبَ، فإنه ليحدُث أهلَه إذ سمع به عبدُ الله بنُ سلام وهو في نخل لأهله يخترِفُ لهم، فعجّل أن يضَعَ الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه فتسمع من نبيِّ الله ﷺ، ثم رجَع إلى أهله، فقال نبيُّ الله ﷺ: **«أيُّ بيوتِ أهلِنا أقربُ؟»**، فقال أبو أيوبَ: أنا يا نبيَّ الله صلى الله عليك وسلم، هذه داري وهذا بابي. قال: **«فانطلقْ فهيِّئ لنا مَقيلاً»**. قال: قوما على بركة الله تعالى.

فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبدُ الله بنُ سلامٍ[2] فقال: أشهدُ أنك رسولُ اللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٢٤٩ ـ ٢٥٠ رقم ٣٩١١).

(٢) انظر ترجمته في الإصابة (٤/١٠٢ رقم ٤٧٤٣): «هو عبدُ الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف، من ذرية يوسف النبي عليه السلام، حليف القوافل من الخزرج، الإسرائيلي ثم الأنصاري. =

وأنك جئتَ بحق، وقد علمتْ يهودُ أني سيدُهم وابنُ سيدِهم، وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم، فادعُهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمتُ فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمتُ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ.

فأرسلَ نبيُّ اللَّهِ ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسولُ الله ﷺ: **يا معشرَ اليهودِ، ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله حقاً وأني جئتُكم بحق، فأسلِموا**. قالوا: ما نعلمه. قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاثَ مِرارٍ. قال: **فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ سلام؟** قالوا: ذاك سيدُنا وابنُ سيدنا وأعلمُنا وابنُ أعلمِنا. قال: **أفرأيتُم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله، ما كان لِيُسلِم. قال: **أفرأيتم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله ما كان لِيُسلم. قال: **أفرأيتم إن أسلَمَ؟** قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: **يا ابنَ سلام اخرُج إليهم**. فخرج فقال: يا معشرَ اليهودِ اتقوا اللَّهَ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنَّكم لتعلمون أنه رسولُ اللَّهِ وأنه جاء بحق، فقالوا: كذَبْتَ، فأخرَجهم رسولُ الله ﷺ.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ عثمانَ حدثنا شريحُ بنُ مَسلمَةَ حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ عن أبيه عن أبي إسحاقَ قال: سمعتُ البراءَ يحدث قال: ابتاع أبو بكرٍ مِن عازبٍ رحْلاً[2] فحملتُه معه، قال: فسأله عازبٌ عن مسير رسولِ الله ﷺ، قال: أخذ علينا بالرّصَد فخرجْنا ليلاً فأحْثَثْنا[3] ليلتنا ويومنا حتى قام قائمُ الظهيرة، ثم رُفعت لنا صخرةٌ أتيناها ولها شيءٌ من ظل، قال: ففرشتُ لرسول اللَّهِ ﷺ فروةً معي ثم اضطجع عليها النبيُّ ﷺ فانطلقتُ أنفُضُ ما حوله فإذا أنا براعٍ قد أقبل في غنمه يريد من الصخرة مثلَ الذي أردْنا، فسألتُه: لمن أنت يا غلامُ؟ فقال: أنا لفلان، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت له: هل أنت حالبٌ؟ قال: نعم.

= كان حليفاً لهم، وكان من بني قينقاع، يقال كان اسمه الحصين، فغيّره النبي ﷺ وجزم بذلك الطبري وابن سعد...».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٥٥ رقم ٣٩١٧).

(٢) الرحل للبعير بمثابة السرج للفرس. وهو أصغر من القتب. انظر: لسان العرب (٥/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٣) يقصد بعض ليلتنا.

قال: فأخذ شاةً من غنمه، فقلتُ له، انفُض الضَّرْعَ، قال: فحلَبَ كُثْبةً[1] من لبن ومعي إداوةٌ[2] من ماء عليها خِرقةٌ قد روَّأْتُها لرسول اللّهِ ﷺ، فصببْتُ على اللبن حتى برَد أسفلُه ثم أتيتُ به النبيَّ ﷺ فقلت: اشرَب يا رسولَ الله، فشرِبَ رسولُ الله ﷺ حتى رضِيتُ. ثم ارتحلْنا والطلبُ في أثرنا[3].

قال البراء[4]: فدخلتُ مع أبي بكرٍ على أهله فإذا عائشةُ ابنتُه مضطجعةٌ قد أصابتْها حُمّى، فرأيتُ أباها أقبل وقال: كيف أنتِ يا بُنية؟

وقال[5]: حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا غُندَرُ حدثنا شعبةُ عن أبي إسحاقَ قال: سمعتُ البراءَ بنَ عازبٍ ﷺ قال: أولُ ما قدِمَ علينا مصعبُ بنُ عُميرٍ وابنُ أمِّ مكتومٍ وكانا يُقرئان الناسَ، فقدم بلالٌ وسعدٌ وعمارُ بنُ ياسر، ثم قدم عمرُ بنُ الخطابِ في عشرين من أصحابِ النبيِّ ﷺ، ثم قدم النبيُّ ﷺ، فما رأيتُ أهلَ المدينةِ فرِحوا بشيء فرَحَهم برسول الله حتى جعل الإماءُ يقُلن: قدِم رسولُ الله ﷺ، فما قدِم حتى قرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. في سور من المفصل.

الإذنُ بالقتال

(وبعدَها كُلِّف بالقتال	لشيعةِ الكفرانِ والضلالِ)
(حتى أتَوا للدين منقادينا	ودخلوا في السلم مُذْعنينا)

---

(١) كثبة: كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك، والجمع كثب ومنه سُمِّي الكثيبُ من الرمل، لأنه انصبَّ في مكان فاجتمع فيه.
انظر: «النهاية» (٤/ ١٥١)، و «لسان العرب» (١٢/ ٣٤).

(٢) إداوة: بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتخذ للماء ـ كالسطيحة ونحوها وجمعها إداوي.
انظر: «النهاية» (١/ ٣٣) و «لسان العرب» (١/ ١٠٠).

(٣) قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٠ ـ ١١): وفي الحديث من الفوائد...
١ ـ خدمة التابع الحر المتبوع في يقظته، والذب عنه عند نومه.
٢ ـ شدة محبة أبي بكر للنبي ﷺ وأدبه معه وإيثاره على نفسه.
٣ ـ أدب الأكل والشرب واستحباب التنظيف لما يؤكل ويشرب.
٤ ـ استصحاب آلة السفر كالإداوة والسفرة ولا يقدح ذلك في التوكل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٥٥ رقم ٣٩١٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ رقم ٣٩٢٤ و ٣٩٢٥).

(وبعدها) أي بعد الهجرةِ **(كُلف)** أي أُمر **(بالقتال)** في سبيل اللَّهِ عز وجل **(لشيعةِ)** أعوانِ **(الكُفرانِ)** بالله وما أرسل اللَّهُ به رسلَه ونزّل به كتبَه **(والضلال)** عن صراطه المستقيم.

وكان الجهادُ بمكةَ بإقامةِ الحُجةِ والبيانِ بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أُنزل عليه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر] الآيات.

وهي أولُ ما نزل بعد فترةِ الوحي[1]، وبينها وبين نزول الآياتِ من صدر سورةِ العلقِ ثلاثُ سنينَ فيما ذكر ابنُ إسحاقَ[2] رحمه الله، وذلك مدةُ الفترةِ، وسمّى اللَّهُ تعالى تلاوةَ القرآنِ على المشركين جهاداً لهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ [الفرقان].

وأما الجهادُ المحسوسُ بالسيف فلم يكن بمكةَ مأموراً إلا بالعفو، أو

---

(١) للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/٢٧ رقم ٤) وأطرافه [٣٢٣٨، ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤].
ومسلم في صحيحه (١/١٤٣ رقم ٢٥٥/١٦١) وأحمد في «المسند» (٣/٣٢٥ و ٣٧٧) ومالك في «الموطأ» (١/٢٠٢، ٢٠٣).
من حديث جابر بن عبد الله قال: ـ وهو يحدث عن فترة الوحي ـ فقال في حديثه: **«بينما أنا أمشي، إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري فإذا الملكُ الذي جاءني بحِراء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرُعِبْتُ منه، فرَجَعْتُ فقلت: زَمِّلوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّها المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** [المدثر: ١ ـ ٥]. **فحميَ الوحيُ وتتابع»**.
وقال الحافظ في «الفتح» (١/٢٨): ودلَّ قوله: «عن فترة الوحي»، قوله: **«الملك الذي جاءني بحراء»**، على تأخر نزول سورة المدثر عن اقرأ.
وقوله: **«فحمي الوحي»** أي جاء كثيراً، وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور، إذ لم ينته إلى انقطاع كلي فيوصف بالضد وهو البرد.
وقوله: **تتابع»** تأكيد معنوي، ويحتمل أن يُراد **«بحمي»** قوي وتتابع وتكاثر...».

(٢) قال ابن إسحاق في «السيرة» (١/٣٠٦): «ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك حتى شقَّ عليه فأحزنه...».
وقال ابن سعد في «الطبقات» (١/١٩٦): «.. لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل فحزن حزناً شديداً...».
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/١٧): «وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصف...».

الإعراضِ عن الجاهلين والصبرِ على أذاهم، واحتمالِ ما يُلقى منهم، كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩][(١)] الآيات.

وقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤][(٢)] الآياتُ وغيرُها.

ولهذا قال أئمة التفسيرِ إن آياتِ الإعراض عن المشركين نسختْها آياتُ السيف، فلما هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، وصارت لهم دارَ مَنَعةٍ وإخوانَ صدقٍ وأنصارَ حقٍّ، أذِن اللّهُ تعالى لهم في الجهاد فقال عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن

---

(١) قال الطبري في «جامع البيان» (٦/ج٩/ ١٥٥): «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه خُذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم».

(٢) وقد ذكر محقق «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس (١/ ٥١٥ ـ ٥١٦) «أنه لا تعارض في الحقيقة بين آيات الأمر بالعفو والصفح والإعراض عن المشركين، وبين آيات القتال وأنّ كل منهما موقوتةٌ بمناسبتها، وأنه للأمةِ أن تطبق منها ما قدرت عليه حسب مراحل قوتها وضعفها، فتطبق الأمر بالقتال حال قوتها، وتطبق الأمر بالعفو والصفح والإعراض حال ضعفها، وعلى هذا فلا نسخ».

يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] - إلى أن قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف] الآية.

وقال النبيُّ ﷺ: **«أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»**[1] الحديث.

وقال ﷺ: **«بُعثت بالسيف بين يدي الساعةِ حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له بأن يقولوا: لا إله إلا الله»**[2] أو كما قال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٧٥ رقم ٢٥). ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣ رقم ٣٦/ ٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠، ٩٢) **بسند صحيح**.

وابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢١٣ رقم ٢٣١) كلهم عن ابن عمر **بسند قوي**.

* وعلّق البخاري في صحيحه (٦/ ٩٨) جزءاً منه عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: **«جُعل رزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعلَ الذِّلةُ والصَّغار على مَن خالف أمري»**.

* وقال الحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٤٥ - ٤٤٦): **وله شاهد بإسناد حسن لكنه مرسل**. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٢٢).

وقال ﷺ: «اغزُوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله»[1] الحديث. والآياتُ والأحاديثُ في الجهاد أكثرُ من أن تُحصى، وقد أُفردتْ لها مصنفاتٌ مستقلاتٌ.

والجهادُ ذُروةُ سنامِ الإسلامِ، ولا يقوم إلا به، كما أن بيانَ شرائِعه لا تقوم إلا بالكتاب، ولهذا قرَن اللَّهُ تعالى بينهما فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. فالكتابُ لبيان الحقِ والهدايةِ إليه، والحديدُ لحمل الناسِ على الحقِ وأطْرِهم عليه.

[انتشار الإسلام وإذعان الناس له]

والمقصودُ أن النبيَّ ﷺ حين أذن الله له بالقتال وأمره به، شمّر عن ساعد الاجتهادِ في شأنه وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورةِ والغزواتِ المذكورةِ كبدر وأُحد والخندقِ وخيبرَ والفتحِ وغيرِها فوق عشرين غزوةً وفوق أربعين سريةً، ونصره اللَّهُ بالرعب[2] في قلوب أعدائه مسافةَ شهر، حتى فتح الله به وبكتابه وأنصارِه البلادِ والقلوبَ وعمَرها، ففتح البلادَ بالسيف والقلوبَ بالإيمان، وعَمر البلادَ بالعدل والقلوبَ بالعلم، فلله الحمدُ والمنة.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[3] رضي الله عنه: بُعث النبيُّ ﷺ بأربعةِ أسيافٍ: سيفُ للمشركين: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وسيفٍ للمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وسيفٍ لأهل الكتاب: ﴿قَٰتِلُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٧ رقم ٣/ ١٧٣١).
وأبو داود في «السنن» (٣/ ٨٣ رقم ٢٦١٢) والترمذي رقم (١٦١٧) وابن ماجه في «السنن» رقم (٢٨٥٨).
من حديث سليمان عن بريدة عن أبيه. **وهو حديث صحيح**.

(٢) يشير رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ رقم ٣٣٥) وطرفاه رقم (٤٣٨، ٣١٢٢).
عن جابر بن عبد الله أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«أُعطيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهر، وجُعِلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أُمتي أدركَتْهُ الصلاةُ فليُصَلِّ، وأُحلتْ ليَ المغانمُ ولم تُحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامّة»**.

(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٥٠).

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وسيفٍ للبُغاة: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وقد بذل المهاجرون والأنصارُ مع رسول الله ﷺ أموالَهم وأنفسَهم في سبيل الله كما وصفَهم اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وبذل المشركون جهدَهم ومجهودَهم في عداوته وقتالِه وألّبوا وتحزّبوا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٣٦] الآيات. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف]، فقد فعل تبارك وتعالى.

(حتى أتوا للدين) دينِ الإسلامِ **(منقادينا)** الألفُ للإطلاق، طَوعاً وكَرهاً، **(ودخلوا في السلم)** أي الإسلام **(مذعنينا)** مستسلمين.

وكان مُعظمُ ظهورِه بعد الفتحِ لأن الناسَ كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً لأنهم في الجاهلية هم سادةُ العربِ وقادتُها، وكذلك هم في الإسلام، فلما أسلموا بادر كلُ قومٍ بإسلامِهم.

وتواترت الوفود إلى رسول اللَّهِ ﷺ من كل فجٍ عميق، وانتشر الإسلامُ وجرتْ أحكامُه، وانتشرت أعلامُه في كل جزيرة العربِ والنبيُّ ﷺ حيٌّ، وأنزل اللَّهُ عز وجل عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر].

ولهذا علم هو وأصحابُه أن ذلك أجلُه، أعلمه اللَّهُ به، كما قال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ حدثنا أبو عَوانَة عن أبي بشرٍ عن سعيد بنِ جُبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمرُ يدخلني مع أشياخ بدْرٍ، فكأن بعضَهم وجد

---

(١) في صحيحه (٨/٢٠ رقم ٤٢٩٤).

في نفسه فقال: لِمَ تُدخلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عمرُ: إنه من حيث علمتم.

فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رؤِّيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليُريَهم أنه قال: ما تقولون في قول اللّهِ تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

فقال بعضُهم: أُمرنا أن نحمَدَ اللَّهَ ونستغفِرَه إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضُهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذلك تقول يا ابنَ عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسولِ اللّهِ ﷺ أعلَمَه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وذلك علامةُ من أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

فقال عمرُ: ما أعلمُ منها إلا ما تقول.

وفرض الله عليه بعد الهجرة جميعَ الفرائضِ التي لم تُفرضْ من قبلُ، فالجهادُ في السنة الأولى[١]، وأُتمت صلاةُ السفر في الأولى[٢]، وشُرع الأذانُ[٣] والصيامُ[٤] وزكاةُ الفطرِ وزكاةُ النُصب وتحويلُ القبلة إلى الكعبة كلُّها في الثانية[٥]، وشُرع التيمُم سنةَ ستٍ[٦]، وصلاةُ الخوفِ سنةَ سبعٍ[٧]، والحجُ في السادسة[٨] وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة وفيها حجَّ ﷺ، وأنزل اللّهُ عز وجل عليه وهو واقفٌ بعرفةَ يوم الجمعة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كما قدمنا في الحديث في الصحيحين[٩].

---

(١) بل فرض الجهاد في الثانية من الهجرة. انظر: «فقه السنة» (٣/ ٢٩).
(٢) وهو كما قال.
(٣) انظر: «فتح الباري» (٢/ ٧٨).
(٤) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣٠).
(٥) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٦٦) و «الطبقات» لابن سعد (١/ ٢٤١).
(٦) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).
(٧) وهو كما قال.
(٨) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ١٠١).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٧٠ رقم ٤٦٠٦).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٢ رقم ٣/ ٣٠١٧).

وفاتُه صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه

(وبعد أن قد بَلَّغ الرسالة ... واستنقذ الخلقَ من الجَهالة)
(وأكمل الله به الإسلاما ... وقام دينُ الحقِّ واستقاما)
(قبضَه الله العليُّ الأعلى ... سبحانه إلى الرفيق الأعلى)

(وبعد أن قد بلغ) الرسولُ محمدٌ ﷺ **(الرسالةَ)** من القرآن وبيانَه أمراً ونهْياً وخبراً ووعداً ووعيداً وقَصَصاً، **(واستنقذ الخلقَ)** حتى أنقذَهم اللَّهُ به **(من الجهالة)** من الشرك وما دونه **(وأكمل الله به الإسلاما)** بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها، **(وقام)** ظهر **(دين الحقِ)** الذي بعثه اللَّهُ ليُظهره على الدين كلِّه، **(واستقاما)** اعتدل فلم يبقَ عليه غبارٌ ولا عنه معدِلٌ، وذهبت عنه غياهبُ الشركِ وظُلَمُ الغيِّ وطِغايةُ الشبهات، وجاء الحقُّ وظهر أمرُ الله وهم كارهون: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، وتبين الرشدُ من الغي، والشركُ من التوحيد، والصدقُ من النفاق، واليقينُ من الشك، وسبيلُ النجاةِ من سُبل الشكِّ، وطريقُ الجنةِ من طريق جهنم: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

ولم يبقَ من خير آجلٍ ولا عاجلٍ إلا دل الأمةَ عليه، ولا شرٌ عاجلٍ ولا آجلٍ إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه، حتى ترك أمتَه على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يَزيغُ عنها إلا هالكٌ[1]، وترك فيهم ما لن يضلّوا إن تمسكوا به، كتابَ الله، وبعد

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
والدارمي في «السنن» (١/ ٤٤ ـ ٤٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥ ـ ٩٦) وقال: **«صحيح ليس له علة».** ووافقه الذهبي.
وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٧، ٣١ ـ ٣٤، ٢٨، ٥٤، ٥٦، ٥٧).
عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري السلمي أنه سمع عرباض بن سارية يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله! إن هذه لموعظة مُودِّع فماذا تعهد إلينا؟ قال: **«تركتكم على البيضاء ليلُها كنهارِها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن يعش فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء** =

هذا (قبضه الله العليُّ) بجميع معالي العلوّ ذاتاً وقهراً وقدْراً (الأعلى) بكل تلك المعاني، فلا شيءَ أعلى منه عز وجل (سبحانه).

وكان قبضُه إياه (إلى الرفيق الأعلى) وهي أعلى عِليّين، وهي الوسيلةُ التي هي أعلى درجةً في الجنة ولا تنبغي إلا له ﷺ، وقد أمرَنا أن نسأل[1] اللَّهَ له ذلك، اللهم آتِ نبيَّنا محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ آمين.

وكانت وفاتُه ﷺ في ربيعِ الأولِ نهارَ الاثنين[2] بعد حجَةِ الوداعِ بفوق ثمانين ليلةً، قال تبارك وتعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر].

= **المهديين الراشدين، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشياً، عضُوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمنُ كالجمل الأنف، كلما قيد انقاد».**
وهو حديث صحيح.

(١) للحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦١٤) و (٤٧١٩) وأبو داود رقم (٥٢٩) والترمذي رقم (٢١١) والنسائي في «السنن» (٢/ ٢٦ رقم ٦٨٠) وفي «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٦) وابن ماجه رقم (٧٢٢).
وأحمد (٣/ ٣٥٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤١٠).
وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥) وابن خزيمة (١/ ٢٢٠ رقم ٤٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٢٨٤). وقال: **حديث صحيح.**
والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ١٤٦).
عن جابر - رضي الله عنه - أن رسولَ الله ﷺ قال: **«من قال - حين يسمع النداء - اللهُمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التّامةِ والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت لَهُ شفاعتي يوم القيامة».**

(٢) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٢٥٣).

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ حدثنا سفيانُ عن سليمانَ الأحول عن سعيد بنِ جبيرٍ قال ابن عباس: يوم الخميسِ وما الخميسُ، اشتد برسول الله ﷺ وجعُه فقال: **«آتوني أكتبْ لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»**. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازعٌ، فقالوا: ما شأنه، استفهموه فذهبوا يُردّون عليه فقال: **«دعوني فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه»**.

وأوصاهم بثلاث قال: **«أخرجوا المشركين من جزيرةِ العربِ، وأجيزوا الوفدَ بنحو ما كنت أُجيزهم»**، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتُها.

وله[2] عن عائشةَ ﵂: دخلَ عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ على النبيِّ ﷺ وأنا مُسنِدتُه إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواكٌ رطْبٌ يستنّ به، فأبَدَّهُ رسولُ اللّهِ ﷺ بصره، فأخذتُ السواكَ فقصمتُه ونفضتُه وطيّبتُه ثم دفعتُه إلى النبيِّ ﷺ فاستنّ به، فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ استنّ استناناً قطُّ أحسنَ، فما عدا أن فرغَ رسولُ الله ﷺ رفع يدَه أو إصبَعه ثم قال: **«في الرفيق الأعلى»** ثلاثاً ثم قضى. وكانت تقول[3]: مات ورأسُه بين حاقِنتي وذاقِنتي.

وفي رواية[4] قالت: وبين يديه رِكْوةٌ فيها ماءٌ فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهَه ويقول: **«لا إله إلا الله، إن للموت سكراتٍ»**، ثم نصب يدَه فجعل يقول: **«في الرفيق الأعلى»**. حتى قُبض ومالت يدُه.

وفي أخرى[5] قالت: فجمع اللّهُ بين ريقي وريقِه في آخر يومٍ من الدنيا وأولِ يومٍ من الآخرة.

وفي الصحيحين[6] وهذا لفظُ مسلمٍ عن عبيد اللّهِ بنِ عبدِ الله قال: دخلتُ

---

(١) في صحيحه (٨/ ١٣٢ رقم ٤٤٣١).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨ رقم ٢٠/ ١٦٣٧).
(٢) للبخاري في صحيحه (٨/ ١٣٨ رقم ٤٤٣٨).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٠ رقم ٤٤٤٦).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٤ رقم ٤١٤٩).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٤ رقم ٤٤٥١).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣ رقم ٦٨٧).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣١١ ـ ٣١٢ رقم ٩٠/ ٤١٨).

على عائشةَ رضي الله عنها فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسولِ الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثقلَ النبيُّ ﷺ فقال: «**أَصَلَّى الناسُ؟**»، قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله. قال: «**ضعوا لي ماءً في المِخْضب**»، ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لِينوءَ فأُغميَ عليه، ثم أفاق. فقال: «**أصلى الناس؟**»، قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله. فقال: «**ضعوا لي ماء في المِخْضب**» ففعلنا فاغتسل، ثمَّ ذهب لينوءَ فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله. فقال: «**ضعوا لي ماءً في المِخْضب**» ففعلنا، فاغتسل ثمَّ ذهب لينوء فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناسُ؟**»، فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله.

قال: والناسُ عكوفٌ في المسجد ينتظرون رسولَ الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسولُ فقال: إن رسولَ اللّهِ ﷺ يأمرُك أن تُصليَ بالناس.

فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقاً ـ يا عمرُ صلِّ بالناس. قال فقال عمرُ: أنت أحقُّ بذلك. قالت: فصلى أبو بكرٍ بالناس تلك الأيام.

ثم إن رسولَ الله ﷺ وجد من نفسه خِفةً فخرج بين رجلين أحدُهما العباسُ لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّرَ فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلِساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى جنب أبي بكرٍ، وكان أبو بكر يصلي وهو قائمٌ بصلاةِ النبيِّ ﷺ، والناسُ يصلون بصلاةِ أبي بكر، والنبيُّ ﷺ قاعدٌ. الحديث.

وفيه[1] عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسولِ اللّهِ ﷺ الذي تُوفِّيَ فيه، حتى إذا كان يومُ الاثنين وهم صفوفٌ في الصلاة كشف رسولُ اللّهِ ﷺ سِتْرَ الحُجرة، فنظرنا إليه وهو قائمٌ كأن وجهَه ورقةُ مُصْحف، ثم تبسم رسولُ اللّهِ ﷺ ضاحكاً فبُهِتْنا ونحن في الصلاة من فرحٍ بخروج رسولِ الله ﷺ، ونكَص أبو بكر على عقِبيه ليصِلَ الصفَّ، وظنَّ أن رسولَ اللّهِ ﷺ خارجٌ للصلاة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٤ رقم ٦٨٠) وأطرافه رقم (٦٨١ و ٧٥٤ و ١٢٠٥ و ٤٤٤٨).

ومسلم في صحيحه (١/ ٣١٥ رقم ٩٨/ ٤١٩).

فأشار إليهم رسولُ الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتَكم، قال: ثم دخل رسولُ الله ﷺ فأرخى السِتْرَ، قال: فتوفِّيَ رسولُ الله ﷺ من يومه ذلك».

وفي رواية[1] قال: لم يخرج إلينا نبيُّ اللَّهِ ﷺ ثلاثاً، فأُقيمت الصلاةُ فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبيُّ اللَّهِ ﷺ بالحجاب فدفعه، فلما وَضَحَ لنا وجهُ نبيِّ الله ﷺ ما نظرنا منظراً قطُّ كان أعجبَ إلينا من وجه النبيِّ ﷺ حين وضح لنا.

وقال البخاري[2] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدثنا الليثُ عن عقيلٍ عن ابن شهابٍ قال: أخبرني أبو سلمةَ أن عائشةَ رضي الله عنها أخبرتْه أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنُح حتى نزل فدخل المسجدَ فلم يكلِّم الناسَ حتى دخل على عائشةَ فتيمَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو مُغشّىً بثوبِ حبرة، فكشف عن وجهه.

ثم أكبَّ عليه فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللَّهِ لا يجمعُ اللَّهُ عليك موتتين: أما الموتةُ التي كُتبت عليك فقد مُتّها.

قال الزهري[3]: وحدثني أبو سلمةَ عن عبد الله بنِ عباسٍ أن أبا بكر خرج وعمرُ بنُ الخطابِ يكلم الناسَ فقال: اجلِس يا عمرُ، فأبى عمرُ أن يجلِس، فأقبل الناسُ إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعدُ من كان منكم يعبُد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبُد الله فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموت. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤ - ١٤٥].

وقال: واللَّهِ لكأن الناسَ لم يعلموا أن اللَّهَ تعالى أنزلَ هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

فأخبرني[4] سعيدُ بنُ المسيِّب أن عمرَ رضي الله عنه قال: واللَّهِ ما هو إلا أن سمعتُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٤ - ١٦٥ رقم ٦٨١).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣١٥ - ٣١٦ رقم ١٠٠/ ٤١٩).
(٢) في صحيحه (٨/ ١٤٥ رقم ٤٤٥٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٥ رقم ٤٤٥٤).
(٤) تقدم آنفاً في صحيح البخاري رقم (٤٤٥٤).

أبا بكر تلاها فعقَرتُ حتى لا تُقلُّني رجلاي، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتُه قالها أن النبيَّ ﷺ قد مات.

تبليغُه صلواتُ الله عليه رسالةَ اللَّهِ

(نشهد بالحق بلا ارتياب	بأنه المرسلُ بالكتاب)
(وأنه بلّغ ما قد أرسلا	به وكلَّ ما إليه أُنزلا)

(نشهد بالحق) بيقين وصدق **(بلا ارتياب)** بدون شكٍّ **(بأنه المرسل بالكتاب)** بالقرآن إلى كافة الناسِ ببعثةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

يمتنّ تبارك وتعالى بأجلّ نِعَمِه على عباده وأعظمِها وأعلاها وأتمِّها وأكملِها: إرسالُه فيهم محمداً ﷺ رسولاً من عند اللَّهِ تبارك وتعالى العليِّ العظيم الذي ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، بكلامه الذي هو صفتُه، وهو كتابُه العزيزُ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، ليهديَهم به من الضلالة، ويبصِّرُهم به من العمى، ويُنْقِذُهم به من درَكات الردى، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١ ـ ٢].

يا لها نعمةً ما أعظمها وأجلَّها، ومنَّةً ما أكملها وأجزلَها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. أكملَ تلك النعمةَ وأتمها وزادها جلالاً بكون ذلك الرسولِ من أنفسِهم يعرِفون شخصَه ونسَبَه ورحِمَه، ما من أهل بيتٍ من العرب إلا وله ﷺ فيهم نسبٌ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

ثم جعل الرسالةَ بلسانِهم الذي به يتحاورون، ومن جنس كلامِهم الذي فيه يتفاخرون، معجزاً بالفصاحة التي في ميدانِها يتسابقون بأوضحِ المباني وأفصحِها، وأكمل المعاني وأصحِّها، مع اتساق سياقِه وسلاسة ألفاظِه، وانتساقِ تراكيبِه وملاحةِ مفرداتِه.

ثم مع هذا التالي له من أنفسهم رسولٌ من عند ربهم ثم هو ﷺ مُؤدٍّ لتلك الأمانةِ، مبلغٌ كلامَ ربه كما قاله ربُّ العزةِ لم يقله النبيُّ ﷺ بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢]، الضميرُ لله عز وجل ليسمعوا لذيذَ خطابه. ويتأملوا لطيفَ عتابِه: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]. يطهرهم ظاهراً وباطناً حساً ومعنى لمن التزمه واتبعه.

أما قلوبُهم فيزكيها بالإيمان من دَنس ورِجْس الشركِ ورجزه كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، و ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاقِ الظاهرةِ والباطنةِ من مساوئها وكذا يطهرهم من جميع الذنوبِ بالتوبة النَّصوح، وكذا يطهر ظواهرَهم بما أمرهم به وأرشدَهم إليه من الطهارات الحسيةِ من الأحداثِ والأنجاس على اختلاف أضربُها ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الجمعة: ٢] القرآنَ المجيد، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] السنةَ النبويةَ التي هي تبيانُ القرآنِ وتفسيرُه وتوضيحُه، وتدل كما قال اللّهُ تعالى له ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال النبيُّ ﷺ: **«أُتيتُ القرآنَ ومثلَه»**[١] يعني السنةَ، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٠ ـ ١٢ رقم ٤٦٠٤). وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣١).
وهو حديث صحيح.

[الجمعة: ٢] إرسالِه إليهم وبَعْثه فيهم ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] من الشركِ وعبادةِ الأصنام وغيرِ ذلك من السُّبل المُضلةِ عن الصراط المستقيمِ، الموجبةُ لدخول جهنَمَ، والخلودِ في عذابها الأليم المقيم، أجارنا الله منها.

وذلك تأويلُ دعوةِ أبينا إبراهيمَ عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. فاستجاب اللَّهُ له تلك الدعوةَ المباركةَ كما قضى الله عز وجل ذلك في الأزل وسبق علمُه، وسطّره في كتابه، وأخذ على رسله الميثاقَ في الإيمان به، والقيامِ بنصره كما قال تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال النبيُّ ﷺ فيما روى التِرمذيُّ[1]: «كنتُ نبياً وآدمُ منجدلٌ في طينته»[2].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ عند الترمذي.

* بل أخرجه أحمد (١٢٧/٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦٨/٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٢٠٧٢) و (٢٠٧٣) و (١٨/رقم ٦٢٩ و ٦٣٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٨٠/١) و (١٣٠/٢) والآجري في «الشريعة» (ص٤٢١) من طرق عن معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية به.

* وأخرجه أحمد (١٢٨/٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٠٩) والطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٦٣١) والبزار (٣/ ١١٢ ـ ١١٣ رقم ٢٣٦٥ ـ كشف) والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٨٣/١) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، عن سعيد بن سويد، عن العرباض به.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢٣/٨) وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار، والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) على تقدير صحته ليس معناه أنه كان قد نبئ يومئذ، ولا أنه ولد نبياً ولم يبدأه الوحيُ إلا بعد تمام الأربعين من عمره، وذلك العمر الذي قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ=

وفي رواية أخرى[1]: «وآدمُ بين الروح والجسد». يعني وجبت له في الكتاب، ولأن السائلَ قال له: متى وجبت لك النبوةُ؟ هذا معنى الحديث.

وقال ﷺ[2]: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرى عيسى، ورؤيا أمي» أو كما قال. فأما دعوةُ إبراهيم فما في الآية السابقة، وأما بشرىٰ عيسى فقول الله عز وجـــــل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. الآية.

وأما رؤيا أمِّه فإنها رأت كأنه خرج منها نورٌ أضاء له قصُور بُصْرى من أرض الشام، الحديث.

وقد شهد اللّهُ تبارك وتعالى له بالرسالة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى:

= عُمُراً مِن قَبْلِهِ﴾ [يونس: ١٦]. وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. الآية. وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِليك الكِتَابُ﴾ [القصص: ٨٦]. وقال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]. ولعله قد بسط هذا المعنى في موضع غير هذا. اهـ مؤلفه.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٦٠٩) والحاكم (٢/ ٦٠٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٣٠) من طرق عن الوليد بن مسلم، قال: حدثني الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن غريب.**
* وأخرجه أحمد (٥/ ٥٩) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٨٣٣ و ٨٣٤) والحاكم (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٢٩) من طريقين عن بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٣) رجاله رجال الصحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢) والطيالسي في «المسند» رقم (١١٤٠) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠٢) والطبراني في «الكبير» رقم (٧٧٢٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٤) من طريق الفرج بن فضالة عن لقمان بن عامر، عنه.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٢) وقال: «رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقويه. ورواه الطبراني» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال تبارك وتعالى في عموم رسالتِه إلى الأحمر والأسودِ والجنِّ والإنس: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

ومعنى كونه أمياً: لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك أمتُه أمّية لا يقرأون ولا يكتبون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود: ٤٩]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال تعالى أيضاً في ذكر عموم رسالتِه إلى أهلِ الشرائعِ من قبله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة]. الآيات.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم(١) عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطيَ من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة**».

وفيه(٢) عنه ﷺ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**».

وفي حديثِ الخصائصِ: «**وكان النبيُ يبعث إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناس عامة**». وهو في الصحيحين(٣).

---

(١) في صحيحه (١/ ١٣٤ رقم ١٥٢).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣ رقم ٤٩٨١) وطرفه رقم (٧٢٧٤).
(٢) صحيح مسلم (١/ ١٣٤ رقم ٢٤٠/ ١٥٣).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣٦ رقم ٣٣٥) وطرفاه رقم (٤٣٨ و ٣١٢٢).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١ رقم ٣/ ٥٢١).

وقال رسولُ[1] اللَّهِ ﷺ: **«لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني لضلَلْتم»**.

وقال ﷺ: **«لو كان موسى حياً ما وسِعَه إلا اتباعي»**[2].

وأخبر[3] ﷺ أن عيسى ينزل حَكَماً بشريعة نبيِّنا محمدٍ ﷺ يُقيم كتابَ اللَّهِ وسنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلا ناسخَ ولا مُغيِّرَ لشريعتِه، ولا يسع أحداً الخروجُ عنها. ولله الحمدُ والمنة.

[اختصاصه ﷺ
بعموم الرسالة إلى الثقلين]

والمقصودُ أن اللَّهَ تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالةِ إلى الثقلين، ولم يقبل من أحد صِرفاً ولا عَدلاً إلا باتباعه، ولا يصلُ أحدٌ دارَ السلامِ التي دعا الله إليها عبادَه إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرمُ الرسل، وأمتُه خيْرُ الأمم، وشريعتُه أكملُ الشرائع، وكتابُه مهيمنٌ على كل كتابٍ أُنزل، لا نسْخَ له بعده ولا تغييرَ، ولا تحويلَ ولا تبديلَ، وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرةِ والآياتِ الباهرةِ التي أعظمُها هذا القرآنُ الذي تحدّى اللَّهُ به أفصحَ الأمم وأبلَغها وأقدَرها على المنطِق وأكثرَها فيه اتساعاً وأطولَها فيه باعاً.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧١ و ٤/ ٢٦٦) من حديث عبد الله بن ثابت عن عمر. **سنده حسن ويشهد له ما بعده.**

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» (١/ ١٢٢ ـ رقم ٤٤١) من حديث جابر: أن عمر بن الخطاب أتى رسولَ الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسولَ الله، هذه نسخة من التوراة فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسولُ الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً.
فقال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكُم موسى فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني»**.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٢٢) ورقم (٢٤٧٦ و ٣٤٤٨) ومسلم رقم (٢٤٢/ ١٥٥) والترمذي رقم (٢٢٣٣) وابن منده في «الإيمان» رقم (٤٠٧) وعبد الرزاق رقم (٢٠٨٤٠) وأحمد (٢/ ٢٤٠) والحميدي رقم (١٠٩٧) وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٤) وابن ماجه رقم (٤٠٧٨) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لَيُوشكنَّ أن ينزل فيكُمُ ابنُ مريم حكماً مُقْسِطاً يكسر الصليبَ، ويقتُلُ الخنزير، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبله أحدٌ»**.

وأكملَها على أضرُبِه وأنواعِه اطلاعاً، مع عِظَم محادّتِهم له ومشاقّتِهم فيه وشدةِ حرصِهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارةٍ وأوجزِها وأمتنِها وأجزلِها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدِر أحدٌ منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين، لا في زمن واحدٍ ولا في أزمان، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. وغيرُ ذلك من الآيات.

ولهذا لما أراد مسيلمةُ[١] الكذابُ معارضتَه مكابرةً، ومباهاته مع علمه أنه لا يقدر على شيء البتةَ، فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامَه أسمَجَ ما يُسمع وأركَّ ما يُنطق به، وصار أضحوكةً للصبيان في كل زمانٍ ومكان، حتى إنه لا يشبه كلامَ

---

(١) هو مسيلمةُ بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة متنبئ، من المعمرين.
وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة».
ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب «العيينة» بوادي حنيفة، في نجد.
وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعُرف برحمان اليمامة.
ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة وافتتح النبيُّ ﷺ مكة ودانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد، وذكروا للنبي ﷺ مكان مسيلمة، فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشرّكم مكاناً.
ولما رجعوا إلى ديارِهم كتب مسيلمة إلى النبي ﷺ: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصفُ الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشٌ قومٌ يعتدون».
فأجابه: **«بسم الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتقين».**
انظر الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢٦).

العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنَّثين، وصار كذِبُه معلوماً عند كل أحدٍ، ووسَمه اللَّهُ عز وجل على لسان نبيِّه محمدٍ ﷺ باسم الكذاب فلا يُسمّى إلا به ولا يُعرف إلا به، حتى صار أشهرَ عليه من العلم، بل لا علَمَ له غيرُه أبداً.

ويروى أن أصحابَ الفيلسوفِ[1] الكِنْديِّ قالوا له: أيها الحكيم اعمَل لنا مثلَ هذا القرآن، فقال: نعم أعمَل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرةً ثم خرج فقال: واللَّهِ ما أقدر ولا يُطيق هذا أحدٌ، إني فتحتُ المُصحفَ فخرجتْ سورة المائدةِ، فنظرتُ فإذا هو قد نطَقَ بالوفاء ونهى عن النُّكثِ وحلّل تحليلاً عاماً، ثم استثنى بعد استثناءٍ، ثم أخبر عن قُدرته وحكمتِه في سطرين، ولا يقدر أحدٌ أن يأتي بهذا.

قلت: وهذا الذي قاله الفيلسوفُ مقدارُ فهمِه ومبلغُ علمِه، وإلا فبلاغةُ القرآنِ فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشرُ أن يصِفوا صفاتِ من ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

ومن ذلك انشقاقُ القمرِ قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. الآيات.

وفي الصحيحين[2] عن أنس رضي الله عنه قال: «سأل أهلُ مكةَ أن يُريهم آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر».

وعن ابن مسعودٍ[3] رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسولِ اللَّهِ ﷺ فِرقتين: فِرقةً فوق الجبلِ وفرقةً دونه، فقال رسولُ الله ﷺ: **اشهدوا**». زاد في رواية[4]: «ونحن مع النبيِّ ﷺ».

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي فيلسوف العرب.
يكنى أبا يوسف. ذكره ابن النجار وكان متهماً في دينه.
له مصنفات كثيرة في المنطق والنجوم والفلسفة وله معرفة بالأدب.
انظر: «لسان الميزان» (٦/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦١٧ رقم ٤٨٦٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٩ رقم ٤٦/ ٢٨٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦١٧ رقم ٤٨٦٤).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٨ رقم ٤٤/ ٢٨٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٦١٧ رقم ٤٨٦٥).

ومنها حنينُ الجِذْعِ إليه ﷺ كما في الصحيح[١] عن جابر بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ كان يقومُ يوم الجمعة إلى شجرةٍ أو نخلةٍ، فقالت امرأةٌ من الأنصار أو رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ ألا نجعلَ لك منبراً؟ قال: «**إن شئتم**»، فجعلوا له منبراً، فلما كان يومُ الجمعة دفعَ إلى المنبر فصاحت النخلةُ صياحَ الصبيِّ، ثم نزل النبيُّ ﷺ فضمّها إليه تئنّ أنينَ الصبيِّ الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

وفي رواية[٢]: قال فلما صُنع له المنبرُ وكان عليه فسمِعنا من ذلك الجذع صوتاً كصوتِ العِشارِ، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنتْ».

فيا حامداً معنىً بصورةِ عاقلٍ | **أما لك من قلب شهيدٍ ولا سمعِ**
يحِن إليه الجذعُ شوقاً، وما لنا | **ألسنا بذاك الشوقِ أولى من الجذعِ**

ومنها تسبيحُ الطعامِ وتكثيرُ القليلِ بإذن اللَّهِ عز وجل، ونبعُ الماء من أصابعِه الشريفةِ ﷺ، كما في الصحيح[٣] عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «كنا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعُدونها تخويفاً. كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفر فقلَّ الماءُ فقال: «**اطلبوا فضلةً من ماء**». فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «**حيَّ على الطهور المباركِ والبركة من الله عز وجل**»، فلقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسولِ الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكل».

وعن أنس[٤] رضي الله عنه قال: «أتيَ النبيُّ ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماءُ ينبُع من بين أصابِعه فتوضأ القومُ، قال: وكانوا ثلاثمائة أو زهاءَ ثلاثمائة».

وعن سالم بنِ أبي الجعْدِ عن جابر[٥] بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: عطِشَ الناسُ

---

(١) البخاري (٦/ ٦٠١ ـ ٦٠٢ رقم ٣٥٨٤).
(٢) عند البخاري في صحيحه (٦/ ٦٠٢ رقم ٣٥٨٥).
(٣) البخاري (٦/ ٥٨٧ رقم ٣٥٧٩).
(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٥٨٠ رقم ٣٥٧٢).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٣ رقم ٦/ ٢٢٧٩).
(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٥٨١ رقم ٣٥٧٦) وأطرافه رقم (٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠، ٥٦٣٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٣ رقم ٥/ ٢٢٧٩).

يوم الحُديبية والنبيُّ ﷺ بين يديه ركوةٌ فتوضأ، فجهش الناسُ نحوَه فقال: ما لكم؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك.

فوضع يدَه في الركوة فجعل الماءُ يفور بين أصابِعه كأمثال العيونِ فشرِبنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا، كنا خمسَ عشرةَ مِائةٍ».

وعن البراء بن عازب[1] ﷺ قال: «كنا يوم الحُديبية أربعَ عشرةَ مائةٍ والحديبيةُ بئرٌ فنزَحناها حتى لم نترك فيها قطرةً، فجلس النبيُّ ﷺ على شفير البئرِ فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر فمكثنا غيرَ بعيد، ثم استقَينا حتى رَوِينا ورويتْ وأصدرتْ ركائبنا».

وعن أنس[2] بنِ مالكٍ قال: قال أبو طلحةَ لأم سُليم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أعرِف فيه الجوعَ، فهل عندكِ من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجتْ أقراصاً من شعير ثم أخرجت خِماراً لها فلفت الخبزَ ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثَتْني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسولِ الله ﷺ.

قال فذهبتُ به فوجدتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد ومعه الناسُ فقمتُ عليهم فقال لي رسولُ اللّهِ ﷺ: **«أرسلك أبو طلحةَ؟»**. فقلت: نعم، قال: **«بطعام؟»** قلت: نعم. فقال رسولُ الله ﷺ لمن معه: **«قوموا»**. فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه، فقال أبو طلحةَ: يا أمَّ سليم، قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نُطعمهم، فقالت: اللّهُ ورسولُه أعلمُ، فانطلق أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ اللّهِ ﷺ، فأقبلَ رسولُ الله ﷺ وأبو طلحةَ معه.

فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«هلم يا أمَّ سليم ما عندكِ»**؟ فأتتْ بذلك الخبزِ، فأمر رسولُ الله ﷺ ففُتَّ وعصَرتْ أم سليم عُكّةً فأدَمَتْه، ثم قال رسولُ الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال: **«ائذَنْ لعشرة»**، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: **«ائذَنْ لعشرة»**، فأكل القومُ كلُّهم حتى شبِعوا، والقوم سبعونَ أو ثمانونَ رجلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٨١ رقم ٣٥٧٧) وطرفاه رقم (٤١٥٠، ٤١٥١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧ رقم ٣٥٧٨).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٢ رقم ١٤٢/ ٢٠٤٠).

وعن جابر[1] رضي الله عنه أن أباه توفيَ وعليه دينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إن أبي ترك دَيْناً وليس عندي إلا ما يُخرج نخلُه ولا يبلُغ ما يُخرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحُشَ علي الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر، فدعا ثم آخرَ ثم جلس عليه فقال انزِعوه فأوفاهم الذي لهم وبقيَ مثلُ ما أعطاهُم.

وفي حديث[2] أبي قتادةَ الطويلِ في تلك الغزوةِ: ثم دعا بمِيضأة كانت معي فيها شيءٌ من ماء فتوضأ منها وضوءاً دون وضوءٍ، قال: وبقيَ منها شيءٌ من ماء، ثم قال لأبي قتادةَ: **«احفَظ علينا ميضأتَك فسيكون لها نبأ»**. الحديث.

إلى أن قال فانتهينا إلى الناس حين امتد النهارُ وحَمِيَ كلُ شيء وهم يقولون: يا رسولَ اللَّهِ هلكْنا عطِشنا، فقال: **«لا هُلكَ عليكم ـ ثم قال ـ أطلِقوا لي غُمَري»**. قال ودعا بالميضأة فجعل رسولُ الله ﷺ يصُبُّ وأبو قتادةَ يسقيهم، فلم يعْدُ أن رأى الناسُ ماءً في المِيضة تكابوا عليها، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أحسِنوا الملءَ كلُكم سيَروَى»**. قال: ففعلوا.

فجعل رسولُ اللَّهِ ﷺ يصُبّ وأسْقيهم حتى ما بقيَ غيري وغيرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: ثم صبَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال لي: **«اشرَبْ»**. فقلتُ: لا أشربُ حتى تشربَ يا رسولَ الله، قال: **«إن ساقيَ القوم آخرُهم شُرباً»**. قال: فشرِبتُ وشرِبَ رسولُ الله ﷺ، قال: فأتى الناسُ الماءَ جامين رُواءً[3].

وعن أبي هريرةَ[4] رضي الله عنه أنه كان يقول: اللَّهَ الذي لا إله إلا هو إنْ كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحجَرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرُجون منه فمر أبو بكرٍ فسألتُه عن آية من كتاب اللَّهِ، ما سألته إلا ليُشبعني فمرّ ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني وعرَف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: **«أبا هِرّ»**، قلت:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٨٧ رقم ٣٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤ رقم ٣١١/ ٦٨١).

(٣) (جامين رواء): أي مستريحين قد رووا من الماء. والرواء ضد العِطاش جمع ريان وريّا، مثل عطشان وعطشى.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ رقم ٦٤٥٢).

لبيك يا رسولَ الله، قال: «الحَقْ». ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأُذِن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: «من أين هذا اللبن». قالوا أهداه لك فلانٌ أو فلانة، قال: «أبا هِرّ». قلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «الحَقْ إلى أهلِ الصُّفةِ فادْعُهم لي».

قال وأهلُ الصفةِ أضيافُ الإسلامِ لا يأوون إلى أهل ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتتْه صدقةٌ بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتتْه هديةٌ أرسلَ إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهلِ الصفة، كنتُ أحقَّ أن أُصيبَ من هذا اللبنِ شربةً أتقوّى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلُغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعةِ اللّهِ وطاعةِ رسولِه بدٌّ، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذِن لهم وأخذوا مجالِسَهم من البيت.

قال: «أبا هِرّ»، قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: «خذ فأعطِهم»، قال: فأخذتُ القدَح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يَروى ثم يردّ عليّ القدح، فأعطي الرجلَ فيشرب حتى يَروى ثم يردّ عليّ القدحَ حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وقد روِيَ القومُ كلُّهم، فأخذ القدحَ فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسَّم فقال: «يا أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: «بقيتُ أنا وأنت»، قلت: صدقتَ يا رسولَ الله، قال: «اقعُد فاشربْ»، فقعدتُ فشربتُ، فقال: «اشربْ» فشربتُ، فما زال يقول اشرَب حتى قلت: «لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً»، قال: «فأعطيته القدحَ فحمِدَ الله وسمّى وشرِبَ الفَضْلة».

وقال أبو داود[1] رحمه الله: حدثنا سليمانُ بنُ داودَ المهري حدثنا ابنُ وهبٍ أخبرني يونسُ عن ابن شهابٍ قال: كان جابرُ بنُ عبدِ الله يحدِّث أن يهوديةً من أهلِ خيبرَ سمّت شاةً مَصْليةً ثم أهدتْها لرسولِ اللّهِ ﷺ فأخذ رسولُ الله ﷺ الذِراعَ فأكلَ منها وأكلَ رهْطٌ من أصحابِه معه، ثم قال لهم رسولُ الله ﷺ: «ارفعوا أيديَكم»، وأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها: «أسَمَمْتِ هذه الشاةَ»؟ قالت

---

(١) في «السنن» (٦٤٨/٤ ـ ٦٤٩ رقم ٤٥١٠) إسناده منقطع لأن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله.

لكن الحديث صحيح لغيره.

اليهوديةُ: من أخبرك؟ قال: «**أخبرتني هذه التي في يدي**» وهي الذراع. قالت: نعم. قال: «**فما أردتِ بذلك؟**»، قالت: قلتُ إن كنتَ نبياً فلن تضُرَّك، وإن لم تكن نبياً استرحْنا منك. الحديث، وهو في صحيح البخاريِّ[1] عن أبي هريرةَ في مواضعَ مختصراً ومطولاً.

لكنّ الشاهدَ منه في هذه الرواية أصرحُ وهو قولُه: «**أخبرتني هذه**»، للذراع. وقد رواه جماعةٌ من الصحابة[2] في عامةِ الأمهاتِ وغيرِها.

ودلائلُ نبوتِه ﷺ أكثرُ من أن تُحصى في الأسفار فضلاً عن هذا المختصر، وقد جُمعتْ فيها التصانيفُ[3] المستقلاتُ من المختصرات والمطوَّلاتِ، وبالله التوفيق.

وكذا قد صُنِّفت التصانيفُ الجمّةُ في صفته الخُلقية والخلْقية وسيرته وشمائلِه ومعاملاتِه مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتُها. وكذا خصائصُه التي انفرد بها في الدنيا والآخرةِ عن غيره من الرسل السماويّين والأرضيين، وقد تقدم التنبيهُ على مُهمات من ذلك.

(و) نشهد (**أنه بلغ**) إلى الناس كافةً (**ما**) أي الذي (**قد أُرسلا**) بالبناء للمفعول، والألفُ للإطلاق (**به**) من ربه (**وكلُّ ما إليه أنزلا**) من الكتاب والحِكمة.

وفي هذا البحثِ مسائلُ عظيمةُ الخطرِ:

(الأولى): **أنه أي الرسولَ ﷺ مبلِّغ عن الله عز وجل، لم يقل شيئاً من رأيه فيم يتعلق بالتبليغ**، بل ليس عليه إلا بلاغُ الرسالةِ من الله إلى الناس، وتلاوةُ آياتِه

---

(١) (٦/ ٢٧٢ رقم ٣١٦٩) وطرفاه رقم (٤٢٤٩، ٥٧٧٧).

(٢) منها حديث أنس بن مالك. أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦١٧) ومسلم رقم (٤٥/ ٢١٩٠) وأبو داود في «السنن» رقم (٤٥٠٨).

(٣) مثل: ١ ـ «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» للبيهقي.
تحقيق الدكتور: عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية.
٢ ـ «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني.
تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد. دار العاصمة.
٣ ـ «دلائل النبوة» لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي. دار طيبة.
٤ ـ «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي. دار الأرقم.

على الناس، وتعليمُهم الحكمةَ والتبيانَ، وذلك معنى كونِه ﷺ رسولَ الله، فأمرُه ونهيُه تبليغٌ لأمرِه ونهيِه، وأخبارُه وقصصُه تبليغٌ لما قصّهُ اللّهُ وأخبر به، ولذا كانت طاعتُه طاعةً لله عز وجل، ومعصيتُه معصيةً لله عز وجل، وتكذيبُه تكذيباً لإخبار اللّهِ عز وجل في أنه رسولُه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]. وقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)﴾ [الجن].

وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)﴾ [الأعلى]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وغيرُ ذلك من الآيات.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم].

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى عن أبي أُمامةَ ﷺ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: **«ليدخُلن الجنةَ بشفاعة رجلٍ ليس بنبيّ مثلُ الحيَّينِ أو مثلُ أحدِ الحيين - ربيعةَ ومُضرَ»**. فقال رجل: يا رسولَ اللّهِ وما ربيعةُ من مُضرَ؟ قال: **«إنما أقول ما أقول»**.

وله[2] عن عبد الله بنِ عمرٍو قال: كنت أكتُب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظَه، فنهتْني قريشٌ فقالوا إنك تكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعه من رسولِ الله ﷺ ورسولُ اللّهِ ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتاب حتى ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: **«اكتُبْ فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحقُّ»**.

وله[3] عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **«لا أقول إلا حقاً»**. قال بعضُ الصحابةِ فإنك تُداعبنا، قال: **«إني لا أقول إلا حقًّا»**.

---

(١) في «المسند» (٥/ ٢٥٧ و ٢٦١ و ٢٦٧).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٦٩ رقم ٧٦٣٨).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٨١) وقال: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن مسيرة وهو ثقة.
قلت: وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٤٠٠٢): «مقبول، من الرابعة». ووثقه العجلي وأبو داود.
فحديثه حسن والله أعلم.

(٢) لأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٢ و ١٩٢).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٣٦٤٦) والدارمي (١/ ١٢٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٥ - ١٠٦).
قال الحاكم: رواة هذا الحديث قد احتجا بهم عن آخرهم غير الوليد هذا وأظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي فإنه الوليد بن عبد الله وقد علمت على أبيه الكتبة فإن كان كذلك فقد احتج مسلم به. ووافقه الذهبي.
وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» (١٥٣٢).

(٣) لأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٠، ٣٦٠).
قلت: وأخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٧ رقم ١٩٩٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.** =

وللبزار[1] عنه ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ما أخبرتُكم أنه من عند اللّهِ فهو الذي لا شك فيه**». وغير ذلك من الأحاديث. ويكفي في ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة] الآيات.

(المسألة الثانية): **أنه ﷺ بلغ جميعَ ما أرسل به لم يكتم منه حرفاً واحداً**، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي الصحيحين[2] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم فذكر الغُلولَ فعظّمه وعظّم أمرَه ثم قال: «**لا أُلفيَنّ أحدَكم يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رُغاءٌ يقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملِك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حَمحمةٌ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لكَ شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامةِ على رقبتِه شاةٌ لها ثُغاءٌ يقول يا رسولَ اللّهِ أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفين أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفسٌ لها صياحٌ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك. لا أُلفين أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبتِه رِقاعٌ تخفقُ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفينَ**

= والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٦٠٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (١/٣٥٨ رقم ٢٦٥).

وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» رقم (١٧٢٦).

(١) في مسنده (١/١١٢ رقم ٢٠٣ ـ كشف).
قلت: وأورده الهيثمي في «المجمع» (١ ـ ١٧٩) وقال رواه البزار وفيه أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح وعبد الله بن صالح مختلف فيه».
وأخرجه البزار (١/١١١ رقم ٢٠١ ـ كشف) عن ابن عباس بنحوه.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/١٧٨) وقال إسناده حسن إلا أن إسماعيل بن عبد الله الأصبهاني شيخ البزار لم أر من ترجمه.

(٢) البخاري في صحيحه (٦/١٨٥ رقم ٣٠٧٣) ومسلم في صحيحه (٣/١٤٦١ ـ ١٤٦٢ رقم ٢٤/١٨٣١).

أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك».

وفي صحيح مسلم[1] من حديث جابرٍ الطويلِ قولُه ﷺ: **«وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟»**، قالوا: نشهدُ أنك قد بلّغتَ وأديتَ ونصحْتَ. فقال بأُصبَعه السبابةِ يرفعها إلى السماء وينكُتها إلى الناس: **«اللهم اشهدْ، اللهم اشهدْ»** ثلاثَ مراتٍ. الحديث.

وفيهما[2] من حديث ابنِ عباسٍ في ذلك الجمع الأعظمِ حين خطب: **«اللهم هل بلّغتُ، اللهم هل بلغت؟»**.

ومن حديث أبي بكرةَ[3] في تلك الخطبةِ أيضاً: **«ألا هل بلغتُ؟»**، قالوا: نعم. قال: **«اللهم اشهدْ، فلْيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ فربَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامعٍ»**.

وفي صحيح البخاريّ[4] من رواية أبي جُحيفةَ وهْب بنِ عبدِ اللَّهِ السوائيِّ قال: قلت لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ: هل عندكم شيءٌ من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: «لا والذي فلق الحبّةَ وبرأ النسَمةَ، إلا فهماً يعطيه اللَّهُ رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة». قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقْلُ وفَكاكُ الأسيرِ وأنْ لا يقتلَ مسلمٌ بكافرٍ».

وفيه[5] من رواية الأعمشِ عن إبراهيمَ التيميِّ عن أبيه عن علي ﷺ قال: ما عندنا شيءٌ إلا كتابَ الله وهذه الصحيفةَ عن النبيِّ ﷺ: **«المدينةُ حرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى كذا، من أحدث فيها حدَثاً أو آوى مُحدثاً فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين»**. الحديث.

---

(١) (٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢ رقم ١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧٣ رقم ١٧٣٩) وطرفه رقم (٧٠٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤ رقم ١٧٤١).

(٤) (٦/ ١٦٧ رقم ٣٠٤٧) و (١/ ٢٠٤ رقم ١١١).

(٥) أي في صحيح البخاري (٦/ ٢٧٩ رقم ٣١٧٩) ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٤ ـ ٩٩٨ رقم ٤٦٧/ ١٣٧٠).

وفي رواية[1] قال: خطبنا عليٌّ ﷺ على منبر من آجرٍ وعليه سيفٌ في صحيفةٍ معلّقةٍ فقال: «والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتابُ الله، وما في هذه الصحيفةِ. فنَشَرها فإذا فيها أسنانُ الإبل، وإذا فيها: المدينةُ حرمٌ من عَير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين لا يقبلُ اللّهُ منه صرْفاً ولا عدْلاً.

وإذا فيه: ذمةُ المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبل اللّهُ منه صِرْفاً ولا عدْلاً.

وإذا فيها: من والى قوماً بغيرِ إذنِ مواليه فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين لا يقبل الله منه صرْفاً ولا عدْلاً».

ولابن أبي حاتم[2] عن هارونَ بنِ عنترةَ عن أبيه قال: كنتُ عند ابنِ عباسٍ فجاء رجلٌ فقال له: إن أناساً يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يُبْده رسولُ اللّهِ ﷺ للناس. فقال ابنُ عباس: «ألم تعلم أن اللّهَ تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، والله ما ورّثنا رسولُ اللّهِ ﷺ سوداءَ في بيضاءَ»، وإسنادُه جيدٌ.

وتقدم قولُ عائشةَ[3] ﵂ قالت: «من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، واللّهُ تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. الآية.

(المسألةُ الثالثةُ): **أن هذا الذي بلغه الرسولُ ﷺ عن ربه هو جميعُ دينِ الإسلام مكملاً مُحكَماً** لم يبقَ نقصٌ بوجه من الوجوه فيَحتاجَ إلى تكميل، ولم يبقَ فيه إشكالٌ فيحتاجَ إلى حل، ولا إجمالٌ فيفتقرَ إلى تفصيل، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣ رقم ٣١٧٢).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٤ - ٩٩٧ رقم ٤٦٧/ ١٣٧٠).

(٢) في تفسيره (٤/ ١١٧٢ - ١١٧٣ رقم ٦٦١١).
وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٠) وقال: هذا إسناد جيد.

(٣) تقدم تخريجه.

فكما أن الإمامَ المبينَ قد أحصى كلَّ ما هو كائنٌ كما علمه الله عز وجل، فكذلك هذا القرآنُ وافٍ شافٍ كافٍ محيط بجميع أصولِ الشريعةِ وفروعِها وأقوالِها وأعمالِها وسرِّها وعلانيتِها، فمن لم يكْفِه فلا كُفِيَ، ومن لم يَشفِه فلا شُفيَ. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وكما وفى بتقرير الدينِ وتكميله وشرحِه وتفصيلِه كذلك هو وافٍ بالذبِّ عنه، وبرَدِّ كلِّ شبهةٍ تردُ عليه، وبقمع كلِّ ملحدٍ ومعاندٍ ومُشاقٍّ ومُحادٍّ، وبدمغ كلِّ باطلٍ وإزهاقه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت].

وكذلك السُنةُ من جوامع كلِم رسولِ اللَّهِ ﷺ التي اختصه الله بها، هي روحُ المعاني والوحيُ الثاني، والحكمةُ والبيانُ وتبيانُ القرآن، والنورُ والبرهان.

فلم يُتوفَّ ﷺ حتى بيَّن الشريعةَ أكملَ بيان، ولم يكن ليتوفاه اللَّهُ تعالى قبل بيانِ ما بالناسِ إليه حاجةٌ في دِينهم ودنياهُم وآخرتِهم، واللَّهُ تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ثم يخبر أنه ما أنزل عليكَ الكتابَ إلا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاذِ ذلك وإنجازِه، مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلِهم: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة].

فكيف يعِدُنا تعالى بإتمام النعمةِ وإكمالِ الدين ثم يَتوفَّى رسولَه قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

والذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ما توفاه اللّهُ عز وجل حتى بلّغ ما أرسلَه اللّهُ به أكملَ بلاغٍ وبينه أتمَّ بيانٍ وفصّله أوضحَ تفصيلٍ، وأكملَ به الدينَ وأتمَّ علينا النعمةَ، ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعةِ الذي اختُصَّ به هو وأمتُه، وهداهُم له في أشرفِ موقفٍ وأفضلِ عشيةٍ يوم الحجِّ الأكبرِ وهو واقفٌ بعرفةَ في ذلك الجمعِ الأعظمِ الذي لم يتفقْ وقوعُ مثلِه ولم يلتق أكثرُ الناس برسول اللّهِ ﷺ بعده: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فأخبر فيها بإكمال دينِه الذي وعدنا إظهارَه في قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وبإتمامه النعمةَ كما وعد في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وتقدم الحديثُ الصحيحُ(١) في قول اليهوديِّ لعمرَ في شأنها وما ردَّ عليه به.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ(٢) عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] وهو الإسلامُ، أخبرَ اللّهُ نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائعَ الإيمانِ فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقُصه أبداً، وقد رضِيَه فلا يَسخَطُه أبداً.

قلت: وفي ضمن هذا الخطابِ معنى فارضَوا به أنتم لأنفسكم، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: **«ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ بالله رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمد ﷺ نبياً»**(٣)، وأمرَنا بهذا الذكرِ في كل مساء وصباحٍ(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٧٩) والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٦٢ رقم ٥٦/٣٤) من حديث العباس.

(٤) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٥٠١ رقم ١١٦/١٨٨٤) وأبو=

وقال أسباطٌ[1] عن السُدي: نزلت هذه الآيةُ يوم عرفةَ ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ. ورجع رسولُ الله ﷺ فمات.

قالت أسماءُ بنتُ عُميس[2]: حججتُ مع رسولِ الله ﷺ تلك الحجةَ فبينما نحن نسير إذ تجلّى له جبريلُ، فَمال رسولُ الله ﷺ على الراحلة فلم تُطق الراحلة من ثِقَل ما يُمليُها من القرآن فبركتْ، فأتيتُه فسجيَّتُ عليه بُرداً كان عليّ.

وقال ابنُ جريرٍ[3] وغيرُ واحدٍ: مات رسولُ الله ﷺ بعد يومِ عرفةَ بأحدٍ وثمانين يوماً. رواهما ابنُ جرير.

وله[4] عن هارونَ بن عنترةَ عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وذلك يومَ الحجِّ بكى عمر ﷺ، فقال له النبيُّ ﷺ: ما يبكيك؟ قال: كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمُل شيءٌ إلا نقص، فقال: «صدقتَ».

وقال ابنُ عباس[5] ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. قال: ولا يأتونك بمثل أي بما يلتمسون به غيرَ القرآن والرسولِ ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٣٣]. الآية.

أي لإنزال جبريلَ من الله تعالى بجوابِهم، وما هذا إلا اعتناءٌ وكِبْرُ شرفٍ للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحيُ من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساء وليلاً

= داود رقم (١٥٢٩) وابن حبان رقم (٢٣٦٨ ـ موارد).
والحاكم في «المستدرك» (١/٥١٨) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥).
كلهم من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**يا أبا سعيدا من رضيَ بالله رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ نبياً، وجبت له الجنة...**».
وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٧٩ ـ ٨٠).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٨٠).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٩).
(٣) في «جامع البيان» (٣/ج٦/٨٠).
(٤) لابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٦/٨٠).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٣٣٠).

ونهاراً، سفراً وحضراً، وكلَّ مرةٍ كان يأتيه الملَكُ بالقرآنِ لا كإنزالِ الكتبِ قبله المتقدمةِ، فهذا المقامُ أعلى وأجلُّ وأعظمُ مكانةً من سائر إخوانِه الأنبياء صلواتِ الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالقرآنُ أشرفُ كتابٍ أنزله الله، ومحمدٌ ﷺ أعظمُ نبيٍّ أرسله الله تعالى. وقد جمع اللَّهُ للقرآن الصفتين معاً: ففي الملأ الأعلى أُنزل جملةً واحدةً من اللوح المحفوظِ إلى بيت العزةِ في السماء الدنيا، ثم أُنزل بعد ذلك إلى الأرض مُنجَّماً بحسب الوقائعِ والحوادثِ[1]، ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان]. ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وكما وفى بالرد على كل مشاقٍّ لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيّين وغيرِهم، ونزل منجّماً على حسب ذلك، فكذلك هو وافٍ بردّ شبهةِ كلِّ ملحدٍ إلى يوم القيامة، اقرأ على من ادعى النبوةَ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وعلى الدجال فواتحَ سورةِ الكهفِ، وعلى المعطّل والمشبّه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وعلى النافي للقدر: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]. ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وعلى الجبرية الغُلاة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وعلى نُفاةِ الرؤية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]. وعلى الرافضة: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وعلى الناصبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. الآية. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٠).

وعلى الفريقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وعلى كل ذي بدعةٍ مطلقاً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. إلى آخرها مع قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(المسألةُ الرابعةُ): **أن هذا الدينَ التامَّ المكمَّل الذي بلغه الرسولُ ﷺ إلى الناس كافةً لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصولِ الملةِ وفروعِها ولا نقصاً منها ولا تغييراً ولا تبديلاً ولا يُقبل من أحد دينٌ سواه.** ولا تقبل لأحد عبادةٌ لم يتعبدْها محمدٌ رسولُ الله ﷺ ولا أصحابه ولا يُعبد الله تعالى إلا بما شُرع، وهذه المسألةُ يأتي إن شاءَ اللَّهُ الكلامَ عليها في الفصلِ الأخيرِ، واللَّهُ المستعانُ.

محمدٌ ﷺ خاتَمُ الرُسلِ، فلا نبيَّ بعده

(المسألةُ الخامسةُ): **أن محمداً ﷺ خاتَمُ الرسلِ فلا نبيَّ بعده،** وكتابُه خاتَمُ الكتبِ فلا كتابَ بعده، فهو محكمٌ أبداً. وهذه المسألةُ هي المُشارُ إليها بهذا البيتِ والذي بعده.

(وكلُ مَن مِن بعدِه قد ادعى ... نبوةً فكاذبٌ فيما ادّعى)
(فهو خِتامُ الرسلِ باتفاق ... وأفضلُ الخلقِ على الإطلاق)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذرُ قال: حدثني

(١) في صحيحه (٦/ ٥٥٤ رقم ٣٥٣٢).

مغنٌ عن مالك عن ابن شهابٍ عن محمد بنِ جبيرِ بنِ مُطعم عن أبيه ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لي خمسةُ أسماءٍ: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشرُ الناسُ على قدمي، وأنا العاقبُ»**.
ورواه مسلم[1] وزاد: **«وأنا العاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ»**[2].

وله[3] عن أبي موسى ﷺ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يسمّي لنا نفسَه أسماءً فقال: **«أنا محمدٌ وأحمدُ والمُقَفِّي والحاشرُ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الرحمةِ»**.

وقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: بابُ خاتمِ النبيين ﷺ، حدثنا محمدُ بنُ سِنانٍ حدثنا سليمٌ حدثنا سعيدُ بنُ ميناءَ عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«مثلي ومثلُ الأنبياء كمثلِ رجلٍ بنى داراً فأكملَها وأحسَنها إلا موضعَ لبنةٍ فجعل الناسُ يدخُلونها يتعجبون ويقولون: لولا موضعُ اللبنة»**. رواه مسلم[5] وزاد: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«فأنا موضعُ اللبنةِ جئتُ فختمْتُ الأنبياء»**.

وقال البخاريُّ[6] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ عن سعيدٍ حدثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن مثلي ومثلَ الأنبياءِ من قبلي كمثَلِ رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجملَه، إلا موضعَ لبنةٍ من زاوية، فجعل الناسُ يطوفون به ويعَجبونَ له ويقولون: هلاّ وُضعَتْ هذه اللبنةَ؟»**، قال ﷺ: **«فأنا اللبِنةُ، وأنا خاتمُ النبيين»**. رواه مسلم[7] من طرق.

وله[8] عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«مثلي ومثلُ النبيين»**، فذكر نحوَه.

---

(١) في صحيحه (٤/١٨٢٨ رقم ١٢٤/٢٣٥٤).
(٢) انظر كتاب «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة» للسيوطي.
(٣) أي لمسلم في صحيحه (٤/١٨٢٨ - ١٨٢٩ رقم ١٢٦/٢٣٥٥).
(٤) في صحيحه (٦/٥٥٨ رقم ٣٥٣٤).
(٥) في صحيحه (٤/١٧٩١ رقم ٢٣/٢٢٨٧).
(٦) في صحيحه (٦/٥٥٨ رقم ٣٥٣٥).
(٧) في صحيحه (٤/١٧٩١ رقم ٢٢/٢٢٨٦).
(٨) أي لمسلم في صحيحه (٤/١٧٩١ رقم... /٢٢٨٦).

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو عامر الأزديُّ حدثنا زهيرُ بنُ محمدٍ عن عبد الله بنِ محمدِ بن عقيلٍ عن الطفيل بنِ أُبيِّ بنِ كعبٍ عن أبيه ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**مثلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنَها وأكملها، وترك فيها موضِعَ لِبنةٍ لم يضعْها، وجعلَ الناسُ يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضعُ هذه اللبنةِ، فأنا في النبيين موضعُ تلك اللبنةِ**».

ورواه الترمذيُّ[2] عن أبي عامرٍ العُقْديِّ به وقال: حسنٌ صحيح.

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا مسدّدٌ حدثنا يحيى عن شُعبةَ عن الحكَم عن مصعب بنِ سعدٍ عن أبيه أن رسولَ اللّهِ ﷺ خرج إلى تبوكَ واستخلف علياً، فقال: أتُخلّفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكونَ مني بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي**».

رواه مسلمٌ[4] من طريق مصعبٍ هذه ومن طريق سعيد بنِ المسيِّب[5] عن عامر بن سعدِ بن أبي وقاصٍ عن أبيه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ لعلي: «**أنت مني بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي**».

قال سعيدُ: فأحببْتُ أن أُشافِه بها سعداً فلقِيتُ سعداً فحدثتُه بما حدثني به عامرٌ فقال: أنا سمعتُه، فقلتُ: أنت سمعتَه؟ فوضع إصْبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا سُكّتا.

وتقدم في حديث الدجالِ[6] قولُه ﷺ: «**أنه يبدأ فيقول أنه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين ولا نبيٌّ بعدي**». الحديث.

وفي حديث ثوبانَ الطويلَ عند أبي داودَ[7] وغيرِه[8]: «**وأنه سيكون في أمتي**

---

(١) في «المسند» (٥/١٣٨).
(٢) في «السنن» (٥/٥٨٦ رقم ٣٦١٣) وقال: **هذا حديث حسن، وهو كما قال**.
(٣) في صحيحه (٨/١١٢ رقم ٤٤١٦).
(٤) في صحيحه (٤/١٨٧٠ رقم ٣١/٢٤٠٤).
(٥) في صحيحه (٤/١٨٧٠ رقم ٣٠/٢٤٠٤).
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) في «السنن» (٤/٤٥٠ ـ ٤٥٢ رقم ٤٢٥٢).
(٨) كمسلم في صحيحه (٤/٢٢١٥ رقم ١٩/٢٨٨٩).

=

كذابون ثلاثون كلُهم يزعُم أنه نبيٌ وأنا خاتمُ النبيين ولا نبيَّ بعدي».

وللبخاريّ[1] ومسلم[2] وهذا لفظُه: عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نحن الآخرونَ ونحن السابقون يوم القيامة، بَيدَ أنَّ كلَّ أمةٍ أوتيت الكتابَ من قبلنا وأُوتيناهُ من بعدِهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا اللَّهُ له فالناسُ لنا فيه تبعٌ، اليهودُ غداً والنصارى بعد غدٍ».

وفي رواية[3]: «وكذلك هم تبعٌ لنا يومَ القيامة، نحن الآخرون من أهلِ الدنيا والأولون يوم القيامة المَقْضيُّ لهم قبلَ الخلائقِ».

وفي صحيح البخاريُّ[4] في موضع من صحيحه من طرق عن ابنِ عمرَ ﷺ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «إنما أجَلُكم في أجلِ مَن خلا من الأمم ما بين صلاةِ العصرِ إلى مغربِ الشمس، وإنما مثلُكم ومثلُ اليهودِ والنصارى كرجل استعمل عُمّالاً فقال: مَن يعملُ إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعمِلتْ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراط قيراط. فقال: من يعملُ نصفَ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعمِلت النصارى من نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراط قيراط، فقال من يعملُ من صلاةِ العصرِ إلى مغرِب الشمسِ على قيراطين قيراطين؟ قال: ألا فأنتم الذين يعملون من صلاةِ العصرِ إلى مغرِب الشمسِ على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجرُ مرتين. فغضبتْ اليهودُ والنصارى، فقالوا نحن أكثرُ عملاً وأقلُّ عطاءً، قال الله تعالى: هل ظلمتُكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أُوتيه مَن شِئتُ».

ولهما[5] عن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرةَ ﷺ خمسَ سنينَ سمعتُه

= والترمذي رقم (٢٢٠٣ و ٢٢١٩) وأحمد (٥/١٦، ٤١، ٤٦) وابن ماجه رقم (٣٩٥٢).
وهو حديث صحيح.

(١) في صحيحه (٢/ ٣٥٤ رقم ٨٧٦).
(٢) في صحيحه (٢/ ٥٨٥ رقم ١٩/ ٨٥٥).
(٣) لمسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٦ رقم ٢٢/ ٨٥٦).
(٤) في صحيحه (٦/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ رقم ٣٤٥٩).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٩٥ رقم ٣٤٥٥).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧١ ـ ١٤٧٢ رقم ٤٤/ ١٨٤٢).

يحدّث عن النبيِّ ﷺ قال: **«كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ كلما هَلك نبيٌّ خلَفَ نبيٌّ وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خُلفاء فيكثرون»**. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: **«فُوا بَيعةَ الأولِ فالأول، أعطوهُم حقَهم، فإن الله تعالى سائلُهم عما استرعاهم»**.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] والترمذيُّ[2] وصححه عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«إن الرسالةَ والنبوةَ قد انقطعت، فلا رسولَ بعدي ولا نبيّ»**. قال: فشقَّ ذلك على الناس، فقال: **«ولكنِ المُبشِّرات»**. قالوا: يا رسولَ الله وما المبشرات؟ قال: **«رؤيا الرجلِ المسلمِ وهي جزءٌ من أجزاء النبوة»**.

وللبخاري[3] من حديث أبي هريرةَ قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: **«لم يبقَ من النبوة إلا المُبشرات»**، قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: **«الرؤيا الصالحة»**.

وقال مسلمٌ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ أيوبَ وقتيبةُ بنُ سعيدٍ وعليُّ بنُ حجر قالوا: حدثنا إسماعيلُ - وهو ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«فُضّلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرضُ طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيُّون»**.

وروى الإمامُ أحمدُ[5] عن العِرباض بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«إني عند اللّهِ لخاتمُ النبيين وإن آدمَ لَمنجَدل في طينته»**.

وله[6] عن عبد الله بنِ عمرو رضي الله عنه قال: خرج رسولُ الله ﷺ يوماً كالمودع فقال: **«أنا محمدٌ النبيُّ الأميُّ (ثلاثاً) ولا نبيَّ بعدي، أوتيتُ فواتِح الكلِم وجوامعَه وخواتِمَه»**.

---

(١) في «المسند» (٣/ ٢٦٧).
(٢) في «السنن» (٤/ ٥٣٣ رقم ٢٢٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث المختار بن فُلفُل.
قلت: وهو حديث صحيح الإسناد.
(٣) في صحيحه (١٢/ ٣٧٥ رقم ٦٩٩٠).
(٤) في صحيحه (١/ ٣٧١ رقم ٥/ ٥٢٣).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) لأحمد في مسنده (٢/ ١٧٢، ٢١١) بسند صحيح.

وقد وردت عدةُ أحاديثَ في صفةِ خاتمِ النبوةِ بين كتِفيه آيةً باهرةً ودِلالةً ظاهرةً على أنه لا نبيَّ بعده، لا بأسَ أن نذكرَ ما تيسر منها.

فروى البخاريُّ(١) ومسلمٌ(٢) عن السائب بنِ يزيدَ رضي الله عنه قال: «ذهبتْ بي خالتي إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إن ابن أختي وقع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشرِبتُ من وَضوئه، ثم قمتُ خلف ظهرِه فنظرتُ إلى خاتم بين كتفيه مثْلِ زِرِّ الحَجلة».

ولمسلم(٣) عن جابر بنِ سَمُرةَ رضي الله عنه قال: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد شمِطَ مقدَّم رأسِه ولحيتِه، وكان إذا ادّهن لك يتبيّن، وإذا شعثَ رأسُه تبيّن، وكان كثيرَ شعرِ اللحيةِ. فقال رجل: وجهُه مثلُ السيف. قال: بل كان مثل الشمس والقمرِ، وكان مستديراً، ورأيتُ الخاتمَ عند كتفِه مثلَ بيضةِ الحمامةِ، يُشبهُهُ الحسَنُ».

وفي رواية(٤) قال: «رأيتُ خاتماً في ظهر رسولِ اللَّهِ ﷺ كأنه بيضةُ حَمام».

وله(٥) عن عبد الله بنِ سرجس رضي الله عنه قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ وأكلتُ معه خبزاً ولحماً ـ أو قال ثريداً ـ قال فقلت له: أستغفر لك النبيُّ ﷺ؟ قال: نعم ولك». ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

قال: «ثم دُرتُ خلفه إلى خاتم النبوةِ بين كتفيهِ عن ناغض كتفِه اليُسرى جُمع عليه خِيلانٌ كأمثال الثآليل».

وروى أبو داودَ الطيالسيُّ(٦) عن معاويةَ بنِ قُرَّةَ عن أبيه قال: «أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلت: يا رسولَ اللَّهِ أرني الخاتَمَ، فقال: «**أدخِل يدك**». فأدخلتُ يدي في جُرُبّانه فجعلتُ ألمسُ أنظرُ إلى الخاتم، فإذا هو على نغض كتفهِ مثلُ

---

(١) في صحيحه (٦/ ٥٦١ رقم ٣٥٤١).

(٢) في صحيحه (٤/ ١٨٢٣ رقم ١١١/ ٢٣٤٥).

(٣) في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١٠٩/ ٢٣٤٤).

(٤) لمسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١١٠/ ٢٣٤٤).

(٥) لمسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٣ ـ ١٨٢٤ رقم ١١٢/ ٢٣٤٦).

(٦) في «المسند» (ص١٤٤ رقم ١٠٧٧).

البيضة، فما منعه ذاك أن جعلَ يدعو لي وإن يدي لفي جُرُبّانه» ورواه النسائي[1].

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن أبي رَمْثَةَ التيميِّ قال: «خرجت مع أبي حتى أتيتُ رسولَ الله ﷺ فرأيتُ برأسه ردع حِناء، ورأيتُ على كتفه مثلَ التفاحةَ، فقال أبي: إني طبيبٌ أفلا أطبّها لك؟ قال: «**طبيبُها الذي خلقَها**». وقال لأبي: «**هذا ابنُك؟**»، قال: نعم. قال: «**أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه**».

وروى البيهقيُّ[3] عن سلمَان الفارسيِّ قال: «أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فألقى رداءَه وقال: «**يا سلمانُ انظر إلى ما أُمرتُ به؟**»، قال: فرأيتُ الخاتمَ بين كتفيه مثلَ بيضةِ الحمامةِ».

وروى يعقوبُ[4] بنُ سفيانَ بإسنادِه عن التنوخي الذي بعثه هِرَقْلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بتبوكَ الحديث، وفيه: «فحلَّ حَبْوتَه عن ظهرِه ثم قال: «**ههنا امضِ لما أُمرت به**». قال: فجُلتُ في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غُضْروف الكتِفِ مثلُ الحجمة الضخمة».

وروى الإمامُ أحمدُ[5] عن غياثٍ البكريِّ قال: كنا نجالس أبا سعيدٍ الخدريَّ بالمدينة فسألتُه عن خاتم رسولِ الله ﷺ الذي كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابةِ: هكذا لحمٌ ناشرٌ بين كتفيه ﷺ.

---

(١) في «السنن الكبرى» (٥/ ٨٣ رقم ٨٣٠٧).

(٢) في «المسند» (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧ ـ ٢٢٨).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٢٠٦) و (٤٤٩٥) والترمذي رقم (٢٨١٢) والنسائي (٣/ ١٨٥) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٦٥) من طرق.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) في «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٦).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤١، ٤٤٢) بسند صحيح.
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١٠٩/ ٢٣٤٤) والترمذي في «السنن» رقم (٣٦٤٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) في «البداية والنهاية» (٦/ ٢٩).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٦٦).

(٥) في «المسند» (٣/ ٦٩).
قلتُ: وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠) وقال: تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن عبد الله بن أبي حسينٍ حدثنا نافعُ بنُ جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدِم مسيلمةُ الكذابُ على عهد رسولِ الله ﷺ فجعل يقول: إن جعلَ لي محمدٌ من بعده - يعني الأمر - تبعتُه».

وقدِمَها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسولُ الله ﷺ ومعه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شماسٍ وفي يد رسول اللّهِ ﷺ قطعةُ جريدٍ حتى وقف مسيلمةَ في أصحابِه وقال: **«لو سألتني هذه القطعةَ ما أعطيتُكها، ولن تعدُوَ أمرَ الله فيك. ولئن أدبرتَ ليعقِرَنّك الله، وإني لأراكَ الذي أُريتُ فيه ما أُريتُ، وهذا ثابتٌ يُجيبك عني»**. ثم انصرف عنه.

قال ابنُ عباس[2]: فسألتُ عن قولِ رسولِ اللّهِ ﷺ: **«وإني لأُراكَ الذي أُريتُ فيك ما رأيت»**. فأخبرني أبو هريرةَ[2] رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سوارين من ذهب، فأهمّني شأنهما، فأُوحيَ إليَّ في المنام أن أنفُخهما، فنفختُهما فطارا فأوّلتهما كذّابين يخرُجان بعدي أحدُهما العنْسيُّ والآخرُ مُسيلمةُ»**.

حدثنا إسحاقُ[3] بنُ منصورٍ حدثنا عبدُ الرزاق عن معمّر عن همام أنه سمع أبا هريرةَ رضي الله عنه يقول: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«بينا أنا نائمٌ أُتيت بخزائنِ الأرضِ، فوُضعَ في كفي سواران من ذهب، فكبُرَ عليّ، فأُوحي إليَّ أن أنفُخهما، فنفختُهما فذهبا، فأولتُهما الكذابَين اللذين أنا بينهما: صاحبَ صنعاءَ، وصاحبَ اليمامة»**.

والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جداً وفيما أشرنا إليه كفايةٌ.

(فهو) محمد ﷺ **(ختامُ الرسل)** فلا نبيَّ بعده، والرسالةُ من بابِ أولى إذ لا

---

(١) في صحيحه (٦/ ٦٢٦ - ٦٢٧ رقم ٣٦٢٠).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٠ رقم ٢١/ ٢٢٧٣).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٦٢٧ رقم ٣٦٢١).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢٧٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ٤٢٣ رقم ٧٠٢٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢/ ٢٢٧٤).

يُرسل إلا بعد أن يتنبأ، فالنبوةُ وحيٌ مطلقٌ مجرداً، فإن أُمر بتبليغه فرسالةٌ، فكلُ رسولٍ نبيٌّ ولا عكس (باتفاق) من كلِّ كتابٍ منزّلٍ وكلِّ نبيٍّ مُرسلٍ وكلِّ مؤمنٍ بالله واليوم الآخِر (وأفضلُ الخلق) كلِهم (على الإطلاق) بلا استثناءٍ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال أئمةُ التفسير من الصحابةِ فمن بعدهم: هو محمدٌ ﷺ وتقدمَ قولُه ﷺ: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر»[1].

وقد أخذ اللّهُ عز وجل على جميعِ الرسلِ الميثاقَ في الإيمانِ به ونُصرتِه، وبشر به كلَّ نبيٍّ قومَه وبُعث إلى الجن والإنسِ والأسودِ والأحمرِ كافةً، وأتى في الدُنيا من المعجزات ما لم يُؤتَه نبيٌّ قبله من انشقاق القمرِ وحنينِ الجِذعِ إليه ونبعُ الماء من أصابعه، وتسليمِ الأشجارِ والأحجارِ عليه، وغير ذلك.

[القرآنُ أعظمُ مُعجزاتِه ﷺ]

وأعظمُ معجزاتِه هذا القرآنُ، معجزةٌ خالدةٌ أبدَ الآبدين ودهَر الداهرين، لا تفنى عجائِبُه ولا يُدركُ غايةُ إعجازِه ولا يندرس بمرور الأعصارِ ولا يمَلّ مع التكرار. بل يُجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يُعلى، وكلُّ معجزةٍ قبله انقضت بانقضاء زمانِها ولم يبقَ إلا تَذكارُها، وهو كلُّ يوم براهينه في مزيد ومعجزاتُه في تجديد: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

[ظهور فضيلته ﷺ بتقدُّمه إماماً بالأنبياء ليلةَ الإسراء والمعراج]

وقد ظهرت فضيلتُه ﷺ في ليلةِ الإسراء والمعراج بتقدُّمه عليهم إماماً، وعلّوه فوق الجميعِ مقاماً، حتى جاوز السبعَ الطباقَ إلى سِدرةِ المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل، واختص ﷺ بأشياء أُخَرَ في سماحة شريعته ووضعِ الآصارِ عن أمته، وكونِه أكثرَهم تابعاً.

---

(١) تقدم تخريجه.

وكذلك يبدو فضلُه في الآخرة بكونه أول من تنشقُّ عنه الأرضُ، وأولُ شافعٍ وأول مُشفَّعٍ وأولُ من يستفتح بابَ الجنةِ وأولُ من يدخلها من الأمم أمتُه، وله الحوض المورودُ وهو الكوثر، وهو أكثرُ الأنبياء وارداً، وله اللواءُ المعقودُ وهو لواءُ الحمدِ، تحته آدمُ فمن دونه، وله المقامُ المحمودُ الذي يغبِطُه به الأولون والآخرون، ويرغب إليه كلُ الخلائقِ حتى إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ.

وهو وأُمتُه أولُ من يجوزُ الصراطَ وهم ثلثا أهلِ الجنةِ، لِما جاء أنهم ثمانون صفاً وغيرُهم من الأمم أربعون صفاً، وهذه عدةُ صفوفِ أهلِ الجنة مائة وعشرين صفاً، ويشفع الواحدُ من أمته في مثل ربيعةَ ومُضرَ.

وله ﷺ الوسيلةُ وهي أعلى درجةٍ في الجنة ليس فوقها إلا عرشُ الرحمن عز وجل، وليست هي لأحد غيرِه ﷺ، وغيرُ ذلك من مقاماتِه العليةِ التي لا ينالها غيرُه ولا يُدركُها سواه، وهذا مقامٌ يطولُ ذكرُه ولا يُقدرُ قدرُه، ولا يُحيط بغايته إلا الذي اصطفاه له، وأكرمه به.

جعلنا اللّهُ عز وجل ممن اقتدى واهتدى بهديه وكان هواه تبَعاً لما جاء به، آمين.

[لا تفضّلوا بين الأنبياء]

مسألة: في الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: بينما يهوديٌّ يعرِضُ سلعتَه أُعطيَ بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمِعَه رجلٌ من الأنصار فقام فلطَم خدَّه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبيُّ ﷺ بين أظهُرِنا؟ فذهب اليهوديُّ إليه ﷺ فقال: أبا القاسم إن لي ذمةً وعهداً فما بال فلانٍ لطم وجهي؟ فقال: «لِمَ لطمْتَ وجهَه؟» فذكره. فغضب النبيُّ ﷺ حتى رُؤيَ في وجهه ثم قال: **«لا تُفضّلوا بين أنبياء الله عز وجل، فإنه يُنفخ في الصور فيصعَقُ مَن في السمواتِ ومن في الأرض إلا من يشاء الله، ثم ينفخ فيه**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٧٠ رقم ٢٤١٢) وأطرافه رقم (٣٣٩٨، ٤٦٣٨، ٦٩١٦، ٦٩١٧، ٧٤٢٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤ رقم ١٥٩/ ٢٣٧٣).

أخرى فأكونُ أولَ من بُعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش فلا أدري أحوسِب بصعقته يوم الطورِ أم بُعث قبلي؟ ولا أقول إن أحداً أفضلُ من يونسَ بنِ متّى».

ولهما[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقولَ إني خيرٌ من يونس بنِ متى».

ولهما[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال ـ يعني الله تبارك وتعالى ـ: «لا ينبغي لعبدٍ لي»، الحديث.

قال النوويُّ[3] رحمه الله تعالى في الحديث الأولِ: قولُه ﷺ: «لا تفضّلوا بين أنبياء الله»[4] جوابُه من خمسةِ أوجه:

أحدُها: أنه ﷺ قال قبلَ أن يعلم أنه سيدُ ولدِ آدمَ فلما علِمَ أخبر به.

والثاني: قاله أدباً وتواضعاً.

والثالث: أن النهيَ إنما هو تفضيلٌ يؤدي إلى تنقيص المفضول.

والرابعُ: إنما نهى عن تفضيل يؤدّي إلى الخصومة والفتنةِ كما هو المشهورُ في سبب الحديث.

والخامسُ: أن النهيَ مختصٌّ بالتفضيل في نفس النبوةِ فلا تفاضلَ فيها، وإنما التفاضلُ بالخصائص وفضائلَ أخرى.

وروى ابنُ كثير[5] رحمه الله تعالى وجهاً أن التفضيلَ ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقيادُ له والتسليمُ والإيمانُ به. اهـ.

قلتُ: الوجه الأولُ من كلامِ النوويِّ ضعيفٌ، والثاني والخامسُ فيهما نظرٌ، والرابعُ قريبٌ ويقوي عندي الوجهَ الثالثَ مع ما ذكره ابنُ كثير، فليس التفضيلُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥٠ رقم ٣٤١٣).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٤٦ رقم ١٦٧/ ٢٣٧٧).

(٢) البخاري في صحيحه رقم (٣٢٣٤ ـ البغا).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٤٦ رقم ١٦٦/ ٢٣٧٦).

(٣) في شرح صحيح مسلم (١٥/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في تفسيره (١/ ٣١١).

بالرأي ومجردِ العصبيةِ، ولا بما يلزم منه تنقّصُ المفضولِ والحطُّ من قدرِه، كلُ هذا وما معناه محرمٌ قطعاً منهيٌّ عنه شرعاً، وهو الذي غضِبَ منه رسولُ الله ﷺ ولو لم يقصِدْه ذلك الأنصاريُّ رضي الله عنه.

فغضبُ النبيِّ ﷺ ونهْيُه عن ذلك تعليمٌ عامٌ للأمةِ وزجرٌ بليغٌ لجميعهم كيلا يقعَ ذلك أو يصدُر عن أحدٍ منهم فيهلِكَ.

وأما التفضيلُ بما أكرَمه اللَّهُ عز وجل ورفع به درجته ونوّه في الوحي بشرفه من الفضائلِ الشرعيةِ والأخرويةِ وغيرِ ذلك مما شهِدَ الله تعالى به ورسولُه ﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر، فهو الذي يجب اعتقادُه والإيمانُ به والتصديقُ والانقيادُ له والتسليمُ، فلا يؤخذ علمُ ما يختص بالله ورسولِه إلا عن الله وعن رسوله ﷺ. والله المستعانُ وبه التوفيق.

وقال النوويُّ[1] رحمه الله تعالى فيما قاله ﷺ في شأنِ يونسَ: أنه ﷺ قال هذا زاجراً عن أن يتخيلَ أحدٌ من الجاهلينَ شيئاً من حط مرتبةِ يونسَ ﷺ من أجل ما في القرآنِ من قصته: قال العلماء وما جرى ليونسَ ﷺ لم يحطُّ من درجةِ النبوةِ مثقالَ ذرة، وخُصّص يونسُ بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذُكر.

وأما قولُه ﷺ: **«ما ينبغي لعبد أن يقولَ أنا خيرٌ من يونس»**[2]، فالضميرُ قيل يعودُ إلى النبيِّ ﷺ، وقيل يعود إلى القائل، أي لا يقول ذلك بعضُ الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو غيرِ ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغَ من الفضائل ما بلغ لم يبلُغْ درجةَ النبوةِ، ويؤيد هذا التأويلَ الروايةُ التي فيها قوله ﷺ: **«لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خيرٌ من يونسَ بنِ متّى»**[2]، والله أعلم.

---

(١) في شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٣٢).

(٢) تقدم تخريجه.

[ال] فصلُ [الثاني عشر]
فيمن هو أفضلُ الأمةِ بعد رسولِ الله ﷺ، وذكرِ الصحابة بمحاسنهم، والكفِّ عن مساوئهم وما شجرَ بينهم رضي الله عنهم

أهمُّ ما في هذا الفصل خمسُ مسائلَ: (الأولى) مسألةُ الخِلافةِ.

(والثانية): فضلُ الصحابةِ وتفاضلُهم بينهم.

(والثالثةُ) تولّي أصحابِ النبيِّ ﷺ وأهلِ بيتِه سلامُ اللّهِ ورحمتُه وبركتُه عليهم، ومحبةُ الجميعِ والذبُّ عنهم.

(الرابعةُ): ذكرُهم بمحاسنِهم والكفُّ عن مساويهم.

(الخامسةُ): السكوتُ عما شجرَ بينهم وأن الجميعَ مجتهدٌ: فمُصيبُهم له أجرانِ: أجرٌ على اجتهادِه وأجرٌ على إصابتِه، ومُخطئُهم له أجرُ الاجتهادِ وخَطؤُه مغفورٌ.

[خلافة الصديق وفضائله]

(وبعده الخليفةُ الشفيقُ نِعْمَ نقيبُ الأمةِ الصدّيقُ)
(ذاك رفيقُ المصطفى في الغار شيخُ المهاجرين والأنصارِ)
(وهو الذي بنفسه تولّى جهادَ من عن الهدى تولّى)

(وبعده) أي بعد رسولِ اللّهِ ﷺ (الخليفة) له في أمته (الشفيق) بهم وعليهم (نِعْمَ) فعلُ مدح (نقيبُ) فاعل نعم، والنقيبُ عَريفُ القومِ وأفضلُهم (الصدّيقُ) هو المخصوص بالمدح وهو النِقابةُ منه لجميع الأمةِ، وهو أبو بكرٍ عبدُ اللّهِ بنُ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ مُرّةَ التّيميُّ[1]، أولُ الرجالِ إسلاماً، وأفضلُ الأمةِ على الإطلاق رضي الله عنه، فلنسُق الكلامَ أولاً في خلافته، ثم في مقاماته أيامَ خلافتِه رضي الله عنه.

فأما خلافته فقد تقدم الحديثُ في تقديم النبيِّ ﷺ إياه إماماً في الصلاةِ مقامَه

---

(1) انظر ترجمته في: «الإصابة» رقم (٤٨٣٥) و«أسد الغابة» رقم (٣٠٦٦) و«الوافي بالوفيات» (١٧/ ٣٠٥) و«الرياض المستطابة» (ص١٤٠ ـ ١٤٧).

أيامَ مرضِه ﷺ، وهو في الصحيحين[1] من طرق عن عائشةَ بألفاظ، وعن جماعة غيرِها من الصحابة ﷺ في الصحيحين وغيرِهما، منهم أنسٌ[2] وابنُ عباس[3] وسهلُ بنُ سعدٍ[4] وأبو موسى الأشعريُّ[5] وعمرُ بنُ الخطاب[6]، وقد راجعتْه عائشةُ[7] وحفصةُ[8] ﷺ مراراً وهو يكرر مراراً عديدةً يقول: **«مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالناس، مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس»**[9]. ولما أُشير بغيره حرك يده وقال: **«لِيُصلِّ بالناس ابنُ أبي قُحافةَ»**. وفي رواية[10]: **«يأبى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكر»** ﷺ.

وروى البخاريُّ[11] ومسلمٌ[12] عن محمدِ بنِ جبير بنِ مُطعم عن أبيه ﷺ قال: «أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدْكَ؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ: **«إن لم تجديني فأتي أبا بكرٍ»**.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٥١ رقم ٦٦٤).
ومسلم (١/ ٣١١ ـ ٣١٥ رقم ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٤١٨/٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٦٤ رقم ٦٨٠) وأطرافه رقم (٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨).
ومسلم (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦ رقم ٩٨، ٩٩، ١٠٠/ ٤١٩).

(٣) لم أعثر عليه بهذا اللفظ في الصحيحين أو أحدهما.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٩٧ رقم ٢٦٩٠) ومسلم (١/ ٣١٦ رقم ٤٢١).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨ رقم ٣٨٥) وطرفه رقم (٦٧٨).
ومسلم (١/ ٣١٦ رقم ١٠١/ ٤٢٠).

(٦) لم أعثر عليه من حديث عمر بن الخطاب بل أخرجه البخاري (٢/ ١٦٥ رقم ٦٨٢) من حديث ابن عمر ﷺ.
* قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» (٥/ ٤٧ ـ ٤٨ رقم ٤٦٦٠ و ٤٦٦١) من حديث عبد الله بن زمعة. وهو حديث حسن.

(٧) مراجعة عائشة في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢/ ١٦٥ رقم ٦٨٢) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٨) مراجعة حفصة في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢/ ١٦٤ رقم ٦٧٩).
ومسلم (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤ رقم ٤١٨/٩٥) من حديث عائشة.

(٩) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(١٠) أخرجها مسلم (٤/ ١٨٥٧ رقم ١١/ ٢٣٨٧) من حديث عائشة.

(١١) في صحيحه (٧/ ١٧ رقم ٣٦٥٩).

(١٢) في صحيحه (٤/ ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧ رقم ١٠/ ٢٣٨٦).

وفيهما[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائمٌ رأيتُني على قَليب عليها دلوٌ فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابنُ أبي قُحافةَ فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعفٌ والله يغفرُ له ضعفَه. ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابنُ الخطابِ فلم أرَ عبقرياً من الناس ينزِع نزْعَ عمرَ حتى ضرب الناسُ بعطَن**».

وفيهما[2] عن عبيد اللّهِ بنِ عبدِ الله بن عُتبةَ أن ابنَ عباسٍ ﷺ كان يحدّث: أن رجلاً أتى رسولَ اللّهِ ﷺ فقال: إني رأيتُ الليلةَ في المنام ظُلَّةً تنطِفُ السمنَ والعسلَ، فأرى الناسَ يتكفّفون منها فالمستكثرُ والمستقلّ، وإذا سببٌ واصلٌ من الأرض إلى السماء فأراك أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فينقطع، ثم وُصل.

فقال أبو بكر: يا رسولَ الله بأبي أنت والله لَتدَعَنّي فأعْبُرها، فقال النبيُّ ﷺ: **اعبُرْها**، قال: أما الظُلّةُ فالإسلامُ، وأما الذي ينطِفُ السمنَ والعسلَ فالقرآنُ حلاوتُه تنطِفُ، فالمستكثرُ من القرآن والمستقلُ. وأما السببُ الواصلُ من السماء إلى الأرض فالحقُّ الذي أنت عليه تأخذ به فيُعليك اللّهُ عز وجل، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرُ فينقطع ثم يُوصل فيعلو به. فأخبرني يا رسولَ الله بأبي أنت أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال النبيُّ ﷺ: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**. قال: فواللّهِ يا رسولَ اللّهِ لتُحدِّثَنّي بالذي أخطأتُ، قال: **أتُقسم**».

وفيهما[3] عن أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ قال: خطب رسولُ الله ﷺ الناسَ وقال: «**إن الله تعالى خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عندَ اللّهِ عز وجل**». قال: فبكى أبو بكر، فعجِبْنا لبُكائه أن يُخبرَ رسولُ اللّهِ ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسولُ الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا.

---

(١) أي البخاري (٧/١٨ - ١٩ رقم ٣٦٦٤).
ومسلم (٤/١٨٦٠ رقم ١٧/٢٣٩٢).

(٢) أي البخاري (١٢/٤٣١ رقم ٧٠٤٦) ومسلم (٤/٧٧٧ رقم ٢٢٦٩).

(٣) أي البخاري (٧/١٢ رقم ٣٦٥٤) ومسلم (٤/١٨٤٥ رقم ٢٣٨٢).

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبتِه ومالِه أبا بكر - رضي الله عنه - ولو كنتُ متخذاً خليلاً غيرَ ربي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أُخوّةُ الإسلامِ ومودّته، لا يبقَيَنّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر**» رضي الله عنه.

وروي عن عائشةَ[1] رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكرٍ أباك، وأخاك حتى أكتُبَ كتاباً، فإني أخافُ أن يتمنى مُتمنٍّ ويقولَ قائلٌ أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**».

وروى أبو داودَ[2] عن عبدِ اللّٰهِ بنِ زَمْعَةَ رضي الله عنه قال: «لما استَعزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلالٌ إلى الصلاةِ فقال: **مُروا مَن يصلي للناس**. فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمرُ في الناس، وكان أبو بكرٍ غائباً، فقلتُ: يا عمرُ قم فصلِّ بالناس. فتقدّم فكبّر، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه وكان عمرُ رضي الله عنه رجلاً مُجهَراً قال: **فأينَ أبو بكر؟ يأبى اللّٰهُ ذلك والمسلمون**، فبعث إلى أبي بكر رضي الله عنه فجاء بعد أن صلى عمرُ تلك الصلاةَ فصلى بالناس».

وفي رواية[3] قال: لما سمعَ النبيُّ ﷺ صوتَ عمرَ رضي الله عنه قال ابنُ زمعةَ: خرج النبيُّ ﷺ حتى أطلعَ رأسَه من حُجرته ثم قال ﷺ: «**لا، لا، لا، ليصل للناس ابنُ أبي قُحافةَ**».

وله[4] عن الحسن عن أبي بكرةَ رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يوم: «من رأى

---

(1) أخرجه مسلم (٤/١٨٥٧ رقم ٢٣٨٧) وقد تقدم.

(2) في «السنن» (٥/ ٤٧ - ٤٨ رقم ٤٦٦٠).
قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ٣٢٢) **بسند صحيح**.
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(3) لأبي داود في «السنن» (٥/٤٨ رقم ٤٦٦١).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٦٠) **بسند صحيح**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
* استعزّ بالمريض: إذا غلب على نفسه من شدة المرض، وأصله من العزّ: وهو الغلبة والاستيلاء على الشيء، ومن هذا قولهم: «من عزّ بزّ» أي من غلب سلب. قاله الخطابي في «معالم السنن».

(4) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٢٩ - ٣٠ رقم ٤٦٣٤).
قلت: وأخرجه الترمذي (٤/ ٥٤٠ رقم ٢٢٨٧) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**. =

منكم رُؤيا؟»، قلت: أنا رأيتُ كأن ميزاناً نزل من السماء فوُزِنتَ أنتَ وأبو بكرٍ فرجَحْتَ بأبي بكر، ووُزن عمرُ وأبو بكرٍ فرجح أبو بكر، ووُزن عمرُ وعثمانُ فرجح عمرُ، ثم رُفع الميزانُ. فرأينا الكراهية في وجه رسولِ الله ﷺ.

ورواه[1] من طريق عبد الرحمنِ بن أبي بكرةَ بمعناه ولم يذكر الكراهية قال: فاستاء لها رسولُ الله ﷺ يعني فساءه ذلك فقال: «**خِلافةُ نبوة، ثم يؤتي اللّهُ المُلك من يشاء**».

وله[2] عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه أنه كان يحدّث أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُرِيَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكرٍ نيط برسولِ الله ﷺ ونيطَ عمرُ بأبي بكر ونيطَ**

= وأخرجه الحاكم (٣/ ٧٠ ـ ٧١) وقال: **صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**، ولم يوافقه الذهبي. بل قال فيه: أشعث الحُمْراني، وهو ثقة، لكن ما احتجا به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٤، ٥٠) وفي «الفضائل» (١/ ١٨٥ رقم ١٩٥) وابنه عبد الله في زياداتِهِ على الفضائل (١/ ١٨٤ رقم ١٩٤).
وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٣٦ و ٥٣٦ ـ ٥٣٧ و ٥٣٨ رقم ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٥، ١١٣٦) في بعض الروايات ابن أبي عاصم اختصاراً وفي بعضها بلفظ الآخرين.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي أبو داود في «السنن» (٥/ ٣٠ رقم ٤٦٣٥).
وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان القرشي التيمي، ولا يحتج بحديثه. ولكنه يتقوى بالحديث الذي تقدم في التعليقة السابقة فهو بها صحيح.

(٢) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٣٠ ـ ٣١ رقم ٤٦٣٦).
قال أبو داود: ورواه يونس وشعيب لم يذكرا عمرو بن أبان.
قلت: فعلى هذا يكون الحديث منقطعاً، لأن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله.
وأخرج الحديث ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٣٤).
وقال الألباني: «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات غير عمرو بن أبان بن عثمان، فإنه مجهول الحال، لم يرو عنه غير الزهري وعبد الله بن علي بن أبي رافع الملقب (عبادل) ولم أعرفه، وكأنه لذلك لم يوثق ابن أبان هذا أحد غير ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجهولين.
ومع ذلك فقد أبدى شكه في سماعه من جابر فقال: «ولا أدري أسمع منه أم لا؟».
وأخرج الحديث أحمد (٣/ ٣٥٥) والحاكم (٣/ ٧١ ـ ٧٢) وصححه ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

عثمانُ بعمرَ». قال جابر: فلما قُمنا من عند رسولِ الله ﷺ قلنا: أما الرجلُ الصالحُ فرسولُ الله ﷺ، وأما تنوُّطُ بعضِهم ببعض فهم ولاةُ هذا الأمرِ الذي بعث اللَّهُ به نبيَّه ﷺ.

وله[1] عن سَمُرَة بنِ جُندُبٍ رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسولَ الله إني رأيتُ كأن دلواً دُلِّيَتْ من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعَراقيها شرِب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعَراقيها فشرِب حتى تضلّع، ثم جاء عثمانُ بعراقيها فشرب حتى تضلّع، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعراقيها فانتشطتْ وانتضح عليه منها شيءٌ.

وروى التِرمذيُّ[2] عن حذَيفةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إني لأرى ما بقائي**

---

(١) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٣١ ـ ٣٢ رقم ٤٦٣٧).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٤١) وأحمد (٥/ ٢١).
قال الألباني: «**إسناده ضعيف**، ورجاله موثقون غير عبد الرحمن والد الأشعث وهو الأزدي الجرمي. فإنه مجهول، قال الذهبي: «ما حدث عنه سوى ولده أشعث».
قلت: وذكره ابن حبان على قاعدته في «الثقات» !» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٠٩ رقم ٣٦٦٢) وقال: **هذا حديث حسن**.
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢ و ٣٨٥ و ٤٠٢) وابن ماجه (١/ ٣٧ رقم ٩٧) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٨٣ ـ ٨٤) والحميدي في مسنده (١/ ٢١٤ رقم ٤٤٩) وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٣٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٩) والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١٠١ رقم ٣٨٩٤ و ٣٨٩٥) كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به مختصراً ومطولاً.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٦١٠ رقم ٣٦٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٩٩) وابن حبان رقم (٢١٩٣ ـ موارد) أيضاً من حديث حذيفة، لكن من طريق سالم أبي العلاء.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.
* وأخرجه الترمذي (٥/ ٦٧٢ رقم ٣٨٠٥) وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. . .».
وأخرجه الحاكم (٣/ ٧٥ ـ ٧٦) وقال: **إسناده صحيح** ورده الذهبي بقوله، قلت: سنده واهٍ.
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١٠٢ رقم ٣٨٩٦) وقال: **حديث غريب**. كلهم من حديث ابن مسعود.
وأورد الألباني الحديث في «الصحيحة» (٣/ ٢٣٣ رقم ١٢٣٣).
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن، والله أعلم.

فيكم، **فاقتدوا باللذَين من بعدي**»، وأشار إلى أبي بكر وعمرَ. حديث حسنٌ.

وله[1] عن عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكرٍ أن يؤمَّهم غيرُه**».

وروى مسلمٌ[2] عن عائشةَ ﵂ وسُئلت: مَن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مستخلِفاً لاستخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من يأتي بعد أبي بكر؟ قالت: عمرُ، قيل لها: من بعد عمرَ؟ قالت: أبو عبيدةَ بنُ الجراح.

وصفةُ بيعتِه ﵁ بخلافة النبوةِ ما رواه البخاريُّ[3] عن عائشةَ ﵂ زوجِ النبيِّ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ مات وأبو بكر بالسُّنح[4]، فقامَ عمرُ يقول: واللَّهِ ما مات رسولُ الله ﷺ. قالت: وقال عمرُ والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليَبْعثنَّه اللَّهُ فلَيَقطَعَنّ أيديَ رجالٍ وأرجلَهم، فجاء أبو بكرٍ فكشف عن رسولِ الله ﷺ فقبّله فقال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حياً وميْتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقَك اللَّهُ الموتتين أبداً.

ثم خرج فقال: أيها الحالفُ على رِسلك. فلما تكلم جلسَ عمرُ ﵄، فحمِدَ اللَّهَ أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبُد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبُد اللَّهَ فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال فنشَجَ الناسُ يبكون.

قال واجتمعت الأنصارُ إلى سعد بنِ عبادةَ في سقيفةِ بني ساعدةَ فقالوا: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكرٍ الصديق وعمرُ بنُ الخطاب ﵁ وأبو عبيدةَ بنُ الجراح ﵁، فذهبَ عمرُ يتكلم فأسكتَهُ أبو بكرٍ ثم تكلم أبلغُ الناس،

---

(١) أي للترمذي في «السنن» (٥/ ٦١٤ رقم ٣٦٧٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: سنده ضعيف، لكن له شواهد بمعناه يرقى بها إلى الحسن.

(٢) في صحيحه (٤/ ١٨٥٦ رقم ٢٣٨٥).

(٣) في صحيحه (٧/ ١٩ - ٢٠ رقم ٣٦٦٧ و ٣٦٦٨).

(٤) السُّنح: قال إسماعيلُ - هو شيخ المصنف فيه وهو ابن أبي أويس - يعني بالعالية.

فقال في كلامه: نحن الأمراءُ وأنتم الوُزراء. فقال حُبابَ: واللَّهِ لا نفعل، منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ.

فقال أبو بكر: لا ولكن نحن الأمراءُ وأنتم الوزراء، إن قريشاً هم أوسطُ العربِ داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمرَ بنَ الخطاب أو أبا عُبيدةَ بنَ الجراح.

فقال عمرُ: بل نُبايعُك أنتَ، فأنت سيدُنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. فأخذ عمرُ بيده فبايعَه وبايعه الناسُ، فقال قائلٌ: قتلتم سعدَ بنَ عبادةَ، فقال عمرُ: قتلَه الله.

زاد في رواية[1]: فما كانت من خطبتِهما من خطبةٍ إلا نفعَ الله بها، لقد خوّف عمرُ الناسَ وإنَّ فيهم النفاقَ، فردَّهم الله بذلك، ثم بصَّر أبو بكر الناسَ الهدى وعرَّفهم الحقَّ الذي عليهم وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ - إلى - ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وفيه[2] أيضاً عن عمرَ ﷺ من خطبته الطويلة قال: «ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: واللَّهِ لو مات عمرُ بايعتُ فلاناً. فلا يغْتَرَّنَ امرؤٌ أن يقول إنما كانت بيعةُ أبي بكرٍ فلتةً وتمّت، ألا إنها قد كانت كذلك، ولكن اللَّهَ وقى شرَّها. وليس منكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثلَ أبي بكر. من بايع رجلاً من غير مشورةٍ من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعَه تَغِرَّةً أن يُقتلا، وإنه قد كان من خيرنا حينَ تَوفَّى اللَّهُ نبيَّنا ﷺ، إلا أن الأنصارَ خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفةِ بني ساعدةَ، وخالفَ عنا عليٌّ والزبيرُ ومن معهما، واجتمع المهاجرونَ إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكرٍ انطلِقْ بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار.

فانطلَقْنا نُريدُهم، فلما دَنونا منهم لقِينا منهم رجلاً صالحاً فذكر لنا ما تمالأ

---

(١) أي البخاري (٧/ ٢٠ رقم ٣٦٦٩ و ٣٦٧٠).

(٢) في صحيح البخاري (١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥ رقم ٦٨٣٠) من حديث ابن عباس.

* «تغرة أن يقتلا: بمثناة مفتوحة، وغين معجمة مكسورة وراء ثقيلة بعدها هاء تأنيث، أي حذار من القتل، وهو مصدر من أغررته تغريراً أو تغرة.

والمعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل». اهـ. من «فتح الباري» (١٢/ ١٥٠).

عليه القومُ، فقال: أين تريدون يا معشرَ المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخوانَنا هؤلاء من الأنصار، فقال: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضُوا أمرَكم، فقلتُ: واللّهِ لنأتيَنّهم، فانطلَقْنا حتى أتينا سقيفةَ بني ساعدةَ فإذا رجلٌ مُزَمَّلٌ بين ظهرانِيهم، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا سعدُ بنُ عبادةَ. فقلتُ: ما له؟ قالوا: يُوعك. فلما جلَسْنا قليلاً تشهّد خطيبُهم فأثنى على الله بما هو أهلُه ثم قال: أما بعدُ فنحن أنصارُ اللّهِ وكتيبةُ الإسلامِ، وأنتم معشرَ المهاجرين رهْطٌ، وقد دفَّتْ دافةٌ من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزِلونا من أصلنا وأن يحضُنونا من الأمر. فلما سكتَ أردتُ أن أتكلَمَ، وكنت [قد] زوَّرتُ مقالةً أعجبتْني أريدُ أن أُقدِّمُها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدِّ، فلما أردتُ أن أتكلمَ قال أبو بكر: على رِسلك. فكرهتُ أن أُغضِبَه.

فتكلم أبو بكر فكان هو أحلمَ مني وأوقرَ، واللّهِ ما ترك كلمةً أعجبتْني في تزويري إلا قال في بديهته مثلَها وأفضلَ منها، حتى سكت فقال: ما ذُكر فيكم من خير فأنتم له أهلٌ، ولن يُعرَفَ هذا الأمرُ إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسطُ العربِ نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين، فبايعُوا أيَّهما شئتم.

فأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدةَ بنِ الجراحِ وهو جالسٌ بيننا، فلم أكرَه مما قال غيرَها. كان واللّهِ أن أُقدَّمَ تُضربُ عُنقي ولا يَقربُني ذلك من إثم أحبُّ إليَّ من أن أتأمَّرَ على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسوِّلَ إليَّ نفسي عند الموتِ شيئاً لا أجدُه الآن.

فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذَيلُها المُحَكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشرَ قريش. فكثُر اللغَطُ وارتفعت الأصواتُ حتى فرِقتُ من الاختلاف، فقلتُ: ابسُطْ يدَك يا أبا بكر. فَبسَط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعْته الأنصارُ، ونزَونا على سعد بنِ عُبادةَ. فقال قائلٌ منهم: قتلتم سعدَ بنَ عُبادةَ. فقلتُ: قتل اللّهُ سعدَ بنَ عُبادةَ. قال عمرُ: وإنا واللّهِ ما وجدنا فيما حضَرْنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشِينا إن فارقْنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فسادٌ، فمن بايع رجلاً على غير مشورةِ المسلمين فلا يتابَعُ هو والذي بايعه تَغِرَّةً أن يُقتلا».

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن حميد بنِ عبدِ الرحمن قال: توفي رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة، قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبّله وقال: فداك أبي وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمدٌ وربِّ الكعبةِ. فذكر الحديث.

فانطلق أبو بكر وعمرُ رضي الله عنهما يتعادان حتى أتوَهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أُنزل في الأنصار أو ذكره رسولُ اللَّهِ ﷺ من شأنهم إلا ذكره وقال: لقد علمتم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«لو سلك الناسُ وادياً وسلكت الأنصارُ وادياً لسلكتُ واديَ الأنصار»**. ولقد علمتَ يا سعدُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وأنتَ قاعدٌ: **«قريشٌ ولاةُ هذا الأمرِ فبرُّ الناسِ تبعٌ لِبَرّهم، وفاجِرُهم تبعاً لفاجرهم»**. فقال له سعدٌ: صدقتَ، نحن الوزراءُ وأنتم الأمراء.

وله[2] بإسناد جيدٍ عن رافعٍ الطائيِّ رفيق أبي بكر الصديقِ في غزوة ذاتِ السلاسلِ قال: وسألتُه عما قيل في بيعتهم فقال وهو يحدّث عما تقاولت به الأنصارُ وما كلمهم به عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه وما ذكر به من إمامتي إياهم بأمر رسولِ اللَّهِ ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتُها منهم، وتخوَّفتُ أن تكون فتنةٌ بعدها رِدَّةٌ.

وروى البخاريُّ[3] عن أنس بن مالكٍ أنه سمع خُطبةَ عمرَ الأخيرةَ حين جلس على المنبر، وذلك الغدَ من يوم تُوفّي رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر صامتٌ لا يتكلم قال: كنتُ أرجو أن يعيش رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى يُدْبِرَنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يكُ محمدٌ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهرِكم نوراً تهتدون به، به هدى اللَّهُ محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثانيَ اثنينِ، وإنه أولى المسلمين بأموركم فقدِّموا فبايعوه، وكانت طائفةٌ قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدةَ، وكانت بَيعةُ العامةِ على المنبر.

قال الزهريُّ عن أنس بنِ مالكٍ: سمعتُ عمرَ يقول يومئذ لأبي بكر: اصعَد المنبر، فلم يزَلْ به حتى صعِدَ المنبرَ فبايعه عامةُ الناس.

---

(١) في «المسند» (١/٥) بسند منقطع. لأن حميد بن عبد الرحمن لم يدرك وفاةَ رسولِ الله ﷺ.
ولكن الحديث يتقوى بما تقدم تخريجه في الصحيح.

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (١/٨) بسند صحيح.

(٣) في صحيحه (١٣/٢٠٦ رقم ٧٢١٩).

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: حدثني الزهريُّ حدثني أنسُ بنُ مالكٍ قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغدُ جلس أبو بكر ﷺ على المنبر، وقام عمرُ فتكلم قبل أبي بكر، فحمد اللَّهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: «أيها الناسُ إني قد كنتُ قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت وما وجدتُها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهِدَها إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكني أرى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سيُدبِرُ أمرَنا - يقول يكون آخرَنا - وإن اللَّهَ قد أبقى فيكم كتابَه الذي هدى به رسولَ الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم اللَّهُ لما كان هداه الله له، وإن اللَّهَ تعالى قد جمع أمرَكم على خيرِكم صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه». فبايعَ الناسُ أبا بكر ﷺ بيعةَ العامةِ بعد بيعةَ السقيفةِ.

ثم تكلم أبو بكر فحمِد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: «أما بعدُ أيها الناسُ فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني.

الصدقُ أمانةٌ والكذبُ خيانةٌ، والضعيفُ منكم قويٌّ عندي حتى أُزيحَ عِلَّته إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخُذَ منه الحقَّ إن شاء اللَّهُ عز وجل، لا يدع قومٌ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ عز وجل إلا ضربَهم بالذل، ولا يُشيعُ قومٌ قطُّ الفاحشةَ إلا عمَّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه، فإذا عصيتُ اللَّهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم. قوموا إلى صلاتِكم يرحمُكم الله».

وروى البيهقيُّ[2] من طريق ابنِ خزيمةَ بإسناد عن أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ قال: قُبض رسولُ اللَّهِ ﷺ واجتمع الناسُ في دارِ سعدِ بنِ عبادةَ وفيهم أبو بكرٍ

---

(١) في سيرة ابن هشام (٤/ ٤١٣ - ٤١٤) بسند متصل، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٤٣٧ - ٤٣٨ رقم ٩٧٥٦) بسند صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.
واعلم أن أصل الحديث في صحيح البخاري (١٣/ ٢٤٥ رقم ٧٢٦٩).

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٦) مسنداً بسند صحيح.
وذكر ابن كثير في آخره: «قال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعتُ ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأتُ عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة، فقلت: يسوي بدنة، بل هذا يسوي بدرة» اهـ.

وعمرُ، قال فقام خطيب الأنصارِ فقال: أتعلمون أن رسولَ الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسولِ الله ﷺ، ونحنُ أنصارُ خليفتِه كما كنا أنصارَه.

قال فقام عمرُ بنُ الخطابِ فقال: صدق قائلُكم أما لو قلتُم غيرَ هذا لم نُبايعكم. وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبُكم فبايعوه، فبايعه عمرُ وبايعه المهاجرون والأنصارُ.

قال فصعِد أبو بكر المنبرَ فنظر في وجوه القومِ فلم يرَ الزُبير قال: فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت ابنَ عمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحَوارِيَّه أردتَ أن تشُقَّ عصى المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ فقام فبايعه.

ثم نظر في وجوه القومِ فلم يرَ علياً، فدعا بعليّ بن أبي طالب فجاء فقال: قلتَ ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وختَنَه على ابنته، أردتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين. قال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فبايعَه.

وروى مسلمٌ[1] من طريق ابنِ شهابٍ عن عُروةَ عن عائشةَ ﵂ أنها أخبرتْه أن فاطمةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أرسلتْ إلى أبي بكر الصديق ﵁ تسأله ميراثَها من رسولِ اللَّهِ ﷺ مما أفاء اللَّهُ عليه بالمدينة وفدَكٍ وما بقيَ من خُمس خيبرَ، فقال أبو بكر: إن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا نُورَث ما تركناه صَدقةٌ»**. إنما يأكلُ آلُ محمدٍ ﷺ في هذا المالِ، وإني واللَّهِ لا أُغيِّرُ شيئاً من صدقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسولِ اللَّهِ ﷺ. ولأعملنّ فيها بما عمِل رسولُ الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يدفَع إلى فاطمةَ شيئاً، فوجدتْ فاطمةُ على أبي بكر في ذلك. قال فهجرتْه فلم تُكلّمه حتى تُوفيتْ.

وعاشت بعد النبيِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ، فلما تُوفيتْ دفنها زوجُها عليُّ بنُ أبي طالبٍ ليلاً ولم يُؤْذِنْ بها أبا بكر وصلّى عليها عليٌّ.

وكان لعليّ ﵁ من الناس وِجهةٌ حياةَ فاطمةَ ﵂، فلما تُوفيتْ استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحةَ أبي بكر ومبايعتَه ولم يكن بايعَ تلكَ الأشهر،

---

(١) في صحيحه (٣/ ١٣٨٠ رقم ١٧٥٩).

فأرسلَ إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتِنا معك أحدٌ ـ كراهيةَ أن يحضُرَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه ـ فقال عمرُ لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدَك، فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي، إني واللّهِ لآتيهم. فدخل عليهم رضي الله عنه، فتشهّد عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه ثم قال: إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلَتك وما أعطاك الله، ولم ننْفسْ عليك خيراً ساقه الله خيراً إليك، ولكنك استبدذتَ علينا بالأمرِ، وكنا نحن نرى حقاً لقرابتنا من رسولِ اللّهِ ﷺ. فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضتْ عينا أبا بكر رضي الله عنه، فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده لقرابةُ رسولِ اللّهِ ﷺ أحبُّ إليّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجرَ بيني وبينكم من هذه الأموالِ فإني لم آلُ فيها عن الحق، ولم أترك أمراً رأيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يصنعه فيها إلا صنعتُه.

فقال عليٌّ لأبي بكر رضي الله عنهما: موعدُك العشيةَ للبَيعةِ. فلما صلى أبو بكر رضي الله عنه صلاةَ الظهر رقَى عليٌّ المنبرَ فتشهّد وذكرَ شأنَ عليٍّ وتخلُّفَه عن البَيعةَ وعذَره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه فعظّم حقَّ أبي بكر رضي الله عنه وأنه لم يحملْه على الذي صنعه نَفاسةً على أبي بكر ولا إنكارٌ للذي فضّله به، ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبدّ علينا به فوجدْنا في أنفسِنا، فسُرّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبتَ، فكان المسلمون إلى عليّ قريباً حين راجعَ الأمرَ بالمعروف.

وهذا لا ينافي ما ذُكر في بَيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلةَ السقيفةِ أو صُبْحتَها، ولفظةُ: «لم يكن بايع تلك الأشهرِ». إن كان من قول عائشةَ فلعلها لم تعلمْ بَيعتَه الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيرُه، لأن الرجال في مثل هذه المسألةِ أقومُ وأعلمُ بها إذ لا يحضُرها النساءُ.

وأيضاً فقد قدمنا مراراً أن مجردَ النفي لا يكون علماً، وعند المُثبت زيادةُ علمِ انفرد بها عن النافي، إذْ آيةُ ما عند النافي أنه لا يعلم.

ولعل عائشةَ تيقّنت عدمَ حضورِه بَيعةَ السقيفةِ من العشيّ ولم يبلُغها حضُوره صبحتَها في البيعةِ العامةِ. وإن كان هذا كلامَ بعضِ الرواةِ فهو بمجرد ما فهمه من البَيعة الأخرى ظن أنه لم يبايعْ قبل ذلك فقال مصرحاً بظنه: «ولم يكن بايع تلك الأشهر». وإنما كانت هذه البيعةُ بعد موتِ فاطمةَ رضي الله عنها لإزالة ما كان حصل من

الوَحشة والمشاجَرةِ بسبب دعواها، ويشهد لذلك أن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه لم يفارق الصدّيقَ رضي الله عنه في وقت من الأوقات ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وكان خروجُه معه إلى ذي القَصّة حين عقَد ألويةَ الأمراءِ الأحدَ عشرَ في حياةِ فاطمةَ رضي الله عنها في الشهر الثالث من وفاةِ رسولِ اللّهِ ﷺ.

كما روى الدارقطنيُّ[1] من طريق مالكٍ عن ابن شهابٍ عن سعيد بنِ المسيَّبِ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: «لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه بزمامِها وقال: إلى أينَ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسولُ اللّهِ ﷺ يومَ أُحدٍ: **لُمَّ سيفَك ولا تفجَعْنا بنفسك وارجِع إلى المدينة،** فواللّهِ لئن فُجعْنا بك لا يكون للإسلامِ نظامٌ أبداً. فرجع.

ورواه زكريا الساجيُّ[2] من حديث عبدِ الوهابِ بنِ موسى بنِ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ، والزهريُّ أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ قالت: خرج أبي شاهراً سيفَه راكباً على راحلتِه إلى وادي القصة، فجاء عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلتِه فقال: إلى أين يا خليفةَ رسولِ اللّهِ؟ أقول لك ما قال رسولُ الله ﷺ يوم أحد: «**لُمَّ سيفَك ولا تفجعْنا بنفسك**». فوالله لئن أُصِبنا بك لا يكون للإسلامِ نظامٌ أبداً. فرجع وأمضى الجيشَ.

وفي الصحيح[3] خروجُهما إلى خارج المدينةِ وأن أبا بكر رضي الله عنه وجد الحسنَ بنَ عليٍّ يلعب مع الصبيان فحمَله وهو يقول:

(بأبي شبيهٌ بالنبيّ ... ليس شبيهٌ بعلي[4])

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٩) مسنداً: **بسند ضعيف**.
وقال ابن كثير عقبه: «**هذا حديث غريب من طريق مالك**».

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٩) مسنداً. **بسند ضعيف**.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٥٦٣ رقم ٣٥٤٢) و (٧/ ٩٥ رقم ٣٧٥٠).
* وأخرج أحمد في «المسند» (رقم ٤٠ ـ شاكر) **بسند صحيح**: عن عقبةَ بن الحارث قال: «خرجتُ مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ وعليّ يمشي إلى جنبه، فمرّ بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول: (وابأبي شِبْه النبيّ ليس شبيهاً بعلي).

(٤) في الأصل:
(يا بأبي شِبيه النبيّ ... ليس شبيهاً بعلي) =

وعليٌّ ﷺ يضحك.

ومن تدبر النصوصَ في ذلك وإجماعَ المهاجرين والأنصارِ وأهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ وغيرِهم ظهر له تأويلُ قولِ الصادقِ المصدوقِ ﷺ: **«يأبى اللهُ والمؤمنون إلا أبا بكر»**[1].

[فضائل الصديق وفضله]

وأما فضلُه فقال تبارك وتعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]. وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل]. حكى جماعةٌ من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديقِ ﷺ وأرضاه.

وفي الصحيحين[2] من حديث الهجرةِ الطويلِ: «فارتحلنا والقومُ يطلبوننا فلم يُدركنا أحدٌ منهم غيرَ سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُم على فرس له، فقلت: هذا الطلبُ، قد لحِقَنا يا رسولَ الله، فقال: **«لا تحزَنْ إنَّ الله معنا»**».

وفيهما[3] من حديث أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ عن أبي بكر ﷺ قال: «قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدَهم نظر تحت قدميه لأبصَرَنا، فقال: **ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثهما»**.

وفيهما[4] عن ابنِ عمرَ ﷺ قال: «كنا نخيّر بين الناسِ في زمن النبيِّ ﷺ فنخيّر أبا بكر ثم عمرَ بنِ الخطاب ثم عثمانَ بن عفانَ ﷺ».

= وهو بيت مكسور. والصوابُ ما أثبتناه من صحيح البخاري.

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٧/ ٨ - ٩ رقم ٣٦٥٣) وطرفاه (٣٩٢٢) و (٤٦٦٣).
ومسلم (٤/ ١٨٥٤ رقم ١/ ٢٣٨١).

(٤) لم يخرجه مسلم. بل أخرجه البخاري (٧/ ١٦ رقم ٣٦٥٥) وطرفه (٣٦٩٧).
وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٥٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٩٢).

وفي لفظ[1] قال: «كنا في زمن النبيِّ ﷺ لا نعدِل بأبي بكر أحداً ثم عمرَ ثم عثمانَ، ثم نترك أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضِل بينَهم».

وفيهما[2] واللفظُ لمسلم عن سعيد بنِ المسيِّب وأبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ أنهما سمعا أبا هريرةَ ؓ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«بينما رجلٌ يسوق بقرةً له قد حمل عليها التفتتْ إليه البقرةُ فقالت: إني لم أُخلَقْ لهذا ولكني إنما خُلقتُ للحرث، فقال الناسُ: سبحانَ اللَّهِ - تعجّباً وفزَعاً - أبقرةٌ تَتكلَّمُ؟»**، فقال رسولُ الله ﷺ: **«فإني أؤمنُ به وأبو بكر وعمر»**.

وقال أبو هريرةَ ؓ: قال رسولُ الله ﷺ: **«بينما راعٍ في غنمه عدا عليها الذئبُ فأخذ منها شاةً فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفتَ إليه الذئبُ فقال له: مَن لها يومَ السبُعِ، يوم ليس لها راعٍ غيري. فقال الناسُ: سبحانَ الله. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: فإني أؤمنُ بذلك أنا وأبو بكر وعمرُ»**. وفي رواية لهما: **«ومن ثَمَّ أبو بكر وعمرُ»**. ولمسلم[3]: **«وَمَا هُما ثَمَّ»**.

وفي صحيح البخاريِّ[4] عن همام قال: سمعتُ عماراً يقول: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ ما معه إلا خمسةُ أعبُدٍ وامرأتان وأبو بكر».

وفيه[5] عن أبي الدرداء ؓ قال: «كنت جالساً عند النبيِّ ﷺ إذْ أقبلَ أبو بكر آخذاً بطرف ثوبِه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبيُّ ﷺ: **«أما صاحبُكم فقد غامرَ»**. فسلَّم وقال: يا رسولَ الله إنه كان بيني وبين ابنِ الخطابِ شيءٌ فأسرعتُ إليه ثم ندِمتُ فسألتُه أن يغفِرَ لي فأبى عليَّ فأقبلتُ إليك، فقال: **«يغفِرُ اللَّهُ لك يا أبا بكر»** ثلاثاً.

ثم إن عمرَ ؓ ندِمَ فأتى منزِل أبا بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلَّم عليه فجعل عليه وجهُ النبيُّ ﷺ يتمعَّرُ حتى أشفق

(١) للبخاري في صحيحه (٧/ ٥٣ ـ ٥٤ رقم ٣٦٩٧).
(٢) البخاري (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦٣) ومسلم (٤/ ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨ رقم ٢٣٨٨).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٨٥٨ رقم (...)/ ٢٣٨٨).
(٤) في صحيحه (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦٠) وطرفه (٣٨٥٧).
(٥) أي البخاري في (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦١) وطرفه (٤٦٤٠).

أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يا رسولَ اللَّهِ والله أنا كنتُ أظلمَ. مرتين.

فقال ﷺ: «**إن اللَّهَ بعثني إليكم فقلتم كذبتَ وقال أبو بكر صدقتَ، وواساني بنفسِه ومالِه، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟**» مرتين. فما أُوذيَ بعدَها».

ـ وفي رواية[1] ـ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إني قلتُ: يا أيها الناسُ إني رسولُ اللَّهِ إليكم فقلتم كذبتَ وقال أبو بكر صدَقتَ**». قال أبو عبدِ الله ـ هو البخاري ـ سبق بالخير.

ولهما[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين من شيءٍ من الأشياء في سبيل اللَّهِ دُعيَ من أبوابِ الجنةِ: يا عبدَ اللَّهِ هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاةِ دُعيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهلِ الجهادِ دُعي من باب الجهادِ، ومن كان من أهلِ الصدقةِ دُعيَ من باب الصدقةِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعيَ من باب الصيامِ وبابُ الريانِ**».

فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبوابِ من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلّها أحدٌ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر**».

وفيه[3] عن عمرو بنِ العاص رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ بعثه على جيش ذاتِ السلاسل، فأتيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشةُ**»، فقلتُ: من الرجال؟ فقال: «**أبوها**»، قلتُ: ثمَّ مَن؟ قال: «**ثم عمرُ بنُ الخطاب**» فعدَّ رجالاً.

وفيه[4] عن محمد بنِ الحنفيةِ قال: قلت لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعدَ

---

(١) أخرجها البخاري (٨/٣٠٣ رقم ٤٦٤٠).

(٢) البخاري (٧/١٩ رقم ٣٦٦٦).
ومسلم (٢/٧١١ ـ ٧١٢ رقم ١٠٢٧).

(٣) أي البخاري (٧/١٨ رقم ٣٦٦٢) وطرفه (٤٣٥٨).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/١٨٥٦ رقم ٢٣٨٤).

(٤) أي البخاري (٧/٢٠ رقم ٣٦٧١).
قلت: وللحديث طرق كثيرة عن علي بن أبي طالب. انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل رقم (٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و...) و «السنة» لابن أبي عاصم رقم (١٢٠٥).

رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ مَن؟ قال: عمرُ وخشيتُ أن يقولَ عثمانُ، فقلتُ: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين.

وفيه(١) عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال: قلتُ لعبد اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاص: أخبِرْني بأشدِّ ما صنع المشركون برسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: بينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يصلي بفِناء الكعبةِ إذ أقبلَ عُقبةُ بنُ مُعَيط فأخذ بمنكب رسولِ اللَّهِ ﷺ ولوى ثوبَه في عنقه فخنقَه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وفيهما(٢) عن سعيد بنِ المسيِّب قال: أخبرني أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزَمَن رسولَ الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجدَ فسأل عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووجّه ههنا، فخرجتُ على أثرِه أسأل عنه حتى دخل بئرَ أريسَ فجلستُ عند الباب وبابُها من جريد حتى قضى رسولُ اللَّهِ ﷺ حاجتَه فتوضأ، فقمتُ إليه فإذا هو جالسٌ على بئر أريسَ وتوسّط قُفَّها وكشف عن ساقيه ودلاّهما في البئر، فسلمتُ عليه ثم انصرفت، فجلستُ عند البابِ فقلتُ لأكونَنّ بوابَ رسولِ الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفعَ البابَ فقلتُ: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلتُ: على رِسْلك، ثم ذهبتُ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ هذا أبو بكر يستأذن، فقال **ائذَنْ له وبشره بالجنة**، فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُل ورسولُ اللَّهِ ﷺ يبشركُ بالجنةِ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسولِ اللَّهِ ﷺ معه في القُف ودلّى رجليه في البئرِ كما صنع النبيُّ ﷺ وكف عن ساقيه، ثم رجعتُ فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيراً - يريد أخاه - يأتِ به، فإذا إنسانٌ يحرك البابَ فقلتُ: من هذا؟ فقال: عمرُ بنُ الخطابِ، فقلت: على رسلك، ثم جئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسلمتُ عليه فقلتُ: هذا عمرُ بنُ الخطابِ يستأذن، فقال: **«ائذَنْ له وبشره بالجنة»**.

---

(١) أي البخاري (٧/ ٢٢ رقم ٣٦٧٨) وطرفاه (٣٨٥٦، ٤٨١٥).

(٢) البخاري (٧/ ٢١ - ٢٢ رقم ٣٦٧٤) وأطرافه: (٣٦٩٣، ٣٦٩٥، ٦٢١٦، ٧٠٩٧، ٧٢٦٢).

ومسلم (٤/ ١٨٦٧ رقم ٢٤٠٣).

فجئتُ فقلتُ له: ادخُل وبشرك رسولُ الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسولِ الله ﷺ في القُف عن يسارِه ودلَّى رجليه في البئر، ثم رجعتُ فجلستُ فقلتُ: إن يُردِ اللَّهُ بفلانٍ خيراً يأتِ به، فجاء إنسانٌ يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمانُ بنُ عفان، فقلتُ: على رسلك، فجئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُه فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تُصيبه»**، فقلتُ له: ادخل وبشرك رسولُ اللَّهِ بالجنة على بلوى تُصيبك، فدخل فوجد القف قد مُلئ فجلس وِجاهَه من الشق الآخر. قال سعيد بنُ المسيِّب: فأوّلتُها قبورَهم.

وفيهما[1] عن أنس ﷺ أن النبيَّ ﷺ صعِد أُحُداً وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ، فرجَفَ بهم فقال: **«اثبُتْ، فإنما عليك نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدان»**.

وللترمذي[2] عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأبي بكر: **«أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار»**. وقال حسنٌ صحيح.

وله[3] عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قال: «أمرنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نتصدّق، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلتُ اليومَ أسبقُ أبا بكر إن سبقتُه يوماً. قال: فجئتُ بنصِف مالي، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«ما أبقيتَ لأهلك؟»**، قلت: مثلَه. وأتى أبو بكر ﷺ بكل ما عنده فقال: **«يا أبا بكر ما أبقيتَ لأهلك؟»** قال: أبقيتُ لهم اللَّهَ ورسولَه، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً». هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ولمسلم[4] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«من أصبح منكم اليوم صائماً؟»** قال أبو بكر: أنا، قال: **«فمن تبعَ منكم اليوم جنازةً؟»**، قال أبو بكر: أنا، قال: **«فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟»**، قال أبو بكر: أنا، قال: **«فمن**

---

(١) لم يخرجه مسلم بل أخرجه البخاري (٧/ ٢٢ رقم ٣٦٧٥)، وطرفاه (٣٦٨٦، ٣٦٩٩).

(٢) في «السنن» (٥/ ٦١٣ رقم ٣٦٧٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: في سنده كثير بن إسماعيل النواء، وهو ضعيف. ولبعضه شواهد.

(٣) أي للترمذي (٥/ ٦١٤ ـ ٦١٥ رقم ٣٦٧٥) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه أبو داود (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ١٦٧٨) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٢٤٠) **بسند حسن**.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٤) في صحيحه (٢/ ٧١٣ رقم ١٠٢٨).

عاد منكم اليوم مريضاً؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما اجتمعنَ في امرئٍ إلاّ دخل الجنة». والأحاديث في هذا الصدِّيق كثيرةٌ جداً، قد أُفردتْ بالتصنيف، وفيما ذُكر كفايةٌ في التنبيه على ما وراءه، وما أحسنَ ما قال حسانُ بنُ ثابتٍ ﷺ:

(إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ ... فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا)

(خيرَ البريةِ أوفاها وأعدَلَها ... بعدَ النبيّ وأولاها بما حمَلا)

(والتاليَ الثانيَ المحمودَ مشهدُه ... وأولُ الناسِ منهم صدّق الرُسُلا)

(عاش حميداً لأمرِ اللّهِ متَّبِعاً ... بأمر صاحبِه الماضي وما انتقلا[1])

[مواقف الصديق في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته]

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمةِ مع النبيِّ ﷺ من حين بعثته إلى أن توفاه اللّهُ عز وجل من نُصرته والذبِّ عنه والشفقةِ عليه والدعوةِ إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساتِه بنفسه ومالِه، وتقدمِه معه في كل خير، فأمرٌ لا تُدرك غايتُه.

ثم لما توفى اللّهُ عز وجل نبيَّه ﷺ كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاهُ أمرَهم بعد نبيِّه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع اللّهُ به شملَ العربِ بعد شتاتِه، وقمع به كلَّ عدوٍّ للدين، ودمر عليه، وألَّفَ له الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرُهم عن دينه وانقلبَ الغالبُ منهم على أعقابهم كافرين. حتى قيل: لم يبقَ

---

(١) الأبيات في ديوان حسان (ص٣٥٢ ـ ٣٥٣).

* أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (١٠٣) بسند ضعيف جداً. لأجل محمد بن حميد الرازي فإنه متروك، ومجالد بن سعيد ضعيف.
وأخرجه الحاكم (٣/ ٦٤) من طريق مجالد.
وابن الأثير في «الكامل» (٣/ ٢٠٨) من طريق محمد بن حميد مثله.
والطبراني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٣): وفيه الهيثم بن عدي وهو متروك.
ويأتي من طريقه في الكتاب ـ أي فضائل الصحابة ـ رقم (١١٩).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٨٢) عن ابن مغراء مثله. وقال أبوه: منكر.
وقال محقق «فضائل الصحابة» (ص١٣٣): ورواه البغوي في معجمه (ل ٤١٨) عن ابن عباس بإسناد حسن بدون ذكر الشعر.

يُصلى إلا في ثلاثةِ مساجدَ: الحرمين الشريفين، ومسجدِ العلاء بنِ الحضرميِّ بالبحرين، فردهم الله تعالى إلى الحق طوعاً وكرهاً، وأطفأ به كلَّ فتنةٍ في أقلَّ من ستةِ أشهرٍ ولله الحمدُ والمنة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤]. الآيات.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[١] رضي الله عنه والحسنُ البصْريُّ[٢] وقَتادةُ[٣]: هم أبو بكر وأصحابُه الذين قاتلوا أهلَ الردةِ ومانعي الزكاة. وذلك أن النبيَّ ﷺ لما قُبض ارتد عامةُ العرب، إلا أهلَ مكةَ والمدينةِ والبحرين من عبد قيس، ومنع بعضُهم الزكاةَ.

وهمَّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالِهم فكره ذلك أصحابُ النبيِّ ﷺ وقال عمرُ رضي الله عنه: كيف تقاتل الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه وحسابُهم على الله»**.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها إلى رسولِ اللّهِ لقاتلتُهم على منعها[٤].

قال أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: كرِهتْ الصحابةُ رضي الله عنهم قتالَ مانعي الزكاة وقالوا أهلُ القبلة، فتقلَّد أبو بكر سيفَه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج في أثره.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: كرِهْنا ذلك في الابتداء، ثم حمِدْناه في الانتهاء.

قال أبو بكر ابنُ عياشٍ: سمعتُ أبا حُصينٍ يقول: ما وُلد بعد النبيين مولودٌ أفضلُ من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقامَ نبيٍّ من الأنبياء في قتال أهلِ الردة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٢٨٣) **بسند ضعيف**.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٢٨٣).
(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٧١).
(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٤، ٧٢٨٥).
ومسلم (١/ ٥١ رقم ٢٠) من حديث أبي هريرة.

وكان قد ارتد في حياةِ النبيِّ ﷺ ثلاثُ فِرَقٍ منهم بنو مذحج ورئيسُهم ذو الخِمار عَبْهلةُ بنُ كعبٍ العنسيُّ ويلقب بالأسود، وكان كاهناً مُشعبذاً فتنبأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى معاذ بن جبلٍ ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثُّوا الناسَ على التمسك بدينهم وعلى النهوضِ لحرب الأسودِ، فقتله فيروزُ الديلميُّ على فراشه.

قال رضي الله عنه: فأتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء في الليلة التي قُتل فيها، فقال ﷺ: **«قُتل الأسودُ البارحةَ قتله رجلٌ مباركٌ»**، قيل ومن هو؟ قال: **«فيروزُ، فاز فيروز»**. فبشّر النبيُّ ﷺ أصحابَه بهلاك الأسودِ، وقُبض النبيُّ ﷺ من الغد، وأتى خبرُ مقتلِ العنسيِّ المدينةَ في آخرِ شهرِ ربيعِ الأولِ بعدما خرج أسامةُ، وكان ذلك أولَ فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه[1].

والفرقةُ الثانيةُ بنو حنيفةَ ورئيسُهم مُسيلمةُ الكذاب، وكان قد تنبأ في حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في آخر سنةِ عشرٍ، وزعم أنه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ: «من مسيلمَة رسولِ الله، إلى محمد رسولِ اللَّهِ: أما بعدُ فإن لي الأرض لي نصفُها ونصفُها لك». وبعث إليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لولا أن الرسلَ لا تُقتل لضَربتُ أعناقَكما»**، ثم أجاب: **«من محمد رسولِ الله ﷺ، إلى مسيلمةَ الكذّاب»: أما بعدُ:** ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨][2].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٤).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٤/ ٣٢٩) وصرح ابن إسحاق بالسماع، **وسنده منقطع لإبهام الشيخ.**
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧٣) **مختصراً معلقاً.**
وأخرجه البلاذري في «فتوح البلدان» (ص١١٩ ـ ١٢٠) **معلقاً.**
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.
خلا قوله ﷺ: **«لولا أن الرُسلَ لا تُقتلُ لضربتُ أعناقكما»**.
فقد صح من حديث نعيم بن مسعود الذي أخرجه أبو داود (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢ رقم ٢٧٦١) وأحمد (٣/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨). **وهو حديث صحيح.**
وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٤ ـ ٣١٥) باب النهي عن قتل الرسل.

ومرض رسولُ اللَّهِ ﷺ وتُوفيَ، فبعث أبو بكرٍ خالدَ بنَ الوليد إلى مسيلمةَ الكذابِ في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدَي وحشيٍّ غلام مُطعم بن عديٍّ الذي قتل حمزةَ بنَ عبدِ المطلب بعد حرب شديد، وكان وحشيٌّ يقول: قتلتُ خيرَ الناسِ في الجاهلية وشرَّ الناسِ في الإسلامِ[1].

والفرقةُ الثالثةُ بنو أسدٍ ورأسُهم طُليحةُ بنُ خويلدٍ، وكان طليحةُ آخرَ من ارتدَّ وادّعى النبوة في حياةِ النبيِّ ﷺ وأولَ من قُوتل بعد وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من أهل الردّة، فبعث أبو بكر خالد بنَ الوليدِ فهزمَهم خالدٌ بعد قتالٍ شديد، وأفلت طُليحةُ فمرَّ على وجهه هارباً نحوَ الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسُن إسلامُه[2].

وارتد بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ في خلافةِ أبي بكرٍ ﷺ خلقٌ كثيرٌ حتى كفى اللَّهُ المسلمين أمرَهم، ونصر دينَه على يدي أبي بكر ﷺ، قالت عائشةُ ﷺ: (توفيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وارتدت العربُ واشرأبَّ النفاقُ ونزل بأبي ما لو نزل بجبّار لَهاضَه). انتهى من تفسير البغوي[3] رحمه الله.

وروى ابنُ أبي حاتم[4] عن حسن البصريِّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال حسنٌ: هو والله أبو بكر وأصحابُه.

وأخرج عبدُ بنُ حميد، وابنُ جريرٍ، وابنُ المنذرِ، وأبو الشيخ، والبيهقيُّ في سننه، وابنُ عساكر[5]، عن قتادةَ: قال الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) قصة قتل مسيلمة ساقها البخاري في صحيحه (٧/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ رقم ٤٠٧٢).
(٢) انظر: ترجمته في «الإصابة» رقم (٤٣٠٩) و «أسد الغابة» رقم (٢٦٤١) و «الاستيعاب» رقم (١٣٠٠) و «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).
(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٧١).
(٤) في تفسيره (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٧).
قلت: وأخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٦١٣).
وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) من عدة طرق عن الحسن.
والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٦١).
وهو صحيح إلى الحسن.
(٥) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢).
وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٣).

وقد علِمَ أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض اللَّهُ نبيَّه ﷺ ارتد عامةُ العربِ عن الإسلامِ إلا ثلاثة مساجدَ: أهلُ المدينةِ، وأهلُ مكةَ، وأهلُ جُوَاثى من عبدِ القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نُزكّي، واللَّهِ لا تُغصَب أموالُنا.

فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنهم لو فقِهوا أدّوا الزكاةَ. فقال: واللَّهِ لا أفرّق بين شيء جمعه اللَّهُ عز وجل، ولو منعوني عِقالاً مما فرضَ اللَّهُ ورسولُه لقاتلتهم عليه، فبعث اللَّهُ عصائبَ مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقرُّوا بالماعون وهو الزكاة.

قال قتادةُ: فكنا نتحدّث أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أبي بكر وأصحابِه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤]. إلى آخر الآية.

ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهلِ اليمن كما أخرج ابنُ جرير[١] عن شُريحِ بنِ عُبيدٍ قال: لما أُنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤]. الآية. قال عمرُ رضي الله عنه: أنا وقومي يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: **«لا بل هذا وقومه»**، يعني أبا موسى الأشعريّ.

وأخرج ابنُ سعدٍ[٢] وابنُ أبي شيبةَ في مسنده[٣] وعبدُ بنُ حميدٍ[٣] والحكيمُ التِرمذِيُّ[٣] وابنُ جريرٍ[٤] وابنُ المنذر[٣] وابنُ أبي حاتمٍ[٥] والطبرانيُّ[٦] وأبو الشيخ[٣] وابنُ مردويه[٣] والحاكمُ[٧] وصححه البيهقيُّ في الدلائل[٨] عن عِياضٍ الأشعريِّ قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسولُ الله: **«هم قومُ هذا»**، وأشار إلى أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه.

---

(١) في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٤) بسند منقطع.
(٢) في «الطبقات» (٤/ ١٠٧).
(٣) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢).
(٤) في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٤).
(٥) في تفسيره (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٥) عن عياض الأشعري يحدث عن أبي موسى الأشعري.
(٦) في «الكبير» (١٧/ ٣٧١ رقم ١٠١٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٦): ورجاله رجال الصحيح.
(٧) في «المستدرك» (٢/ ٣١٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٨) (٥/ ٣٥١ - ٣٥٢).

=

وأخرج أبو الشيخ[1] وابنُ مردويه[1] والحاكم في جمعه لحديث شعبةَ[1]، والبيهقيُّ[1] وابنُ عساكرَ عن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ قال: تُليت على النبيِّ ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، فقال النبيُّ ﷺ: «**قومُك يا أبا موسى الأشعريّ أهل اليمن**».

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ في الكُنى[2] والطبرانيُّ في الأوسط[3] وأبو الشيخ[2] وابنُ مردويه[2] بسندٍ حسنٍ عن جابر بنِ عبدِ اللّهِ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، فقال: «**هؤلاء قومٌ من أهلِ اليمن ثم كِندةَ ثم السكونِ ثم تجيبَ**».

وأخرج البخاريُّ في تاريخه[4] وابنُ أبي حاتم[4] وأبو الشيخ[4] عن ابن عباس في الآية قال: هم من أهلُ اليمن، ثم كندة من السكون.

وأخرج ابن أبي شيبة[5] عن ابن عباس: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال: هم أهل القادسية.

قلتُ: وكان غالبُ أهلِ القادسية من أهل اليمن، بل كانت بَجيلةُ ربعَ الناس فضلاً عن غيرهم، وكان بأسُ الناس الذي هم فيه، كما رواه ابنُ إسحاقَ عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ عن قيس بن أبي حازمٍ قال: وكان يمُرّ عمْرُو بنُ معْدِ يكَرِبَ الزَبيديُّ فيقول: يا معشرَ المهاجرين كونُوا أسوداً، فإنما الفارسيُّ تيسٌ. وقد

= * وعياض بن عمرو الأشعري اختلف في صحبته، وأبو حاتم على أنه تابعي أرسل عن النبي ﷺ. «الجرح والتعديل» (٦/ ٤٠٧ رقم ٢٢٧٦) و «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ١٩ - ٢٠ رقم ٨٧) و «الإصابة» رقم (٦١٥٣) و «أسد الغابة» رقم (٤١٥٨).

(١) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢).

(٢) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢).

(٣) رقم (١٣٩٢).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن.
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٧٢ - ٧٣) وقال: هذا حديث غريب جداً.

(٤) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٣).

(٥) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٣).

قتلَ ﷺ أسواراً فارسَ الفرسِ وأبلى بلاءً حسناً، وكانت له اليدُ البيضاءُ يومئذ[1].

وأخرج البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى في تاريخه عن القاسم بن مُخَيْمرةَ قال: أتيتُ ابنُ عمير فرحّب بي ثم تلا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، ثم ضربَ على منكبي وقال: أحلِف بالله إنه لمنكم أهلَ اليمن ـ ثلاثاً ـ وكلُ هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولاً، فإن أهلَ اليمن لم يرتدّ جميعُ قبائلِهم يومئذ، وإنما ارتد كثيرٌ منهم مع الأسود العنسيّ وثبت الكثير منهم على الإيمانِ مع معاذِ بنِ جبل وأبي موسى وفيروز الديلميّ وغيرِهم من عمال النبيِّ ﷺ، ونشِبَ بين مؤمنهم وكافرِهم قتالٌ عظيمٌ حتى قتل اللَّهُ الأسودَ على يد فيروزَ، وأيدَ اللَّهُ الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

ولكن لم يرجع أمرُهم على ما كانوا عليه قبل العنسيِّ إلا في خلافةِ أبي بكر ﷺ، فإنه لم يزل يتابعُ الكتائبَ مدداً لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلامَ وكانوا من أعظم أنصارِه حتى صار رؤساءُ رِدّتِهم كعمْرو بنِ مَعْدِ يكَرِبَ وقيسِ بنِ مَكشوحٍ وغيرِهم من أعظمِ الناسِ وأشدِّهم بلاءً في أيام الردّةِ والفتوح، فحينئذٍ عاد المعنى إلى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه، وكلُ هذا في شأنِ السبب لنزول الآية، وإلا فهي عامةٌ لكل مؤمنٍ يُحبُ اللَّهَ ويحبه، ويوالي فيه ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومةَ لائم.

وكان أبو بكر وأصحابُه أسعدَ الناسِ بذلك وأقدَمهم فيه وأسبقَهم إليه وأولَ من تناولْته الآية، ﷺ وأرضاه وعن أنصارِ الإسلامِ وحزبِه أجمعين.

وفي الصحيحين[3] وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: لما تُوفي رسولُ الله ﷺ، واستُخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمرُ بنُ الخطاب لأبي بكر ﷺ: كيف تقاتل الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا اللَّهُ فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه وحسابُه على الله عز وجل**»؟.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/٣٩).

(٢) في «تاريخه الكبير» (٤/١/١٦١) وفيه (القاسم بن يَنْخُسْره) بدل (القاسم بن مُخَيمرة) وهو الصواب

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

فقال أبو بكر: واللَّهِ لأُقاتلَنّ من فرّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، واللَّهِ لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمرُ بنُ الخطابِ: فواللَّهِ ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ عز وجل قد شرح صدرَ أبي بكر للقتال فعرفتُ أنه الحقُّ، وتفاصيلُ مواقفِه العِظام ﷺ مشهورةٌ مبسوطةٌ في كتب السيرةِ وغيرِها[1]، وكانت مدةُ خلافتِه سنتين وثلاثةَ أشهر.

[وفاة الصديق]

وكانت وفاتُه ﷺ في يوم الاثنين عشيةً، وقيل بعد المغربِ ودُفن من ليلتِه، وذلك لثمانٍ بقينَ من جُمادى الآخرةِ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ بعد مرضٍ خمسةَ عشرَ يوماً[2].

وكان عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهِد بالأمر من بعده إلى عمر بنَ الخطابِ، وكان الذي كتب العهد عثمانُ بنُ عفانَ وقرئ على المسلمين فأقرّوا به وسمعوا له وأطاعوه.

وكان عمرُ الصديقِ ﷺ يوم توفيَ ثلاثاً وستين سنةً، السنُّ الذي توفيَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقد جمع اللَّهُ بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، فرضيَ اللَّهُ عنه وأرضاه، ومِن جميع أبوابِ الجنةِ دعاه، وقد فعل ولله الحمدُ والمنة.

[خلافةُ الفاروق وفضائله]

(ثانيه في الفضل بلا ارتيابِ   الصادعُ الناطقُ بالصوابِ)

---

(1) انظر: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير (٨/ ٥٨٤ ـ ٦٠٦) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.
و «فضائل الصحابة» للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل (١/ ٦٥ ـ ٢٤٣) حققه وخرج أحاديثه: وصّي الله بن محمد عباس.
و «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٢٧ ـ ٥٩) لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي.

(2) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي - عهد الخلفاء الراشدين - (ص٨٧). تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

(أعني به الشهمَ أبا حفصٍ عمرْ مَن ظاهَرَ الدينَ القويمَ ونَصَرْ)
(الصارمُ المُنكي على الكُفَّارِ وموسعُ الفتوحِ في الأمصارِ)

(ثانيه) أي ثاني أبي بكرٍ **(في الفضل)** على الناس بعده فلا أفضلَ منه، كذا هو ثانيه في الخلافة بالإجماع **(بلا ارتياب)** أي بلا شك **(الصادعُ)** بالحق المُجاهرُ به الذي لا يخاف في الله لومةَ لائم، ومنه قولُ اللّهِ تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فكانَ عمرُ رضي الله عنه كذلك، وبه سماه النبيُّ ﷺ فاروقاً **(الناطقُ بالصواب)** والذي وافق الوحيَ في أشياءَ قبل نزولِه كما سيأتي.

(أعني به) أي بهذا النعتِ **(الشهمَ)** الذكيَّ المتوقدَ السيدَ المطاعَ الحكمَ، القويَّ في أمر الله، الشديدَ في دين الله **(أبا حفص عمر)** بنَ الخطابِ بنِ نُفيلِ بنِ عبدِ العُزّى بنِ رياحِ بنِ عبدِ الله بنِ قرط بن رزاح بنِ عديِّ بنِ كعب العدَوي، ثاني الخلفاء وإمامُ الحنفاء بعد أبي بكر رضي الله عنهما وأولُ من تسمّى أميرَ المؤمنين[1].

(الصارم) السيفُ المسلولُ **(المنكي)** من النكاية **(على الكفار)** لشدته عليهم وإثخانِه إياهُم حتى إنْ كان شيطانُه ليَخافُه أن يأمرَه بمعصية كما قاله عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه. **(وموسع)** من الاتساع **(الفتوح)** فتوحِ الإسلام **(في الأمصار)** فكمّل فتوحَ بلادِ الرومِ بعد اليرموكِ، ثم بلادَ فارسَ حتى مزَّقَ اللّهُ به مُلكَهم كلَّ مُمزّق. ثم أوغل في بلاد التركِ كما هو مبسوطٌ في كتب السيَرِ وغيرِها.

وتقدمت إشاراتُ النصوصِ النبويةِ إلى خلافتِه قريباً مع ذكر أبي بكرٍ رضي الله عنه وكثير من فضائلِه أيضاً التي شارك فيها أبا بكر.

وفي الصحيحين[2] عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«رأيتُني دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بالرُّميصاء امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعتُ خشخشةً فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً بفِنائِه جاريةٌ، فقلتُ: لمن هذا؟ فقال: لعُمرَ، فأردتُ أن أدخلَه فأنظُرَ إليه فذكرتُ غَيرتَك»**. فقال عمرُ: بأبي وأمي يا رسولَ الله أعليك أغارُ؟».

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» رقم (٥٧٥٢) و «أُسد الغابة» رقم (٣٨٣٠) و «الاستيعاب» رقم (١٨٩٩) و «الرياض المستطابة» (ص١٤٧).

(٢) البخاري (٧/ ٤٠ رقم ٣٦٧٩) وطرفاه رقم (٥٢٢٦) و (٧٠٢٤).
ومسلم (٤/ ١٨٦٢ رقم ٢٣٩٤).

وعن أبي هريرة[1] ﷺ قال: «بينا نحن عند رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ قال: **بينا أنا نائمٌ رأيتُني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمرَ، فذكرتُ غيرتَه فولَّيتُ مُدبراً.** فبكى عمرُ وقال: أعليك أغارُ يا رسولَ اللَّهِ؟».

وعن حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنَ الخطابِ عن أبيه[2] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ قدَحاً أُتيتُ به، فيه لبنٌ فشربتُ منه حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمرَ بنَ الخطابِ.** قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: **العلم**».

وعن أبي سعيد الخُدريّ[3] ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلغ الثُديَّ، ومنها ما يبلُغ دون ذلك. وعُرض عليَّ عمرُ بنُ الخطاب وعليه قميصٌ يجترّه.** قالوا: فما أوّلته يا رسولَ الله؟ قال: **الدين**».

وعن محمد بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عن أبيه[4] قال: «استأذن عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وعنده نسوةٌ من قريش يكلِّمنه ويستكثِرْنه عاليةً أصواتُهن على صوته ﷺ، فلما استأذن عمرُ بنُ الخطابِ قمْنَ فبادرْنَ الحِجابَ، فأذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فدخلَ عمرُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يضحك، فقال عمرُ: أضحكَ اللَّهُ سنَّك يا رسولَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: **عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعْن صوتَك ابتدَرْنَ الحِجابَ.** فقال عمرُ: فأنت أحقُّ أن يهَبْنَ يا رسولَ الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠ رقم ٣٦٨٠).
ومسلم (٤/ ١٨٦٣ رقم ٢٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠ رقم ٣٦٨١).
ومسلم (٤/ ١٨٥٩ رقم ١٦/ ٢٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٤٣ رقم ٣٦٩١).
ومسلم (٤/ ١٨٥٩ رقم ١٥/ ٢٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٤١ رقم ٣٦٨٣).
ومسلم (٤/ ١٨٦٣ رقم ٢٣٩٦).

فقال عمرُ: يا عدوّاتِ أنفسهن، أتهَبْنني ولا تهَبْنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فقلن: نعم أنت أفظُّ وأغلظُ من رسولِ الله ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **إيهاً يا ابنَ الخطابِ، والذي نفسي بيده ما لقِيكَ الشيطانُ سالكاً فجّاً قطُّ إلا سلك فجّاً غيرَ فجّكَ**».

وعن أبي هريرةَ[1] رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكن من أمتي منهم أحدٌ فعمرُ**».

وعن ابنِ عمرَ[2] رضي الله عنهما أنه قال: لما تُوفيَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ جاء ابنه عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأعطاه قميصَه وأمره أن يُكفّنَه فيه، ثم قام يصلّي عليه، فأخذ عمرُ بنُ الخطابِ بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافقٌ وقد نهاكَ اللَّهُ أن تستغفرَ لهم؟ قال: «**إنما خيَّرني الله ـ أو أخبرني الله ـ فقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. **فقال: سأزيده على سبعين**».

قال فصلى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. متفقٌ على جميعِها.

وفي البخاري[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه قال: «لما مات عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ ابنِ سلولِ دُعيَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ ليُصلي عليه، فلما قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وثبْتُ إليه فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أتصلي على ابن أُبيّ وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، قال: أُعدّدُ عليه قولَه. فتبسّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال: «**أخِّرْ عني يا عمرُ**»، فلما أكثرتُ عليه قال: **إني خُيِّرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زِدتُ على السبعين يُغفرُ له لزِدتُ عليها**.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢ رقم ٣٦٨٩).
ومسلم (٤/ ١٨٦٤ رقم ٢٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨ رقم ١٢٦٩) وأطرافه رقم: (٤٦٧٠) و (٤٦٧٢) و (٥٧٩٦).
ومسلم (٤/ ١٨٦٥ رقم ٢٤٠٠).

(٣) في صحيحه (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ رقم ٤٦٧١).

قال فصلّى عليه رسولُ اللّهِ ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. قال فعجبْتُ من جَرأتي على رسولِ اللّهِ ﷺ واللّهُ ورسولُه أعلمُ».

وفي صحيح مسلم[١] من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه في قصة أُسارى بدرٍ بطوله قال ابنُ عباس: «فلما أسروا الأسارى قال رسولُ اللّهِ ﷺ لأبي بكر وعمر: **«ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»** فقال أبو بكر: هم يا نبيَّ اللّهِ بنو العمِّ والعشيرةِ، أرى أن تأخذَ منهم فديةً، فتكون لنا قوةً على الكفار فعسى اللّهُ أن يهديَهم للإسلامِ.

فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: **«ما ترى يا ابن الخطابِ؟»**، قلتُ: لا واللّهِ يا رسولَ اللّهِ، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُضربَ أعناقُهم فتمكنَ عليًا من عقيل فيَضرِبَ عُنقَه، وتمكّنُني من فُلان - نسيباً لعمر - فأضربُ عُنقَه، فإن هؤلاء أئمةُ الكفرِ وصناديدُها. فهويَ رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهْوَ ما قلتُ، فلما كان الغدُ جئتُ فإذا رسولُ اللّهِ ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسولَ اللّهِ أخبرني من أي شيءٍ تبكي أنت وصاحبُك، فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائِكما.

فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«أبكي للذي عُرض عليّ في أصحابك من أخذهم الفداءَ، لقد عُرض عليّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرةِ** - شجرةٌ قريبةٌ من نبيِّ اللّهِ ﷺ - **وأنزل اللّهُ عز وجل:** ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]. فأحلَ اللّهُ الغنيمةَ لهم.

وفي صحيح البخاريّ[٢] عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمرُ رضي الله عنه: وافقتُ اللّهَ في ثلاث - أو وافقني اللّهُ في ثلاث - قلتُ: يا رسولَ اللّهِ لو اتخذتَ من مقامِ إبراهيمَ مصلّى فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلتُ: يا رسول الله يدخُل عليك البرُّ والفاجرُ فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنين بالحجاب، فأنزلَ الله آية الحجاب.

---

(١) (٣/١٣٨٣ - ١٣٨٥ رقم ٥٨/١٧٦٣).
(٢) (١/٥٠٤ رقم ٤٠٢) وأطرافه: (٤٤٨٣) و (٤٧٩٠) و (٤٩١٦).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/١٨٦٥ رقم ٢٣٩٩).

قال: وبلغني معاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائِه فدخلتُ عليهنّ قلت: إن انتهيتُنّ أو ليُبدِّلَنّ اللّهُ رسولَه ﷺ خيراً منكن، حتى أتيتُ إحدى نسائه قالت: يا عمرُ ما في رسولِ اللّهِ ﷺ ما يعِظُ نساءَه حتى تعظَهنّ أنت؟ فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥].

وعنه[1] ﷺ أن رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: **«وماذا أعددتَ لها؟»**، قال: لا شيء، إلا أنّي أُحبُّ اللّهَ ورسولَه ﷺ. فقال: **«أنت مع من أحببت»**.

قال أنسٌ: فما فرِحنا بشيء كما فرحنا بقول النبي ﷺ: **«أنت مع من أحببت»**. قال أنسٌ: فأنا أُحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمرَ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمَلْ بمثل أعمالِهم.

وعن ابن عمرَ[2] ﷺ قال: ما رأيتُ أحداً قطُّ بعد رسولِ اللّهِ ﷺ من حينِ قُبض كان أجَدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر بن الخطابِ ﷺ.

وعن المِسور بنِ مَخْرمةَ[3] قال: لما طُعن عمرُ ﷺ جعل يألَمُ، فقال ابنُ عباس ﷺ وكأنه يجزعه: يا أميرَ المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحِبْتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صُحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ. ثم صحِبْتَ أبا بكر فأحسَنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ. ثم صحبتَ صُحْبَتَهم، ولئن فارقتَهم لتفارِقنّهم وهم عنك راضون.

قال: أما ما ذكرتَ من صُحبةِ رسولِ اللّهِ ﷺ ورضاه فإنما ذاك من اللّهِ تعالى منّ به تعالى عليّ، وأما ما ذكرتَ من صُحبةِ أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من الله عز وجل ذِكْرُه منَّ به عليّ، وأما ما ترى من جزَعي فهو من أجلك وأجلِ صاحبِك، واللّهِ لو أن لي طِلاعَ الأرضِ ذهباً لافتديتُ به من عذاب اللّهِ عز وجل قبلَ أن أراه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢ رقم ٣٦٨٨) وأطرافه: (٦١٦٧) و (٦١٧١) و (٧١٥٣). ومسلم (٤/ ٢٠٣٢ رقم ٢٦٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢ رقم ٣٦٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٤٣ رقم ٣٦٩٢).

وفيهما[1] عن ابن عباس ﷺ قال: وُضع عمرُ على سريره، فتكنّفه الناسُ يدعون ويصلون قبل أن يُرفَعَ وأنا فيهم، فلم يرُعْني إلا رجلٌ آخذٌ مِنكبي فإذا عليٌّ ﷺ فترحّم على عمرَ وقال: ما خلّفت أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى اللّهَ بمثل عملِه منك. وأيمُ اللّهِ إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلك اللّهُ تعالى مع صاحبيك، وحسبُك أني كنتُ أسمعُ النبيَّ ﷺ يقول كثيراً: «**ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمرُ، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمرُ**».

زاد مسلم[2] في آخره أيضاً: فإنْ كنتُ لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما. **والأحاديث في فضله كثيرةٌ جداً قد أُفردتْ بالتصنيف**[3]، **وفيما ذكرنا كفاية**.

[قصة استشهاد الفاروق]

وكان قصةُ استشهادِه ما ذكره البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى قال: حدثنا موسى بن إسماعيلَ حدثنا أبو عُوانةَ عن حصينٍ عن عمرِو بنِ ميمونٍ قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ قبل أن يُصاب بأيام بالمدينة وقف على حُذيفةَ بنِ اليمانِ وعثمانَ بنِ حُنيفٍ وقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حمّلتما الأرضَ ما لا تُطيق؟ قالا: حمّلناها أمراً هي له مُطيقةٌ، ما فيها كبيرُ فضلٍ، قال: انظُرا أن تكونا حملتما الأرضَ ما لا تُطيق. قالا: لا. فقال عمرُ: لئن سلّمني اللّهُ تعالى لأدَعَنّ أراملَ أهلِ العراقِ لا يحتجْن إلى رجلٍ بعدي أبداً.

قال: فما أتت عليه رابعةٌ حتى أُصيبَ ﷺ. قال: إني لقائمٌ ما بيني وبينه

---

(١) أي البخاري (٧/ ٤١ ـ ٤٢ رقم ٣٦٨٥).
ومسلم (٤/ ١٨٥٨ ـ ١٨٥٩ رقم ٢٣٨٩).

(٢) في صحيحه رقم (٢٣٨٩).

(٣) انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٢٤٤ ـ ٤٨٨).
و «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٦١ ـ ٨٧).
و «أخبار عمر» للطنطاوي.
و «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٦٠٦ ـ ٦٢٥).

(٤) في صحيحه (٧/ ٥٩ ـ ٦٢ رقم ٣٧٠٠).

إلا عبدُ الله بنُ عباسٍ غداةَ أُصيب». وكان إذا مرَّ بين الصفَّين قال استووا، حتى إذا لم يرَ فيهن خللاً تقدم فكبّر، وربما قرأ سورةَ يوسُفَ أو النحلِ أو نحوَ ذلك في الركعةِ الأولى حتى يجتمِع الناسُ، فما هو إلاّ أن كبَّرَ حتى سمعتُه يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلبُ حين طعنَه، فطارَ العِلجُ بسكِّينٍ ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنَه حتى طعنَ ثلاثةَ عشرَ رجلاً ماتَ منهم سبعةٌ.

فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمينَ طرحَ عليه بُرنُساً فلما ظنَّ العِلجُ أنه مأخوذٌ نحرَ نفسَه، وتناولَ عمرُ يدَ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ فقدّمه، فمن يلي عمرَ فقد رأى الذي أرَى، وأما نواحي المسجد فلا يدرونَ غيرَ أنهم فقدوا صوتَ عمرَ ﷺ وهم يقولون سبحانَ الله سبحانَ الله، فصلى بهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا قال: يا ابنَ عباس، انظُر من قتلَني. فجال ساعةً ثم جاء فقال: غُلامُ المُغيرة، فقال: الصَّنَع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفاً، الحمدُ لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجلٍ يدَّعي الإسلامَ، فقد كنتَ أنت وأبوكَ تُحِبانِ أن تكثُر العُلوجُ بالمدينة.

وكان ابنُ عباس أكثرَهم رقيقاً. فقال: إن شئتَ فعلتُ، أي إن شئتَ قتلْنا. قال: كذبتَ، بعدما تكلموا بلسانكم وصلُّوا قبلتَكم، وحجُّوا حجَّكم. فاحتُمل إلى بيتِه فانطلَقْنا معه، وكأن الناسَ لم تُصبْهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ. فقائلٌ يقول: لا بأسَ، وقائلٌ يقول: أخافُ عليه. فأُتيَ بنبيذ فشربَه فخرجَ من جوفِه، ثم أُتيَ بلبن فشربه فخرجَ من جُرحه، فعلموا أنه ميتٌ، فدخلْنا عليه وجاء الناسُ يثنون عليه، وجاء رجلٌ شابٌ فقال: أبشرْ يا أمير المؤمنين ببشرى اللّهِ لك من صحبة رسولِ اللّهِ ﷺ، وقدمٍ في الإسلامِ ما قد علِمْتَ، ثم وُلِّيتَ فعدلتَ، ثم شهادة.

قال: ودِدتُ أن ذلك كَفافٌ، لا عليَّ ولا لي. فلما أدبرَ إذا إزارُه يمسُّ الأرضَ، قال: رُدوا عليَّ الغلامَ، قال: ابنَ أخي ارفع ثوبَك، إنه أبقى لثوبِك، وأتقى لربك. يا عبدَ اللّهِ بن عمرَ انظُر ما عليَّ من الدَّينِ، فحسَبوه فوجدوه ستةً وثمانين ألفاً أو نحوَه، قال إن وفى له مال آل عمرَ فأدِّه من أموالِهم، وإلا فسل بني عديِّ بنِ كعب، فإن لم تف أموالُهم فسل في قريش ولا تعْدُ إلى غيرِهم، فأدِّ عني هذا المالَ، وانطلقْ إلى عائشةَ فقل: يقرأ عليك عمرُ بن الخطاب السلامَ ـ ولا تقل

أميرُ المؤمنين، فإني لستُ اليومَ للمؤمنين أميراً ـ وقل: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطابِ أن يُدفنَ مع صاحبيه. فسلَّم واستأذن ثم دخَل عليها فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عليك عمرُ بنُ الخطابِ السلامَ ويستأذنُ أن يُدفنَ مع صاحبيه.

فقالت: كنتُ أُريدُه لنفسي ولأُوثِرنَّ به اليوم على نفسي. فلما أقبلَ قيل هذا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ قد جاءَ، قال: ارفعوني، فأسندَه رجلٌ إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحبُّ يا أمير المؤمنين، أذِنَتْ. قال: الحمدُ لله، ما كان من شيءٍ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيتُ فاحملوني، ثم سلِّمْ فقل: يستأذن عمرُ بنُ الخطابِ، فإن أذِنتْ لي فأدخلوني، وإن ردَّتني ردّوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أمُّ المؤمنين حفصةُ رضي الله عنها والنساءُ تسيرُ معها، فلما رأيناها قُمنا، فولَجتْ عليه فبكت عندَه ساعةً، واستأذنت الرجالَ فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءَها منَ الداخلِ، فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلِفْ. قال: ما أجدُ أحقَّ بهذا الأمرِ من هؤلاء النفرِ ـ أو الرَّهطِ ـ الذين تُوفيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًا وعثمانَ والزبيرَ وطلحةَ وسعداً وعبدَ الرحمنِ، وقال: لِيَشهدْكم عبدُ الله بن عمرَ وليس له من الأمر شيءٌ ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابتْ الإمرةُ سعداً فهو ذاك ـ وإلا فليَستعنْ به أيُّكم ما أُمِّرَ، فإني لم أعزِله عن عجْز ولا خيانة.

وقال: أُوصي الخليفةَ من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرِفَ لهم حقَّهم، ويحفَظَ لهم حرمَتهم؛ وأُوصيه بالأنصارِ خيراً الذين تبوَّؤا الدارَ والإيمانَ من قبلهم أن يقبَلَ من مُحسِنهم وأن يعفُوَ عن مُسيئِهم. وأُوصيه بأهل الأمصارِ خيراً فإنهم ردءُ الإسلامِ وجُباةُ المال وغيظُ العدوِّ وأن لا يؤخَذَ منهم إلا فضلُهم عن رضاهُم، وأُوصيه بالأعرابِ خيراً فإنهم أصلُ العربِ ومادةُ الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالِهم وتُردَّ على فقرائِهم، وأُوصيه بذمةِ اللَّهِ وذمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يوفيَ لهم بعهدهم، وأن يُقاتل مِن ورائِهم، ولا يُكلَّفوا إلا طاقتَهم.

فلما قُبضَ خرجْنا به فانطلقنا نمشي. فسلَّم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ قال: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطابِ، قالت: أدخلوه. فأُدخلَ. فوُضعَ هنالك مع صاحبيه. فلما فُرغَ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهطُ، فقال عبدُ الرحمنِ: اجعلُوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبيرُ: قد جعلتُ أمري إلى علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمانَ.

وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عوف. فقال عبدِ الرحمنِ: أيُكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعلْه إليه، واللَّهُ عليه والإسلامُ لينظرَنَّ أفضلَهم في نفسِه؟ فأُسكِتَ الشيخانِ، فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونَه إليّ واللَّهِ على أن لا آلو عن أفضلِكم؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدِهما فقال: لك من قرابةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والقدم في الإسلامِ ما قد علمتَ، فاللَّهَ عليك لئن أمّرتُك لتعدِلنّ، ولئن أمّرتُ عثمانَ لتسمَعَنّ ولتُطيعنّ؟.

ثم خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك. فلما أخذ الميثاقَ قال: ارفع يدك يا عثمانُ، فبايعَه وبايع له عليٌّ رضي الله عنه، وولج أهلُ الدارِ فبايعوه، رضي الله عنهم أجمعين.

[مدةُ خلافةِ الفاروق]

وكانت مدةُ خلافةِ الفاروقِ رضي الله عنه عشرَ سنينَ وستةَ أشهرٍ، وكانت وفاتُه على المشهور لثلاث بقينَ من ذي الحجةِ سنة ثلاثٍ وعشرين، وله من العمر ثلاثٌ وستونَ سنةً على الأشهرِ، وهي السنُّ التي توفيَ لها رسولُ الله ﷺ ثم أبو بكر الصديقُ رضي الله عنه، وبويعَ لعثمانَ في ثلاث من المحرم دخولَ سنةِ أربعٍ وعشرين، وأولُ من بايعه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ثم عليُّ بنُ أبي طالب ثم بقيةُ أصحابِ الشورى ثم بقيةُ أهلِ الدارِ ثم بقيةُ المهاجرين والأنصارِ رضي الله عنهم أجمعين.

[خلافة عثمان وفضائله]

(ثالثهم عثمانُ ذو النورين	ذو الحلم والحيا بغير مَينِ)
(بحرُ العلوم جامعُ القرآنِ	منه استحتْ ملائكُ الرحمن)
(بايع عنه سيدُ الأكوانِ	بكفه في بَيعة الرِضوانِ)

(ثالثهم) في الخلافةِ والفضلِ كما في حديث ابن عمرَ السابقِ **(عثمان)** ابنُ عفانَ[1] بن أبي العاص بن أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ.

من السابقين الأولين إلى الإسلامِ بدعوةِ الصدِّيقِ إياه، وزوّجه رسولُ اللَّهِ ﷺ

(١) انظر: ترجمته في «الإصابة» رقم (٥٤٦٤) و «الاستيعاب» رقم (١٧٩٧)، و «أسد الغابة» رقم (٣٥٨٩).

رُقيةَ ابنتَه ﷺ، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلّف عن بدر لمرضِها. وضرب له النبيُّ ﷺ بسهمه وأجرِه، وبعد وفاتِها زوَّجه النبيُّ ﷺ أمَّ كُلثوم بمثل صداقِ رُقية على مثلِ صُحبتِها، وبذلك تسمّى (ذو النورين) لأنه تزوج ابنتي نبيٍّ واحدةً بعد واحدةٍ، ولم يتفقْ ذلك لغيره ﷺ.

(ذا الحِلم) التامِّ الذي لم يُدركه غيرُه (والحياءِ) الإيمانيِّ الذي يقول فيه النبيُّ ﷺ: **«الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان»**[1]. وقال: **«أشدُّكم حياءً عُثمانُ»**[2].

(بحرُ العلوم) والفهمِ التامِّ في كتاب اللّهِ تعالى حتى إنْ كان ليقومُ به في ركعةٍ واحدةٍ فلا يركع إلَّا في خاتمتها إلا ما كان من سجود القرآن[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهو جزء من حديث أنس الصحيح.
أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» رقم (١٨٢) والحاكم (٣/ ٤٢٢) والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طرق عن عبد الوهاب الثقفي، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة عن أنس به، **وصححه الحاكم على شرط الشيخين.**
وأخرجه أحمد (٣/ ١٨٤) وابن ماجه رقم (١٥٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٣٥١) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٢) والبيهقي (٦/ ٢١٠) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٩٣٠). من طريق سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، به.
وأخرجه أحمد (٣/ ٢٨١) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٠٩٦) والنسائي في «فضائل الصحابة» رقم (١٣٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طريق وهيب، عن خالد الحذاء، به.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٢) والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طريق عاصم الأحول عن أبي قلابة، به.
وأخرجه الترمذي رقم (٣٧٩٠) من طريق معمر، عن قتادة به.
وأخرج ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٢٨١) و (١٢٨٢) من طريقين عن أبي قلابة، عن أنس مرفوعاً بلفظ: **«أصدق أمتي حياء عثمان»**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) هذا يتعارض مع حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«اقرأ القرآن في كل شهر»** قال قلت: إني أجد قوة، قال: **«فاقرأه في عشرين ليلة»**. قال: قلت: إني أجد قوة، قال: **«فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»**.
أخرجه البخاري (٩/ ٩٤ ـ ٩٥ رقم ٥٠٥٢ و ٥٠٥٣ و ٥٠٥٤). ومسلم (٢/ ٨١٣ ـ ٨١٤ رقم ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤).
وجاء في البخاري (٤/ ٢٢٤ رقم ١٩٧٨) عنه، عن النبي ﷺ قال: **«صم من الشهر ثلاثة**، =

(جامع القرآن) لما خشيَ الاختلافَ في القرآن والخصامَ فيه في أثناء خلافتِه ﷺ، فجمعَ الناسَ على قراءة واحدةٍ وكتب المصحفَ على القراءةِ الأخيرةِ التي درسها جبريلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ سِني حياتِه.

وكان سببُ ذلك أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ[1] كان في بعض الغزواتِ، وقد اجتمع فيها خلقٌ من أهل الشام ممن يقرأ على قراءةِ المقدادِ بنِ الأسودِ وأبي الدرداء، وجماعةٍ من أهل العراقِ ممن يقرأ على قراءة عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ وأبي موسى، وجعل من لا يعْلم بجواز القراءةِ على سبعةِ أحرفٍ يفضّل قراءته على غيره، وربما خطأه الآخرُ أو كفّره فأدّى ذلك إلى خلاف شديدٍ وانتشار الكلامِ السيء بين الناسِ، فركبَ حذيفةُ إلى عُثمانَ فقال: يا أمير المؤمنين أدركْ هذه الأمةَ قبل أن تختلف في كتابها كاختلافِ اليهودِ والنصارى في كتبهم، وذكرَ له ما شاهد من اختلافِ الناسِ في القراءة.

فعند ذلك جمع الصحابةَ وشاورَهم في ذلك، ورأى أن يُكتبَ المصحفُ على حرفٍ واحدٍ، وأن يجمعَ الناسُ في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لِما رأى في ذلك من مصلحةِ كفِّ المنازعةِ ودفعِ الاختلافِ، فاستدعى بالصحف التي كان أُمِرَ زيدِ بن ثابتٍ بجمعها، فكانت عند الصدِّيقِ أيامَ حياتِه، ثم كانت عند عمرَ، فلما توفي صارت إلى حفصةَ أمِّ المؤمنين.

فاستدعى بها عُثمانُ وأمر زيد بن ثابتٍ الأنصاريَّ أن يكتُبَ وأن يُمليَ عليه سعيد بنُ العاصِ الأمويِّ بحضرةِ عبدِ الله بنِ الزبيرِ الأسَديِّ وعبدِ الرحمنِ بنِ

= قال: أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: صم يوماً وأفطر يوماً»، فقال: «اقرأ القرآن في كل شهر». قال: إني أطيق أكثر، فما زال حتى قال: «في ثلاث».
وقال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٩٧): «فلا مانع أن يتعدد قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ذلك تأكيداً، ويؤيد الاختلاف الواقع في السياق، وكأن النهي عن الزيادة ليس على التحريم، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب، وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق». اهـ.

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٩/ ١١ رقم ٤٩٨٧) عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهلَ الشام... الحديث. بنحو ما ذكر المؤلف.

الحارثِ بنِ هشام المخزوميّ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغةِ قريش، فكتب لأهل الشام مُصحفاً، ولأهلِ مصرَ آخرَ، وبعث إلى البصرة مصحفاً، وإلى الكوفةِ بآخرَ، وأرسل إلى مكةَ مصحفاً، وإلى اليمن مثلَه، وأقرَّ بالمدينة مصحفاً، ويقال لهذه المصاحفِ «الأئمة»، ثم عمِدَ إلى بقيةِ المصاحفِ التي بأيدي الناسِ مما يخالف ما كتبَه فحرّقه لئلا يقعَ بسببه اختلافٌ.

وروى أبو داودَ الطيالسيُّ[1] وأبو بكر بنُ أبي داودَ السِّجِستانيُّ[2] عن سُويدِ بنِ غفَلةَ قال: قال لي عليٌّ ﷺ حين حرق عثمانُ المصاحف: لو لم يصنعْه هو لصنعتُه.

وروى البيهقيُّ[3] عنه ﷺ قال: قال عليٌّ ﷺ: أيُها الناسُ إياكم والغُلوَّ في عثمانَ تقولون حرق المصاحفَ، واللّهِ ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسولِ اللّهِ ﷺ، ولو وُليتُ مثلَ ما وَليَ لفعلتُ مثلَ الذي فعلَ[4].

(منه استحتْ ملائكُ الرحمنِ) كما في الصحيح[5] عن عطاء وسليمانَ بنِ يسارٍ وأبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ أن عائشةَ ﷺ قالت: «كان رسولُ اللّهِ ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذِن له وهو على تلك الحال فتحدّث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث، ثم استأذن عثمانُ فجلس رسولُ اللّهِ ﷺ وسوّى ثيابَه، قال محمد - يعني ابنَ أبي حرْمَلةَ الراوي عنهم - ولا أقول ذلك في يومٍ واحدٍ فدخل فتحدث، فلما خرج قالت

(١) لم أعثر عليه في «المسند».
(٢) في «المصاحف» (ص١٩).
قلت: وأورده السيوطي في مسند علي بن أبي طالب (ص١٠٢ رقم ٢٩٥) وعزاه لابن أبي داودَ، والصابوني في المأتين.
(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٧).
(٤) انظر: «العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ» تأليف القاضي أبي بكر بن العربي. حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب (ص٦٦ - ٧٢ رقم ٣).
وانظر كتابنا «مدخل إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة» (ص١٥٥ - ١٥٧ الشبهة الخامسة».
(٥) في صحيح مسلم (٤/ ١٨٦٦ رقم ٢٤٠١).

عائشةُ: دخلَ أبو بكر فلم تهتشْ له ودخلَ عمرُ ولم تُبالِه، ثم دخلَ عثمانُ فجلستَ وسوّيتَ ثيابَك. فقال: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**.

وعن سعيد بنِ العاصِ أن عائشةَ ﵄ وعثمانَ ﵁ حدّثاه: «أن أبا بكر ﵁ استأذن على رسولِ الله ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشِه لابسٌ مُرْطَ عائشةَ، فأذِن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرفَ، ثم استأذن عمرُ فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجتَه، ثم انصرف، قال عثمانُ: ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال لعائشةَ: اجمعي عليك ثيابك، فقضيتُ إليه حاجتي ثم انصرفتُ.

فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللّهِ ما لي لم أرَكَ فزِعتَ لأبي بكر وعمرَ ﵄ كما فزِعت لعثمانَ؟ قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«إن عثمان رجلٌ حَيِيٌ وإني خشيتُ إنْ أذِنتُ له على تلك الحالِ أن لا يبلُغَ إليَّ في حاجته»**[1].

(بايع عنه) حين ذهب لمكة في حاجةِ الرسولِ ﷺ والمسلمين **(سيدُ الأكوان)** محمدٌ رسولُ الله ﷺ **(بكفه)** ضرب بها على الأخرى وقال: **«هذه لعثمانَ»** **(في بيعة الرضوان)** لما غاب عنها فيما ذكرنا[2]، وكان انحباسُه بمكةَ سببُ البيعةِ كما قال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ في السيرة[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٨٦٦ رقم ٢٤٠٢).
قلت: وأخرجه أحمد (١/٧١، ١٥٥، ١٦٧) و (٦/١٥٥) وفي «فضائل الصحابة» رقم (٧٩٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٢٨٧) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٠٠). **وهو حديث صحيح.**

(٢) لأن بيعة الرضوان حدثت بعدما ذهب عثمان إلى مكة واحتبس أياماً، ووصل الخبرُ إلى النبيِّ ﷺ بأن عثمان قتل، فدعا ﷺ إلى بيعة الرضوان فقال ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يدُ عثمان»** فضرب بها على يده فقال: **«هذه لعثمان»**.

(٣) (٣/٤٣٦ - ٤٣٧) لابن هشام.
قلت: وأخرجه أحمد في «الفتح الرباني» (٢١/١٠٢ - ١٠٤) ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع عنده.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٩٩) **معلقاً**.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/٤٤٢ - ٤٤٣ رقم ١٨٦٩٩).
وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف. انظر: «تقريب التهذيب» رقم (٦٩٨٩).
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٦٣١) من طريق ابن إسحاق.
فالحديث حسن من طريق ابن إسحاق.

ثم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة لِيُبلِّغَ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاء له فقال: يا رسولَ اللَّهِ إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديِّ بنِ كعبٍ من يمنعُني، وقد عرفتْ قريشٌ عداوتي إياها وغِلَظي عليها، ولكني أدُلّك على رجل أعزَّ بها مني: عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنه، فبعثه إلى أبي سفيانَ وأشرافِ قريشٍ يخبرهم أن لم يأتِ لحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيتِ ومعظِّماً لحُرمتِه.

فخرج عثمانُ رضي الله عنه إلى مكةَ فلقِيَه أبانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ حين دخل مكةَ أو قبل أن يدخُلَها فحملَه بين يديه ثم أجارَه حتى بلَّغ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فانطلق عثمانُ رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيانَ وعظماءَ قريشٍ فبلَّغهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما أرسلَه به، فقال لعثمانَ رضي الله عنه حين فرَغ من رسالة رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تطوفَ بالبيتِ فطُف. فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ. واحتبستْه قريشٌ عندها. فبلغ رسولَ اللَّهِ ﷺ والمسلمين أن عثمانَ رضي الله عنه قد قُتل.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدثني عبدُ الله بنُ أبي رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال حين بلَغه أن عثمانَ رضي الله عنه قد قُتل: «**لا نبرَحُ حتى نُناجزَ القومَ**»، ودعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ إلى البيعة.

فكانت بيعةُ الرضوانِ تحت الشجرةِ، فكان الناسُ يقولونَ: بايعَهم[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ على الموت، وكان جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما يقول: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يبايعْهم[3] على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفِرَّ.

---

(١) في «السيرة» (٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) بسند منقطع.
قلت: وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣٢) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٣٥). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٤٤٨ رقم ٤١٦٧) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨٦ رقم ٨١/ ١٨٦١).
وأحمد في «المسند» (٢١/ ١٠٦ ـ الفتح الرباني).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨٣ ـ ١٤٨٥ رقم ٦٨/ ١٨٥٦).
وأحمد في «المسند» (٢١/ ١٠٦ ـ الفتح الرباني).

فبايعَ الناسُ ولم يتخلّفْ أحدٌ من المسلمين حضَرها إلا الجد بن قيس[1] أخو بني سلمةَ فكان جابر رضي الله عنه يقول: واللّهِ لكأني أنظُرُ إليه لاصقاً بإبْطِ ناقتِه قد مال إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسولَ اللّهِ ﷺ أن الذي كان من أمرِ عثمانَ باطلٌ.

وفي الصحيحين[2] عن عثمانَ بن مَوْهبٍ قال: جاء رجلٌ من أهلِ مصرَ حج البيتَ فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القومُ؟ قالوا: هؤلاء قريشٌ. قال: فمن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ اللّهِ بنُ عمرَ. قال: يا ابنَ عمرَ، إني سائلُك عن شيء فحدِّثني عنه، هل تعلم أن عثمانَ فرَّ يومَ أُحدٍ؟ قال: نعم. قال: هل تعلمُ أنه تغيّب عن بدْر ولم يشْهَد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيّب عن بَيعةِ الرضوانِ فلم يشْهَدْها؟ قال: نعم. قال: الله أكبرُ.

قال ابنُ عمرَ: تعال أُبيِّن لك، أما فرارُه يوم أُحدٍ فأشهدُ أن الله عفا عنه وغفرَ له. وأما تغيُّبُه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ رسولِ اللّهِ ﷺ وكانت مريضةً فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ: إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهِدَ بدراً وسهْمَه. وأما تغيُّبُه عن بَيعةِ الرضوانِ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكةَ من عثمانَ لبعثه مكانه، فبعث رسولُ اللّهِ ﷺ عثمانَ فكانت بيعةُ الرضوانِ بعد ما ذهب عثمانُ إلى مكةَ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يدُ عثمانَ»** فضربَ بها على يده فقال: **«هذه لعثمان»**. فقال له ابنُ عمرَ رضي الله عنه: اذهبْ بها الآن معك.

وروى البيهقيُّ[3] عن أنس رضي الله عنه قال: لما أمرَ رسولُ اللّهِ ﷺ ببيعةِ الرضوانِ كان عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه رسولَ رسولِ اللّهِ ﷺ إلى أهل مكةَ، فبايعَ الناسُ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ اللّهِ ﷺ لعثمانَ رضي الله عنه خيراً من أيديهم لأنفسهم. ورواه الترمذي[4] وقال: حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨٣ رقم ٦٩/ ١٨٥٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٥٤ رقم ٣٦٩٨). ولم يخرجه مسلم.
(٣) في «الدلائل» (٣/ ١٣٣ - ١٣٤) الجزء الأول فقط.
(٤) في «السنن» (٥/ ٦٢٦ - ٦٢٧ رقم ٣٧٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
قلت: بل هو حديث ضعيف.

وفي الصحيحين[1] عن عروةَ أن عبدَ اللَّهِ بنَ عديٍّ بن الخيارِ أخبره أن المِسْوَرَ بنَ مَخْرمَةَ وعبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ بنِ عبدِ يغوثَ قالا: ما منعك أن تكلم عثمانَ لأخيك الوليدِ فقد أكثر الناسُ فيه، فقصدتُ لعثمانَ حتى خرج إلى الصلاة، قلتُ: إن لي إليك حاجةً وهي نصيحةٌ لك. قال: يا أيها المرءُ أعوذ بالله منك. فانصرفت فرجعتُ إليهم إذْ جاء رسولُ عثمانَ فأتيتُه فقال: ما نصيحتُك. فقلتُ: إن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتابَ، وكنتَ ممن استجابَ لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهاجرتَ الهجرتين، وصحِبْتَ رسولَ الله ﷺ ورأيتَ هدْيَه. وقد أكثرَ الناسُ في شأن الوليد.

قال: أدركتَ رسولَ الله ﷺ؟ قلتُ: لا، ولكن خلَص إليَّ مِن علمِه ما يخلُص إلى العذراء في سترها.

قال: أما بعدُ فإن اللَّهَ بعث الله محمداً ﷺ بالحق فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنتُ بما بُعث به وهاجرت الهِجرتين - كما قلتَ - وصحبتُ رسولَ الله ﷺ وبايعتُه، فواللَّهِ ما عصيتُه، ولا غشَشْتُه، حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثلُه، ثم عمرُ مثلُه، ثم استخلفتُ، أفليس لي من الحق مثلُ الذي لهم؟ قلتُ: بلى. قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلُغُني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليدِ فسآخُذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا علياً فأمره أن يجلِدَه. فجلدَه ثمانين.

وفي المسند[2] والسُنن[3] عن عَمرو بن جاوانَ قال: قال الأحنفُ: انطلقنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٥٣ رقم ٣٦٩٦) وطرفاه (٢٨٧٢) و (٣٩٢٧). ولم يخرجه مسلم.

(٢) عند أحمد (١/ ٧٠).

(٣) أي سنن النسائي في (٦/ ٤٦ - ٤٧).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٩٣ رقم ١٣٠٣).
وفي إسناده عمرو بن جاوان التميمي البصري، لم يوثقه غير ابنُ حبان، وباقي رجاله ثقات.
أقول - القائل الشيخ عبد القادر الأرنؤوط -: ولكن يشهد له معنى حديث أبي عبد الرحمن السلمي الآتي رقم (٦٤٧٥) **فهو به حسن**.
[«جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٦٣٨)].

حُجّاجاً فمَرزنا بالمدينة، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال: الناسُ في المسجد. فانطلقتُ أنا وصاحبي، فإذا الناسُ مجتمعون على نفر في المسجد، قال فتخلَّلتُهم حتى قُمتُ عليهم، فإذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ والزُبيرُ وطلحةُ وسعدُ بنُ أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرعَ من أن جاء عثمانُ يمشي. فقال: ههنا عليٌّ؟ قالوا: نعم، قال: ههنا الزبيرُ؟ قالوا: نعم، قال: ههنا طلحةُ؟ قالوا: نعم. قال: ههنا سعدُ بنُ أبي وقاص؟ قالوا: نعم. قال أنشُدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«من يبتاعُ مِرْبَدَ بني فلان غَفَر اللَّهُ له»** فابتعته، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: إني قد ابتعتُه، فقال: **«اجعلْه في مسجدنا وأجرُه لك؟»** قالوا: نعم. قال: أنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«من يبتاعُ بِئرَ رُومةَ»**. فابتعتُها ـ بكذا وكذا فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ إني قد ابتعتُها ـ يعني بئر رُومة ـ قال: **«اجعلْها في سقاية للمسلمين، ولك أجرُها؟»** قالوا: نعم. قال: أنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسولَ الله ﷺ نظرَ في وجوه القومِ يوم جيشِ العُسرةِ فقال: **«من يجهِّز هؤلاء غفَر اللَّهُ له»**، فجهزتُهم حتى ما يفقدون خِطاماً ولا عِقالاً؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد اللهم اشهد، ثم انصرف رضي الله عنه.

وروى أحمدُ[١] والتِرمِذيُّ[٢] والنَّسائيُّ[٣] عن ثُمامةَ بنِ جزءٍ القُشيريِّ قال: شهِدتُ الدارَ يومَ أُصيب عثمانُ، فاطلع عليه اطّلاعَةً فقال: ادعُوا لي صاحبيكُم اللذين ألّباكم عليّ، فدُعيا له، فقال: أنشدُكما اللَّهَ، تعلمانِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما قدِمَ المدينة ضاقَ المسجدُ بأهله فقال: **«من يشتري هذه البُقعةَ من خالص مالِه فيكونُ كالمسلمين وله خيرٌ منها في الجنة»**. فاشتريتُها من خالص مالي فجعلتُها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أُصليَ فيها ركعتين.

---

(١) في «المسند» (١/ ٧٥).

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٢٧ رقم ٣٧٠٣) وقال: هذا حديث حسن.

(٣) في «السنن» (٦/ ٢٣٥).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٩٤ رقم ١٣٠٥) والدارقطني (٤/ ١٩٧ رقم ٤) والبيهقي (٦/ ١٦٨).

وهو حديث حسن. انظر: «الإرواء» رقم (١٥٩٤).

ثم قال: أنشدكم اللَّهَ أتعلمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما قدِمَ المدينةَ لم يكن فيها غيرُ بئرٍ يُستعذَبُ منه إلا بئرَ رُومةَ فقال رسولُ الله ﷺ: **«من يشتريها من خالص مالِه فيكون دلوُه فيها كدِلاء المسلمين وله خيرٌ منها في الجنة»**، فاشتريتُها من خالص مالي، وأنتم تمنعوني أن أشربَ منها، ثم قال: هل تعلمون أني صاحبُ جيشِ العُسرةِ؟ قالوا: اللهم نعم». وقال الترمذيُّ: حسنٌ.

وله[1] عن عبدِ الرحمنِ بنِ خَبّابٍ ﷺ قال: شهِدتُ النبيَّ ﷺ وهو يحثُّ على جيش العُسرةِ، فقام عثمانُ بنُ عفانَ فقال: يا رسولَ الله عليَّ مائةُ بعيرٍ بأحْلاسها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضّ على الجيش فقام عثمانُ فقال: يا رسولَ اللَّهِ عليَّ مائتا بعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها في سبيل الله. ثم حض على الجيش، فقام عثمانُ فقال: عليَّ ثلاثمائةِ بعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها في سبيل الله، فأنا رأيت رسولَ الله ﷺ ينزِل من على المنبر وهو يقول: **«ما على عثمانَ ما عمِل بعد هذا، ما على عثمانَ ما عملَ بعد هذا»**.

وله[2] عن عبدِ الرحمنِ بنِ سَمُرةَ قال: جاء عثمانُ إلى رسول الله ﷺ بألف دينارٍ في كُمِّه حين جهّز جيشَ العُسرةِ فنثرها في حِجْرِه، فقال عبدُ الرحمن: فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُقلّبها في حِجْره ويقول: **«ما ضر عثمانَ ما عمِل بعد اليوم»** (مرتين). حسَّنهُ الترمذي[3].

وروى الإمامُ أحمدُ[4] وأصحابُ السنن[5] عن أبي أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنيفٍ

---

(١) أي لأحمد في «المسند» (٤/٧٥).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/٦٢٥ رقم ٣٧٠٠) وقال: **هذا حديث غريب من هذا الوجه لا** نعرفه إلا من حديث السَّكن بن المغيرة.
وهو حديث ضعيف.

(٢) لأحمد في «المسند» (٥/٦٣) **بإسناد صحيح.**
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/٦٢٦ رقم ٣٧٠١) وقال: **هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**
والحاكم في «المستدرك» (٣/١٠٢) وصححه. وسكت عنه الذهبي.
وهو حديث حسن.

(٣) في «السنن» (٥/٦٢٦).

(٤) في «المسند» (١/٦١، ٦٣، ٧٠) **بسند صحيح.**

(٥) أخرج أبو داود في «السنن» (٤/٦٤٠ رقم ٤٥٠٢).

في قصة توعُّدهم إياه بالقتل، قال: ولِمَ يقتُلونني؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا يحل دمُ امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاثٍ: رجلٌ كفر بعد إسلامِه، أو زنى بعد إحصانِه، أو قتل نفساً بغيرِ نفس**».

فواللَّهِ ما زَنَيتُ في جاهلية ولا إسلام قطُّ، ولا تمنَّيتُ بدلاً بديني منذ هداني اللَّهُ له، ولا قتلتُ نفساً. فيمَ يقتلونني.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] وغيرُه[2] عن النعمان بنِ بشيرٍ عن عائشةَ ﵂ قالت: «أرسل رسولُ الله ﷺ إلى عثمانَ بنِ عفانَ فأقبل عليه رسولُ الله ﷺ، فلما رأينا إقبالَ رسولَ الله ﷺ على عثمانَ أقبلتْ إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمةٍ أن ضرَب على مَنكِبه وقال: «**يا عثمانُ، إن اللَّهَ تعالى عسى أن يُلبِسَك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلَعْه حتى تلقاني**» (ثلاثاً).

وروى أحمدُ[3] والترمذيُّ[4] وقال: حسنٌ غريبٌ عن ابن عمرَ ﵄ قال: ذكر رسولُ الله ﷺ فتنةً فقال: «**يُقتلُ فيها هذا المُقنَّعُ يومئذ مظلوماً**»، فنظرنا فإذا هو عثمانُ بنُ عفان.

وروى أحمدُ[5] بإسناد جيدٍ عن أبي هريرةَ ﵁ قال: إني سمعتُ

= والترمذي (٤/ ٤٦٠ رقم ٢١٥٨) والنسائي (٧/ ٩٢) وابن ماجه (٢/ ٨٤٧ رقم ٢٥٣٣).
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: **وهو حديث صحيح**.

(١) في «المسند» (٦/ ٧٥، ٨٦، ١١٤، ١١٧، ١٤٩).

(٢) كالترمذي (٥/ ٦٢٨ رقم ٣٧٠٥) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
وابن ماجه في «السنن» (١/ ٤١ رقم ١١٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٥٩ رقم ١١٧٢) **وهو حديث صحيح**.

(٣) في «المسند» (٢/ ١١٥).

(٤) في «السنن» (٥/ ٦٣٠ رقم ٣٧٠٨) وقال: **هذا حديثٌ حسن غريبٌ** من هذا الوجه من حديث ابن عمر.
وهو حديث حسن الإسناد.

(٥) في «المسند» (٢/ ٣٤٥).
قلت: وأخرجه الحاكم (٣/ ٩٩) و (٤/ ٤٣٣) وقال: **صحيح ووافقه الذهبي**.
وقال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن.

رسولَ الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنةً واختلافاً ـ أو قال اختلافاً وفتنةً ـ فقال قائلٌ من الناس: فمن لنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمانَ بذلك».

وله[1] عن مُرّةَ البَهْزيِّ قال: بينما نحن مع رسولِ الله ﷺ في طريق من طرقِ المدينةِ فقال: «كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرضِ كأنها صياصيَ البقر». قالوا: نصنعُ ماذا يا رسولَ الله؟ قال: «عليكم هذا وأصحابَه، أو اتبعوا هذا وأصحابَه». قال: فأسرعتُ حتى عييتُ، فأدركتُ الرجلَ فقلت: هذا يا رسَولَ الله؟ قال: «هذا»، فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ، فقال هذا وأصحابُه، يذكره.

وروى الترمذيُّ[2] في جامعه عنه ﷺ قال: لولا حديثٌ سمعتُه من رسولِ اللَّهِ ﷺ ما تكلمتُ، وذكر الفتنَ فقرّبها، فمرّ رجلٌ متقنّعٌ في ثوب فقال: «هذا يومئذٍ على الهدى»، فقمتُ إليه فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ. فأقبلتُ عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «نعم». ثم قال الترمذي[3]: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وفي البابِ[4] عن ابنِ عمرَ وعبدِ اللَّهِ بن حوالةَ وكَعبِ بن عجُرة.

وروى أحمدُ[5] وابنُ ماجه[6] وغيرُهما عن كعب بن عُجرةَ ﷺ قال: «ذكر رسولُ اللَّهِ ﷺ فتنةً فقرّبها وعظّمها، قال: ثم مرَّ رجلٌ مقنعٌ في مِلْحَفة فقال: «هذا يومئذٍ على الحق». قال: فانطلقتُ مسرعاً ـ أو مُحْضِراً ـ وأخذتُ بضَبْعَيه فقلت: هذا يا رسولَ الله؟ قال: هذا.

---

(١) في «المسند» (١٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦ رقم ٢٠٢٥١ ـ الزين) بإسناد ضعيف لجهالة الراويين عن مرة.
* وأخرجه أحمد (١٥/ ١٩٠ رقم ٢٠٢٣٠ ـ الزين) بإسناد صحيح.
ولفظه عن مرة البهزي قال: كنت عند رسول الله ﷺ ـ وقال بهز في حديثه: قال رسولُ الله ﷺ ـ: «تهيج فتنة كالصياصي فهذا ومن معه على الحق». قال: فذهبتُ فأخذتُ بمجامع ثوبه فإذا هو عثمانُ بن عفان ﷺ.

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٢٨ رقم ٣٧٠٤) من طرق.
وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) في «السنن» (٥/ ٦٢٨).

(٤) قاله الترمذي في «السنن» (٥/ ٦٢٨).

(٥) في «المسند» (٤/ ٢٤٢ و ٢٤٣).

(٦) في «السنن» (١/ ٤١ رقم ١١١).

وروى أبو داود الطيالسيُّ[1] بإسناد رجاله ثقاتٌ عن عبد الله بنِ حوالةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تهجُمون على رجلٍ مُعتجرٍ ببُردة من أهل الجنة يبايع الناسَ»، قال: فهجَمْنا على عثمان بنِ عفانَ معتجِراً يبايع الناسَ.

وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته وأشياءَ من فضائِله مع ذكر صاحبيه ﷺ، وفي فضائله منفرداً ومع غيره من السابقين أحاديثُ كثيرةٌ، وفيما أشرنا إليه كفايةٌ.

[استشهاد عثمان]

وكان الاعتداءُ على حياته ﷺ يومَ الجمعةِ لثماني عشرةَ خلتْ من ذي الحجة سنةَ خمسٍ وثلاثينَ على الصحيح المشهور، وكانت خلافتُه ثنتي عشرةَ سنةً[2] إلا اثني عشر يوماً، لأنه بويع له في مُستهلّ المحرّمِ سنةَ أربعٍ وعشرينَ. وأما عمرُه ﷺ فإنه قد جاوزَ ثِنتينِ[3] وثمانين سنةً. والله أعلم.

[خلافة علي بن أبي طالب وفضائله]

(والـرابـعُ ابـنُ عـمّ خـيـرِ الـرُسْـلِ   أعني الإمامَ الحقَّ ذا القدْرِ العلي)

= وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٦٦ ـ ٦٧ رقم ٤٥): **هذا إسناد منقطع**، قال أبو حاتم: محمد بن سيرين لم يسمع من كعب بن عجرة، ورجال الإسناد ثقات.

رواه الإمامُ أحمدُ في مسنده من حديث كعب بن عجرة ـ وقد تقدم ـ ورواه أبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده عن إسماعيل بن علية عن هشام به.

ورواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا يزيد بن هارون ثنا هشام بن حسان فذكره بزيادة كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة.

ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا هدية ثنا همام ثنا قتادة عن محمد بن سيرين به.

وهو حديث صحيح.

(١) في مسنده رقم (١٢٥٠).

قلت: وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٥٠٥ رقم ٨٢٥) **بسند صحيح**.

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٧٧٨) **بسند منقطع**.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٣٢) وقال: رواه أحمد **وإسناده منقطع**.

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٧٧٩) **بسند منقطع**.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٩٩) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله إلى قتادة ثقات.

(مُـبـيـدَ كـلِّ خـارجـيٍّ مـارقِ   وكـلِّ خَـبٍّ رافـضـيٍّ فـاسـقِ)

(مَـن كـان لـلـرسـول فـي مـكـان   هـارونَ مـن مـوسـى بـلا نُـكـرانِ)

(لا فـي نـبـوَّةٍ فـقـد قـدَّمـتُ مـا   يـكـفـي لـمـن مِـن سـوءِ ظنٍّ سـلِـمـا)

(والرابعُ) في الخلافةِ والفضلِ **(ابنَ عمِّ)** محمدٍ ﷺ **(خيرِ الرسل)** أكرمِهم على الله عز وجل **(أعني)** بذلك **(الإمامَ الحقَّ)** بالإجماع بلا مُدافعةٍ ولا ممانعةٍ **(ذا)** صاحبَ **(القدرِ العليِّ)** الرفيع، وهو أميرُ المؤمنين أبو السِّبطينِ عليُّ بنُ أبي طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ رضي الله عنه وأرضاه.

كان أبو طالبٍ عمُّ النبيِّ ﷺ أخاً شقيقاً لأبيه عبدِ اللَّهِ، وأمُّه فاطمةُ بنتُ عمْرٍو، كفلَ أبو طالب رسولَ اللَّهِ ﷺ بعد موتِ جدِّه عبدِ المطلبِ وهو ابنُ ثمانِ سنينَ، ولما بُعث آواه اللَّهُ تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دينِ قومِه، ولله في ذلك حكمةٌ، وقد حرَصَ النبيُّ ﷺ على هداية عمِّه كلَّ الحِرص، ولم يكن ذلك حتى خرجتْ روحُه وهو يقول: على ملةِ[1] عبدِ المطّلِبِ، وأنزل اللَّهُ تعالى في ذلك تعزيةً لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال النبيُّ ﷺ: **«لأستَغفِرَنَّ لك ما لم أُنهَ عنك»**[1]. فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. الآيات.

وفي صحيح مسلمٍ[2] عن العباس بنِ عبد المطلبِ أنه قال: «يا رسولَ الله هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنه كان يحوطُك ويغضبُ لك، قال: **«نعم، هو في ضَحضاحٍ من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار»**. وفي لفظ[3]: **«وجدتُه في غمَرَاتٍ من النار فأخرجتُه إلى ضَحضاحٍ»**.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٣ رقم ٣٨٨٤) وطرفه رقم (٦٥٦٤). ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤ رقم ٣٩/ ٢٤).

(٢) بل في الصحيحين.
أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٣ رقم٣٨٨٣).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٤ ـ ١٩٥ رقم ٣٥٧/ ٢٠٩).

(٣) عند مسلم في صحيحه (١/ ١٩٥ رقم ٣٥٨/ ٢٠٩).

وفيه[1] عن أبي سعيد الخُدريِّ أن رسولَ الله ﷺ ذُكرَ عنده عمُّه أبو طالبٍ فقال: **«لعله تنفعُه شفاعتي يوم القيامة فيُجعلَ في ضحضاح من نار يبلُغ كعبيه يغلي منه دِماغُه»**.

وفيه[2] عن ابن عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«أهونُ أهلِ النارِ عذاباً أبو طالب، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دِماغُه»**. وكفَل النبيُّ ﷺ علياً ﷺ وهو صغيرٌ، فلما بُعث آمن به وهو ابنُ ثمانِ سنينَ[3]، وهو أولُ من آمن من الصبيان، كما أن أبا بكر ﷺ أولُ مَن آمن به من الرجال، وخديجةُ ﷺ أولُ من آمنَ به من النساء، وورقةُ بنِ نوفل ﷺ أولُ مَن آمن به من الشيوخ، وزيدُ بنُ حارثةَ ﷺ أول من آمن به من الموالي، وبلالٌ ﷺ أولُ من آمن به من الأرِقّاء، ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

وكان عليٌّ ﷺ صاحبَ دعوةِ قريش حين نزلتْ على الرسول ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فأمر علياً أن يدعوهُم له فيجتمعون للنِّذارة[4].

وهو الذي فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلةَ مكْرِ المشركين كما قدمنا في حديثِ الهجرةِ[5]. وهو الذي أدّى الأماناتِ عنه بعدها. وهو الذي برز مع حمزةَ وعُبيدةَ لُخصمائهم يوم بدْر وكان يقول: أنا أولُ من يجثو للخصومةِ بين يدي[6] الرحمنِ يوم القيامة. وشهد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ المشاهِدَ[7] كلَّها إلا تبوكَ[8] على ما

---

(١) أي في صحيح مسلم (١/ ١٩٥ رقم ٣٦٠/ ٢١٠).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٣ رقم ٣٨٨٥).

(٢) أي في صحيح مسلم (١/ ١٩٦ رقم ٣٦٢/ ٢١٢).

(٣) انظر: «السيرة» لابن هشام (١/ ٣١٢ ـ ٣١٩). «والاستيعاب» (٣/ ١٩٧ رقم ١٥٧٥).

(٤) لم أعثر على مصدره.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٤٣ رقم ٤٧٤٤).

(٧) انظر: «الروضة الندية في شرح التحفة العلوية» (ص٤٠) و «الاستيعاب» (٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٨) فإنه خلّفه رسولُ الله ﷺ على المدينة وعلى عياله بعده في غزوةِ تبوك، وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ رقم ٣٠/ ٢٠٤٤) والترمذي في «السنن» رقم=

يأتي. وهو صاحبُ عَمرِو بنِ وُدّ وخيلِهِ[1] يوم الخندق.

وفتح الله على يديه يوم خيبرَ[2] بعد قتلِه فارسَهم مَرْحَباً. وكان مع حُماة النبيِّ[3] ﷺ يوم أُحد. وكان صاحبَ النداء بسورةِ براءةَ[4] تبليغاً عن الرسولِ ﷺ في الموسِم، وشريكَه في هديه[5] في حجَّةِ الوداعِ، وخليفتَه في أهله في غزوةِ تَبوكَ[6] وصاحبَ تجهيزِه حين توفيَ[7] مع جماعة أهلِ البيتِ ﷺ.

وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسانِ من الفضائلِ الجمّةِ ما فيه كفايةٌ وغُنيةٌ عن تلفيق الرافضةِ[8] وخَرَطِهم وكذِبهم عليه وعلى رسولِ اللّهِ ﷺ وقولِهم عليه ما لم يقُلْ قبّحهم الله.

[موقف علي من الخوارج والرافضة وموقفهم منه]

(مبيدُ) أي مُدمِّرُ **(كلِّ خارجيٍّ)** نسبة إلى الخروج من الطاعة، ولكن صار هذا

= (٣٧٣٠، ٣٧٣١) وابن ماجه رقم (١٢١) وأحمد في «المسند» (١/ ١٧٩) و (٣/ ٣٢) (٦/ ٣٦٩، ٤٣٨) والطبراني في «الكبير» (١/ ١٠٨، ١١٠) وابن أبي شيبة (١٢/ ٦١، ٦٢).

(١) قال ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٣٥١): حدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: قتل عليُّ بن أبي طالب يومئذ عمرو بن ودّ وابنه حِسْل بن عمرو.

(٢) لما أخرجه البخاري (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠١) ومسلم (٤/ ١٨٧٢ رقم ٣٤/ ٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد.

(٣) ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ١٢١).

(٤) للحديث الذي أخرجه النسائي في «السنن» (٥/ ٢٤٧).

والدارمي (٢/ ٦٦) والبيهقي (٥/ ١١١) من حديث جابر.

ورجاله رجال مسلم إلا موسى بن طارق فهو ثقة، وفيه عنعنة أبي الزبير وهو مدلس ولكن مسلم احتج بعنعنته عن جابر في أحاديث كثيرة.

* وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٢٧٥ رقم ٣٠٩١) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس.

وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٤٥ رقم ٩٢١٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٠٠ رقم ١٢١٢٨).

والنسائي في «تهذيب خصائص الإمام علي» رقم (٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣) من طرق.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣٣٢).

(٦) تقدم آنفاً.

(٧) انظر: «سيرة ابن هشام»(٤/ ٤١٥).

(٨) سيأتي التعريف بهم قريباً.

الاسمُ علَماً على الحَرورية الذين كفَروا أهلَ القبلةِ والمعاصي، وحكَموا بتخليدهم في النار بذلك، واستحلوا دماءَهم وأموالَهم، حتى الصحابةُ من السابقين الأولين من أهلِ بدرٍ وغيرِهم، حتى عليُّ بن أبي طالب وعمارُ بنُ ياسرٍ وخبابٌ وأقرانهم ﷺ.

ثم صار هذا الاسمُ عامًّاً لكل من اتبع مذهبَهم الفاسد وسلك طريقتَهم الخائبةَ، وكلُّ ذنبٍ يكفّرون به المؤمنين فهو تكفيرٌ لأنفسهم من وجوه عديدةٍ وهم لا يشعرون.

فمنها أن تكفيرَ المؤمن إن لم يكن كذلك كفَر فاعلُه كما في الحديث: **«أيما امرئ قال لأخيه يا كافرُ فقد باء بها أحدُهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»**[1].

ومنها أن من أكبر الكبائرِ التي يُكفرون بها المؤمنين قتل النفسِ التي حرم الله إلا بالحق، وهم أسرعُ الناس في ذلك يقتلُون أهلَ الإيمان ويدَعون أهلَ الأوثان.

ومنها أن المؤمنَ وإن عمل المعاصيَ فهو لا يستحلّها وإنما يقع فيها لغلبة نفسِه إياه وتسويلِ شيطانِه له، وهو مُقِرٌّ بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدودِ الشرعيةِ فيما ارتكبَه، وهم يقتلُون النفسَ التي حرم اللّهُ قتْلَها إلا بالحق، ويأخذون الأموالَ التي حرم اللّهُ أخذها إلا بالحق، ويفعلون الأفاعيلَ القبيحةَ مستحلّينَ لها، والذي يعمل الكبيرةَ مستحلاً لها أولى بالكفر ممن يعملها مُقِراً بتحريمها، بل لا مُخالفَ في ذلك إذ هو تكذيبٌ بالكتاب وبما أرسل اللّهُ تعالى به رسلَه عليهم السلام، وإنما توقف الصحابةُ عن تكفيرِ أهلِ النّهروان لأنهم كانوا يتأوّلون فحكموا أنهم بُغاةٌ.

(مارِق) اسمُ فاعل من المُروق وهو الخروجُ من جانب غيرِ مقصودِ الخروجُ منه، وسُمّيَ الخوارجُ «مارقةً» لقول النبيِّ ﷺ فيهم: **«يمرقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرّميّة»**[2]، وقوله: **«تمرُق مارقةٌ»**[2]، الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥١٤ رقم ٦١٠٤).
ومسلم في صحيحه (١/ ٧٩ رقم ١١١/ ٦٠).

(٢) سيأتي تخريجهما قريباً.

ففي الصحيح[1] عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ بالجِعْرانَة مُنْصَرفه من حُنينٍ، وفي ثوب بلالٍ فضةٌ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقبِضُ منها ويُعطي الناسَ، فقال: يا محمدُ اعدِلْ، قال: **«ويلكَ ومن يعدِلُ إذا لم أكن أعدِلُ؟ لقد خِبتُ وخسِرتُ إن لم أكن أعدِلُ»**.

فقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: دعني يا رسولَ اللَّهِ فأقتل هذا المنافقَ، فقال: **«معاذَ اللَّهِ أن يتحدثَ الناسُ أني أقتلُ أصحابي، إن هذا وأصحابَه يقرأون القرآنَ لا يجاوز حناجرَهم، يمرُقونَ منه كما يمرق السهم من الرمِيّة»**.

وفيه[2] عن أبي سعيدٍ في قصة الذهبية: فجاء رجلٌ كثُّ اللحيةِ مُشرِفُ الوجنتين غائرُ العينين ناتئُ الجَبينِ محلوقُ الرأسِ فقال: اتقِ اللَّهِ يا محمد، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: **«فمن يُطعِ اللَّهَ إن عصيتُه؟ أيأمَنُني على أهلِ الأرضِ ولا تأمَنوني؟»**، قال: ثم أدبرَ الرجلُ فاستأذنَ رجلٌ من القوم في قتله - يرَون أنه خالدُ بنُ الوليدِ - فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن مِن ضِئْضِئِ هذا قوماً يقرأون القرآنَ لا يجاوز حناجرَهم، يقتُلون أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرمية، لئن أدركتُهم لأقتلَنَّهم قتلَ عادٍ»**، وفي لفظ: **«ثمود»**[3].

وفي لفظٍ[4]: فقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: يا رسولَ اللَّهِ ائذَنْ لي فيه أضربْ عُنقَه، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«دعْه فإن له أصحاباً يحقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم وصيامَه مع صيامِهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تَراقيَهم، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرمية، ينظُر إلى نصله فلا يوجد منه شيءٌ، ثم ينظُر إلى نَضيِّه فلا يوجد فيه شيءٌ وهو القِدْحُ، ثم ينظُر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيء، سبَقَ الفرثَ والدمَ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدى عضُديهِ مثلُ ثَدْيِ المرأةِ مثلُ البَضْعةِ تَدَرْدَر، يخرجون على حين فرقة من الناس»**.

قال أبو سعيد[4]: فأشهد أني سمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أن

---

(١) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٠ رقم ١٤٢/ ١٠٦٣).
وأخرج البخاري (٦/ ٢٣٨ رقم ٣١٣٨) الجزء الأول منه.
(٢) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٤١ رقم ١٤٣/ ١٠٦٤).
(٣) لمسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٢ رقم ١٤٤/ ١٠٦٤).
(٤) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٤ رقم ١٤٨/ ١٠٦٤).

عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجلِ فالتُمس فوُجد، فأُتيَ به حتى نظرتُ إليه نظرة رسولِ الله ﷺ الذي نعَتَ.

وفيه[1] عنه ﷺ أن النبيَّ ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرُجون في فِرقة من الناس سيماهم التحالُقُ قال: «**هم شرُّ الخلقِ، أو من أشرِّ الخلقِ، يقتلُهم أدنى الطائفتين إلى الحقِّ**».

قال: فضربَ النبيُّ ﷺ لهم مثلاً - أو قال قولاً - «**الرجل يرمي الرميةَ**، أو قال: «**الفوقَ، فينظر في النصل فلا يرى بصيرةً، وينظر في النَّضِيِّ فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة**»، قال: قال أبو سعيد: وأنتم قتلتمُوهم يا أهلَ العراق.

وفيه[2] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تمرُق مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين يقتلُها أَولى الطائفتين بالحق** - وفي رواية[3] - «**يكون في أمتي فرقتان فتخرُج من بينهما مارقةٌ يلي قتلَهم أولاهم بالحق**».

وفي لفظ قال: قال ﷺ: «**تمرُق مارقةٌ في فرقة من الناس، فيلي قتلَهم أَولى الطائفتين بالحق**». وفي رواية[4]: «**يخرجون على فِرقة مختلفة، يقتلُهم أقربُ الطائفتين من الحق**».

وفيه[5] عن سويد بنِ غَفلةَ قال: قال عليٌّ ﷺ: «إذا حدثتكم عن رسولِ اللّهِ ﷺ فلأن أخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أقولَ عليه ما لم يقُل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحربَ خُدعة.

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**سيخُرج في آخر الزمانِ قومٌ أحداثُ الأسنان سفُهاءُ الأحلام، يقولون من خير قولِ البريةِ، يقرأون القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهم**،

---

(١) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٥ رقم ١٤٩/ ١٠٦٤).
(٢) في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥ رقم ١٥٠/ ١٠٦٤).
(٣) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٦ رقم ١٥١/ ١٠٦٤).
(٤) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٦ رقم ١٥٣/ ١٠٦٤).
(٥) أي صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦ - ٧٤٧ رقم ١٥٤/ ١٠٦٦).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٩٩ رقم ٥٠٥٧).

يمرُقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرمية، فإذا لقيتمُوهم فاقتلُوهم، فإن في قتلِهم أجراً لمن قتلَهم عند الله يوم القيامة».

وفيه[1] عن عُبيدةَ عنه رضي الله عنه قال: «ذكرَ الخوارجَ فقال: فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليد ـ أو مُودَنُ اليد، أو مودونُ اليد ـ لولا أن تُطروا لحدثتُكم بما وعد اللَّهُ تعالى الذين يقتلُونَهم على لسان محمد ﷺ. قال: قلت: أنتَ سمعتَ من محمد ﷺ؟ قال: إي وربِّ الكعبةِ، إي وربِّ الكعبةِ، إي وربِّ الكعبةِ».

وفيه[2] عن زيد بنِ وهْب الجُهنيّ أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضي الله عنه: أيُها الناسُ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يخرُج قومٌ من أمتي يقرأونَ القرآنَ ليس قراءَتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهم بشيء، ولا صيامُكم إلى صيامِهم بشيء، يقرأون القرآنَ يحسَبونه أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتُهم تراقِيَهم، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرميّة، لو يعلم الجيشُ الذين يُصيبونَهم ما قُضيَ لهم على لسان نبيّهم ﷺ لاتكلوا عن العمل. وآيةُ ذلك أن فيهم رجلاً له عضُدٌ وليس له ذِراعٌ، على رأس عضُدِه مثلُ حَلمةِ الثدي، عليه شُعيراتٌ بيضٌ».

فتذهبون إلى مُعاويةَ وأهلِ الشامِ وتتركون هؤلاءِ يخلفُونَكم في ذراريكم وأموالِكم؟ واللَّهِ إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القومَ، فإنهم قد سفكوا الدمَ الحرامَ، وأغاروا في سَرْح الناس، فسيروا على اسم الله».

قال سلمةُ بنُ كهيل: فنزّلني زيدُ بنُ وهْب منزلاً حتى مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدُ الله بنُ وهْبٍ الراسبيُّ فقال لهم: ألقُوا الرماحَ وسُلُّوا سيوفَكم من جُفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يومَ حَروراءِ، فرجعوا فوحّشوا[3] برماحهم وسلوا السيوفَ وشجرهم الناسُ برماحهم، قال: وقُتِّلَ بعضُهم على بعض، وما أُصيبَ من الناس يومئذ إلا رجلان.

---

(1) أي في صحيح مسلم (٢/٧٤٧ رقم ١٠٦٦/١٥٥).

(2) أي في صحيح مسلم (٢/٧٤٨ ـ ٧٤٩ رقم ١٠٦٦/١٥٦).

(3) فوحشوا برماحهم، أي رموا بها عن بعد منهم، ودخلوا فيهم بالسيوف حتى لا يجدوا فرصة.

فقال علي ﷺ: التمسوا فيهم المُخْدَج، فالتمسوه فلم يجدوه. فقام علي ﷺ بنفسه حتى أتى ناساً قد قُتل بعضُهم على بعض قال: أخِّروهم، فوجدوه مما يلي الأرضَ فكبّر ثم قال: صدَق اللّهُ وبلّغ رسولُه.

قال: فقام إليه عُبيدةُ السّلمانيُّ فقال: يا أميرَ المؤمنين، آللّهَ الذي لا إله إلا هو لسمعتَ هذا الحديثَ من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي واللّهِ الذي لا إله إلا هو. حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلِف له».

وفيه[1] عن عبيد اللّهِ بنِ أبي رافعٍ مولى رسولِ الله ﷺ أن الحرورية[2] لما خرجت وهو مع عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ قالوا: لا حُكْمَ إلا لله، قال علي: كلمةُ حقٍ أُريدَ بها باطلٌ.

إن رسولَ الله ﷺ وصف لنا، وإني لأعرِف صفتَهم في هؤلاء، يقولون الحقَّ بألسنتِهم ولا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغضِ خلق اللّهِ إليه، منهم أسودُ، إحدى يديه طِبْيُ شاة أو حَلْمةُ ثدي.

فلما قتلَهم عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ قال: انظُروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجِعوا فوالله ما كذَبْتُ ولا كُذِبْتُ - مرتين أو ثلاثاً - ثم وجدوه في خِربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه. قال عبدُ اللّهِ: وأنا حاضرٌ ذلك من أمرهم وقولِ عليٍّ ﷺ فيهم.

وفيه[3] عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«إن بعدي من أمتي قوماً يقرأون القرآنَ لا يجاوز حلاقيمَهم. يخرجون من الدين كما يخرُج السهمُ من الرميّة ثم لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلقِ والخليقة»**. ومثلُه[4] عن رافعِ بنِ عُمرَ الغِفاري ﷺ.

وفي سنن أبي داودَ[5] عن أبي سعيدٍ الخدريِّ وأنسِ بنِ مالكٍ عن

---

(١) أي صحيح مسلم (٢/٧٤٩ رقم ١٥٧/١٠٦٦).

(٢) اسم من أسماء الخوارج تقدم التعريف بها.

(٣) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٥٠ رقم ١٥٨/١٠٦٧).

(٤) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٥٠ رقم ١٥٨/١٠٦٧).

(٥) في «السنن» (٥/١٢٣ رقم ٤٧٦٥) وهو حديث صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٩٤٠).

رسولِ الله ﷺ قال: **«سيكون في أمتي اختلافٌ وفُرقةٌ، قومٌ يحبونَ القتلَ ويُسيئون الفعل، يقرأونَ القرآنَ لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروقَ السهمِ من الرمية، لا يرجِعونَ حتى يرتدَّ على فُوقِه، هم شرُّ الخلقِ والخليقةِ، طوبى لمن قتلَهم وقتلوه، يدعون إلى كتابِ اللَّهِ وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ ما سيماهُم؟ قال: التحليق»**.

وله[1] عن أنس ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«سيماهُم التحليقُ والتسبيدُ، فإذا رأيتموهم فأَنِيمُوهم»**.

قال أبو داودَ[2]: التسبيدُ استئصالُ الشعر، والأحاديث في ذمِّ الخوارجِ والأمرِ بقتالهم والثناء على مُقاتليهم كثيرةٌ جداً وفيما ذكرنا كفايةٌ.

(و) مبيدُ **(كلِّ خبٍّ رافضيٍّ[3] فاسق)** الخَبُّ الخدّاعُ الخائنُ، والرافضيُّ نسبةٌ إلى الرفض وهو التركُ بازدراء واستهانةٍ، سُمّوا بذلك لرفضهم الشيخين أبا بكر وعمرَ ﷺ، وزعموا أنهما ظلما علياً واغتصبوه الخلافةَ ومنعوا فاطمة ﷺ فدَكَ،

---

(١) في «السنن» (٥/ ١٢٣ - ١٢٤ رقم ٤٧٦٦) وهو حديث صحيح.

(٢) في «السنن» (٥/ ١٢٤).

(٣) الرافضة: يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ.

* وسنذكر أهم المسائل الاعتقادية عندهم والتي كان لها أثر هام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة وطريقة أهل الحق.

١ - قصر الخلافة في آل البيت، علي وذريته ﷺ.

٢ - دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

٣ - تدينهم بالتقية.

٤ - دعواهم المهدية.

٥ - دعواهم الرجعة.

٦ - موقفهم من القرآن.

٧ - موقفهم من الصحابة.

٨ - القول بالبداء على الله تعالى.

وتوجد لهم آراء أخرى منحرفة. [انظر كتاب: «فرق معاصرة، تنسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها»، إعداد: غالب بن علي عواجي (١/ ١٦٣ - ١٥٧) فقد أجاد وأفاد].

وبذلك يُحطّون عليهما ثم على عائشةَ ثم على غيرها من الصحابة.

وهم أقسامٌ كثيرةٌ لا كثّرهم الله تعالى: أعظمُهم غُلوّاً وأسوأُهم قولاً وأخبثُهم اعتقاداً، بل وأخبثُ من اليهود والنصارى هم السبئيةُ[1] أتباعُ عبدِ الله بن سبأ اليهوديّ قبّحه الله، كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام، وهم الذين أحرقَهم عليٌّ رضي الله عنه بالنار، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاريّ[2] والمُسندَ[3] وأبي داودَ[4] والتِرمذيّ[5] والنّسائيّ[6] عن عِكرِمةَ رضي الله عنه قال: أُتيَ عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابنَ عباس فقال: لو كنتُ أنا لم أُحرِقْهم لنهي رسولِ الله ﷺ: **«لا تعذِّبوا بعذاب الله»**، ولقتلتهم لقول رسولِ الله ﷺ: **«من بدّل دينه فاقتلُوه»**.

حُكيَ عن أبي المظفر الإسفرايني في المِلل والنِّحل أن الذين أحرقهم علي رضي الله عنه طائفةٌ من الروافض ادَّعوا فيه الإلهيةَ وهم السبئيةُ، وكان كبيرهم عبد الله بنُ سبأ يهودياً ثم أظهرَ الإسلامَ وابتدع هذه المقالةَ.

وتفصيلُ ذلك ما ذكره في الفتح[7] من طريق عبدِ اللّهِ بنِ شريكٍ العامريّ عن أبيه قال: قيل لعليّ رضي الله عنه إن هنا قوماً على باب المسجدِ يزعمُونَ أنك ربُّهم فدعاهم

---

(١) السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، قيل أنه من الحيرة في العراق، وقيل: - وهو الراجح - إنه من أهل اليمن من صنعاء وقيل أصله رومي، أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكراً. وكان من أشد المحرّضين على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسسس التشيع على الغلو في أهل البيت، ودعا إلى إثبات الوصاية لعليّ، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء، ثم دعا إلى القول بالرجعة ثم إلى القول بإلهية علي، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء وأنّ المقتول هو شيطان تصوّر بصورة علي.

انظر: «فرق معاصرة» لغالب بن علي عواجي (١/ ١٤٤ ـ ١٤٩).

(٢) (١٢/ ٢٦٧ رقم ٦٩٢٢).

(٣) (١/ ٢٨٢).

(٤) في «السنن» (٤/ ٥٢٠ رقم ٤٣٥١).

(٥) في «السنن» (٤/ ٥٩ رقم ١٤٥٨) وقال: **هذا حديث صحيح حسن.**

(٦) في «السنن» (٧/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٧) (١٢/ ٢٧٠).

فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنتَ ربُنا وخالقُنا ورازقُنا، قال: ويلَكم إنما أنا عبدٌ مثلُكم آكلُ الطعامَ كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، وإن أطعتُ اللَّهَ أثابني إن شاء، وإن عصيتُه خشِيتُ أن يعذبني. فاتقوا اللَّهَ وارجِعوا، فأبوا.

فلما كان الغدُ غدَوا عليه فجاء قنبرُ فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلامَ، فقال: أدخِلْهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالثُ قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم بأخبث قِتلةٍ، فأبَوا إلا ذلك، فأمرَ عليٌّ ﷺ أن يُخدَّ لهم أُخدودٌ بين المسجدِ والقصرِ، وأمر بالحطب أن يُطرح في الأخدود ويُضْرمَ بالنار ثم قال لهم: إني طارِحكم فيها أو ترجِعوا. فأبَوا أن يرجِعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إنــي إذا رأيــتُ أمــراً مُــنْــكَــراً أوقــدتُ نــاري ودعــوتُ قــنــبــرا

قال الحافظُ ابنُ حجر[1]: إسنادُه صحيحٌ[2].

ومنهم طائفةٌ يعتقدون أنْ لا إله إلا عليٌّ، وهم النُصيريةُ[3] الذين يقول شاعرُهم الملعونُ قبَّحهُ الله:

---

(١) (١٢/ ٢٧٠).

(٢) بل قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٢٧٠): **هذا إسناد حسن.**

(٣) النصيرية: هي إحدى فرق الباطنية الغلاة، ظهرت في القرن الثالث للهجرة، انشقت عن فرقة الإمامية الاثني عشرية.

تنسب هذه الطائفة إلى زعيمهم (محمد بن نصير النميري) وكنيته أبو شعيب، وكان من الشيعة الاثنا عشرية وأصله من فارس ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر، فلم تقر له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكون له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة (٢٦٠هـ)، وبعضهم يذكر أنه في سنة (٢٧٠هـ).

* وللنصيرية عقائد كثيرة بعضها ظاهر، وبعضها ـ وهو الأكثر ـ لا يزال في طي الكتمان، وقد اتضح أن أهم عقائدهم وأبرزها:

١ ـ تأليه علي رضي الله عنه.

٢ ـ القول بالتناسخ: ويعود سبب تعلقهم بالتناسخ إلى أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بالحساب والجزاء في الآخرة...

والتناسخ حسب معتقد النصيرية في أربع صور حسب قرب الشخص أو بعده عن الإيمان وطاعة الأئمة أو عصيانهم وهي كما يلي:

أ ـ نسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر.

ب ـ مسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسد حيوان. =

أشـــــهـــد ألا إلـــــه إلا حـــيــدرة الأذرعُ الـــبَــطـــيــنُ
ولا ســـبــيـــلٌ إلـــيـــه إلا مـــحـــمـــدٌ الـــصـــادقُ الأمـــيـــن
ولا حـــجـــابٌ عـــلـــيـــه إلا ســلــمـــانُ ذو الــقــوةِ الــمــتــيــن

ومنهم من يدعي فيه الرسالةَ وأن جبريلَ خانها فنزل بها على محمد ﷺ.

ومنهم من يدعي فيه العصمةَ، ويرى خلافة أبي بكر وعمرَ وعثمانَ باطلةً، ويشتمُون طلحةَ والزبيرَ وعائشةَ ويرمونَها بما رماها به ابنُ سلولٍ قبحهم الله.

ومنهم من يدعي أنه رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى وسينزل عيسى كما سينزل وهم أصحابُ الرَّجعة.

ومنهم من يدعي أنه وصيُّ رسولِ الله ﷺ بأمته، وأنه عهِدَ إليه ما لم يَعْهَدْه إلى غيره وبلغه ما كتمه الناسَ، وغيرُ ذلك من فِرقهم الضالةِ وشِيَعِهم الخاطئة.

وأما الزيديةُ[1] الذين يدعون أنهم أصحابُ زيدِ بنِ عليٍّ وأتباعه فهؤلاء لا يشتُمون الشيخين ولا عائشةَ ولا سائر العشرة، ولكنهم يفضلون علياً ﷺ ويقدّمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمرَ ثم يسكتون عن عثمانَ ﷺ ويحُطّون على معاويةَ غفر اللّهُ له.

هذا الذي وقفنا عليه في بعض رسائِلهم، ثم رأيتُ في بعضها السكوتَ عن أبي بكر وعمرَ، فلا يذكرونهما بخير ولا شر، ولا بخلافة ولا غيرها، ثم يحصُرون الخلافةَ في علي ﷺ وذريتِه، ففرقةٌ تدَّعي عِصمتَهم، وأخرى لا تدَّعي ذلك.

والمقصودُ أنهم فرقٌ كثيرة متفاوتون في أقوالهم وأفعالِهم واعتقاداتِهم، وأخفُّهم بدعةً الزيديةُ، هذا في شأن أهلِ البيت طهرهم الله تعالى.

= ج ـ فسخ: فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها.
د ـ رسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد.
٣ ـ تقديس الخمر.
٤ ـ موقفهم من الصحابة.
[انظر: «فرق معاصرة» لغالب بن علي عواجي (١/ ٣٢١ ـ ٣٦٣) و «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ١٤٥ ـ ١٦٠)].

(١) الزيدية: نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي، الذي ولد سنة (٨٠هـ) تقريباً، وتوفي سنة (١٢٢هـ).
[انظر: تفصيل ذلك في «فرق معاصرة» لغالب بن علي عواجي (١/ ١٥٤ ـ ١٦٣)].

وأما في مسألة الصفاتِ والقرآنِ والقدَرِ والوعدِ والوعيدِ وسائرِ المعتقداتِ فقد دهَى كلَّ فرقةٍ منهم ما دهى غيرَهم من الناس، ولكن المشهورَ من غالبهم الاعتزالُ واعتمادُهم كتبَ العلّافِ والجبائي[1] وأشباهِه، والزيديةُ عمدتُهم في تفسير القرآنِ كشافُ[2] الزمَخشريِّ، وقد شحنَه بقول القدريةِ المعتزلةِ، وهم أخفُّ وأهونُ ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ بالله، ومحلُ بسطِ مقالاتِهم وفرقِ ضلالاتِهم كتبُ المقالات.

هذا وقد قال عليٌّ ﷺ في تفضيل أبي بكر وعمرَ ﷺ ما قدمناه في الصحيح[3]، وفي كتاب السنةِ[4] عن علقمة في خُطبة عليٍّ ﷺ على منبر الكوفة: ألا إنه بلغني أن قوماً يفضّلونني على أبي بكر وعمرَ ﷺ، ولو كنتُ تقدمتُ في ذلك لعاقبْتُ فيه، ولكنْ أكره العقوبةَ قبل التقدُّم.

من قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري. وخيرُ الناسِ كان بعد رسولِ الله ﷺ أبو بكر ثم عمرُ، ثم أحدثْنا بعدهم أحداثاً يقضي اللَّهُ فيها ما شاء.

وهذا الكلامُ مشهورٌ عنه من طُرق لا تحصى، لأنه ﷺ وكرَّم الله وجهَه كان يجهر به ويظهرهُ في المحافل وعلى المنابر، ويذُم الرافضة كثيراً، وقد جلد من قيل

---

(١) تقدّم التعريف به.

(٢) مثال ذلك إذا مر بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع مذهبه يحاول أن يبطل بكل جهوده هذا المعنى الظاهر. وأن يثبت للفظ معنى آخر موجوداً في اللغة.
* عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يومئذٍ ناضرة * إلى ربِّها نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. يتخلص من المعنى الظاهر لكلمة ناظرة لأنه لا يتفق مع مذهبه الذي لا يقول برؤية الله تعالى، ونراه يثبت له معنى آخر هو التوقع والرجاء...».
انظر: «التفسير والمفسرون» الدكتور محمد بن حسين الذهبي (١/ ص٤٢٨ ـ ٤٤٦). ونجد ابن القيم يثور على الزمخشري من أجل تفسيره الاعتزالي...
فمثلاً نراه يذكر ما فسر به الزمخشري قوله تعالى في الآية (١٧٦) من سورة الأعراف: ﴿ولَوْ شِئْنَا لَرَفعناهُ بِهَا ولكنَّهُ أخلَدَ إلى الأرضِ واتَّبعَ هَواهُ﴾ [الأعراف: ٧٦]. ثم يقول ابن القيم: «فهذا منه شنشنة نعرفها من قدري ناف للمشيئة العامة، مبعد للنجعة، في جعل كلام الله معتزلياً قدرياً». ذكره د. محمد حسين الذهبي في «التفسير والمفسرون» (١/ ٤٣٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.
وانظر: «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١/ ٣٣٦ رقم ٤٨٤).

له إنه تكلم في عرض أمِّ المؤمنين ﵂ جلده مائةً، وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم ﵁.

(من كان) بمعنى من صار **(للرسول)** ﷺ **(في مكان)** أي منزلةِ **(هارونَ من موسى)** عليهما السلام في الاستخلاف، فموسى استخلف هارونَ في مدة الميعاد، ومحمدٌ ﷺ استخلف علياً في غزوةِ تبوك.

ففي الصحيحين[1] عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ عن أبيه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلي ﵁: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلةِ هارون من موسى؟»**.

وفيها[2] من رواية مصعب بنِ سعدٍ عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرج إلى تبوكَ واستخلفَ علياً ﵁، فقال: «أتخلّفني في الصبيان والنساء؟ قال: **«ألا ترضى أن تكونَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى؟ إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي»**. هذا الاستثناءُ يزيلُ الإشكالَ من الرواية الأولى، ويخصص عمومَ المنزِلةِ بخصوص الأخوّةِ والاستخلافِ في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيه، إذ يقول اللَّهُ تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه]. وقال لهما: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

ولهذا قلنا في المتن **(لا في نبوة)** لمنزلة هارون من موسى فيها، فلا تتوهمْ ذلك من اقتصاري على الرواية الأولى، **(فقد قدمت)** في فصل النبوة **(ما يكفي)** في هذا البابِ **(لمن مِن سوء ظن)** بأخيه المسلم **(سلما)** وهو قولي:

(وكلُ مَن مِن بعده قد ادَّعى　　نبوةً فكاذبٌ فيما ادعى)

وما بعده.

وفي الصحيحين[3] في تفسير قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] عن قيس بنِ عديٍّ عن أبي ذرٍّ ﵁ إنه كان يُقسم فيها أن هذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٧١ رقم ٣٧٠٦) وطرفه رقم (٤٤١٦).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ رقم ٣٠/ ٢٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٢ رقم ٤٤١٦).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ رقم ٣١/ ٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٤٣ رقم ٤٧٤٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٣٢٣ رقم ٣٤/ ٣٠٣٣).

الآيةَ نزلت في حمزة وصاحبيه وعُتبةَ وصاحبيه، برزوا يوم بدر.

وفيهما[1] عنه عن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أولُ من يجثو بين يدي الرحمنِ للخصومة يوم القيامة.

قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدرٍ: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ، وشيبةُ بنُ ربيعةَ وعُتبةُ بنُ ربيعةَ والوليدُ بنُ عتبةَ.

وفيهما[2] عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال يوم خيبرَ: **«لأعطيَنَّ هذه الرايةَ غداً رجلاً يفتح اللّهُ على يديه يحب اللّهَ ورسولَه ويُحبه اللّهُ ورسولُه»**، قال: فباتَ الناسُ يدُكونَ ليلتَهم أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناسُ غدَوا على رسول اللّهِ ﷺ كلُهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **«أين عليُّ بنُ أبي طالب؟»**، فقيل: هو يا رسولَ الله يشتكي عينيه، قال: **«فأرسلوا إليه»**، فأُتيَ به فبصقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرايةَ، فقال علي: يا رسولَ اللّهِ أقاتلُهم حتى يكونوا مثلَنا، فقال عليه الصلاة والسلامِ: **«انفُذْ على رِسْلك حتى تنزِلَ بساحتِهم ثم ادعُهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي اللّهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرَ النَّعَم»**. وعن سلمةَ بنِ الأكوعِ نحوُه مختصراً، ونحوُه عند مسلم أيضاً.

وفيهما[3] عن عبد العزيزِ بنِ أبي حازم عن أبيه أن رجلاً جاء سهل بنَ سعدٍ فقال: هذا فلانٌ - لأمير المدينة - يدعو علياً عند المنبر. قال: ماذا يقول له؟ قال: يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: واللّهِ ما سماه إلا النبيُّ ﷺ وما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه، فاستطعمتُ الحديث سهلاً وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال: «دخل عليٌّ رضي الله عنه على فاطمةَ، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبيُّ ﷺ: **«أين ابنُ عمِّك؟»** قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءَه قد سقط عن ظهرِه وخلُص إلى ظهره، فجعل يمسح الترابَ عن ظهره فيقول: **«اجلِس يا أبا ترابٍ»** مرتين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٤٣ - ٤٤٤ رقم ٤٧٤٤). ولم يخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠١) ومسلم (٤/ ١٨٧٢ رقم ٣٤/ ٢٤٠٦). وقد تقدم.

(٣) البخاري في صحيحه (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠٣).

ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤ - ١٨٧٥ رقم ٣٨/ ٢٤٠٩).

وفي رواية مسلم[1] عن أبي حازم عن سهل بنِ سعدٍ قال: «استُعمل على المدينة رجلٌ من آل مروانَ، قال: فدعا سهلَ بنَ سعدٍ فأمره أن يشتُم علياً، قال: فأبى سهلٌ فقال له: أما إذا أبيتَ فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسمٌ أحبَّ إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرَحُ إذا دُعيَ به. فقال له: أخبرنا عن قصته، أسُمّيَ أبا تراب فذكره.

وفي صحيح البخاريِّ[2] عن سعيد بن عبيدة، قال: جاء رجلٌ إلى ابن عمرَ رضي الله عنهما فسأله عن عثمان فذكر محاسن عملِه وقال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغَمَ اللَّهُ بأنفك. ثم سأله عن عليّ فذكر محاسِنَ عملِه وقال: هو ذاك بيتُه أوسطُ بيوتِ النبيِّ ﷺ، ثم قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم اللَّهُ بأنفِك. انطلق واجهَدْ على جَهدك».

وفيهما[3] عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا عليٌّ رضي الله عنه أن فاطمةَ عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبيَّ ﷺ سبْيٌ، فانطلقتْ فلم تجِدْه فوجدت عائشةَ رضي الله عنها فأخبرتْها، فلما جاء النبيُّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعَنا فذهبتُ لأقومَ، فقال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برْدَ قدميه على صدْري وقال: **«ألا أعلّمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتُما مضاجعَكما؟ تكبّران أربعاً وثلاثين، وتسبّحان ثلاثاً وثلاثين، وتَحمَدانِ ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم»**.

وفي البخاري[4] عن ابن سيرينَ عن عُبيدةَ عن علي رضي الله عنه قال: «اقضُوا كما كنتم تَقْضون، فإني أكره الاختلافَ حتى يكون الناسُ جماعةً أو أموتَ كما مات أصحابي». فكان ابنُ سيرينَ يرى أن عامةَ ما يُروى عن علي رضي الله عنه الكذبُ.

قلتُ: وأكثرُ مَن يَكذب على عليّ رضي الله عنه الرافضةُ الذين يدّعون مشايعتَه ونشرَ فضائِله ومثالبِ غيرِه من الصحابةِ، فيُسندون ذلك إليه رضي الله عنه وهو بريءٌ منهم، وهم أعدى عدوٍّ له.

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥ رقم ٣٨/ ٢٤٠٩).
(٢) (٧/ ٧٠ ـ ٧١ رقم ٣٧٠٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠٥).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١ رقم ٨٠/ ٢٧٢٧).
(٤) في صحيحه (٧/ ٧١ رقم ٣٧٠٧).

وفي الصحيحين[1] من طرق عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تكْذِبوا عليّ فإنّه من كذب عليّ فلْيلِج النار»**.

وفي فضائله ﷺ من الأحاديث الصِحاحِ والحسانِ ما يغني عن أكاذيب الرافضة، وهم يجهلون غالبَ ما له من الفضائل فيها.

وفي صحيح مسلم[2] عن عامر بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصِ عن أبيه ﷺ قال: أمر معاويةُ بنُ أبي سفيانَ سعداً فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرتَ فثلاثٌ قالهن رسولُ اللّهِ ﷺ، لأن تكونَ لي واحدةٌ منهن أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول له وقد خلفه في مغازيه فقال له علي ﷺ: يا رسولَ اللّهِ خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسولُ الله ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارونَ من موسى إلا أنه لا نبوةَ بعدي؟»**.

وسمعتُه يقول يوم خيبرَ: **«لأعطين الرايةَ رجلاً يحب اللّهَ ورسولَه»**، قال: فتطاولنا لها قال: **«ادعُوا لي علياً»**، فأُتيَ به أرمدَ فبصق في عينيه ودفع إليه الراية ليلةَ فتح اللّهُ عليه.

ولما نزلت هذه الآيةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسولُ الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: **«اللهم هؤلاء أهلي»**.

وفي صحيح مسلم[3] عن زِرّ قال: قال عليّ ﷺ: والذي فلق الحبةَ وبَرأ النسَمةَ، إنه لعَهدُ النبيِّ ﷺ إليَّ أنْ لا يُحبُّني إلا مؤمنٌ ولا يُبغضُني إلا منافق.

والأحاديثُ في فضله كثيرةٌ جداً، وقد تقدم الحديثُ في الإشارة إلى خلافته ﷺ في رؤيا الرجلِ الصالحِ الدلوَ التي شرِبَ منها أبو بكر وعمرُ وعثمانُ، ثم جاء علي وأخذ بعَراقيها فانتشطتْ وانتضح عليه منها شيءٌ، وكان تأويلُ ذلك ما أصابه ﷺ من اختلاف الناس عليه والفتنِ الهائلة والدماءِ المُهرَقةِ والأمورِ الصعابِ والأسلحةِ المسلولةِ بين المسلمين بسبب السبئيةِ ومن وافقهم من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٩٩ رقم ١٠٦).
ومسلم في صحيحه (١/٩ رقم ١/١).
(٢) (٤/١٨٧١ رقم ٣٢/٢٤٠٤).
(٣) (١/٨٦ رقم ١٣١/٧٨).

أهلِ الأمصارِ على قتل عثمانَ، وكان غالبُهم منافقين، وقليلٌ منهم من أبناء الصحابةِ مغرَّرونَ، فحصل من ذلك في يوم الجمَلِ[1] وصفّينَ[2] وغيرِهما وقائعُ يطولُ ذكرُها.

فأما وقعةُ الجملِ[3] فكانت بمحض فعلِ السبئيةِ قبّحهم الله تعالى، ليس باختيار عليّ رضي الله عنه ولا طلحةَ ولا الزبيرِ ولا أم المؤمنين رضي الله عنهم، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلةً، فتواطأ أهلُ الفتنةِ، وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين ويُنشبوا الحربَ بين الفئتين من الغلَس، فثار الناسُ من نومهم إلى السلاح فلم يشعُر أصحابُ رسولِ اللّهِ ﷺ إلا بالرؤوس تُندَر والمعاصِم تتطاير ما يدرون ما الأمرُ حتى عُقر الجملُ وانكشف الحالُ عن عشرةِ آلافِ قتيلٍ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإنما أنشبَ أهلُ الفتنةِ الحربَ بين الفريقينِ لعلمهم أنهما إن تصالحا دارت الدائرةُ عليهم وأخذوا بدم عثمانَ وأُقيمَ عليهم كتابٌ، فقالوا: نشغلهم بأنفسهم، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً.

وأما في قتاله أهلَ الشام فكانوا هم مع معاويةَ، وكان هو رضي الله عنه متأوّلاً يطالب بدم عثمانَ ويرى أنه وليُّه وأن قَتَلَتَه في جيش علي، فكان معذوراً في خطئه بذلك، وأما عليٌّ رضي الله عنه فكان مجتهداً مصيباً وفالجاً مُحقاً يريد جمعَ كلمةِ الأمة، حتى إذا كانوا جماعةً وخمدت الفتنُ وطفِئَت نارُها أخذ بالحق من قتلةِ عثمانَ.

وكان رضي الله عنه أعلمَ بكتاب اللّهِ من المطالبين بدم عثمانَ، وكان السبئيةُ يخافونَه أعظَمَ من خُصمائه، وذلك الذي حملَهم على ما فعلوه يوم الجمل، فكانَ أهلُ الشام بُغاةً اجتهدوا فأخطأوا وعليٌّ رضي الله عنه يقاتلهم ليرجِعوا إلى الحق ويَفيئوا إلى أمر الله، ولهذا كان أهلُ بدرِ الموجودون على وجه الأرضِ كلُهم في جيشِه وعمارٌ قُتل معه رضي الله عنه كما في الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد في بناء المسجدِ، فقال: كنا نحمِلُ لبنةً لبنةً وعمارٌ لبِنتين، فرآهُ النبيُّ ﷺ فينفُض الترابَ عنه ويقول: «ويحَ

---

(١) انظر: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» من روايات الإمام الطبري والمحدِّثين. د. محمد أمحزون (ص١١٣ ـ ١٤٠) و «العواصم من القواصم» (ص١٤٨).

(٢) انظر: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (ص١٤٦)، وانظر: «العواصم من القواصم» (ص١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/٥٤١ رقم ٤٤٧).

عمارٍ تقتله الفئةُ الباغيةُ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».

قال: يقول عمارٌ أعوذ بالله من الفتن. فقتله أهلُ الشام مصداقَ ما أخبرهم به الصادقُ المصدوقُ ﷺ وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلافِ وإلى طاعةِ الإمامِ التي هي من أسباب دخول الجنةِ، ويدعونه إلى الفتنة والفُرقة التي هي من أسباب دخولِ النارِ، وكان عليٌّ ﷺ أسعدَ منهم وأولاهم بالحق لقتْله الخوارجَ بالنهروان، وقد قال النبيُّ ﷺ: «تقتلُهم أولى الطائفتين بالحق»[1] كما قدمنا.

وفي سنن أبي داودَ[2] عن الأقرعِ مؤذِّنِ عمرَ بنِ الخطاب ﷺ قال: بعثني عمرُ إلى الأُسقف فدعوتُه فقال له عمر: وهل تجدُني في الكتاب؟ قال: نعم. قال: كيف تجدني؟ قال: أجدُك قرْناً، فرفع عليه الدِّرّة فقال: قرنُ مَهْ؟ فقال: قرنٌ حديدٌ، أمينٌ شديد. قال: كيف تجد الذي يجيء من بعدي؟ فقال: أجدُه خليفةً صالحاً غيرَ أنه يُؤْثِرُ قرابته، قال عمر: يرحَمُ اللّهُ عثمانَ (ثلاثاً). فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجدُه صَدَأ حديد، فوضع عمرُ يده على رأسه فقال: يا دَفْراه يا دَفراه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه خليفةٌ صالحٌ، ولكنه يُستخلف حين يُستخلف والسيفُ مسلولٌ والدمُ مُهراقٌ». وكان الأمرُ كما أخبرَه.

[استشهاد علي بن أبي طالب]

وكان ﷺ أيام خلافته على طريق الحقِ والاستقامةِ والتمسّك بكتاب اللّهِ وهدْيِ محمدٍ ﷺ، مجتهدٌ في جمع شملِ الأمةِ وإطفاء الفِتنِ والتذفيفِ على أهل البِدعِ حتى اعتدى على حياته ﷺ الشقيُّ ابنُ مُلجَم الخارجيُّ قبحه الله وقد فعل، وذلك يومَ الجمعةِ وقتَ الفجرِ وهو يقول: الصلاةَ الصلاة، فمكث يَومَ الجمعةِ وليلةَ السبت وتُوفّيَ ليلةَ الأحدِ لإحدى عشرةَ ليلةً بقِيتْ من رمضانَ سنةَ أربعينَ عن ثلاثٍ وستينَ سنةً[3]، فكانت مدةُ خلافتِه كلِّها أربعَ سنينَ وتسعةَ أشهرٍ إلا لياليَ وهو يومئذ أفضلُ مَن على وجه الأرضِ بالإجماع.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٥/ ٤٣ ـ ٤٤ رقم ٤٦٥٦) بسند ضعيف.

(٣) انظر: «الإصابة» (٤/ ٤٦٨) و «الاستيعاب» (٣/ ٢٢١).

وذلك مصداقُ ما روى الإمامُ أحمدُ[1] وأبو داودَ[2] وغيرُهما[3] عن سفينةَ أبي عبد الرحمنِ مولى رسولِ الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«الخلافةُ ثلاثون سنةً، ثم تكون بعد ملكاً»** قال سفينةُ: فخُذْ سَنَتي أبي بكرٍ وعشْرِ عمرَ واثنتي عشْرةَ عثمانَ وستَّ عليٍّ رضي الله عنهم أجمعين.

قلت: سفينةُ رضي الله عنه حذَفَ الزائدَ والناقصَ عن السنين من الأشهر على ما جرت به عاداتُ العربِ في حذف الكسورِ في الحساب وعلى ما قدّمنا ضبطَه فأيامُ كلٍ منهم لا تكمُلُ ثلاثين إلا بخلافةِ الحسنِ بنِ علي رضي الله عنه، وهي ستةُ أشهر، ثم أصلح اللّهُ به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبيُّ ﷺ، ووليَ معاويةُ بذلك واجتمع الناسُ عليه وكان ذلك العامُ يسمّى: عامَ الجماعة»، وكان معاويةُ رضي الله عنه أولَ ملوكِ الإسلامِ وخيرَهم.

وروى الإمامُ أحمدُ[4] عن علي رضي الله عنه قال: سبق رسولُ الله ﷺ، وصلَ أبو بكر، وثلّثَ عمرُ ثم خبَطَتْنا بعده فتنةٌ فهو ما شاء الله. وفي رواية: يقضي الله فيها ما يشاء.

وله عنه[5] رضي الله عنه قال: لَيُحِبَّنِّي قومٌ حتى يدخلوا النارَ في حُبِّي، وليُبغضنّي قومٌ حتى يدخلوا النارَ في بغضي.

وله[6] عنه رضي الله عنه قال: يهلِكُ فيَّ رجلان: مُفرِطٌ غالٍ، ومُبغضٌ قالٍ. وله[7]

---

(1) في «المسند» (٥/ ٢٢٠ و ٢٢١).

(2) في «السنن» (٥/ ٣٦ ـ ٣٧ رقم ٤٦٤٦ و ٤٦٤٧).

(3) كالترمذي في «السنن» (٤/ ٥٠٣ رقم ٢٢٢٦) وقال: هذا حديث حسن.
والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٥١).
وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣ رقم ١١٨١).
وهو حديث حسن.

(4) في «المسند» (١/ ١١٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٧).
قلت: وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢١٤ رقم ٢٤١) بإسناد صحيح.
وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١٣٠).

(5) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٦٥ رقم ٩٥٢) بإسناد صحيح.

(6) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٧١ رقم ٩٦٤) بإسناد حسن.

(7) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٦٥ رقم ٩٥١) بإسناد ضعيف.
قلت: وأخرجه الحاكم (٣/ ١٢٣) من طريق الحكم وصحح إسناده فتعقبه الذهبي بقوله: الحكم وهاه ابن معين.

عنه قال: يهلِك فيَّ رجلانِ مُحِبٌ مفرِطٌ ومبغِضٌ مُفترٍ.

وله[1] عن الشعبي عن علقمةَ قال: أتدري ما مَثلُ عليٍّ في هذه الأمةِ؟ قال قلت: وما مثلُه؟ قال: مثلُه كمثل ابنِ مريمَ، أحبه قومٌ حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قومٌ حتى هلكوا في بغضه.

وقد روى[2] عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ هذا المعنى مُسنداً عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ قال: دعاني رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: **«إن فيكَ من عيسى مثلاً، أبغضتْه يهودُ حتى بهتوا أمَّه، وأحبَّتْه النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به»**. ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان: مُحبٌّ مفرطٌ يُقرِّظُني بما ليس فيَّ، ومُبغضٌ مفترٍ يحمِله شنآني على أن بهَتَني، ألا وإني لستُ بنبي ولا موصىً إليَّ، ولكن أعمَل بكتاب اللَّهِ تعالى وسنةِ نبيِّه ﷺ ما استطعتُ، فما أمرتُكم به من طاعة اللَّهِ فحقٌّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرِهتم.

وكان ﷺ يخبر أصحابه بولاية معاويةَ ﷺ ويقول: لا تكرهوا إمارةَ معاويةَ، والذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجالِ تُندَر عن كواهلهم كأنها الحنظلُ إلا أن يفارِقَكم معاويةُ[3].

وكان أحمدُ بنُ حنبلٍ[4] رحمه الله تعالى يقول: لا أعلم أحداً يُحفظ له من الفضائل في الأحاديث الصِحاح ما يُحفظ لعلي، ﷺ وعن أصحاب رسولِ الله ﷺ أجمعين.

---

(١) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٧٥ رقم ٩٧٤).

(٢) في زيادات «المسند» (١/ ١٦٠) وفي «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٣٩ رقم ١٠٨٧) بإسناد ضعيف. لأجل الحكم بن عبد الملك القرشي البصري نزيل الكوفة كادوا أن يجمعوا على تضعيفه.
والنسائي في «تهذيب خصائص الإمام علي» رقم (٩٨) بإسناد ضعيف جداً.
وابن الجوزي في «العلل» (١/ ٢٢٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٣) وقال: رواه عبد الله والبزار باختصار وأبو يعلى أتم منه، وفي إسناد عبد الله وأبي يعلى الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف، وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف...

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٤) وسنده ضعيف فيه الحارث الأعور ومجالد بن سعيد، وهما ضعيفان والأول متهم.

(٤) لم أعثر على مصدره الآن.

[مناقب الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة]

(فالستةُ المكمِّلونَ العشرةْ وسائرُ الصحْبِ الكرامِ البررَةْ)

(ف) يليهم في الفضل (الستةُ المكملون) عددَ (العشرة) المشهودُ لهم بالجنة كما في السنن[1] عن عبد الرحمنِ بنِ الأخنسِ أنه كان في المسجد، فذكر رجلٌ علياً رضي الله عنه، فقام سعيدُ بنُ زيدٍ فقال: أشهَدُ على رسولِ الله ﷺ أني سمعتُه وهو يقول: **«عشَرةٌ في الجنة: النبيُّ ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزبيرُ بنُ العوام في الجنة، وسعدُ بنُ مالكٍ في الجنة، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ في الجنة»**. ولو شئتُ لسمّيتُ العاشر. قال فقالوا: من هو؟ فسكت، قال فقالوا: من هو؟ فقال: «هو سعيدُ بنُ زيدٍ» رضي الله عنه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يومَ أُحدٍ قال: ذاك يومٌ كلُه لطلحةَ[2].

وفي الصحيح[3] عن أبي عثمان قال: لم يبقَ مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيامِ التي قاتل فيها رسولُ الله ﷺ غيرُ طلحةَ وسعدٍ.

وفيه[4] عن قيس بنِ أبي حازمٍ قال: رأيتُ يدَ طلحةَ التي وقى بها النبيَّ ﷺ قد شلَّتْ.

وفيه[5] عن جابر بن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأحزابِ: **«من يأتينا بخبر القوم؟»**، فقال الزبيرُ: أنا. ثم قال: **«من يأتينا بخبر القوم؟»** فقال الزبير: أنا. ثم قال: **«من يأتينا بخبر القوم؟»**، فقال الزبير: أنا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن لكل نبيٍّ حَوارياً، وحواريَّ الزبيرُ»**.

---

(١) أخرجه أبو داودَ (٥/ ٣٧ - ٣٨ رقم ٤٦٤٨ و ٤٦٤٩ و ٤٦٥٠).
والترمذي (٥/ ٦٤٨ رقم ٣٧٤٨) وابن ماجه رقم (١٣٣) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٤٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٦١٩ رقم ١٤٢٨) والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٤).
وهو حديث صحيح.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٢ رقم ٣٧٢٢ و ٣٧٢٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٩ رقم ٤٧/ ٢٤١٤).

(٤) أي في صحيح البخاري (٧/ ٨٢ رقم ٣٧٢٤). وطرفه رقم (٤٠٦٣).

(٥) أي في صحيح البخاري (٧/ ٧٩ - ٨٠ رقم ٣٧١٩).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٩ رقم ٤٨/ ٢٤١٥).

وفيه[1] عن مروانَ بن الحكم قال: أصاب عثمانَ ﷺ رُعافٌ شديدٌ سنةَ الرُعافِ حتى حبَسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش قال: استخلِفْ، قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومَن؟ فسكت. فدخل عليه رجلٌ آخرُ - أحسبُه الحارثَ - فقال: استخلف. فقال عثمانُ: وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت، فلعلهم قالوا الزبير، قال: نعم، أما والذي نفسي بيده إنه لخيرُهم ما علِمْتُ، وإنْ كان لأحبَّهم إلى رسولِ الله ﷺ.

وفي رواية[2] قال: أما واللّهِ إنكم لتعلمون أنه خيرُكم (ثلاثاً).

وفيه[3] عن عبد اللّهِ بنِ الزبير ﷺ قال: كنتُ يومَ الأحزابِ جُعلتُ أنا وعمرُ بنُ أبي سلمةَ في النساء فنظرتُ فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قُريظةَ مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعتُ قلتُ: يا أبتي رأيتُك تختلِفُ. قال: وهل رأيتني يا بُنيّ؟ قلت: نعم. قال: كان رسولُ الله ﷺ قال: **«من يأتي بني قريظةَ فيأتيني بخبرهم»**. فانطلقتُ، فلما رجعتُ جمع لي رسولُ اللّهِ بين أبويه فقال: فداك أبي وأمي.

وعن هشام بنِ عُروةَ[4] عن أبيه أن أصحابَ النبيِّ ﷺ قالوا للزبيرِ يومِ وقعةِ اليرموك: ألا شُدَّ فنشُدَّ معك، فحمَلَ عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربةٌ ضُربَها يومَ بدر. قال عروةُ[3]: فكنتُ أُدخِل أصابعي في تلك الضرباتِ ألعب وأنا صغيرٌ.

قلت[5]: وقد اخترق صفوفَ الرومِ يومئذ أربعَ مرات، مرتين دخولاً فيهم ومرتين رجوعاً، وكانت الضربتان في رجعته من المرة الأخرى، كما هو مبسوطٌ في موضعه من السِيَر.

وفي مسلمٍ[6] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ كان على حِراء هو وأبو

---

(١) أي في صحيح البخاري (٧/ ٧٩ رقم ٣٧١٧) وطرفه رقم (٣٧١٨).
(٢) عند البخاري في صحيحه (٧/ ٧٩ رقم ٣٧١٨).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٠ رقم ٣٨٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٩ رقم ٤٩/ ٢٤١٦).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٠ رقم ٣٧٢١).
(٥) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠).
(٦) أي في صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٠ رقم ٥٠/ ٢٤١٧).

بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرةُ فقال رسولُ الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيدٌ**». زاد في رواية[1]: وسعدُ بن أبي وقاصٍ.

وفيه[2] عن عائشةَ ﵂ قالت: أرِقَ رسولُ الله ذات ليلةٍ فقال: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرُسني الليلةَ**». قالت: وسمِعْنا صوتَ السلاحِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَن هذا؟**»، قال: سعدُ بنُ أبي وقاصٍ يا رسولَ اللّهِ، جئتُ أحرُسك. قالت عائشةُ: فنام رسولُ الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه.

وفيهما[3] عن عبدِ اللّهِ بنِ شدادٍ قال: سمعتُ علياً يقول: ما جمع رسُولُ اللّهِ ﷺ أبويه لأحد غيرَ سعدِ بنِ مالكٍ، فإنه جعل يقول له يومَ أُحد: «**ارمِ فداك أبي وأمي**».

وعن عامر بن سعدٍ[4] عن أبيه أن النبيَّ ﷺ جمع له أبويه يوم أحدٍ، قال: كان رجلٌ من المشركين قد أحرق المسلمين فقالَ لي النبيُّ ﷺ: «**ارم فداك أبي وأمي**» قال: فنزعْتُ له بسهم ليس فيه نصْلٌ، فأصبتُ جنبَه، فسقط فانكشفتْ عورتُه، فضحِكَ رسولُ الله ﷺ حتى نظرتُ إلى نواجذه.

وفيه[5] عن مصعب بنِ سعدٍ عن أبيه أنه نزلت فيه آياتٌ من القرآن. قال: حَلفتْ أم سعدٍ أن لا تُكلّمَه أبداً حتى يكفُرَ بدينه، ولا تأكلَ ولا تشربَ، قالت: زعمتَ أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك وأنا آمرُ بهذا، قال: مكثتْ ثلاثاً حتى غُشِيَ عليها من الجَهْد، فقام ابنٌ لها يقال له: عِمارةٌ فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ [العنكبوت: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

---

(١) عند مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٠ رقم .../ ٢٤١٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨١ رقم ٢٨٨٥).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٥) رقم (٣٩/ ٢٤١٠).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٥٨ رقم ٤٠٥٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٦ رقم ٤١/ ٢٤١١).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٦ رقم ٢٤١٢).
(٥) أي في صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٧ رقم ٤٣/ ١٧٤٨).

قال: وأصابَ رسولُ الله ﷺ غنيمةً عظيمةً فإذا فيها سيفٌ، فأخذتُه فأتيتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: نفِّلني هذا السيفَ فأنا من قد علِمْتَ حالَه، فقال: **«ردَّه من حيث أخذتَه»**، فانطلقتُ حتى إذا أردتُ أن أُلقِيَه في القبض لامتْني نفسي فرجَعتُ إليه فقلتُ: أعطِنيه. قال: فشَدَّ لي صوتَه: **«ردَّه من حيث أخذتَه»**، قال: فأنزل اللَّهُ عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

قال: ومرِضْتُ فأرسلتُ إلى النبي ﷺ فأتاني فقلتُ: دعني أقسمُ مالي حيث شئتَ. قال: فأبى. قلت: فالنصفَ، قال: فأبى، قلت: فالثلثَ، قال: فسكت فكان يعدّ الثلثَ جائزاً، قال: وأوتيتُ على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نُطعمك ونَسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرّم الخمر، قال: فأتيتُهم في حُشّ - والحشُّ البُستانُ - فإذا رأسُ جزورٍ مشويٌّ عندهم وزقٌّ من خمر، قال: فأكلتُ وشربتُ معهم، قال: فذكرتُ الأنصارَ والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خيرٌ من الأنصار، قال: فأخذ رجلٌ أحدَ لَحْيَيْ الرأسِ فضربني به فجرح بأنفي، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُه، فأنزل الله عز وجل فيَّ - يعني نفسَه - بشأن الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

وعنه[١] رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ ستةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرُدْ هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنتُ أنا وابنُ مسعودٍ ورجلٌ من هُذيلٍ وبلالٌ ورجلان لستُ أسمّيهما، فوقع في نفسِ رسولِ الله ﷺ ما شاء اللَّهُ أنْ يقعَ فتَحدّث في نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وعن أنس[٢] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن لكل أمةٍ أميناً وإن أميننا أيتها الأمةُ أبو عبيدةَ بنُ الجراح»**.

وعنه[٣] رضي الله عنه أن أهلَ اليمنِ قدموا على رسولِ الله ﷺ فقالوا: ابعَث معنا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٨٧٨ رقم ٤٦/٢٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٩٣ - ٩٤ رقم ٣٧٤٤).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٨١ رقم ٥٣/٢٤١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٨٨١ رقم ٥٤/٢٤١٩).

رجلاً يعلمنا السنةَ والإسلامَ، قال: فأخذ بيد أبي عُبيدةَ فقال: **«هذا أمينُ هذه الأمة»**.

وعن حذيفة[1] ﷺ قال: جاء أهلُ نجرانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ ابعَثْ إلينا رجلاً أميناً فقال: **«لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ حقَّ أمين»**. قال: فاستشرف لها الناسُ، قال: فبعث أبا عبيدةَ بنَ الجراحِ.

وروى ابنُ إسحاقَ[2] في قصة خالدٍ مع بني جَذيمةَ فقال له عبدُ الرحمن: عمِلتَ بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرتُ بأبيك، فقال عبدُ الرحمنِ: كذبتَ قد قتلتَ قاتلَ أبي ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكِهَ بنِ المغيرة، حتى كان بينهما شرٌّ، فبلغ ذاك رسولَ الله ﷺ فقال: **«مهلاً يا خالدُ، دعْ عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركتَ غَدوةَ رجلٍ من أصحابي ولا رَوْحةً»**.

(وسائر الصحبِ) بقيتُهم **(الكرامِ البررة)** الذين هم خيرُ القرونِ من هذه الأمة، اختارَهم اللَّهُ تعالى لصُحبة نبيِّه ونُصرةِ دينِه، ثم هم على مراتبهم.

أفضلُهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم الأنصار، ثم أهلُ بدر، ثم أهلُ أحد، ثم أهلُ الشباتِ في غزوةِ الأحزابِ التي نجَم فيها النفاقُ، ثم بيعةُ الرضوانِ، ثم من هاجر من قبل الفتحِ وقاتل أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا، وكلاّ وعد اللَّه الحسنى.

[الكلامُ على أمهات المؤمنين وسائر أهل البيت]

(وأهلُ بيتِ المصطفى الأطهارِ	وتابعيه السادةِ الأخيارِ)
(فكلُّهم في محكم القرآنِ	أثنى عليهم خالقُ الأكوان)
(في الفتح والحديدِ والقتالِ	وغيرِها بأكملِ الخصال)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٣ رقم ٣٧٤٥).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٢ رقم ٥٥/ ٢٤٢٠).

(٢) في «السيرة النبوية» (٤/ ١٠٤).
وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٢٢/ ٢٥٤١).

كـذاك فـي الـتـوراة والإنـجـيـلِ صفاتُهم معلومةُ التفصيل)
(وذكـرُهـم فـي سـنـة الـمـخـتـارِ قد سار سيرَ الشمس في الأقطار)

(وأهلُ بيت) الرسولِ محمدٍ ﷺ **(المصطفى)** تقدم معناه.

(المختار) اسمُ مفعولٍ من الاختيار بمعنى التفضيل، وهن زوجاتُه اللاتي هن أمهاتُ المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وخيّرهن الله تعالى بين إرادةِ زينةِ الحياة الدنيا وبين إرادةِ اللّهِ ورسولِه، فاختَرْن اللّهَ تعالى ورسولَ اللّهِ ﷺ:

وقال اللّهُ تعالى فيهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٤]. وهن زوجاته في الدنيا والآخرة.

فمنهن خديجةُ أمُّ المؤمنين الصدّيقةُ الأولى التي هي أولُ من صدّقه ﷺ فيما بُعث به على الإطلاق قبل كلِّ أحدٍ ﵂، وقرأ جبريلُ عليها السلامَ من ربِّها وبشّرها ببيت في الجنة من قصَب[١]، لا صخَبَ فيه ولا وصَبَ، وما زالت تُؤْويه وتسكّن جأشَه وتعاضِدُه بالنفس والمالِ حتى توفاها اللّهُ عز وجل.

وعائشةُ[٢] ﵂ الصّدّيقةُ بنتُ الصدّيق، حبيبةُ حبيبِ الله ﷺ المبرّأةُ من فوق سبعِ سمواتٍ[٣] بأربعَ عشرةَ آيةً تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمانٍ ومكان، التي كان ينزل الوحيُ عليه وهو في حِجْرها، وتُوفّيَ في حِجْرها، وقد خُلطَ[٤] ريقُها بريقه ﷺ في آخر ساعةٍ من الدنيا وأوّلِها من الآخرة، ودُفن في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/١٣٣ ـ ١٣٤ رقم ٣٨٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٨٧ رقم ٧١/٢٤٣٢).
من حديث أبي هريرة ﵁ قال: «أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: **يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب. فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عزّ وجل ومني وبشّرها ببيت في الجنة من قصَب لا صخب فيه ولا نصب**».

(٢) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/٥٨ ـ ٨١) و«أسد الغابة» (٧/١٨٨) و«الاستيعاب» (٤/٤٣٥ ـ ٤٣٩) و«حلية الأولياء» (٢/٤٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٧٥٠)، ومسلم رقم (٢٧٧٠).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٤٥٠) ومسلم مختصراً رقم (٢٤٤٣).

حُجرتها، وكانت من أفقه الصحابةِ في الحديث والتفسيرِ وغير ذلك، حتى كان الأكابرُ من أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ يسألونها عن أشياءَ كثيرةٍ فيجدون منها عندها علماً، لا سيما ما قاله الرسولُ ﷺ أو فعله في الحضَر، أقرأها جبريلُ[1] السلامَ أيضاً كما أقرأه على خديجة.

ومنهنّ أمُّ سلمةَ[2] رضي الله عنها ذاتُ الهجرتين[3] مع زوجها أبي سلمةَ إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها[4] نبيُّ الله ﷺ بعد وفاة زوجها رضي الله عنه، وقد رأت[5] جبريلَ عند النبيِّ ﷺ في صورة دِحْية بنِ خليفةَ رضي الله عنه.

ومنهن زينبُ[6] أمُّ المؤمنين التي زوَّجه اللّهُ إياها من فوق سبع سمواتٍ[7]، وهي أطولهن يداً لإنفاقِها من كسبِ يدِها، وأسرعهن لحوقاً به ﷺ[8]، وبسببها نزل الحجابُ[9].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٠٦ رقم ٣٧٦٨).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٥ رقم ٩٠/ ٢٤٤٧).
ولفظه: قالت عائشة رضي الله عنها: «قال رسول الله ﷺ: **يا عائشُ هذا جبريل يقرئك السلامُ**»، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ».

(٢) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤/ ٤٩٣) و «طبقات ابن سعد» (٨/ ٨٦ ـ ٩٦) و «أسد الغابة» (٧/ ٣٤٠).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام» (١/ ٣٩٨) و (٤/ ١٢٢ ـ ١٢٤).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٦٢٩ رقم ٣٦٣٤).
ومسلم (٤/ ١٩٠٦ رقم ٢٤٥١).

(٦) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠١ ـ ١١٥) و «أسد الغابة» (٧/ ١٢٥) و «الاستيعاب» (٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨).

(٧) أخرجه مسلم رقم (١٤٢٨) والنسائي (٦/ ٧٩ ـ ٨٠) وأحمد في «المسند» (٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وأبو يعلى (٦/ ٧٧ ـ ٧٨).
وهو حديث صحيح.

(٨) أخرجه البزار (٣/ ٢٤٣ رقم ٢٦٦٧ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٨) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٩) أخرجه البخاري رقم (٧٤٢١) وأحمد (٣/ ٢٢٦) من حديث أنس.

وصَفيةُ بنتُ حُيَيّ[١] من ولد هارونَ بنِ عمرانَ رسولِ الله وأخي رسوله موسى الكليمِ عليهما السلام.

وجُويريةُ بنتُ الحارث[٢] مَلِك بني المُصطلق التي كانت هي السببَ في عتق السبْيِ من قبيلتها[٣].

وسودةُ بنتُ زمعةَ[٤] التي كانت أيضاً من أسباب الحجاب، ولما كبِرت اختارت نبيَّ الله عز وجل أن تبقى في عصمة نكاحِه، ووهبت يومَها لعائشةَ تستحقه مع قسْمِها[٥].

وأم حبيبةَ ذاتُ الهجرتين أيضاً، وميمونةُ بنتُ الحارثِ الهلاليةُ ﷺ التي نكحها النبي ﷺ في عُمرة القضاء وهما حلالان على ما حدثت به هي والسفيرُ بينهما. وكلُهن زوجاتُه في الدنيا والآخرة رضي الله عنهن.

ويدخل أهلُ بيته في هذه الآيةِ من بابٍ أولى بل بنص الحديثِ الخمسةُ الذين جلَلهم النبيُ ﷺ بكسائه كما في صحيح مسلم[٦] عن عائشةَ ﵂ قالت: خرج النبيُ ﷺ غداةً وعليه مُرْطٌ مرحلٌ من شعر أسودَ، فجاء الحسنُ بنُ عليّ فأدخله ثم جاء الحسينُ فدخلَ معه ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) انظر: ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/٤٢٦ ـ ٤٢٧) و «طبقات ابن سعد» (٨/١٢٠ ـ ١٢٩) و «أسد الغابة» (٧/١٦٩).

(٢) انظر: ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧) و «طبقات ابن سعد» (٨/١١٦ ـ ١٢٠) و «أسد الغابة» (٧/٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥/١٧٠ رقم ٢٥٤١) ومسلم (٣/١٣٥٦ رقم ١٧٣٠) من حديث ابن عمر.
وأخرجه أحمد (٦/٢٧٧) وأبو داود في «السنن» رقم (٣٩٣١) من حديث عائشة ﵂.
وهو حديث حسن.

(٤) انظر: ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/٤٢١ ـ ٤٢٣) و «أسد الغابة» (٧/١٥٧) و «طبقات ابن سعد» (٨/٥٢ ـ ٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٩/٣١٢ رقم ٥٢١٢).
ومسلم (٢/١٠٨٥ رقم ١٤٦٣) من حديث عائشة.

(٦) (٤/١٨٨٣ رقم ٦١/٢٤٢٤).

ويدخل في أهل بيته آله الذين حُرّمت عليهم الصدقةُ: بنو هاشم وبنو المطلب كما في الصحيح[1] عن يزيدَ بنِ حيان قال: انطلقتُ أنا وحُصينُ بنُ سبرةَ وعمرُ بنُ مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حُصينٌ: لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً، رأيتَ رسولَ الله ﷺ وسمعتَ حديثَه وغدوتَ معه وصلَّيتَ خلفَه، لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، حدِّثْنا يا زيدُ ما سمعتَ من رسولِ الله ﷺ، قال: يا ابنَ أخي واللَّهِ لقد كبرت سني وقدُم عهدي ونسِيتُ بعضَ الذي كنتُ أعرفُ من رسولِ الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلِّفونيه.

ثم قال: قامَ رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بما يُدعى خُمّاً بين مكةَ والمدينةَ، فحمِد الله وأثنى عليه ووعَظ وذكَّر ثم قال: «**أما بعدُ ألا أيها الناسُ فإنما أنا بشرٌ مثلُكم يوشك أن يأتيَ رسولُ ربي فأجيبَ، وأنا تاركٌ فيكم ثَقلينِ أولُهما كتابُ اللَّهِ فيه الهدى والنُّور، فخذوا بكتاب اللَّهِ واستمسكوا به**»، فحثّ على كتاب اللَّهِ تعالى ورغّب فيه ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أُذكِّركُم اللَّهَ في أهلِ بيتي، أذكركم اللَّهَ في أهلِ بيتي، أذكركم اللَّهَ في أهل بيتي**».

فقال له حُصينٌ: ومن أهلُ بيته يا زيدُ؟ أليس نساؤه من أهلِ بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهلَ بيتِه مَن حُرم الصدقةَ بعده، قال: ومَن هم؟ قال: هم آلُ عليٍّ وآلُ عقيلٍ وآلُ جعفرٍ وآل عباس، قال: كلُ هؤلاء حُرم الصدقةَ؟ قال: نعم.

وفي رواية[2]: أحدُهما كتابُ الله عز وجل هو حبلُ اللَّهِ من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة.

وفيه[2]: فقلنا مَن أهلُ بيتِه، نساؤُه؟ قال: لا وايمُ الله، إن المرأةَ تكون مع الرجل العصْرَ من الدهر ثم يطلِّقُها فترجِع إلى أبيها وقومِها، أهلُ بيته أصلُه وعَصَبته الذين حُرموا الصدقةَ بعده.

وفي الصحيح[3] أيضاً عن المِسْور بن مَخْرمةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنما فاطمةُ بَضْعةٌ مني يؤذيني ما آذاها**».

---

(١) عند مسلم (٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨/٣٦).
(٢) عند مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤ رقم ٢٤٠٨/٣٧).
(٣) عند مسلم (٤/ ١٩٠٣ رقم ٢٤٤٩/٩٤).

وفيه[1] عن عائشة ﵂ قالت: اجتمع نساءُ النبيِّ ﷺ فلم يغادر منهن امرأةً فجاءت فاطمةُ تمشي كأن مشيتِها مشيةُ رسولِ اللّه ﷺ فقال: **«مرحباً بابنتي»**، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمةُ، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يبكيكِ؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ. فقلت: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقربَ من حَزَن.

فقلت لها حين بكت: أخَصّك رسولُ الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبْكين، وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ. حتّى إذا قُبض سألتُها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريلَ كان يعارضُه بالقرآن كلَّ عام مرةً وإنه عارضَه به في العام مرتين ولا أُراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أولُ أهلَي لحوقاً بي ونعم السلفُ أنا لكِ فبكِيتُ لذلك، ثم إنَّه سارني فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدةَ نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ فضحِكتُ لذلك.

وفيه[2] عن أبي هريرةَ ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال لحسَنٍ: **«اللهم إني أُحبُّه فأحِبَّه وأحببْ من يُحبُّه»** ونحوُه عن براءِ بن عازبٍ[3].

وفيه[4] عن أبي بكرةَ ﵁ سمعتُ النبيَّ ﷺ على المنبر والحسنُ إلى جنبه ينظُر إلى الناس مرةً وإليه مرةً يقول: **«ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**.

وفيه[5] عن أسامةَ بنِ زيدٍ ﵄ عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسنَ ويقول: **«اللهم إني أُحِبُّهما فأحبَّهما»**، أو كما قال.

= قلت: وأخرجه البخاري (٧/ ٧٨ رقم ٣٧١٤) بنحوه.

(١) عند مسلم (٤/ ١٩٠٥ رقم ٩٩/ ٢٤٥٠).
قلت: وأخرجه البخاري (٧/ ٧٨ رقم ٣٧١٥) مختصراً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٣٩ رقم ٢١٢٢).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٢ رقم ٥٦/ ٢٤٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٤ رقم ٥٨/ ٢٤٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٧).

وللترمذي[(١)] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ»**. وقال حسنٌ[(٢)] صحيح.

وفي الصحيح[(٣)] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن الحسنَ والحسينَ ريحانتاي من الدنيا»**.

وللترمذي[(٤)] ـ وقال حسن ـ عن بُريدةَ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يخطبُنا إذ جاء الحسنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمرانِ يمشيان ويعثُران، فنزل رسولُ الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: **صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥]، **نظرتُ إلى هذين الصبيَّين يمشيان ويعثُران فلم أصبِر حتى قطعتُ حديثي ورفعتهما**.

وله[(٥)] عن علي رضي الله عنه قال: الحسنُ أشبهُ برسول اللَّهِ ﷺ ما بين الصدرِ إلى الرأسِ، والحسينُ أشبه برسولِ الله ﷺ ما كان أسفلَ من ذلك. هذا حديث حسنٌ غريب.

---

(١) في «السنن» (٥/٦٥٦ رقم ٣٧٦٨) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/١٦٦ ـ ١٦٧) والطبراني في «الكبير» (٣/٣٨ رقم ٢٦١٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٧١) وأحمد (٣/٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢).
وهو حديث صحيح.

(٢) في «السنن» (٥/٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٩٥ رقم ٣٧٥٣) وطرفه رقم (٥٩٩٤).

(٤) في «السنن» (٥/٦٥٨ رقم ٣٧٧٤) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد.
قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» (١/٦٦٣ ـ ٦٦٤ رقم ١١٠٩) والنسائي (٣/١٠٨) وأحمد (٥/٣٥٤) والحاكم في «المستدرك» (١/٢٨٧) وقال: **صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي**.
والبيهقي (٣/٢١٨) وابن حبان في صحيحه (١٣/٤٠٣ رقم ٦٠٣٩).
وهو حديث صحيح.

(٥) أي للترمذي في «السنن» (٥/٦٦٠ رقم ٣٧٧٩) وقال: **هذا حديث حسن صحيح غريب**.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (١/٩٩، ١٠٨) وفي «الفضائل» رقم (١٣٦٦). **وهو حديث ضعيف**.

[الكلام على التابعين]

(وتابعيه) تابعو الرسولِ ﷺ وأصحابِه **(السادة)** من ساد يسود **(الأخيار)** على مراتبهم كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. الآية.

وقال تعالى في سورة الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابةِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة]. وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أتى المقبرةَ فقال: **«السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّهُ بكم لاحقون، ودِدْتُ أن قد رأينا إخوانَنا»**. قالوا: أوَلسنا إخوانك يا رسولَ الله، قال: **«أنتم أصحابي وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ»** الحديث.

في المسند[2] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ودِدتُ أني لقيتُ إخواني»** قال: فقال أصحابُ النبيِّ ﷺ: نحن إخوانُك، قال: **«أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»** إسناده حسنٌ وقد صُحّح.

وفيه[3] عن أبي أمامةَ وأنس بنِ مالكٍ رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ الله ﷺ: **«طوبى**

---

(١) (١/ ٢١٨ رقم ٣٩/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٥) **بإسناد صحيح**.

قلت: وأخرج مسلم في صحيحه (١/ ٢١٨ رقم ٣٩/ ٢٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه مطولاً بنحوه.

(٣) في مسند أحمد (٣/ ١٥٥).

قلت: وأخرجه أبو يعلى في «المسند» رقم (٣٣٩١) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩٧٧) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٠٦) و (٦/ ٢٠٠) و (١٣/ ١٢٧).

* وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد (٣/ ٧١) وأبو يعلى رقم (١٣٧٤) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٩١) **بسند ضعيف**.

* وآخر من حديث ابن عمر عند الطيالسي رقم (١٨٤٥) عن العمري، وابن عدي في=

لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني» سبعَ مرات.

وروى الحاكم[1] وغيرُه عن عبد الرحمن بنِ يزيدَ قال: كنا عند عبد اللَّهِ بنِ مسعودٍ جلوساً فذكرنا أصحابَ النبيِّ ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدُ الله: إن أمْرَ محمدٍ ﷺ كان بيِّناً لمن رآه، والذي لا إله غيرُه ما آمن أحدٌ قطُّ إيماناً أفضلَ من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٥]. وقال على شرطهما.

وبالجملة:

(فكلُّهم في محكم القرآنِ أثنى عليهم خالقُ الأكوانِ)

في مواضعَ من كتابه **(كالفتح)** أي سورة الفتحِ من أولها إلى آخرها، **(و)** سورة **(الحديد)** كقوله تعالى فيها: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧ ـ ١٠] الآيات.

(و) سورة **(القتال)** كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ﴾ [محمد: ٢ ـ ٣]. الآيات.

(و) سورة **(الحشر)** إلى آخرها، وقد رتب تعالى الصحابةَ على منازلهم

= «الكامل» (١٤٢٧/٤) من طريق طلحةَ بن عمرو، كلاهما عن نافع عن ابن عمر.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٦٧/١٠) وقال: «رواه الطبراني وفيه محمد بن القاسم الأسدي الكوفي وهو مجمع على ضعفه».
قلت: والعمري، وطلحة بن عمرو ضعيفان.
* وثالث: عن أبي عبد الرحمن الجهني عند أحمد (١٥٢/٤).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٦٧/١٠) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع».
وخلاصة القول أن الحديث حسنٌ لغيره، والله أعلم.

(١) في «المستدرك» (٢٦٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد تقدم.

وتفاضلِهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر].

أخرج اللَّهُ بهذه الآيةِ وغيرِها شاتِمَ الصحابةِ من جميع الفرق الذين في قلوبهم غِلٌ لهم إلى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثيرٌ من الأئمة الفيء وحرَّموه عليهم.

(و) في سورة **(التوبة و)** في سورة **(الأنفال)** بكمالها تارةً في الثناء عليهم وتارة في تحذيرهم من عدوِّهم، ووصْفِ المشركين والمنافقين بأنواعهم، وسمَّاهم ليحذروهم، وتارةً في حثِّهم على الطاعة والجماعةِ والجهادِ في سبيل الله والإثخانِ في الكفار والثباتِ لهم عند لقائِهم إياهم وعدمِ فرارهم منهم، ووعْدِه تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارةً بتذكيرهم بنعم اللَّهِ عليهم وامتنانه عليهم أنْ هداهم للإسلام وجنّبهم السُبلَ المُضِلّةَ، وألَّف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلةً، وتارةً يخبرهم ويَهيجُهم ويشوّقهم بما أعد لهم في الدار الآخرةِ على قيامهم بطاعته تعالى وطاعةِ رسولِه، وجهادِهم بأموالِهم في سبيله وله الحمدُ والمنة، وغيرُ ذلك من سور القرآنِ وآياتِه.

(كذاك في التوراة) الكتابُ المنزلُ على موسى عليه السلام، **(و)** في **(الإنجيل)** الكتابُ المنزلُ على عيسى عليه السلام **(صفاتُهم)** التي جعلهم اللَّهُ عليها **(معلومةُ التفصيل)** كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﷺ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

هنا تم الكلام. ثم قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وتقدم قولُ الأُسقفِ[1] لعمرَ وصفةُ الخلفاءِ ﷺ وغير ذلك.

(وذكرهم) بالمناقب الجمّةِ والفضائل الكثيرة (في سنة المختار) محمدٍ ﷺ عموماً وخصوصاً من الأحاديث الصحاحِ والحِسان، (قد سار) انتشر وأُعلن (سيرَ الشمس في الأقطار) تمثيلاً لشهرة فضائِلهم ووضوحِها لا تُحصيها الأسفارُ الكبار.

وفي الصحيح[2] عن أبي بردةَ عن أبيه ﷺ قال: صليتُ المغربَ مع رسولِ الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصليَ معه العشاءَ، فجلسنا فخرج علينا فقال: **«ما زلتم ههنا»**، قلنا: يا رسولَ الله صلينا معك المغربَ ثم قلنا نجلِس حتى نصلي معك العشاء، قال: **«أحسنتم»** أو **«أصبتم»**، قال: فرفعَ رأسَه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسَه إلى السماء فقال: **«النجومُ أمَنةُ السماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أمَنةٌ لأصحابي هؤلاء فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمَنةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**.

وفيه[3] عن أبي سعيد ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«يأتي على الناس زمانٌ يغزو فِئامٌ من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، ثم يغزو فِئامٌ من الناسِ فيقال لهم: فيكم من رأى من صحِبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم، ثم يغزو فِئامٌ من الناسِ فيقال لهم: هل فيكم من رأى مَن صحِبَ مَن صحِبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم»**.

وعن ابن مسعودٍ[4] ﷺ قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: **«أقراني ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم، ثم يجيء قومٌ تَبدُر شهادةُ أحدِهم يمينَه وتبدُر يمينُه شهادتَه»**.

وعن أبي هريرةَ[5] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«خيرُ أمتي القرنُ الذي**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي صحيح مسلم (٤/ ١٩٦١ رقم ٢٠٧/ ٢٥٣١).

(٣) أي صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٢ رقم ٢٠٨/ ٢٥٣٢).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣ رقم ٣٦٤٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣ رقم ٣٦٥١).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٢ رقم ٢١٠/ ٢٥٣٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٣ رقم ٢١٣/ ٢٥٣٤).

بُعثتُ فيه، ثم الذين يلونهم» والله أعلمُ أذكر الثالثَ أم لا: «ثم يخلُف قومٌ يُحبون السِّمانة، يشهدون قبل أن يُستَشهدوا».

وعن عِمرانَ بنِ حُصينٍ[1] رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن خيرَكم قَرني ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونهم». قال عمرانُ[1]: فلا أدري أقال رسولُ الله ﷺ بعد قرْنِه مرتين أو ثلاثاً: «ثم يكون بعدهم قومٌ يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويَنذِرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِمَنُ»، زاد في رواية: «ويحلِفون ولا يُستحلفون».

وعن عائشةَ[2] رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: «القرنُ الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث».

وعن أبي هريرة[3] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفَه».

وعن أبي سعيد[4] رضي الله عنه قال: كان بينَ خالدِ بنِ الوليدِ وبين عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ شيءٌ فسبّه خالدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفَه».

وفي الصحيحين[5] من حديث عليٍّ رضي الله عنه في قصةِ كتابِ حاطبٍ مع الظعينة - وفيه[5] - فقال عمر: إنه قد خان اللَّهَ ورسولَه فدعني فلأضرِبْ عنقَه، فقال: «أليس من أهل بدر»؟ فقال ﷺ: «لعل اللَّهَ اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعمَلوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة» أو «فقد غفرت لكم» فدمَعتْ عينا عمرَ رضي الله عنه وقال: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٣ رقم ٣٦٥٠).
ومسلم في صحيحه (٤/١٩٦٤ رقم ٢١٤/٢٥٣٥).
(2) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٩٦٥ رقم ٢١٦/٢٥٣٦).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٩٦٧ رقم ٢٢١/٢٥٤٠).
(4) أخرجه البخاري (٧/٢١ رقم ٣٦٧٣) ومسلم (٤/١٩٦٧ رقم ٢٢٢/٢٥٤١).
(5) أخرجه البخاري (٧/٥١٩ رقم ٤٢٧٤).
ومسلم في صحيحه (٤/١٩٤١ رقم ١٦١/٢٤٩٤).

وعن البراء بن عازبٍ[1] رضي الله عنه قال: حدثني أصحابُ محمدٍ ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدةَ أصحابِ طالوتَ الذين جاوزوا معه النهرَ: بضعةَ عشرَ وثلاثمائةَ، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمنٌ.

وعن أنس بنِ مالكٍ[2] رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. قال: الحديبية، قال أصحابُه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥]. وكلُ هذا في الصحيح.

وروى الترمذيُّ[3] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة»**. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد وردت أحاديثُ في فضائل الصحابةِ والتابعين رضي الله عنهم منها عامةٌ ومنها خاصٌ بالمهاجرين ومنها خاصٌ بالأنصار ومنها خاصٌ بالآحاد فرداً فرداً، ومنها القطعُ لأحدهم بالجنة مطلقاً، ومنها القطعُ لبعضهم بمجاورة رسولِ الله ﷺ في الجنة ليس هذا موضعَ بسطِها.

[إجماعُ أهلِ السنة على وجوب السكوتِ عن الخوضِ في الفتن التي جرت بين الصحابة]

(ثم السكوت واجبٌ عما جرى ... بينهم من فعل ما قد قُدِرا)
(فكلُهم مجتهدٌ مثابُ ... وخَطؤهم يغفرُه الوهابُ)

أجمعَ أهلُ السنةِ والجماعةِ[4] الذين هم أهلُ الحلِّ والعقدِ الذين يُعتدُّ بإجماعِهم على وجوبِ السكوتِ عن الخوضِ في الفتن التي جرت بين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٩٠ رقم ٣٩٥٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ رقم ٤١٧٢).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١٣ رقم ٩٧/ ١٧٨٦).
(٣) في «السنن» (٥/ ٦٩٥ رقم ٣٨٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤٢ رقم ١٦٣/ ٢٤٩٦) وأبو داود في «السنن» (٥/ ٤١ رقم ٤٦٥٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٦٠).
وزاد مسلم في روايته: **« إنْ شاء الله»**.
وهو حديث صحيح.
(٤) انظر: «الفتح» لابن حجر (١٣/ ٣٤).

الصحابة ﷺ بعد قتلِ عثمانَ ﷺ، والاسترجاعِ على تلك المصائبِ التي أُصيبت بها هذه الأمةُ والاستغفارِ للقتلى من الطرفين والترحُم عليهم، وحفظِ فضائل الصحابةِ والاعترافِ لهم بسوابقِهم ونشر مناقبِهم، عملاً بقولِ الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية، واعتقادِ أن الكلَّ منهم مجتهدٌ إن أصاب فله أجران: أجرٌ على اجتهادِه وأجرٌ على إصابته، وإن أخطأ فله أجرُ الاجتهادِ والخطأ مغفورٌ، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مُصيبون وإما مُخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك.

وما رُوي من الأحاديث في مساويهم الكثيرُ منه مكذوبٌ، ومنه ما قد زيد فيه أو نُقِص منه وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيحُ منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام[١] ابنُ تيميةَ رحمه الله في معتقد أهلِ السنة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كلَّ واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثمِ وصغائرِه، بل يجوز عليهم الذنوبُ في الجملة، ولهم من السوابق والفضائلِ ما يوجب مغفرةَ ما يصدُر منهم إن صدَر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئاتِ ما لا يُغفر لمن بعدهم.

وقد ثبتَ بقول رسولِ الله ﷺ أنهم خيرُ القرونِ، وأن المُدَّ من أحدِهم إذا تصدق به كان أفضلَ من جبل أُحدٍ ذهباً ممّن بعدَهم، ثم إذا كان قد صدَر عن أحد منهم ذنبٌ فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر له بفضل سابقتِه أو بشفاعةِ محمدٍ ﷺ الذي هم أحقُ النّاس بشفاعتِه، أو ابتُليَ ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققةِ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجرٌ واحدٌ والخطأ مغفورٌ.

ثم القدْرُ الذي يُنكرُ من فعل بعضِهم قليلٌ نزْرٌ مغفورٌ في جنب فضائلِ القومِ ومحاسنِهم من الإيمانِ بالله ورسولِه والجهادِ في سبيله والهجرةِ والنُصرةِ والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القومِ بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خيرُ الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلُهم، وأنهم الصفوةُ من قرون هذه الأمةِ التي هي خيرُ الأمم وأكرَمهم على الله عز وجل.

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية (٣٥/ ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٩).
و «العقيدة الواسطية» لابن تيمية. بتحقيقنا (ص٧٥ ـ ٧٧).

وقال القاضي عِياضٌ[1] في ذكر الصحابةِ ﷺ وفضائِلهم: وأما الحروبُ التي جرت فكانت لكل طائفةٍ شبهةٌ اعتقدتْ تصويبَ نفسِها بسببها، وكلُهم عدولٌ ﷺ ومتأوّلون في حروبِهم وغيرِها، ولم يُخرِجْ شيءٌ من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائلَ من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائلَ من الدماء وغيرِها، ولا يلزم من ذلك نقصُ أحدٍ منهم.

واعلم أن سببَ تلك الحروبِ أن القضايا كانت مُشتبهةً، فلشدة اشتباهِها اختلف اجتهادُهم وصاروا ثلاثةَ أقسام:

قسمٌ ظهر لهم بالاجتهاد أن الحقَّ في هذا الطرفِ وأن مخالِفَه باغٍ فوجب عليهم نصرتُه وقتالُ الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحِلّ - لمن هذه صفتُه - التأخرُ عن مساعدةِ إمامِ العدلِ في قتال البُغاةِ في اعتقاده.

وقسمٌ عكسُ هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحقَّ في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدَته وقتالُ الباغي عليه.

وقسمٌ ثالثٌ اشتبهتْ عليهم القضيةُ وتحيّروا فيها ولم يظهر لهم ترجيحُ أحدِ الطرفين فاعتزلوا الفريقين، فكان هذا الاعتزالُ هو الواجبَ في حقهم، لأنه لا يحل الإقدامُ على قتالِ مسلم حتى يظهر أنه مُستحِقٌ لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رُجحانُ أحدِ الطرفين وأن الحقَّ معه لما جاز لهم التأخرُ عن نُصرتِه في قتال البُغاةِ عليه فكلُهم معذورون ﷺ.

ولهذا اتفق أهلُ الحق ومن يُعتدُّ به في الإجماع على قبول شهادتِهم ورواياتِهم وكمالِ عدالتِهم ﷺ أجمعين، وكلامُ الأئمةِ في هذا البابِ يطول، وما أحسنَ ما قال إمامُ أهلِ السنةِ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيامَ فقال تالياً قولَ اللَّهِ عز وجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤][2].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ١٠ ـ ١١).

(٢) انظر: كتاب «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» من روايات الإمام الطبري والمحدثين. تأليف: د. محمد أمحزون (١/ ٢). فإنه مفيد في هذا الباب.
وانظر: كتاب «صحابة رسولِ الله ﷺ في الكتاب والسنة».
تأليف: عيادة أيوب الكبيسي.

خاتمة
في وجوب التمسك بالكتاب والسُّنَّة
والرُّجوعِ عند الاختلافِ إليهما، فما خالفَهما فهو ردٌّ

(شرطُ قَبولِ السعْيِ أن يجتمِعا ... فيه: إصابةٌ وإخلاصٌ معا)
(للهِ ربِّ العرشِ لا سواه ... موافقَ الشرعِ الذي ارتضاه)

(شرط) في(قَبول) الله تعالى (السعيَ) أي العمل من العبد، وخبرُ المبتدأ (أن يجتمعا) الألفُ للإطلاقِ (فيه) أي في السعي، شيئان: أحدُهما (إصابةٌ) ضدُّ الخطأ. والثاني (إخلاصٌ) ضدُّ الشرك (معا) أي لم يفترقا، وتفسيرُه في البيت الذي بعدَه، فتفسيرُ الإخلاصِ كونُ العملِ (لله ربِّ العرش) خالصاً (لا) شركَ فيه لـ (سواه)، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وتفسيرُ الإصابة كونُه (موافقَ الشرع) الثابتِ عن الله (الذي ارتضاه) الله تعالى لعباده ديناً وأرسلَ به رسلَه إليهم وأنزل به كتبَه عليهم، ولم يقبلَ من أحدٍ ديناً سواه، ولا أحسنَ ديناً ممن التزمه، وقد سَفِهَ نفسَه من رغِبَ عنه، وقد جُمع بين هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وقد تقدَّم الكلامُ على الإخلاص مستوفىً في بابه.

وأما مسألةُ التمسك بالكتاب والسنةِ فنذكرَ فيه فصولاً:

(الفصل الأول) في ذكر وجوب طاعةِ اللّهِ ورسولِه:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ

اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١].

وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال البخاريُّ[(١)] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ سنانٍ حدثنا فليحٌ حدثنا هلالُ بنُ عليٍّ عن عطاء بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«كلُ أمتي يدخلون الجنةَ إلاّ من أبى»**، قالوا: يا رسولَ اللّهِ ومن يأبى؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**.

حدثنا محمدُ بنُ عبادةَ[(٢)] أخبرنا يزيدُ حدثنا سليمُ بنُ حيانَ وأثنى عليه حدثنا سعيدُ بنُ ميناء حدثنا ـ أو سمعتُ ـ جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ يقول: «جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نائمٌ» الحديث تقدم، وفيه: «فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ فرّقٌ بين الناس».

وله[(٣)] عن حذيفةَ قال: يا معشرَ القرّاء استقيموا فقد سُبقتم سبْقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضلَلتم ضلالاً بعيداً.

وله[(٤)] عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنما مثلَي ومَثلُ ما بعثني اللّهُ به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قومُ إني رأيتُ الجيشَ بعيني، وإني أنا النذير العُريانُ، فالنَّجاءَ، فأطاعَه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجَوا؟ وكذبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانَهم فصبّحهم الجيشُ فأهلَكهم واجتاحَهم. فذلك مثلُ من أطاعني فاتّبع ما جئتُ به، ومثلُ مَن عصاني وكذب بما جئتُ به من الحق»**.

وفيهما[(٥)] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«دعُوني ما تركتُكم، إنما هلكَ من كان قبلَكم بسؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**.

---

(١) في صحيحه (١٣/ ٢٤٩ رقم ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٤٩ رقم ٧٢٨١) وقد تقدم.

(٣) أي البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٢).

(٤) أي البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٣).

(٥) البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٥١ رقم ٧٢٨٨).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥ رقم ٤١٢/ ١٣٣٧).

وفيه[1] عن عائشة ﵂ قالت: صنع رسولُ الله ﷺ شيئاً ترخّص فيه وتنزّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فحَمِد الله ثم قال: **«ما بالُ أقوامٍ يتنزّهونَ عن الشيءِ أصنَعُه؟ فواللَّهِ إني أعلمُهم بالله وأشدُّهم له خشيةً»**.

وفيه[2] عن المغيرة بنِ شعبةَ عن النبي ﷺ قال: **«لا يزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين حتى يأتيَهم أمرُ الله وهم ظاهرون»**.

وعن معاويةَ[3] ﵁ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«من يُرد اللَّهُ به خيراً يفقّهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ، ويُعطي اللَّهُ عز وجل. ولن يزالَ أمرُ هذه الأمةِ مستقيماً حتى تقومَ الساعةُ، أو يأتيَ أمرُ الله تبارك وتعالى»**.

وفي المسند[4] وابن ماجه[5] وغيرِهما قال: كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ فخطَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٧٦ رقم ٧٣٠١).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٩ رقم ١٢٧/ ٢٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١١).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٣ رقم ٧١/ ١٩٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١٢).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٩ رقم ١٠٠/ ١٠٣٧).

(٤) في «المسند» (٣/ ٣٩٧).

(٥) في «السنن» (١/ ٦ رقم ١١).
كلاهما من طريق مجالد بن سعد عن جابر، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٥ رقم ٥): هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد.
* وأخرجه أحمد (١/ ٤٣٥ و ٤٦٥) والدارمي (١/ ٦٧ ـ ٦٨) والطبري في تفسيره رقم (١٤١٦٨) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨) وقال: **هذ حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي**.
والبزار (٣/ ٤٩ رقم ٢٢١٠ ـ كشف) والنسائي في تفسيره كما في «التحفة» (٧/ ٤٩).
كلهم عن طريق حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود.
* وأخرجه البزار في مسنده (٣/ ٤٩ رقم ٢٢١١ ـ كشف) من طريق الأعمش عن أبي وائل.
* وأخرجه البزار أيضاً في مسند (٣/ ٤٩ رقم ٢٢١٢ ـ كشف) من طريق منذر الثوري عن الربيع.
* وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٧/ ٢٥) من طريق زر بن حبيش كلهم عن عبد الله بن مسعود.
وخلاصة القول أن حديث جابر صحيح بشواهده، والله أعلم.

خطاً هكذا أمامَه فقال: «هذا سبيلُ الله عز وجل»، وخطّين عن يمينه وخطّين عن شمالِه قال: «هذه سبيلُ الشيطان»، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآيـــة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفي المسند[1] والترمذيُّ[2] وحسنه عن النَّواس بن سِمعانَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: «ضربَ الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جَنبتي الصراطِ سورانِ فيهما أبوابٌ مفتّحةٌ، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاةٌ، وعلى باب الصراطِ داعٍ يقول: يا أيُها الناسُ ادخلوا الصراطَ المستقيمَ جميعاً ولا تفرَّقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أن يفتح شيئاً من تلك الأبوابِ قال: ويحَك لا تفتحْه فإنك إن تفتحْه تَلِجه، فالصراطُ الإسلامُ، والسورانِ حدودُ الله، والأبوابُ المفتّحةُ محارمُ الله، وذلك الداعي على رأسِ الصراطِ كتابُ الله، والداعي فوق الصراطِ واعظُ اللّهِ في قلب كلِّ مسلم».

وفي جامع الترمذيِّ[3] عن العِرباض بنِ ساريةَ قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ يوماً بعد صلاةِ الغَداةِ موعظةً بليغةً ذرَفتْ منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوب، فقال رجلٌ: إن هذه موعظةُ مودِّعٍ، فما تعهد إلينا يا رسولَ الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى اللّهِ والسمعِ والطاعةِ وإن عبدٌ حبَشيٌّ، فإنه من يعِش منكم يرَى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومُحدثاتِ الأمورِ فإنها ضلالةٌ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين

---

(١) (٤/ ١٨٢ و ١٨٣).

(٢) في «السنن» (٥/ ١٤٤ رقم ٢٨٥٩) وقال: هذا حديث غريب.
قلت: وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٩/ ٦١ رقم ١١٧١٤) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح.

(٣) في «السنن» (٥/ ٤٤ رقم ٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وأبو داود (٥/ ١٣ رقم ٤٦٠٧) وابن ماجه (١/ ١٦ رقم ٤٣) والدارمي (١/ ٤٤ ـ ٤٥) والحاكم (١/ ٩٥ ـ ٩٦) وقال: هذا حديث صحيح ليس له علّة ووافقه الذهبي.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٧ و ٢٩) و (١٩، ٣٠) والآجري في «الشريعة» (ص٤٦ ـ ٤٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢).
وهو حديث صحيح.

المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ». وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

ورواه أحمدُ[1] وزاد: **«وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَّ محدَثةٍ بدْعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»**.

وفي رواية[2]: قلنا: يا رسولَ الله إن هذه لموعظةٌ، فماذا تعهَد إلينا؟ قال: **«قد تركتكم على البيضاء ليلُها كنهارِها لا يزيغ عنها بعدي إلاَّ هالكٌ»**، وفي رواية[3]: **«فعليكم بما عرفتم من سنتي»**.

وفي صحيح مسلم[4] عن عبد اللَّهِ بنِ مسعودٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«ما من نبي بعثه اللَّهُ فيّ أمة قبلي إلا كان له مِن أمته حَواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُف من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدَهم بيده فهو مؤمنٌ، ومن جاهدَهم بلسانِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ، وليس وراء ذلك من الإيمانِ حبةُ خردلٍ»**.

ولأحمدَ[5] عن مجاهد بإسناد جيد قال: كنا مع ابن عمرَ ﷺ في سفر بمكان فحاد عنه، فسُئل: لِمَ فعلتَ، فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعل هذا ففعلتُ.

وله[6] عن الحسن بنِ جابر قال: سمعتُ المقدامَ بنَ مَعْدِ يكَرِبَ ﷺ يقول: حرَّم رسولُ الله ﷺ يوم خيبرَ أشياءَ ثم قال: **«يوشك أحدُكم أن يكذِّبني وهو متكىءٌ على أريكتِه يحدَّث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتابُ الله، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه، ألا وإنّما حرَّم رسولُ الله ﷺ مثلَ ما حرم الله»**.

---

(١) في «المسند» (٤/١٢٦ ـ ١٢٧) بسند صحيح.

(٢)(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٣/٢٧٨ ـ ٢٧٩ رقم ١٧٠٧٧ ـ شاكر). بسند صحيح.

(٤) (١/٦٩ ـ ٧٠ رقم ٧٩/٤٩).

(٥) في «المسند» (٤/٤٣٣ رقم ٤٨٧٠ ـ شاكر) بإسناد صحيح.
قلت: والبزار في مسنده كما في «مجمع الزوائد» (١/١٧٤) قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجالهما موثقون.

(٦) أي لأحمد في «المسند» (٤/١٣٢).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/٣٨ رقم ٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه (١/٦/١٢). وهو حديث صحيح.

وعنه[1] أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشك رجلٌ ينثني شَبعانَ على أريكته يقول: عليكم القرآنَ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوهُ، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه، ألا لا يحِلُّ لكم لحمُ الحمارِ الأهليّ ولا كلُ ذي نابٍ من السباع، ألا ولا لُقَطةٌ من مالِ معاهَدٍ إلا أن يستغنيَ صاحبُها. ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقروه، فإذا لم يقروهم فعليهم أن يُعقبوهم بمثل قِراهم»**. ورواه أبو داوَد[2] والترمذيُّ[3] وابن ماجه[4]، وإسنادُ أحمدَ جيدٌ، وسكت عليه أبو داودَ وحسنه الترمذيُّ[5]. ولأحمدَ[6] عن أبي هريرةَ نحوه، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ وفيما أشرنا إليّه كفاية.

(الفصل الثاني) في تحريم القولِ على الله بلا علم، وتحريم الإفتاء في دين الله بما يخالف النصوصَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ

---

(١) في «المسند» (٤/١٣١، ١٣٢) بسند صحيح.

(٢) في «السنن» (٤/١٠/٤٦٠٤). وهو حديث صحيح.

(٣)(٤)(٥) لم يخرجه الترمذي وابن ماجه بهذا اللفظ وإنما أخرجاه باللفظ السابق.

(٦) في المسند (١/١٩٢ ـ ١٩٣ رقم ١٣ ـ الفتح الرباني) بسند حسن.

مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥ - ١٥٦]. الآيات. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وفي الصحيح[1] عن ابن مسعود ﷺ قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكّأ على عَسيب، فمرّ بنفر من اليهود فقال بعضُهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لئلا يُسمعَكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعةً ينظرُ فعرفتُ أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعِد الوحيُ، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وفيه[2] من حديث ابن عباس ﷺ في قصة المتلاعنين لما جاءت به على النعت المكروهِ فقال النبيُّ ﷺ: «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن**».

وفيه[3] عن جابر ﷺ قال: «مرضت فجاءني رسولُ الله ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فأتياني وقد أُغميَ عليّ، فتوضأ رسولُ الله ﷺ ثم صبّ وضوءَه عليَّ فأفقتُ فقلت: يا رسولَ الله كيف أقضي في مالي وكيف أصنعُ في مالي؟ فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراثِ.

وعلى هذا ترجم البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: بابُ: كان النبيُّ ﷺ يُسأل مما

---

(١) أي في صحيح البخاري (١٣/ ٢٦٥ رقم ٧٢٩٧).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٢ رقم ٥٢/ ٢٧٩٤).
(٢) أي في صحيح البخاري (٨/ ٤٤٩ رقم ٤٧٤٧).
(٣) أي في صحيح البخاري (١/ ٣٠١ رقم ١٩٤) وأطرافه رقم (٤٥٧٧، ٥٦٥١، ٥٦٦٤، ٥٦٧٦، ٧٦٢٣، ٦٧٤٣، ٧٣٠٩).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣٥ رقم ٧/ ١٦١٦).
(٤) في صحيحه (١٣/ ٢٩٠) الباب رقم (٨).

لم يَنزلْ عليه الوحيُ فيقول: لا أدري، أو لم يُجبْ حتى ينزل عليه الوحي ولم يقبل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

وترجم[١] رحمه الله تعالى: باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلُّف القياس: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم ذكر فيه[٢] حديث عبدِ الله بنِ عمرَ وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الله تعالى لا ينزع العلمَ بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جُهّالٌ يستفتون فيُفتون برأيهم فيَضلون ويُضلون»**.

وحديث سهلِ بنِ حُنيف[٣] قال: يا أيها الناسُ اتهموا رأيَكم على دينكم، لقد رأيتُني يوم أبي جندَل لو أستطيعُ أن أرُدَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ لرددتُه. الخبر.

وفي خُطَبِه[٤] ﷺ ما لا يُحصى أن يقول: **«أما بعد، فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وإن أفضلَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»**.

وروى أبو داود[٥] عن يزيدَ بن عُميرةَ وكان من أصحابِ معاذِ بنِ جبلٍ قال: كان لا يجلِس مجلساً للذكر حين يجلس إلاّ قال: اللّهُ حكَمٌ قِسْطٌ، هلك المرتابون. فقال معاذ بنُ جبلٍ يوماً: إن من ورائكم فتناً يكثُر فيها المالُ ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخذَه المؤمن والمنافقُ والرجلُ والمرأةُ والصغيرُ والكبيرُ والعبدُ والحرُّ، فيوشك قائلٌ يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ ما هم بمُتَّبِعِيَّ حتى أبدعَ لهم غيرَه فإياكم وما ابتُدع، فإن ما ابتُدع ضلالةٌ.

وأحذِّركم زَيغةَ الحكيم، فإن الشيطانَ قد يقول كلمةَ الضلالةِ على لسان

---

(١) أي البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٩٠) الباب رقم (٧).

(٢) أي في صحيح البخاري (١٣/ ٢٨٢ رقم ٧٣٠٧).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٨ رقم ١٣/ ٢٦٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٨٢ رقم ٧٣٠٨).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١١ ـ ١٤١٢ رقم ٩٤/ ١٧٨٥).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في «السنن» (٥/ ١٧ رقم ٤٦١١).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ٢٢٧).
وهو حديث صحيح الإسناد موقوف.

الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق. قال: قلت لمعاذ: ما يُدريني رحمك الله أن الحكيمَ قد يقول كلمةَ الضلالة، وأن المنافقَ قد يقول كلمةَ الحق؟ قال: بلى اجتنبْ من كلام الحكيم المشتهَراتِ التي يقال لها ما هذه، ولا يَثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجِع، وتلقَّ الحقَّ إذا سمعته فإن على الحق نوراً.

وله[1] من طرق عن سفيانَ الثوريِّ قال: كتب رجلٌ إلى عمر بنِ عبدِ العزيزِ سأله عن القدر، فكتب: أما بعدُ أوصيك بتقوى اللّهِ والاقتصادِ في أمره واتباع سنةِ نبيِّه ﷺ وتركِ ما أحدثَ المُحدثون بعد ما جرتْ به سنتُه وكُفُوا مُؤْنتَه، فعليك بلزوم السنةِ فإنها لك بإذن اللّهِ عِصمةٌ.

ثم اعلم أنه لم يبتدع الناسُ بدعةً إلا قد مضى ما هو دليلٌ عليها أو عبرةٌ فيها، فإن السنةَ إنما سَنَّها مَن قد عَلِم، أما في خلافِ من الخطأ والزللِ والحمَقِ والتعمُّقِ فارضَ لنفسك ما رضيَ به القومُ لأنفسهم، فإنهم على علمٍ وقعوا، وببصر نافذ كُفوا، ولهم عن كشف الأمورِ كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى. فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقوكم إليه، ولئن قلتم إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غيرَ سبيلِهم ورغِب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من مُحسِّر، وقد قصَّر قوم من دونهم فجفوا، وطَمَح عليهم أقوامٌ فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

كتبتَ تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلى الخبير بإذن اللّهِ وقعْتَ، ما أعلم ما أحدثَ الناسُ من مُحدثةٍ ولا ابتدعوا من بدعة هي أبينُ أثراً، ولا أثبتُ أمراً من الإقرار بالقدر.

لقد كان ذكرُه في الجاهلية الجهْلاء، لا يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يُعزّون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلامُ بعدُ إلا شدةً. ولقد ذكره رسولُ الله ﷺ في غيرِ حديثٍ ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم وتضعيفاً لأنفسهم أن يكون شيءٌ لم يُحط

---

(1) لأبي داود في «السنن» (٥/١٨ ـ ٢٠ رقم ٤٦١٢).
وهو حديث صحيح مقطوع.

به علمُه ولم يُحصه كتابُه ولم يمضِ فيه قدرُه، وإنه مع ذلك لفي مُحكم كتابه، منه اقتبسوه ومنه تعلموه، ولئن قلتم لمَ أنزلَ اللَّهُ آيَةَ كذا، ولم قال كذا؟ لقد قرأوا منه ما قرأتم، وعلِموا من تأويلِه ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كلّه: بكتاب وقدر، وكُتبت الشقاوةُ، وما يقدَّرْ يكُنْ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملِك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً، ثم رغبوا بعد ذلك ورهِبوا، والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً.

(الفصل الثالث) في عِظَم إثم مَن أحدثَ في الدين ما ليس منه. قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وفي الصحيح(١) عن عبد اللَّهِ بنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«ليس من نفسٍ تُقتل ظلماً إلاَّ كان على ابن آدمَ الأولِ كِفلٌ منها، لأنه أولُ مَن سنَّ القتلَ»**.

ولأحمدَ(٢) ومسلم(٣) عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من سن سُنةَ ضلالٍ فاتُبع علَيها كان عليه مثلُ أوزارِهم من غير أن ينقص من مثل أوزارِهم شيءٌ، ومن سنَّ سنةَ هدىً فاتُبع عليها كان له مثلُ أجورِهم من غير أن ينقصَ من أجورِهم شيء»**.

ولأحمدَ(٤) بإسنادٍ جيدٍ عن حبيب بنِ عبيدِ الرَّحْبيِّ عن غُضيف بنِ الحارثِ

---

(١) في صحيح البخاري (١٣/ ٣٠٢ رقم ٧٣٢١).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٣ - ١٣٠٤ رقم ٢٧/ ١٦٧٧).

(٢) في «المسند» (٢/ ٥٠٥) بسند صحيح.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠ رقم ١٦/ ٢٦٧٤).
قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٢٦٧٥) وابن ماجه رقم (٢٠٧) والدارمي (١/ ١٤١ رقم ٥١٣) بنحوه.
وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) في «المسند» (٤/ ١٠٥). بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه البزار في مسنده (١/ ٨٢ رقم ١٣١ - كشف) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٩٩ رقم ١٧٨).
=

الثُماليِّ ﷺ قال: بعث إليَّ عبدُ الملك بنُ مروانَ فقال: يا أبا أسماءَ إنَّا قد جمعنا الناسَ على أمرين. قال: وما هما؟ قال: تُرفع الأيدي على المنابر يومَ الجمعة، والقصصُ بعد الصبح والعصر. فقال: أما إنهما أمثلُ بِدعتِكم عندي، ولست مجيبك إلى شيء منهما. قال: لِمَ؟ قال: لأن النبيَّ ﷺ قال: **«ما أحدث قومٌ بدعةً إلاَّ رُفع مثلُها من السنة»**، فتمسكٌ بسنةٍ خيرٌ من إحداث بدعة.

وفي حديث الحوضِ[1] عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرُهم قال: **«ليَرِدَنَّ عليّ الحوضَ رجالٌ ممن صحبني ورآني حتى إذا رُفعوا إليَّ ورأيتُهم اختلجوا دوني فلأقولنّ: ربِّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**، وفي بعضها زيادةٌ: **«فأقول سُحقاً سُحقاً لمن بدَّل بعدي»**.

وفي الصحيحين[2] عن عائشةَ ﷺ قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى اللّهُ فاحذروهم»**.

وعن جرير بنِ عبد الله[3] قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسولُ الله ﷺ عليهم الصوفُ، فرأى سوءَ حالِهم قد أصابتْهم حاجةٌ، فحث الناسَ على الصدقة، فأبطأوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصُرَّة من ورقٍ، ثم جاء آخرُ، ثم تتابعوا حتى عُرف السرورَ في وجهه، فقال

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/١٨٨) وفيه أبو بكر بن أبي مريم منكر الحديث. وانظر: تعليق أبو الأشبال (١٣/٢١٧) على هذا الحديث.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٢٠٩ رقم ٤٥٤٧).
ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٣٥ رقم ١/٢٦٦٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٩ رقم ١٠١٧).

رسولُ الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلامِ سنةً حسنة فعُملَ بها بعده كُتب له مثلُ أجرِ من عَمِل بها، ولا ينقص من أجورهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلامِ سنةً سيئةً فعُمل بها بعده كتب عليه مثلُ وِزْرِ من عمل بها، ولا ينقص من أوزارِهم شيء».

ورواه الترمذي[1] بلفظ: قال رسولُ الله ﷺ: «من سنَّ سنةَ خيرٍ فاتُبع عليها فله أجرُه ومثلُ أجورِ من اتبعه غيرَ منقوصٍ من أجورِهم شيئاً، ومن سنَّ سنةَ شرٍّ فاتُبع عليها كان عليه وزرُها ومثلُ أوزارِ من اتبعه غيرَ منقوصٍ من أوزارِهم شيئاً».

وله[2] عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبيَّ ﷺ قال لبلال بنِ الحارثِ: «اعلم»، قال: أعلمُ يا رسولَ الله، قال: «إنَّه من أحيا سنةً من سنتي قد أُميتتْ بعدي كان له من الأجر مثلُ من عمِل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعةَ ضلالةٍ لا يرضاها اللهُ ورسولُه كان عليه مثلُ آثام من عمل بها لا ينقُص ذلك من أوزار الناسِ شيئاً». قال: هذا حديث حسنٌ. والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ وفي هذا كفايةٌ.

(الفصل الرابع والخامس) ما في هذه الأبيات:

(وكلُ ما خالفَ لِلوَحْيينِ ... فإنه ردٌّ بغير مينِ)

(وكلُ ما فيه الخلافُ نُصبا ... فردُّه إليهما قد وجبا)

(فالدينُ إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحدْس العقل)

(كل ما) أي أمرٍ كان (خالف الوحيين) نصوصِ الكتابِ والسنةِ، لأن السنةَ وحيٌ ثانٍ أيضاً كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم].

---

(١) في «السنن» (٥/ ٤٣ رقم ٢٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وهو حديث صحيح.

(٢) للترمذي في «السنن» (٥/ ٤٥ رقم ٢٦٧٧) وقال: هذا حديث حسن.
قلت: وأخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٢١٠). وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٣ رقم ٤٢).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٣): إسناد ضعيف جداً فيه كثير بن عبد الله وهو ابن عمرو بن عوف متروك...».
قلت: فالحديث ضعيف. وكثير بن عبد الله قال الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦١٧): ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب.

وقال النبيُّ ﷺ: «أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه»[1] الحديث. (فإنه) أي ذلك الأمرُ المخالفُ (ردٌّ) أي مردودٌ على مبتدعه مَن كان (بغير مين) بدون شكٍ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران) ٨٥]. ودينُ الإسلام هو الذي أنزل اللَّهُ تعالى به كتابَه على رسولِه لِيُبينه للناس، فتلاه الرسولُ ﷺ على أمته وبينه لهم بسنته من أقواله وأفعالِه وتقريراتِه ﷺ، وتقدم في الأحاديث قولُه ﷺ: «وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. الآية.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. الآية وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الصحيحين[3] من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٣٠١ رقم ٢٦٩٧).
ومسلم في صحيحه (٣/١٣٤٣ رقم ١٧/١٧١٨).

رسولَ الله ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ**».

وفي رواية مسلم[1]: «**من عمِل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌ**»، وقال ﷺ: «**لقد تركتُكم على المحجّةِ البيضاء ليلُها كنهارِها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالكٌ**»[2].

وفي السنن[3] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**افترقت اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعينَ فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً**».

وفيها[4] عن معاوية بنِ أبي سفيانَ رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسولَ ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن مَن قبلكم مِن أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين مِلةً، وإن هذه الملةَ ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**» ـ زاد في رواية[5] ـ: «**وإنه سيخرُج من أمتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ لصاحبه**». وفي لفظ[4]: «**بصاحبه، لا يبقى منه عِرقٌ ولا مفصِلٌ إلا دخلَه**».

وفي الصحيحين[6] وغيرهما عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتى تأخُذَ أمتي بأخذ القرونِ قبلها شِبراً بشبر وذراعاً بذراع**». فقيل: يا رسولَ الله كفارسَ والرومَ؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولئك**».

---

(1) في صحيحه (٣/ ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤ رقم ١٨/ ١٧١٨).

(2) تقدم تخريجه.

(3) أبو داود في «السنن» رقم (٤٥٩٦) والترمذي رقم (٢٦٤٠) وابن ماجه رقم (٣٩٩١). وأحمد (٢/ ٣٣٢) وأبو يعلى في مسنده رقم (٥٩٧٨) و (٦١١٧) والحاكم (١/ ١٢٨) والآجري في «الشريعة» (ص٢٥).
وقال الترمذي: **حديث أبي هريرة حسن صحيح.**
وقال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.**
وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» رقم (٢٠٣).

(4) أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٧) والدارمي (٢/ ٢٤١) وأحمد (٤/ ١٠٢) والحاكم (١/ ١٢٨) والآجري في «الشريعة» (١٨) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧١ رقم ٢٦٨ ك١) واللالكائي في «شرح السنة» رقم (١٥٠).
وهو حديث حسن. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٣٤٨).

(5) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥/ ٦) عقب الحديث رقم (٤٥٩٧) وقد تقدم.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣١٩). ولم يخرجه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدريّ[1] ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لَتتَّبِعُنّ سَنَنَ من كان قبلَكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ لتَبِعتموه**، قلنا: يا رسولَ الله اليهودُ والنصارى؟ قال: **«فمن»**؟. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

[البدعة ضلالة]

ثم اعلم أن البدعَ كلها مردودةٌ ليس منها شيءٌ مقبولاً، وكلها قبيحةٌ ليس فيها حسنٌ، وكلها ضلالٌ ليس فيها هدىً، وكلها أوزارٌ ليس فيها أجرٌ، وكلها باطلٌ ليس فيها حقٌّ.

ومعنى البدعةِ هو شرعُ ما لم يأذن الله به ولم يكن عليه أمرُ النبيِّ ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسر النبيُّ ﷺ البدعةَ بقوله: **«كلُ عمل ليس عليه أمرُنا»**[2]. ووصف الطائفةَ الناجيةَ من الثلاث والسبعين فرقةً بقوله: **«هم الجماعة»**[3]. وفي رواية: **هم مَن كان مثلَ ما أنا عليه وأصحابي»**[4].

ثم البدعُ بحسب إخلالها بالدين قسمان: مكفِّرةٌ لِمُنتحِلِها، وغيرُ مكفرة.

فضابطُ البدعةِ المكفرة من أنكر أمراً مُجمعاً عليه متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة من جُحود مفروضٍ أو فرضِ ما لم يُفرضْ، أو إحلالِ محرمٍ أو تحريمِ حلالٍ، أو اعتقاد ما يُنزِّه اللّهُ ورسولُه وكتابُه عنه من نفيٍ أو إثبات، لأنَّ ذلك تكذيبٌ بالكتابِ وبما أرسل اللّهُ به رسولَه ﷺ، كبِدعة الجهْمية في إنكار صفاتِ اللّهِ عز وجل والقولِ بخلق القرآنِ، أو خلقِ أي صفةٍ من صفات الله، وإنكارِ أن يكون اللّهُ تعالى اتخذ إبراهيمَ خليلاً وكلَّم موسى تكليماً وغيرِ ذلك، وكبدعةِ القدرية في إنكار علمِ اللّهِ عز وجل وأفعالِه وقضائِه وقدرِه، وكبدعةِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٤ رقم ٦/ ٢٦٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٢٦ رقم ٢٦٤١).
وقال: **هذا حديث مُفسَّرٌ غريب** لا نعرفُه مثل هذا إلا من هذا الوجه.
وأخرجه اللالكائي في «الشريعة» (١٦). **وهو حديث حسن.**

المجسّمة الذين يشبهونَ اللّهَ تعالى بخلقه، وغيرِ ذلك من الأهواء.

ولكنْ هؤلاء منهم مَن علِم أن عينَ قصدِه هدمُ قواعدِ الدينِ وتشكيكُ أهلِه فيه فهذا مقطوعٌ بكفره، بل هو أجنبيٌ عن الدين من أعدى عدوّ له، وآخرون مغرورن مُلبّس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامةِ الحجةِ عليهم وإلزامِهم بها.

والقسم الثاني: البدعُ التي ليست بمكفرة وهي ما لم يلزمْ منه تكذيبٌ بالكتاب ولا بشيء مما أرسل اللّهُ به رسلَه كبدَع المَرْوانية التي أنكرها عليهم فُضلاء الصحابة ولم يُقرّوهم عليها ولم يكفّروهم بشيء منها ولم ينزعوا يداً من بيعتِهم لأجلها كتأخيرِهم بعضَ الصلواتِ إلى أواخر أوقاتِها، وتقديمِهم الخطبةَ قبل صلاةِ العيدِ وجلوسِهم في نفسِ الخُطبةِ في الجمعةِ وغيرِها، وسبِّهم كبارَ الصحابةِ على المنابر، ونحوُ ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شرعيته، بل بنوع تأويلٍ وشهواتٍ نفسانية وأغراضٍ دُنيوية، كما روى الإمامُ أحمدُ[1] والترمذيُّ[2] وحسنه عن أبي عمران الجَوني قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالك ﷺ يقول: ما أعرفُ شيئاً اليومَ مما كنا عليه على عهد رسولِ الله ﷺ، قال: قلنا: فأين الصلاة؟ قال: أو لم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم؟.

وله عن ثابتٍ البنانيِّ بإسناد نيِّر قال: قال أنسُ بنُ مالك[3] ﷺ: ما أعرِفُ فيكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسولِ الله ﷺ، ليس قولكم لا إله إلا الله. قال: قلت: يا أبا حمزةَ: الصلاةُ؟ قال: قد صليّتَ حين تغرُب الشمسُ، أفكانت تلك صلاةَ رسولِ اللّهِ ﷺ؟.

---

(١) في «المسند» (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) في «السنن» (٤/ ٦٣٢ رقم ٢٤٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث أبي عمران الجُونيّ».
إسناده صحيح فيه زياد ثقة وأبو عمران الجوني هو عبد الملك بن حبيب الأزدي ثقة.
* وقد أخرج البخاري في صحيحه (٢/ ١٣ رقم ٥٢٩) عن أنس ولفظه: «قال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قيل: الصلاة، قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها؟».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١١/ ٢٩٢ رقم ١٣٧٩٥ ـ الزين). وسنده صحيح.

وفي الصحيحين[1] عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ يخرج يومَ الفِطْر والأضحى إلى المُصلَّى، فأولُ شيءٍ يبدأ به الصلاةُ، ثم ينصرف فيقوم مُقابلَ الناس والناسُ جلوسٌ على صفوفهم فيعظُهم ويوصيهم ويأمرهم. فإن كان يريد أن يقطَعَ بعثاً قطعه أو يأمر بشيءٍ أمر به ثم ينصرف.

قال أبو سعيد[1]: فلم يزل الناسُ على ذلك حتى خرجتُ مع مروانَ وهو أميرُ المدينةِ في الأضحى أو الفِطر، فلما أتينا المصلى إذا منبرٌ بناه كُثَيرُ بنُ الصَّلت، فإذا مروانُ يريدُ يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبَذتُ بثوبه، فجبَذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال أبا سعيد: قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلمُ واللّهِ خيرٌ مما لا أعلم.

فقال: إن الناسَ لم يكونوا يجلِسون لنا بعد الصّلاة فجعلتُها قبل الصلاة.

وفي رواية مسلم[2]: فلما رأيتُ ذلك منه قلت: أين الابتداءُ بالصلاة؟ فقال: يا أبا سعيد قد تُرِك ما تعلم، قلت: كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم - ثلاث مرات - ثم انصرف.

وروى أحمدُ[3] وأبو داودَ[4] وابنُ ماجه[5] عن أبي سعيدٍ ﷺ أيضاً قال: أخرج مروانُ المنبرَ في يومِ عيدٍ فبدأ بالخُطبةِ قبل الصلاة، فقامَ رجلٌ فقال: يا مروانُ خالفت السنة، أخرجتَ المنبرَ في يوم عيد ولم يكن يُخرج فيه، وبدأتَ الخُطبةَ قبل الصلاةِ ولم يكن يبدأ بها.

فقال أبو سعيد الخدريّ: من هذا؟ قالوا: فلانُ بنُ فلان، فقال: أما هذا فقد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩ رقم ٩٥٦).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٥ رقم ٩/ ٨٨٩).
(٢) في صحيحه (٢/ ٦٠٥ رقم ٩/ ٨٨٩).
(٣) في «المسند» (٣/ ١٠ و ٥٢).
(٤) في «السنن» رقم (١١٤٠).
(٥) في «السنن» رقم (٤٠١٣).
قلت: وأخرجه النسائي رقم (٨/ ١١١). والترمذي رقم (٢١٧٢) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
قلت: وهو حديث صحيح.

قضى ما عليه، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يُغيِّره بيده فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»**.

قلت: والمرفوعُ من قول النبيِّ ﷺ في صحيح مسلم[(١)]، ولعل تغييرَ هذا الرجلِ على مروان كان تارةً أخرى في غير المرةِ التي غيّر فيها أبو سعيد بيده ولسانه، لأن تغييرَ أبي سعيد كان عند أولِ ما ابتُدع ذلك ابتداءً، واللَّهُ أعلمُ.

وفي صحيح مسلم[(٢)] عن جابر بن سَمُرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ كان يخطُب قائماً ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائماً، فمن نبّأكَ أنه يخطُب جالساً فقد كذَب، فقد واللَّهِ صليتُ معه أكثرَ من ألفي صلاة.

وفيه[(٣)] عن كعب بنِ عُجْرةَ ﷺ قال: دخل المسجدَ وعبدُ الرحمن بنُ أمِّ الحكَم يخطُب قاعداً فقال: انظُر إلى هذا الخبيثِ يخطب قاعداً، وقال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

وفيه[(٤)] عن عمار بنِ رُويبةَ قال: رُئِيَ بشرُ بنُ مروانَ على المنبر رافعاً يديه فقال: قبّح اللَّهُ هاتين اليدين، لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبِّحة.

وتقدم في فضائل الصحابة نصيحةُ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ وسهلِ بن سعدٍ وغيرِهم[(٥)] من الصحابة وعظتُه إياهم عن سب الصحابة.

وعن عامر بنِ سعدٍ[(٦)] رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسَه من بين اثنين فإذا هو يسبُّ علياً وطلحةَ والزبيرَ فنهاه عن ذلك فلم ينتهِ فقال: أدعو عليك،

---

(١) (١/ ٦٩ رقم ٧٨/ ٤٩).

(٢) (٢/ ٥٨٩ رقم ٣٥/ ٨٦١).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٥٩١ رقم ٣٩/ ٨٦٤).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٥٩٥ رقم ٥٣/ ٨٧٤).

(٥) تقدم تخريجها.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٤٠ رقم ٣٠٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٥٤). وقال: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح.

فقال الرجلُ تتعهّدني كأنك نبيّ، فانصرف سعدٌ فدخل دارَ آل فلانٍ فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجلَ قد سبَّ أقواماً قد سبَق لهم منك سابقةُ الحسنى وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم فاجعلْه اليومَ آيةً وعبرةً، قال: فخرجتْ بُخْتيةٌ نادرةٌ من دار آل فلانٍ لا يردُّها شيءٌ حتى دخلت بين أضعافِ الناسِ فافترق الناسُ فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبّطه حتى مات، قال: فلقد رأيتُ الناسَ يستعدون وراءَ سعدٍ يقولونَ: استجاب اللّهُ دعاءَك يا أبا إسحاق. وعن مصعب[1] نحوُه.

وروى حمادُ بنُ سلمةَ[2] عن علي بنِ زيدٍ عن سعيد بنِ المسيِّب نحوُه، وغير ذلك من إنكار الصحابةِ عليهم، وكان الصحابةُ ﷺ لا يخافون في الله لومةَ لائم. ﷺ وأرضاهم آمين.

(فصل) ثم تنقسم البدعُ[3] بحسَب ما تقع فيه إلى بدعة في العبادات وبدعة في المعاملات.

فالبدعُ في العباداتِ قسمان أيضاً:

الأولُ: التعبدُ بما لم يأذن اللّهُ تعالى أن يُعبدَ به البتةَ، كتعبُّد جهَلةِ الصوفيةِ بآلاتِ اللهو والرقصِ والصفْقِ والغِناء وأنواعِ المعازفِ وغيرِها مما هم مُضاهئون فعلَ الذين قالَ الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

والثاني: التعبدُ بما أصلُه مشروعٌ ولكن وُضعَ في غيرِ موضعه، ككشف الرأسِ مثلاً، هو في الإحرامِ عبادةٌ مشروعةٌ، فإذا فعله غيرُ المُحرِمِ في الصومِ أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبُّدِ كان بدعةً محرمةً، وكذلك فعلُ سائرِ العباداتِ المشروعةِ في غيرِ ما شُرعتْ فيه كصلواتِ النفلِ في أوقاتِ النهي، وكصيامِ الشكِّ والعيدين ونحوِ ذلك.

---

(١) انظر: «مجابو الدعوة» لابن أبي الدنيا (ص٧٢) رقم (٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (ص٩٩ ـ ١٠٠ رقم ٦٨).
وأورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٤٢).
وابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٣٦).

(٣) انظر: «حقيقة البدع وأحكامها» سعيد بن ناصر الغامدي (٢/ ١٩٥).

وفي الصحيح[1] عن أنس في الرجل الذي رآه النبيُّ ﷺ يمشي بينَ ابنيه فقال ﷺ: «**إن اللَّهَ لغنيٌّ عن تعذيبِ هذا نفسَه**».

وفيه[2] عن ابن عباس ﵄ أن النبيَّ ﷺ مرَّ وهو يطوف بالكعبةِ بإنسان يقود إنساناً بُخزامة في أنفه فقطعها النبيُّ ﷺ بيده ثم أمره أن يقودَه بيده.

وفيه[3] عنه ﵁ قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطُب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيلَ، نذر أن يقومَ ولا يقعدَ ولا يستظلَّ ولا يتكلم ويصوم. فقال النبيُّ ﷺ: «**مُره فليتكلم وليستظِلَّ وليقعُد وليُتِمَّ صومَه**». فأمره النبيُّ ﷺ بإتمام الصومِ الذي هو عبادةٌ مشروعةٌ وُضعتْ في محلها، وإلغاء قيامه وسكوتِه لكونه وإنْ كان عبادةً في بعض الأحوالِ لكن ليس هذا محلَّه، وأمره بالاستظلال لكون عدمِهِ ليس بعبادة مشروعة.

وفيه[4] عن عبد الله بن عمرَ ﵄ سئل عن رجل نذر أن لا يأتيَ عليه يومٌ إلا صامَ فوافق يومَ الأضحى أو الفطرِ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لم يكن يصومُ يومَ الأضحى والفطرِ ولا يرى صيامَهما.

وعن زياد بنِ جبيرٍ[5] قال: كنت مع ابن عمرَ ﵄ فسأله رجلٌ فقال: نذرتُ أن أصومَ كلَّ يوم ثلاثاء أو أربعاءَ ما عشتُ، فوافقتُ هذا اليومَ يومَ النحر، فقال: أمر اللَّهُ بوفاء النذر ونُهينا أن نصومَ يومَ النحر، فأعاد فأعاد عليه، فقال مثلَه لا يزيد عليه، والمعنى أن النذرَ قربةٌ من القربات إذا كان مشروعاً كصوم ما لم يُنْهَ عنه من الأيام، فإن نذر صومَ يومٍ منهيٍّ عنه كان ناذراً معصيةً لا طاعةً، وقد قال ﷺ: «لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ رقم ٦٧٠١).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٦٣ ـ ١٢٦٤ رقم ٩/ ١٦٤٢).

(٢) أي في صحيح البخاري (١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٢).

(٣) أي في صحيح البخاري (١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٤).

(٤) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٥٩٠ ـ ٥٩١ رقم ٦٧٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٥٩١ رقم ٦٧٠٦).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠ رقم ١٤١/ ١١٣٩).

نذرَ في معصية الله»[1]. وقال ﷺ: **«من نذر أن يعصيَ اللَّهَ فلا يَعْصِه»**[2].

وعن عطاء أن ابن عباسٍ[3] رضي الله عنهما أرسل إلى ابن الزبير في أول ما بويع له: إنه لم يكن يُؤَذَّن بالصلاة يوم الفِطر، وإنما الخطبة بعد الصلاة، قال ذلك رداً لبدعة المروانية في ذلك.

وفيه[4] عن البراء بن عازبٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«إن أولَ ما نبدأ في يومنا هذا أن نصليَ، ثم نرجِعُ فننحرُ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سُنتنا، ومن نحر قبل الصلاةِ فإنما هو لحمٌ قدمه لأهله، ليس من النُسك في شيء»** الحديث.

وفيه[5] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهْط إلى نساء النبيِّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلي الليلَ أبداً، وقال آخرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطرَ، وقال آخرُ: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوج أبداً، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللَّهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر وأصلي وأرقُد وأتزوّج النساء، فمن رغِبَ عن سنتي فليس مني»**.

وقال ﷺ: **«ليس من البر الصيامُ في السفر»**[6].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٦٢ - ١٢٦٣ رقم ١٦٤١).
وأحمد (٤/ ٤٣٠، ٤٣٣ - ٤٣٤) وأبو داود رقم (٣٣١٦).
والنسائي (٧/ ١٩) وابن ماجه رقم (٢١٢٤) وعبد الرزاق رقم (١٥٨١٤) والبيهقي (١٠/ ٦٨ - ٦٩) والبغوي رقم (٢٧١٤).
من حديث عمران بن حصين. **وهو حديث صحيح**

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٥٨٥ رقم ٦٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٥١ رقم ٩٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٥٣ رقم ٩٦٥).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥٣ رقم ٧/ ١٩٦١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٠٤ رقم ٥٠٦٣).
ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٠ رقم ٥/ ١٤٠١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٣ رقم ١٩٤٦).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٦ رقم ١١١٥).

وقال ﷺ للذين صاموا بعد أمرِه بالإفطار: **«أولئك العُصاة، أولئك العُصاةُ»**[١]، وغيرُ ذلك من الأحاديث في هذا البابِ ما لا يُحصى وهذا مثالٌ يدل على ما بعده.

ثم البدعةُ الواقعةُ في العبادة قد تكون مُبطلةً للعبادة التي تقع فيها لمن صلى الرُّباعيةَ خمساً، أو الثلاثية أربعاً، أو الثُنائيةَ ثلاثاً وما شابه ذلك.

وقد تكون معصيةً ولا تُبطل العملَ الذي تقع فيه كالوضوء أربعاً أربعاً، لأن النبيَّ ﷺ قال في الوضوءِ المشروعِ: **«فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم»**[٢]، ولم يقل فقد بطل وُضوؤُه. وكذا قراءةُ القرآنِ راكعاً أو ساجداً منهيٌّ عنه شرعاً ولا يُبطل الصلاة.

والبدعةُ في المعاملات كاشتراط ما ليس في كتاب اللّهِ ولا في سنةِ رسولِه ﷺ كما في الصحيح[٣] عن عائشةَ ﵂ قال: جاءت بُريرةُ ﵂ فقالت: إني كاتبْتُ أهلي على تسع أواقٍ، في كل عام أُوقيةٌ فأعينيني، فقالت عائشة ﵂: إن أحبَّ أهلُك أعُدّها لهم عِدّةً واحدةً وأُعتِقَك فعلتُ ويكون ولاؤك لي، فذهبتْ إلى أهلها فأبَوا ذلك عليها، فقالت: عرضتُ ذلك عليهم فأبَوا إلا أن يكون الولاءُ لهم، فسمع بذلك رسولُ الله ﷺ فسألني فأخبرتُه فقال: **«خُذيها فأعتقيها واشرطي لهم الولاء فإنما الولاءُ لمن أعتق»**.

فقالت عائشةُ: فقام رسولُ الله ﷺ فحمِدَ اللّهَ وأثنى عليه ثم قال: **«أما بعدُ، فما بالُ رجالٍ منكم يشترطونَ شروطاً ليست في كتاب الله، فأيُما شرطٍ ليس في كتاب اللّهِ فهو باطلٌ وإن كان مائةَ شرْطٍ، فقضاءُ اللّهِ حقٌ وشرطُ اللّهِ أوثقُ. ما بالُ رجالٍ منكم يقول أحدُهم أعتقْ يا فلان وليَ الولاءُ، إنما الولاءُ لمن أعتق»**، وأمثالُه كثيرة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٥ رقم ١١١٤).
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠).
وأبو داود رقم (١٣٥) والنسائي (١/ ٨٨) وابن ماجه رقم (٤٢٢). بسند حسن.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٨٧ - ١٨٨ رقم ٢٥٦١).
ومسلم في صحيحه (٢/ ١١٤١ - ١١٤٢ رقم ٦/ ١٥٠٤).

[كل ما وقع فيه الخلاف بين الصحابة فمن بعدهم يحتكم فيه إلى الكتاب والسنة]

(وكلُ ما فيه الخلافُ) بين الصحابة فمن بعدهم **(نُصب)** من فروع العباداتِ والمعاملاتِ **(فردُه)** أي المختلَفِ فيه من ذلك **(إليهما)** أي إلى الكتاب والسنة **(قد وجب)** على المعتبر، قال اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

والردُّ إلى الله تعالى هو الردُّ إلى كتابه، وإلى الرسول إلى سنته بعد انقطاع الوحي، فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُدَّ على قائله كائناً من كان، **(فالدين)** الإسلامُ وشرائِعُه **(إنما أتى)** حصل بيانُه **(بالنقل)** عن الله ورسوله **(ليس)** هو **(بالأوهام)** من آحاد الأمةِ **(وحذس)** تخمين **(العقل)**، قال اللَّهُ تعالى لرسوله ﷺ وهو أرجحُ الخلائق عقلاً وأولاهم بكل صواب: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥]. الآيات، ولم يقل بما رأيت.

ويقول اللَّهُ تعالى له: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى له: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وأمثالُ هذا ما لا يُحصى، وتقدم في الأحاديث جملةً واحدة وأنه ﷺ لا يقول في التشريع إلا عن الله عز وجل، ولهذا لم يجب اليهودَ في سؤالهم إياه عن الروح، ولا جابراً في سؤاله عن ميراث الكلالة، ولا المجادلة في سؤالها عن حكم الظهارِ حتى نزل القرآنُ بتفصيل ذلك وبيانِه. وأمثالُ هذا كثير. ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وفي قصة عمرَ[١] رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ وفيه قال: فعمِلتُ لذلك أعمالاً. وقال عثمانُ بنُ حنيفٍ[٢]: اتهموا الرأيَ في دينكم، لقد رأيتني يومَ أبي جَندلٍ ولو أستطيعَ أن أردَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ لرددْتُه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٣٢٩ ـ ٣٣٣ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) تقدم تخريجه.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب[1] ﷺ: لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يمسح على ظاهر خُفِّه.

وأفتى عمرُ[2] السائلَ الثقفِيَّ في المرأة التي حاضت بعد أن زارت البيتَ يومَ النحرِ أن لا تنفِرَ، فقال له الثقفيُّ: إن رسولَ الله ﷺ أفتاني في مثل هذه المرأةِ بغير ما أفتيتَ به، فقام إليه عمرُ يضربِه بالدِّرة ويقول له: لم تستفتيني في شيء قد أفتى فيه رسولُ اللّهِ ﷺ؟.

وكان ابنُ مسعود[3] أفتى بأشياء فأخبره بعضُ الصحابةِ عن النبي ﷺ بخلافه، فانطلق عبدُ الله إلى الذين أفتاهم فأخبرهم أنه ليس كذلك.

وقال عمرُ بنُ عبد العزيزِ[4]: لا رأى لأحد مع سنة سنها رسولُ الله ﷺ: والآثارُ في هذا عن الصحابة والتابعين لا تُحصى.

وقال الشافعي[5] رحمه الله تعالى: أجمعَ الناسُ على أن من استبانت له سنةٌ عن رسولِ اللّهِ ﷺ لم يكن له أن يدَعها لقول أحدٍ من الناس. وصحَّ عنه[6] أنه قال: لا قولَ لأحد مع سنة رسولِ الله ﷺ.

وقال[7] رحمه الله: إذا وجدتم في كتاب خلافَ سنةِ رسولِ الله ﷺ فقولوا

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (١٦٢، ١٦٣، ١٦٤).
وابن حزم في «الأحكام» (٢/ ١٦٥). **وهو حديث صحيح.**

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٢٠٠٤) والترمذي (٣/ ٢٨٢ رقم ٩٤٦).
قال الترمذي: حديث الحارث بن عبد الله بن أوس حديث غريب.
وهو حديث صحيح منسوخ.

(٣) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢ - ٢٨٣).

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).

(٥) ذكره ابن القيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).
وانظر: «الإيقاظ» (ص٥٨ و ١٠٣).

(٦) انظر: «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).

(٧) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٢ - ٤٧٣) وابن حجر في توالي التأسيس (ص١٠٧) وابن كثير في «مناقب الشافعي» (ص١٧٨ رقم ١٨٧) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٤).

بسنة رسولِ الله ﷺ ودعُوا ما قلتُ. وفي لفظ[1]: فاضربوا بقولي عُرض الحائط.

وقال[2] رحمه الله: إذا وجدتم سنةَ رسولِ الله ﷺ خلافَ قولي فخذوا بالسنة ودعُوا قولي، فإني أقول بها.

وقال[3] رحمه الله تعالى: كلُ مسألةٍ تكلمتُ فيها صح الخبرُ فيها عن النبيِّ ﷺ عند أهلِ النقلِ بخلاف ما قلتُ فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال[4] رحمه الله تعالى - وروى حديثاً فقال له رجلٌ: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: - متى رويتُ عن رسولِ الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخُذْ به فأُشهدكم أن عقْلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم.

وسأله[5] رجلٌ عن مسألة فأفتاه وقال: قال النبيُّ ﷺ كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أرأيتَ في وسَطي زُنّاراً؟ أترَاني خرجتُ من الكنيسة؟ أقول: قال النبيُّ ﷺ وتقول لي أتقول بهذا! أروي عن النبيِّ ﷺ ولا أقولُ به!.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٧) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٥).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).
وتناوله السبكي في رسالة سمّاها: «معنى قول المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي» (ص٧١ - ٧٩).

(٢) أخرجه ابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٨٠ رقم ١٩٤) وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه ابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٣ - ٤٧٤).
وابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٧٨ رقم ١٨٨) وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٧).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

(٥) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٤ - ٤٧٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٦) وابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٧٩ رقم ١٩١). وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

وفي لفظ[1]: فارتعد الشافعيُّ رحمه الله واصفرَّ لونُه وقال: ويحك، أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا رويتُ عن رسولِ الله ﷺ شيئاً فلم أقل به، نعم على الرأس والعينين.

وقال[2] رحمه الله تعالى: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنةٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ وتعزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قول وأصّلْتُ فيه عن رسولِ الله ﷺ خلافَ ما قلتُ فالقولُ ما قال رسولُ الله ﷺ وهو قولي. وجعل يردد هذا الكلامَ.

وقال الشافعيُّ[3] رحمه الله أيضاً: لم أسمع أحداً نسبتْه العامةُ أو نسب نفسَه إلى علم يخالف في أن فرضَ اللَّهِ تعالى اتباعُ أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والتسليمُ لحكمه، فإن اللَّهَ لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعَه، وأنه لا يلزم قولُ رجلٍ قال إلا بكتابِ اللَّهِ أو سنةِ رسولِ الله ﷺ، وأن ما سواهما تبعٌ لهما، وأن فرْضَ اللَّهِ علينا وعلى من بعدنا وقبلَنا في قبول الخبرِ عن رسولِ الله ﷺ واحدٌ لا يُختلف فيه.

وقال الربيعُ[4]: سألتُ الشافعيَّ عن الطِيب قبل الإحرام بما يبقى ريحُه بعد الإحرامِ وبعد رمي الجمرةِ والحلق وقبل الإفاضة، فقال: جائزٌ وأُحبه ولا أكرَهُه، لثبوت السنةِ فيه عن النبيِّ ﷺ والأخبار عن غير واحدٍ من الصحابةِ. فقلت: وما حجتك فيه؟ فذكر الأخبارَ فيه والآثارَ ثم قال: أخبرنا ابنُ عُيينةَ عن عمرو بنِ دينارٍ عن سالم قال: قال عمرُ رضي الله عنه: من رمى الجمرةَ فقد حلَّ له ما حرم عليه إلا النساءَ والطِيبَ. فقال سالم: وقالت عائشةُ[5] رضي الله عنها: طيّبتُ رسولَ الله ﷺ بيدي.

---

(١) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٦) وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨) وابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٧٩ رقم ١٩٠). وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٢) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٣) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٨).

(٥) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥ رقم ١٧٥٤). عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «طيبتُ رسولَ الله ﷺ بيديَّ هاتين حين أحرم، ولحلِّه حين أحلَّ قبل أن يطوف، وبسطت يديها».

وسنةُ رسولِ الله ﷺ أحقُّ أن تُتَّبعَ. قال[1]: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون وأهلُ العلم، فأما ما تذهبون إليه من ترك السنةِ وغيرِها وتركِ ذلك لغير شيءٍ بل لرأي أنفسِكم، فالعلمُ إذاً إليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم.

وقال[2] رحمه الله تعالى: من تَبِع سنةَ رسولِ الله ﷺ وافقتُه، ومن خلَطَ فتركها خالفتُه. صاحبي الذي لا أفارق الملازمُ الثابتُ مع رسولِ الله ﷺ وإن بعُدَ، والذي أفارق هو من لم يقل بحديث رسولِ الله ﷺ وإن قرُبَ.

[نبذة من خطبة كتاب إبطال الاستحسان]

وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتابِ **(إبطالِ الاستحسان)**[3]: الحمدُ لله على جميع نعمِه بما هو أهلُه وكما ينبغي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسولُه بعثه بكتاب عزيزٍ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسولِه، ثم أنعم عليه وأقام الحجةَ على خلقه لئلا يكونَ للناسِ على الله حجةٌ بعد الرسل، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وفرض عليهم اتباعَ ما أنزل إليهم وسن رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فاعلم أن معصيتَه في ترك أمرِه وأمرِ رسولِ الله ﷺ ولم يجعل لهم إلا اتباعَه، وكذلك قال لرسولِ الله ﷺ: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]. مع ما علّم نبيَّه، ثم فرض اتباع كتابه فقال: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣].

---

(١) أي الشافعي، ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٨).
(٢) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٩).
(٣) الإمام الشافعي وهو في موسوعته (١٥/ ١٠٧ ـ ١١٠) وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

وأعلمهم أنه كمّل لهم دينهم فقال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] إلى أن قال: ثم منّ عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيرَه إلا ما علّمهم فقال لنبيّه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]. وقال لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]. ثم أنزل على نبيّه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورِضوانَه عنه، وأنه أولُ شافع ومشفَّع يوم القيامة وسيدُ الخلائقِ، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاءه ﷺ رجلٌ في امرأةِ رجلٍ رماها بالزنا فقال له: يَرجِع، فأوحى اللّهُ إليه آيةَ اللّعانِ فلاعن بينهما، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]. الآية، وقال لنبيّه ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [النازعات]. فحجب عن نبيّه علْمَ الساعة، وكان مَن عدا ملائكةَ اللّهِ المقربين وأنبيائه المصطفين من عباد الله أقصرَ علماً من ملائكته وأنبيائه، واللّهُ عز وجل فرض على خلقه طاعةَ نبيّه ولم يجعل لهم من الأمر شيئاً.

وكلامُه رحمه الله تعالى في هذا البابِ كثيرٌ مشهورٌ مذكور. وهذا الذي قاله من تحكيم نصوصِ الكتابِ والسنةِ وطرحِ ما خالفهما هو الذي نطقا به وصرحتْ به نصوصُهما وأجمع عليه الصحابةُ والتابعون فمن بعدهم كما حكى إجماعَهم هو وغيرُه، وكما هو المشهورُ من سيرتِهم في الأقوالِ والأفعالِ، ونصوصُهم في هذا البابِ ملءُ الدنيا، وتصانيفُهم في ذلك قد طبّقتْ مشارق الأرض ومغاربَها، ولو رأوا ما عليه مقلّدوهم في هذا الوقت لتبرأوا منهم ومقَتوهم أشدَّ المقْتِ، فإنهم ليسوا على ما كانوا عليه، ولا اهتدوا إلى ما أرشدوهم إليه، بل اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وكلٌّ منهم يحصُر الحقَّ في إمامه، ويرى سائرَ أهلِ العلم مفضولين وإمامَه فاضلاً، وإذا خالف مذهبُه نصاً ضربَ له الأمثال، وتكلف

له التأويلَ المُحال، ويقابله الآخرُ بمثل ذلك، فهم بين رادّ ومردودٍ وحاسدٍ ومحسود، وكان فيهم شبَهٌ من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

ولم يعلم هؤلاء المساكينُ أن سلفَهم الصالحَ الذين يزعمون الاقتداءَ بهم كانوا أبعدَ من هذه الصفةِ بُعدَ ما بين المشارق والمغارب، بل كانوا ﷺ وأرضاهم أجلَّ شأناً وأكملَ إيماناً من أن يُقدّموا بين يدي الله ورسولِه، بل هم تبعٌ له في أوامره ونواهيه، ولَنُصوص الشرعِ أعظمُ عندهم من أن يقدِّموا عليها آراء الرجال، وهي أجلُّ قدراً في صدورهم من أن تُضرَبَ لها الأمثال، وأعلى منزلةً من أن تُدفع بالأقيسة والتأويلِ المُحال، وإنما المقتدي بهم على الحقيقة من اقتفى أثرَهم واتّبع سيَرهم وحفِظ وصيَّتَهم وأحيا سنتَهم في طلب الحقّ وأَخْذِه أين وجدَه، والوقوفِ عند كتاب اللّهِ تعالى وسنةِ رسولِه ﷺ كما بَلّغَتْه.

فكما كان اجتهادُ السلفِ رحمهم الله في جمع الأدلةِ واستنباطِ الأحكامِ منها، فالواجبُ عند الخلافِ تتبُّعُ تلك الأدلةِ والاستنباطاتِ، والأخذُ بالأصح منها مع مَن كان، وبيَد مَن وُجِدَ، فإن الحقَّ واحدٌ لا يُجزّئُه الاختلافُ، وكلُ واحدٍ من أولئك الأئمةِ يدأب في طلبه جاداً مجتهداً إن أصابه فله أجران[1] وإن أخطأه فله أجرٌ والخطأ مغفورٌ، وهذه أقوالُهم مدونةٌ في كتبهم، كلُها تذمّ الرأيَ في الدين، وتحُثّ مَن بعدَهم على اقتفاء أثرِهم في طلب الحقّ أينما كان، ولم يدْعُ أحدٌ منهم إلى تقليده، ولم يكن أحدٌ منهم معصوماً ولا ادّعى ذلك ولا قال إن الحقَّ معي لا يفارقني، فتمسكوا بما أقول وأفعل، ولا كان لأحدٍ منهم التزامُ قولِ أحدٍ من آحادِ الأمةِ، لا ممن هو مثلُهم ولا مَن هو أفضلُ منهم فضلاً عمن هو دونهم، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النصَّ الذي لم يبلُغْه أو لم يستحضِرْه.

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) وأبو داود رقم (٣٥٧٤) والترمذي رقم (١٣٢٦) والبيهقي (١٠/١١٩) والبغوي رقم (٢٥٠٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٦٦٤) وأحمد (٤/١٩٨ و ٢٠٤ ـ ٢٠٥) والنسائي (٨/٢٢٣ ـ ٢٢٤) والدارقطني (٤/٢٠٤) من طرق عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا حكَمَ الحاكمُ فاجتَهَد فَأصابَ فلهُ أجران، وإذا حَكمَ فاجتهد فأخطأ فلهُ أجرٌ»**.

ولو كان ذلك خيراً لسبقونا إليه، بل كان إمامَ الجميعِ محمدٌ رسولُ الله ﷺ الذي بيَّن للناسِ ما نُزِّل إليهم، ويتبعون آثارَه من الأفعالِ والأقوالِ والتقريراتِ يتلقَّونها من حفّاظِها مَن كانوا وأين كانوا وبيد مَن وجدوها وقفوا عندها ولم يعْدوها إلى غيرها.

وكانت طريقتُهم في تلقي النصوصِ أنهم يردّون المتشابه إلى المُحَكم، ويأخذون ما يفسِّر لهم المتشابهَ ويبيِّنه لهم، فتتفق دلالتُه مع دلالة المُحكَم، وتوافق النصوصُ بعضُها بعضاً ويصدِّق بعضُها بعضاً، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلافَ فيه ولا تناقضَ، وإنما الاختلاف والتناقضُ فيما كان من عند غيره، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].



[خاتمة منظومة (سُلّم الوصول) وشرحها (معارج القبول)]

(ثم إلى هنا قد انتهيت ... وتمَّ ما بجمعه عُنِيتُ)
(سميتُه بسلم الوصول ... إلى سمَا مباحثِ الأصول)
(والحمدُ لله على انتهائي ... كما حمِدتُ اللَّهَ في ابتدائي)
(أسأله مغفرةَ الذنوبِ ... جميعِها والسترَ للعيوب)
(ثم الصلاةُ والسلامُ أبدا ... تغشى الرسولَ المصطفى محمدا)
(ثم جميعَ صحبِه والآلِ ... السادةِ الأئمةِ الأبدال)
(تدومُ سرمداً بلا نفاد ... ما جرت الأقلامُ بالمِداد)
(ثم الدعا وصيةُ القراء ... جميعِهم من غير ما استثناء)
(أبياتُها «يُسْرٌ» بعدّ الجُملِ ... تاريخُها «الغفرانُ» فافهم وادعُ لي)

❁ ❁ ❁

(ثم إلى هنا) الإشارةُ إلى آخرِ الكلامِ على الاعتصام بالكتاب والسنة وناسب جعلُ ذلك هو الخاتمةَ بكون الآيةِ التي فيها الإشارةُ إلى ذلك هي من آخر ما نزل وهي قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] بل السورةُ كلُها من آخر ما نزل.

ورُوِيَ أنها نزلت جمُلةً واحدةً ومن جهة أنها الاعتصامُ بها آخِرُ ما أوصى به النبيُّ ﷺ في خُطبتِه في حَجةِ الوداعِ ثم خُطبتِه في غديرِ[1] خمّ، ثم كان من آخرِ ما تكلم به عند خروجه من الدنيا.

(قد انتهيتُ) أي اقتصرتُ على هذا القدر، وفيه إن شاء اللّهُ تعالى كفايةٌ (وتم) أي قُضيَ (ما) أي الذي (بجمعه) في نظمي (عُنيتُ) اهتممتُ له.

(سميتُه) حين تم (بسلّم) أي المِرقاة التي يُصعدُ فيها لأجلِ (الوصولُ إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

سما) بتثليث السين **(مباحث)** جمعُ مَبْحثٍ وهو ما يحصُل به فهمُ الحكم **(الأصول)** جمعُ أصلٍ وهو ما يُبنى عليه، والمُرادُ بها عند الإطلاقِ أصولُ الدين، وهو ما يجب اعتقادُه فيه وهو المُرادُ هنا، وأما إذا أُضيفتْ فهي بحسب المضافِ إليه.

فأصولُ الحديثِ علمُ الاصطلاحِ الذي يُبحث فيه عن تفاصيل أحوالِ السندِ والمتنِ وأحكامِها، وأصولِ الفقهِ عِلْمٌ يُبحث فيه عن الدليل والمدلولِ وحالِ المستدلِّ وغير ذلك. وأصول العربيةِ والنحوِ والصرفِ والمعاني والبديعِ كلٌّ بحسبه وتعريفِه في فنه.

وقولُنا: «سما مباحث الأصول» وصفٌ له بالسموّ وهو العلوُّ، إشارةً إلى أنه أعلى العلومِ وأهمُّها وأوجبُها وألزمُها لأنه معرفةُ ما خلق اللَّهُ له الخلقَ والدنيا والآخرةَ والجنةَ والنارَ، وبه أرسلَ اللَّهُ الرسلَ وأنزل الكتبَ، وفيه وله شُرع الجهاد، وعليه يُرتب الجزاءُ من الثوابِ والعقاب وغير ذلك، فحقيقٌ بعلم هذا قدرُه أن يكون هو أولَ ما يهتم به العبدُ، وأعظمَ ما يبذُل فيه جُهده ويُنفقُ فيه عمُرَه حتى يموتَ على ذلك، وناسَب تسميةَ الشرحِ بمعارج القبولِ لأن العروجَ هو الصعودُ، والمعارجُ المصاعدُ فكأنَّ القارىءَ في هذا الشرح يصعد في هذا السلّم. وأضيفت المعارجُ إلى القبول لمناسبة الوصولِ لأن من لم يُقبَلْ لم يصِلْ بل يُردّ أو ينقطع.

(والحمد لله على) جزيلِ النعمةِ التي منها أن قدّر **(انتهائي)** أي إتمامي هذا المتنَ المشتملَ على معرفةِ اللَّهِ تعالى ودينِه ورسولِه ﷺ **(كما حمِدتُ اللَّهَ في ابتدائي)** في نظمه كما تقدم، وذلك اقتداءً بكلام اللَّه تعالى حيث افتتح ذكرَ الخلق بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]. وختم ذكرَهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

(أسأله) أي أسأل اللَّهَ **(مغفرة)** أي مغفرته تعالى **(الذنوبَ)** ذنوبي وجميعِ المسلمين، والمغفرةُ سترُ الذنبِ في الدنيا والآخرة والعفُو عنه وعدمُ المؤاخذةِ به **(جميعِها)** من صغائرَ وكبائرَ. والاستغفار من أعلى أنواع الذكرِ **(والستر)** منه تعالى **(للعيوب)** مني ومن جميع المسلمين.

(ثم) عطفٌ على الحمد والاستغفار (الصلاة والسلام أبدا) تقدم معناهما (تغشى الرسولَ المصطفى محمدا) تغمُره من ربه عز وجل (ثم) تغشى (جميع صحبِه والآلِ) تقدم تعريفِهما (السادةِ) جمعُ سيد، وهو النقيبُ المقدّم (الأئمة) المقتدى بهم في الدين (الأبدال) أي الأولياء لله تعالى (تدوم) متواصلةً متواترةً (سرمداً) تأكيد للدوام يفسِّره (بلا نفاد) فَناء وانقطاعٍ (ما جرت الأقلامُ بالمِداد) أي عددَ ما جرت به.

(ثم الدعا) لجامع هذا العِقْدِ متناً وشرْحاً (وصيةٌ) منه يلتمسه من (القراء) أن يدعُوا له بخيري الدنيا والآخرة (جميعِهم) شاهدِهم وغائبِهم، معاصريه ومن يأتي بعد عصرِه (من غير ما) صلةٌ، أي من غير (استثناء) إخراجِ أحدٍ منهم هذه الوصية.

(أبياتُها) أي عِدّتُها رمزُ حروفِ (يَشر) وذلك مائتان وسبعون (بعدَ الجمل) الحروفِ الأبجدية المعروفةِ عند عامةِ العربِ، وبما زدتُ فيها أقول (أبياتُها المقصودُ) أي الذي فيه الأحكامُ والمسائلُ (يسر فاعقِلْ) عني. (تأريخها) الذي أُلِّفتْ فيه رمزُه حروفُ (الغفران) وذلك ألفٌ وثلاثمائة واثنان وستون، أي عامئِذٍ، نسألُ اللّهَ الغفرانَ.

(فافهم) ما في ذا المعتقدِ (وادعُ لي) بصالح الدعواتِ في أوقاتِ الإجابةِ كما أوصيتُك، فإن ذلك من أعظم الصدقاتِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

اللهم يا حيُّ يا قيومُ يا ذا الجلالِ والإكرام، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ برحمتك نستغيث. اللهم رحمتَك نرجو فلا تكِلْنا إلى أنفسنا ولا إلى أحدٍ من خلقك طرفةَ عينٍ، وأصلِح لنا شأننا كلَّه، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.

اللهم مغفرتُك أوسعُ من ذنوبنا، ورحمتُك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفِرْ لنا وارحمنا إنك الغفورُ الرحيم.

اللهم ما كان في هذا السِّفْر من حقٍ وصوابٍ فبتعليمك وإلهامِك، وفضلِك وإنعامِك، وأنت أهلُه ومُوليه، فلك الحمدُ كما أنتَ أهلُه، فانفَعنا اللهم بتفهُّمه، وارزقنا العملَ بما علمنا وجميعَ المسلمين. وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي

وشيطاني، فألهمني اللَّهمّ رُشدي، وأعِذني من شرّ نفسي، وقيِّضْ له من يُصلحه ويسدُّ خَلَلَهُ، وأعذني أن أضِلَّ عن سواء صراطكِ المستقيم، أو يَضِلَّ بخطئي أحدٌ من عبادك، واغفِرْ لي ولوالديَّ ولجميع المسلمين.

سبحان ربِّك ربِّ العزّة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين والحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلِّ اللهمّ على سيدنا ونبيِّنا محمدٍ عبدِك ورسولِك سيدِ الأولين والآخرِين، وخاتِم الأنبياء والمرسلين، وقائدِ الغرّ المحجَّلين، ورضي اللَّهُ عن آلِه وأصحابِه وأهلِ بيتِه أجمعين، ومن تبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بفضله ورحمتِه ووالدينا وإخوانِنا وجميعِ المسلمين آمين.

وكان الفراغُ من تسويدِه نهارَ الاثنين بعد صلاةِ العصرِ السادسِ عشرَ من جُمادى الأولى سنةَ ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم.

تم بحمد الله ومنّه
الجزء الثالث من كتاب
معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
وبه تم الكتاب

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
في الجزء الثالث
من كتاب «معارج القبول»

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم في الجزء الثالث من كتاب «معارج القبول»

ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثالث من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

